رؤى نسوية من العراق

مجموعة كاتبات

منشورات تحالف أمان النسوي

2024

رؤى نسوية من العراق

مجموعة كاتبات

منشورات تحالف أمان النسوي

2024

العنوان: رؤى نسوية من العراق

تأليف: مجموعة كاتبات

عدد الصفحات: 267

الطبعة الأولى

تصميم الغلاف والإخراج الطباعي: رُزكار عبدالله

AMAN WOMEN ALLIANCE

منشورات تحالف أمان النسوي

2024

www.amanwomenalliance.org

Instagram: @aman_women_alliance

Facebook: تحالف أمان النسوي

الفهرست

مقدمة ٧

ملف الأبحاث المقدمة الى المدرسة النسوية الرابعة ٩

- النساء العربيات في المجال الأدبي والثقافي والتحديات المعيقة ... الباحثتان:

تسالي عطية عذير ونهى عبير ١٠

- المعايير الانثوية، قيود اجتماعية مفروضة على النساء ... الباحثة طيبة علي ٢٣

- التشاركية في الأدوار الاجتماعية تقسيم الأدوار بي الأسباب والآثار

الباحثتان: ماسة الرمادي وسارة مجيد ٣٣

- الكاتبات العراقيات بين التحديات وكسر حاجز الصمت ... بتول فاروق وآمنة حيدر ٤٣

- تهميش المهندسات في أماكن العمل- دراسة حالة في مؤسسات وزارة الكهرباء

العراقية في المنطقة الجنوبية ... سمية يوسف وهالة ابراهيم ٥٨

- نساء ذي قار في الاحتجاجات ... مريم قاسم وبان فالح ٧٩

مقالات مختارة حول مواضيع نسوية مختلفة ٨٧

المرأة والانتفاضة ٨٨

- بين حضور المرأة في انتفاضة اكتوبر في العراق(٢٠١٩) وغياب

مطالبها ... نادية محمود ٨٩

- النساء في تشرين.. أكنا «راديكاليات» بما يكفي؟ ... أماني الحسن ١٠٢

حول العمل الرعائي ١٠٦

- «شمسويه انتِ!».. العمل المنزلي وحرمان المرأة من يومها ... منال حميد غانم ١٠٧

- أنا واخي- العمل الرعائي كمساهم في الاخوة الهشة ... منال حميد غانم ١١٢

حول الشعبوية وضرورة النضال ضدها ١١٧

- حقوق المرأة وضرورة النضال ضد التيارات الشعبوية ... نادية محمود ١١٨

- الشعبوية والعشائرية والفقهاء ... بتول فاروق الحسون ١٢٧

- هل يحطم دعاة الجندر الاسرة وهل يدعون الى المثلية؟ ... نادية محمود ١٢٩

حول العنف ضد النساء ١٣٢

- «سُعار مُموَّل».. عن رهام يعقوب والحرب على النساء في العراق ... بلسم مصطفى ١٣٣

- «لستَ غليظاً مع النساء؟! إذن رجولتك محل شك» ... أماني الحسن ١٤٠

- العنف الطبي على اجساد النساء ... جوان ميرزا ١٤٥

- «تغليف من الرأس إلى القدم».. الرقباء والرقيبات في «بيت العيال» ... ريم عبد ١٤٨

- «إحنا اِنربي قبل ما إنعلّم».. عن ضحايا منظومة العنف التربويّ ... ان إ.م .بلدي ١٥٤

- قانون مناهضة العنف الأسري: رحلة خذلان المُعنفات والمعنفين في العراق ... بان ليلى ١٦٠

- «يحسبون عليَّه الهوا»: أمهات مُعاقبات بين دوائر الدولة والمحاكم ... زينب المشاط ١٦٦

- الشخصي هو سياسي – حول الحب والنسوية ... نادية محمود ١٧٧

- بين الجهل المقدس ..... والفكر الحر ... جوان ميرزا ١٨٠

حول الشرطة المجتمعية ١٨٢

- "الشرطة المجتمعية" في العراق.. أو "التوعية" و"التمكين" في خدمة العنف البنيوي ضد النساء ... أماني الحسن ١٨٣

- الشرطة المجتمعية في العراق...يد القانون التي لا تحمي الضحية ... طيبة علي ١٨٨

- كيف «لا تنجو» النساء في العراق؟! ... ان إ.م .بلدي ١٩٣

حول النساء والعمل ١٩٩

- النساء وفقر الوقت ... بتول فاروق ٢٠٠

- «استقيلي وارجعي وره الولادة».. المحرومات من إجازة الحمل والأمومة ... أبرار المير طه ٢٠٣

- العاملات أونلاين.. عن «الربح الصعب» في العراق ... ريم عبد ٢٠٩

- «الكل يمتلك حقاً بالأطفال إلا الأم».. عن أرامل يحاولن حضانة أطفالهن ... نشوى نعيم ٢١٧

- بيانات تحالف أمان النسوي ٢٢٤

مقدمة

تصاعدت في العراق في السنوات الاخيرة وفي أعقاب انتفاضة اكتوبر موجة نسوية جديدة، كانت النساء الشابات في العشرينات والثلاثينات من العمر هن رائداتها. عبرت هذه الموجة عن نفسها بدءا، وقبل كل شيء، بانتقاد النسويات أنفسهن لدور ومشاركة النساء في الانتفاضة من حيث الشعارات والمطالب مشيرات الى غياب الأجندة النسوية في الانتفاضة. بعد حركة الاحتجاج هذه والسنوات التي تلتها بدأ مصطلح النسوية يتداول بشكل أوسع بين منتقدٍ ومؤيد لهذا المفهوم، الذي جرى تفسيره واتخاذ مواقف حياله بأشكال مختلفة. فقد توسع الاهتمام بموضوعة «النوع الاجتماعي» او «الجندر»، الى الحد الذي بدأتْ تجاهه موجة مضادة شرسة من الهجوم عليه، شُنت من قبل جهات تحمل الصبغة الدينية الشعبوية في خضم تراجع حكومي عن استخدام هذا المصطلح، الذي كانت قد استخدمته وعلى امتداد أكثر من عقد من الزمن. فبدأت المساعي المفاجأة لشيطنة هذا المفهوم، وتحريفه عن محتواه الحقيقي، وسط تحذير وتهديد النسويات من استخدامه، بل دفعن الى توقيع تعهدات على عدم استخدامه حتى في موقعه الصحيح وضمن سياقه العلمي .

وبدأت، من جهة اخرى، تظهر أجندة نسوية جديدة لمناقشة الإقتصاد النسوي والعمل الرعائي المجاني، لتسلط الضوء على أهمية الدور الذي تقوم به النساء في إعادة الانتاج، من حيث إدامة النسل البشري، وتربية الاجيال، وخلق قوة قادرة على استمرار الإنتاج وإعادته . ظهرت كتابات عديدة بهذا الخصوص وبشكل غير مسبوق في العراق. حيث كتبت المقالات وعقدت الندوات، سواء بشكل حضوري أو إفتراضي.

من جهة اخرى، دفع استمرار العنف الممنهج والمؤسساتي ضد النساء، وبمختلف اشكاله، العنف الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، النساء الى إدامة كتاباتهن ونداءاتهن وأعمالهن من أجل الغاء القوانين التمييزية الجائرة بحق النساء. وانتقاد عمل المؤسسات ،التي يفترض بها أنها تقدم الحماية للنساء، الا أنها لم تستطع الخروج من هيمنة العقلية الأبوية والذكورية التي سيطرت على هذه المؤسسات، وانتهت الى المشاركة في ترسيخ العنف بدلا من ازالته او الحد منه.

إن التمييز الجنسي المنظم ضد النساء دفع الكاتبات الى الكتابة عن التمييز في ميدان العمل، وفي الحصول على فرص عمل، و تأثير البطالة على إفقار النساء، وعلى تركهن فريسة الخضوع للاوصياء من الذكور في المنازل. في ميدان القوانين، وعلى التحديد قوانين الأحوال الشخصية، بقدر تزايد واستمرار الحملة لتغيير مواده وخاصة تلك المتعلقة بحضانة الاطفال، تصدرت هذه القضية كتابات النساء ايضا. لقد طالبت النساء عبر كتاباتهن بتشريع قوانين تجرم العنف الأسري ،والغاء قوانين تشرع استخدام العنف وتعفي المجرمين من العقاب.

يتكون هذا الكتاب في ملفه الاول، من ستة أبحاث كتبتها نسويات، معظمهن، في سن الشباب، كجزء من النشاطات التي قمن بها اثناء مشاركتهن في المدرسة النسوية الرابعة التي نظمها تحالف أمان النسوي، خمسة منها كتبت في عام ٢٠٢٣، وبحث واحد كتب في المدرسة النسوية في عام ٢٠٢٢ والذي يحمل عنوان(المعايير الانثوية، قيود اجتماعية مفروضة على النساء) . تناولت هذه الأبحاث مواضيع مختلفة تتعلق بالتحديات والتمييز متعدد الأشكال الذي تتعرض له النساء وعلى مستويات مختلفة، في العمل، وفي الإنتاج الادبي، ودورهن في الانتفاضة. هذه الأبحاث تم الإشراف عليها من قبل الأستاذتين الدكتورة بلسم مصطفى و الباحثة ريم غسان.

اما في الملف الثاني، يعيد هذا الكتاب نشر ١٢ مقالاً من موقع «جمار» الصحفي المستقل، والذي عمل مع كاتبات وباحثات عراقيات على إنتاجها وتحريرها ومن ثم نشرها على موقعه الالكتروني jummar.media، وعلى صفحاته على مواقع التواصل الاجتماعي. كذلك، ينشر عددا من المقالات المنشورة على منصات حيز، وكتابات، الحوار المتمدن، ورصيف ٢٢.

أما الملف الثالث، فيتكون من عدد من البيانات التي أصدرها تحالف أمان في السنوات الثلاثة الاخيرة، والتي دافع فيها عن حقوق النساء، التصدي للعنف، المطالبة بالأمان للنساء بمختلف أبعاده الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وكان قد تم نشر هذه البيانات على منصات التحالف إضافة الى المنصات النسوية الصديقة.

في النهاية، نود التأكيد ان المقالات المختارة ما هي الا عينة قليلة من عشرات المقالات الاخرى التي لم يسع حجم هذا الكتاب الى احتوائها. فندعو القارئات والقراء الى تعقب وقراءة منشورات النساء على مختلف المنصات المذكورة اعلاه وغيرها من منصات.

ونشكر كل من ساهم/ت باصدار هذا الكتاب، وفي رأس القائمة، الشابات النسويات اللواتي يعدن بافتتاح مرحلة جديدة من نضالنا النسوي، الذي كان قد ابتدأ قبل قرن من الزمن. واذا كان نضالنا يتركز آنذاك على ضمان حق التعلم والعمل، والذي يبدو أنه أصبح من البديهيات هذا اليوم، الإ أن التمتع التام بهذه الحقوق لازال عرضة لتحديات عديدة وكبيرة . الا ان مساعينا موجهة الى التصدي للكثير من التحديات المتعلقة بحقوقنا الاقتصادية والمساواة القانونية، وحرية التعبير بدون قيد او شرط، والدفاع عن حركتنا النسوية الى تحقق المساواة الكاملة والعادلة بين الرجال والنساء. بالرغم من كل التحديات، تستمر وتواصل وتُصعِّد نسوياتنا من نضالهن، ليؤكدن أنهن يقفن على الجانب الصحيح من التاريخ.

لكل نسوياتنا، ونسوييننا، ولكل المهتمات والمهتمين بإقامة نظام قائم على أساس العدالة والمساواة بين الرجل والمرأة، نصدر هذا الكتاب.

تحالف أمان النسوي

حزيران ٢٠٢٤

ملف الأبحاث المقدمة الى
المدرسة النسوية الرابعة

النساء العربيات في المجال الأدبي والثقافي والتحديات المعيقة

الباحثتان: تسالي عطية عذير ونهى عبير

أنتجت هذا الورقة العلميةكمشروع تخرج من المدرسة النسوية الرابعة التي ينظمها تحالف امان النسوي

الى كل أمراة وقفت ضد العنف
الى كل اليافعات
الى كل النساء القويات والمحاربات والقياديات

المقدمة

تعد موضوعات مشاركة النساء في النتاج المعرفي والتحديات امامهن في المجال الأدبي والثقافي في العالم العربي من الموضوعات الهامة والتي تشغل كثيراً اهتمامات الباحثتان، وتجدان انها تحتاج إلى دراسة، فعلى الرغم من تحقيق المرأة لإنجازات كبيرة في هذا المجال، إلا أنها ما زالت تواجه العديد من التحديات والصعوبات التي تؤثر على قدرتها على التألق والتميز وفرض وجودها والتمتع بإنتاجها الأدبي بحرية كاملة. يعكس الأدب تجارب النساء وقضاياهن ومشاكلهن، ويسعى لإبراز صوتهن وتعزيز مكانتهن في المجتمع. إن فهم التحديات التي تواجه النساء في المجال الأدبي يساعدنا على تحسين الوضع الحالي وتوفير الدعم والفرص المناسبة للنساء الكاتبات والاديبات فعندما نعرف المشاكل التي يواجهنها، يمكننا اتخاذ إجراءات وتطوير سياسات تعزز مشاركتهن وتعزز دورهن في المجتمع.

يتحدد نطاق البحث حول النساء في المجال الأدبي والثقافي في العالم العربي ويركز في حالة مصر والعراق، حيث يواجهن تحديات عديدة، بما في ذلك التمييز والتحيز الجنسي، ما يثير القلق في

عـدم تقديـر قدراتهـن وإبداعهـن بنفـس القـدر الـذي يتـم تقديـره في حالـة الرجـال وقـد يتـم تجاهـل أعمالهـن أو تقديمهـا بشـكل أقـل قيمـة، وتفـرض القيـود الاجتماعيـة عـلى النسـاء في المجـال الأدبي والثقـافي، حيـث يتوقـع منهـن أن يكونـن مسـؤولات عـن الأعـمال المنزليـة وتربيـة الأطفـال، مـما يقلـل مـن وقتهـن وطاقتهـن لممارسـة الكتابـة والفـن. بالإضافـة إلى ذلـك، قـد يتعرضـن للتهديـد بالعنـف أو الاسـتهداف إذا خرجـن عـن الـدور المتوقـع منهـن. مـا يعنـي قلـة الدعـم والفـرص ونقـص التمثيـل والتواجـد، وصعوبـة الاعـتراف والتقديـر. ومـع ذلـك، هنـاك تطـورات إيجابيـة وجهـود لتمكـين النسـاء وتعزيـز مشـاركتهن في هـذا المجـال.

تـبرز اهميـة هـذا البحـث في تسـليط الضـوء عـلى التحديـات الجندريـة التـي تواجـه الاديبـات مـا يتعرضـن لـه مـن تهميـش واخفـاء الهويـة. فـان الدراسـات في موضـوع التحديـات التـي تواجه النسـاء في مجـال الادبي والثقـافي وعلاقتها بالمعوقـات الاجتماعيـة والاقتصاديـة مـن وجهـة نظـر نسـوية تعتـبر قليلـة في الوطـن العربي.كـما تقـدم الدراسـة تصـور واقعيـا عـن التحديـات التـي تواجـه النسـاء في مـصر والعـراق . ويسـاعد البحـث في توفـير المعلومـات والبيانـات اللازمـة للمنظـمات والمؤسسـات العاملـة في مجـال المسـاواة وتمكـين المـرأة. فعندمـا نكتشـف التحديـات والمشـاكل التـي تواجـه النسـاء في المجـال الأدبي، يمكننـا توجيـه الجهـود والمـوارد بشـكل أكـثر فعاليـة للتغلـب عـلى هـذه التحديـات وتحقيـق التقـدم المطلـوب.

ويوضـح هـذا البحـث التحديـات التـي تواجـه النسـاء العربيـات في مـصر والعـراق في المجـال الادبي والثقـافي والنظـرة المجتمعيـة الى النسـاء التـي تعمـل في المجـال الادبي والثقـافي وتعرضهـن للضغوطـات الاجتماعيـة والاقتصاديـة والمؤسسـاتية وخـوف البعـض منهـن مـن اظهـار مواهبهـن والأبـداع في محـال اعمالهـن وصعوبـة حضـور المحافـل والمنتديـات الادبيـة والسـفر، بالإضافـة الى تهديـد النسـاء في هـذا المجـال والحمـلات ضـد النـوع الاجتماعـي وتزايـد القلـق مـع هـذا الحمـلات .

المنهجية:

اعتمـد البحـث عـلى مراجعـة الأدبيـات والدراسـات السـابقة المتعلقـة بالتحديـات امـام النسـاء في المجـال الادبي وجدليـة الادب النسـوي او النسـائي في االسـياق التاريخـي , والمعوقـات التـي واجهـت الاديبـات مـن تهميـش واقصـاء واخفـاء الهويـة و تنوعـت هـذه الدراسـات بـين مقـالات في مواقـع الأنترنيـت او الدوريـات. لكـن هـذه الدراسـة تناولـت جـزء مـن هـذه التحديـات وتمـت مراجعـة الاديبـات السـابقة وتحليلهـا .

بنـاء عـلى الاطـار النظـري لهـذا البحـث، تقـوم هـذا الدراسـة عـلى البحـث المكتبـي والبحـث الميـداني وشـملت بعـض مناطـق مـصر و محافظتـي بغـداد وديـالى في العـراق. اجريـت المقابـلات مـن بدايـة حزيـران وحتـى منتصـف تمـوز لعـام ٢٠٢٣ بواقـع سـتة مقابـلات. كانـت اعـمار النسـاء اللـواتي تمـت مقابلتهـن تـتراوح بـين (١٧—٥٠) وهـن مـن الكاتبـات والرسـامات. تـم وضـع أسـئلة المقابـلات الـذي تعتـبر مـن العنـاصر الاساسـية في البحـث مـع اضافـة وتعديـل بعـض الاسـئلة حسـب طبيعـة المجتمـع العراقـي . امـا في مـصر كانـت مجموعـة النقـاش المركـز مـع نسـاء اعمارهـن تـتراوح بـين (١٦-٢٦) متمرسـات وهاويـات في الشـعر والمسرحـي وكاتبـات القصـة. لم تذكـر الباحثتـان المناطـق بنـاء عـلى طلـب المشـاركات للحفـاظ عـلى خصوصيـة المشـاركات وامانهـن الشـخصي والنفـسي و ضعـت المشـاركة

في البحث تحت اطار اخلاقيات معينة، فالمشاركات لهن الحق في الانسحاب من المقابلة ودون ذكر اسماء ومعلومات وكانت اسئلة المقابلة تدور حول التحديات الادبية والثقافية النسوية وطلبنا من المشاركات في المقابلة اجراء تسجيل صوتي أو مكالمة هاتفية أو رسائل نصية حيث فضل البعض منهن كتابة الرسائل النصية خوفا من التسجيلات الصوتية ومكالمات وترك لهن حرية الاختيار في ذلك .

تم جمع البيانات الأولية من خلال مقابلات تضمنت أسئلة حول البيانات الاجتماعية والاقتصادية للمشاركات في الدراسة. تضمن تحليل التحديات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة في هذا المجال، بما في ذلك النظرة الاجتماعية وصراع الأدوار والعلاقات الاجتماعية. وتضمنت المقابلات كذلك تحليل التحديات الاقتصادية، بما في ذلك الأجور والحوافز وبيئة العمل الداخلية.

و اذ يسعى هذا البحث إلى سد ثغرة في معرفتنا للتحديات التي تواجه النساء في المجال الادبي والثقافي في مصر والعراق، طلبنا من المشاركات الإجابة على الأسئلة التالية: كيف دخلتي في المجال الادبي؟ ولماذا اخترت هذا المجال؟ كيف كانت بدايتك في المجال الادبي وماهي المفاجات السارة او الحزينة التي واجهتها؟ اين واجهتي العقبات في مشوارك الادبي ؟ ما هي قدراتك المالية وكم عدد سنوات العمل في المجال الادبي ؟ ماهي الجهات الداعمة لك في هذا المجال؟ وما هو نوع الدعم؟ كيف تصفين تأثير المجتمع على انخراطك في المجال الادبي؟ كيف تصفين دور الاسرة في دخولك في المجال الادبي؟ كيف تصفين تأثير العامل الاقتصادي على مسيرتك في مجال الادبي؟ بالمقارنة مع العمر والتحصيل الدراسي والحالة الاجتماعية.

أولاً: مدخل مفاهيمي للتحديات التي تواجه النساء في المجال الادبي

١. مفاهيم عامة:

قبل الخوض في مناقشة الاطار النظري، رأينا من المفيد تعريف مصطلحي التحديات، وهي التطورات او متغيرات او مشكلات او صعوبات او عوائق نابعة من البيئة المحلية او الاقليمية والعالمية كما تعرف انها تغيرات اما ايجابية يجب التماشي معها لاحداث التغير والتطور واما سلبية يجب الوقوف عليها وتفاديها حتى لا تشكل عائق امام الهدف.

ويمكن تسليط الضوء على ابرز التحديات التي واجهت الادبيات في تسمية مفهوم الادب النسوي أذ ان الادب النسوي : هو الادب الذي يتناول القضايا النسوية من وجهة نظر المرأة ويهتم بتسليط الضوء على الظلم والتمييز الذي تعاني منه النساء في المجتمع ويقوم بإبراز التحديات التي تواجههن والمشاكل التي يجب حلها وتعزيز مكانة المرأة في المجتمع والمطالبة بالمساواة بين الجنسين.

وغالباً ما يُوصف الأدب الذي تنتجه النساء بـ«الأدب النسائي»، وهو الادب المكتوب من قبل النساء، وهو وصفٌ يكاد ينفرد به الأدب دون غيره من الفنون كالسينما والنحت والفن التشكيلي والغناء وغيرها من الإنتاجات الإبداعية، إذ لم تعتدْ وسائل الإعلام أو المجلات العلمية أو المتخصصة بشأنٍ ما، على إسناده إلى السينما مثلاً، أو إلى الفن التشكيلي الذي لا نراه ينُعت

بكونه «نسائياً» إذا ما أنجزته نساء. ربّما أُلصقت صفة «النسائي» بالمسرح في غير مناسبة، لكنّ هذا الإلصاق بقي قليل التداول والانتشار، على عكس ثنائي «الأدب» و»النساء .

٢. جدلية الأدب النسوي والنسائي

يؤيّد بعض النقاد والأدباء مصطلح الادب النسوي، بصفته أدبًا إنسانيًا، أسهم في تحرُّر المرأة من التقاليد والقيود المجتمعية التي أعاقتها لقرون، ووسيلةً للتعريف بواقعها ومشكلاتها الذي يمكن بواسطته أن يعيد تشكيل وعي المرأة تجاه قضاياها، ووعي المجتمع تجاه دورها في المجالات كافة والمرأة هي الأجدر بالتعبير عن مشاعرها بنفسها، لاسيما مع الصورة السيئة أو النفعية التي يصورها بها الأدب الذكوري.

اما وجهة النظر الثانية تجاه الأدب النّسوي فهي معارضة تمامًا، حيث يعتبر أصحاب هذه النظرة من النقاد بان هذا التقسيم يؤدي إلى التقليل من قيمة الإبداع الذي تنتجه المرأة، ذلك عندما يربطونه بخصائص فسيولوجية لا علاقة لها بالأدب والإبداع، خاصة وأنّ بعض الأصوات النّسوية ينحصر سردها الأدبي في الأحيان على انعكاسات شخصية حول مواضيع مختلفة، ولا تتحدث عن قضايا المرأة وهمومها. والكثير من الاديبات رفضن هذا التصنيف، خوفًا من احتقار ما تكتبه المرأة من قِبَل الوعي النقدي الذكوري، وأنّه يؤدي إلى تهميش إبداع المرأة، ويحطُّ من قيمتها، فقد رفضت لطيفة الزيات، أن تدرج في قائمة الأدب النسوي في مطلع الستينيات للأسباب هذه. وكذلك ناصَرَ هذا الرأي الأديبات غادة السَّمان وفاطمة ناعوت وغيرها.

رغم الصيغ الدعائية المستخدمة في ترويج مصطلح الأدب النسوي فما نراه نحن الا مصطلحا ذكوريا متطرفا يهدف الى التمييز ضدّ الإبداع الذي تكتبه المرأة كون التصنيف بحدّ ذاته هو تمييز سلبي يعمل على التقليل من شأن هذا الإبداع بإخضاعه للدراسة من زاوية جنسوية «أي كون منتجه أنثى من حيث التصنيف البيولوجي للإنسان.. وهذا بحد ذاته إساءة ليس للمرأة فقط وإنما للعملية النقدية والإبداعية برمته ..ذلك لأن الأدب هو منتج ذهني لا يمكن اخضاعه للتجنيس كما أن النص الجيد هو الذي لا يمكن التمييز عبر قراءته ان كان كاتبه رجلا أم امرأة كونه بالأصل يحاكم الحياة برؤية جمالية عبر استخدام الوجه الآخر للّغة .

اذا قسمنا الادب الانساني الى ذكوري وانثوي هذا غير منطقي وغير مقبول، هكذا تقول الشاعرة الكردية فينوس فائق، فعند إطلاق مصطلح الأدب النسوي، فنزعم ان هذا المصطلح بحدّ ذاته هو تهميش للمرأة وقدرتها في الكتابة، وإذا قبلنا بمصطلح الأدب النسوي فهذا يجعلنا نقول بوجود أدب ذكوري، صحيح أن لغة المرأة الأديبة قد تعج بالأنثوية ولكنها تعالج مواضيع مختلفة بأساليب لا تقل تقنية عن الأديب الرجل. وعليه فهذا البحث يقوم على افتراض انه لا يوجد ادب خاص بالنساء وادب خاص بالرجال، والمرأة قادرة على الكتابة النقدية ببراعة. إن جهود المرأة الادبية واضحة ولها قواعد راسخة، ولكن لم يتم تسليط الضوء عليها، بل وتهميشها وحصر اهتماماتها في صراعها مع المجتمع الذكوري صحيح أنها اهتمت بأمور المرأة الأديبة ولكن لأنها لمست هذا التهميش الحاصل على أدب المرأة...والوعي الذي انضجته كتابات ونضالات ذكورية ونسائية دخل في منعطف حاسم عندما تولت النساء انفسهن المطالبة والتعبير

والتنظيم لانتزاع الحقوق المهضومة وتقويم الحيف الاجتماعي والسياسي والاقتصادي المفروض.
إن كان الأدب النسائي أي الذي تكتبه المرأة يهتم بكل القضايا الإنسانية، ويتناول كل المسائل الاجتماعية دون أي انحياز أو تعصب للمرأة فإن قضية المرأة لا يمكن أن تعالج خارج الاهتمام بقضايا المجتمع ككل، وهذا يعني أن تحرر المرأة و الرجل معا يكون بالتخلص من الجهل الاجتماعي و التحرر من سلطة الرأي و الأحكام المسبقة التي تستند على المقدس لتفرض نفسها.
من هنا نلاحظ ان ما تكتبه المرأة في الأدب النسائي هو عام وشامل ولا فرق بين ما يكتبه الرجل سوى أن صاحبة القلم أنثى، في حين أن الأدب النسوي ينطلق من تحديدات جندرية تفصل بين الأنثى والذكر حيث إن الأدب النسوي يعتبر أن المرأة هي حجرة الزاوية ويجب تحررها أولا من الوعي الذكوري حتى ننهض بالمجتمع، وبذلك ينحاز الأدب النسوي بتطرف إلى المرأة بما هي أنثى وتطرح قضاياها ومشاغلها من منطلق جندري خالص.
تتبنى الباحثتان فكرة ان ليس هناك فرق بين الادب النسوي او النسائي لان الادب بصوره عامة ادب انساني ولا يمكن تخصيصه وتجزئته على اساس الجنس، وان قيمة النص الادبي تكمن في الفكرة الادبية والاجتماعية المقدمة والبناء اللغوي المستخدم. اما جنس الكاتب فلا يضيف الى العمل الادبي .

ثانياً سياق تاريخي للنساء في المجال الأدبي

١. قيود وتأطير ذكوري ومواجهات

اذا نظرنا من عين التاريخ نلحظ أن المرأة المبدعة حققت حضورا منذ ما يسمى بالعصر الجاهلي وهي تسمية غير دقيقة اذ ان المرأة في تلك الحقبة كانت تنتزع حقها في التعبير الثقافي وكانت تقف في المنتديات والأسواق الثقافية ليست كشاعرة ومنتجة للإبداع فقط وانما كناقدة فذّة , مثل، الخنساء أميرة شاعرات العربية ، وفي العصر الحديث نرى عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، وسهير القلماوي، والشاعرة الفلسطينية طلعت الرفاعي، وليلى بعلبكي، ونازك الملائكة، وفدوى طوقان، ومي زيادة، وغادة السمان، وسحر خليفة، وخناثة بنونة، وأحلام مستغانمي... وأسماء أخرى عديدة، خصوصا في وقتنا الراهن، لا مجال لذكرها جميعا. واللاتي رغم تقديهن احياناً أدباً نسائياً عاماً، الا انهن نجحن بطريقة او بأخرى في تشجيع الأدب النسوي والإضافة والتطوير فيه.
مع فترة التحرر واستعادة جزء كبير من الأوطان العربية حريتها من قبضة المستعمر انطلقت مرحلة جديدة من الكتابة الأدبية التي كان فيها الانحياز واضحا لفائدة الرجل الذي سيطر على كل القطاعات الإبداعية، فكانت حسرة المرأة شديدة لهذا التفاوت في المكانة الاجتماعية والذي انعكس على المشهد الثقافي عموما، وقد تزامنت تلك الفترة مع ظهور حركة نسوية تطالب بانتزاع حريات عديدة للمرأة من منطلق جندري فأدى ذلك إلى ظهور كتابة أدبية جديدة تنحاز لمطالب المرأة و تنادي بمساحة أرحب تحررها من قبضة الوعي الذكوري، وهنا ظهرت نوال السعداوي التي تعتبر رائدة نسوية مثلت بكتابها الأول "المرأة و الجنس" عتبة لتأسيس

مرحلة نسوية في العالم العربي أتبعتها بمجموعة من الإصدارات مثل المرأة و الصراع النفسي" و "الوجه العاري للمرأة العربية " إضافة إلى مجموعة من المؤلفات الروائية مثل الغائب" و "امرأتان في امرأة"....

لعل القمع الشديد الذي سلط على المرأة على مر التاريخ وما عاشته من قهر اجتماعي وتسلط عائلي جعل منها كائنا منسحقا وذليلا وبلا قيمة اجتماعية، و هو الذي جعلها متطرفة إلى حد ما في أطروحتها الجندرية، وتصر بشدة على مطالبها بالمساواة والتحرر الجنسي، لذلك ظهرت كتابات روائية صادمة مثل رواية "برهان العسل" لسلوى النعيمي و "بنات الرياض" لرجاء العالم و "اسمه الغرام" لعلوية صبح و "اكتشاف الشهوة" لفضيلة الفاروق... إنها نصوص جريئة تمكنت فيها المرأة من التعبير بصوت مرتفع عن رغباتها، ورفضها التام لكل الخطوط الحمراء التي رسمت عبر تاريخ طويل من القمع في المجتمع وفي الكتابة. واندفاع الكثير من النساء الاديبات إلى الانتصار لذواتهن المقهورة في مجتمعات ذكورية يستبد فيها الرجل بالسلطة الاجتماعية و الأدبية حيث استأثر لنفسه بمساحة الضوء والتأثير مما جعل له نفوذا مطلقا في المجتمع ينعكس في حضوره السياسي والاقتصادي والإبداعي على حساب المرأة نفسها. فقد نقل المبدعون المرأة من مكانتها الدونية في المجتمع وحولوها إلى مجرد موضوع لهم، واستباحوها داخل النص مثلما كان وضعها في المجتمع ،لذلك ظهرت نماذج سلبية للمرأة يبدو أشدها في صورة نمطية كرسها نجيب محفوظ في شخصية «الست أمينة» المستسلمة لقدرها و الخاضعة للسطوة الذكورية لزوجها، كل ذلك جعل من المرأة الكاتبة تنتفض ضد الرجل بما يمثله من سلطة اجتماعية وأدبية، وهذا ما يفسر دوافعها داخل النصوص الأدبية وجرأتها في تناول الموضوعات خاصة التي لها علاقة بالجسد.جاءت العديد من الروايات التي تمكنت فيها المرأة من الخروج وكسر القوالب او الثوابت التاريخية والقهر الاجتماعي. الخ. لذلك كان من الطبيعي أن تثار في صدور روايات مثل "بنات الرياض" و "برهان العسل" وغيرها.

وفي الساحة الأدبية العربية لم يلق هذا المصطلح اهتماماً إلا في أواخر الثمانينات والتسعينات في القرن العشرين، بعد نشاط الحركة النسوية وأقيمت لأجل ذلك المؤتمرات العديدة التي نجحت في فرض تغيير جذري في مجال التشريعات والتصويت الانتخابي والصحة العامة، وغير ذلك من المجالات.

٢. الأدب في التاريخ كان عراب النساء للاعتراف بكيانهن

جاء اهتمام الأدب النسوي بكتابات المرأة حاضراً وتاريخاً، فانبثقت الدعوات إلى التخلي عن لفظة تاريخ باللغة الإنجليزية historyواستبدال لفظة her story بها، وبالتالي إعادة كتابة التاريخ من وجهة نظر نسائية، بل إن بعض هؤلاء النسوة قمن بإنشاء المجلات وإصدار الكتب التي أعادوا فيها كتابة بعض القصص التاريخية من جديد، ومن هذه المجلات «رسائل الذاكرة» التي تصدر عن «ملتقى المرأة والذاكرة» في مصر، حيث قامت الأديبات فيها باستبدال بعض النصوص التاريخية التي كتبتها أقلام نسائية معاصرة تأخذ بعين الاعتبار علم «الجندر» (النوع الاجتماعي) الذي ينفي الأدوار النمطية لكل من المرأة والرجل، ويجعل هذه الأدوار تتغير بتغيُّر

أوضاع المجتمع؛ بأخرى كتبت بأقلام رجال.
عندما بدأت المرأة تكتب أدبها أي تنتج الشعر والقصة والرواية شعرت بعمق الفجوة بينها وبين ما يكتبه الرجل واصطدمت بالمجتمع. يعتبر إقدامها على الكتابة هو عقوق تجاه المجتمع المحافظ والمنغلق على نفسه بمعنى أن فعل الكتابة في ذاته يكشف رغبتها في الخروج من بيت الطاعة وتمردا على مؤسسة المجتمع وعلى قوانين العائلة وهو ما يؤكد انتقاص من قيمة المرأة الكاتبة، لذلك وجدت نفسها في حاجة إلى انتحال أسماء مختلفة لتختبئ خلفها و تكتب , والمبدعات العربيات وإن حجَبن هوياتهنّ أحيانًا - لم يستبدلنها بأسماء رجال، فالمصرية زينب فواز نشرت روايتها الأولى باسم «فتاة مصرية»، لكنها في الطبعة الثانية أفصحَت عن هويتها. أما أليس بطرس، فكانت أول امرأةٍ تنشر قصّةً قصيرةً عام ١٨٩١ باسم «صائبة». من جهتها، نشرَت الأديبة اللبنانية ميّ زيادة بأسماء مستعارةٍ عديدة، نذكر منها «عائدة» و«إيزيس كوبيا»، وكانت أوّل امرأةٍ تكتب في جريدة الأهرام المصرية. أمّا الكاتبة المصرية عائشة عبد الرحمن التي لم تعتد أسرتُها المحافظة انخراط النساء في العمل الثقافي، فكانت تنشر باسم «بنت الشاطئ» في إشارةٍ إلى طفولتها في بلدة دمياط على شاطئ النيل. وكانت الحقوقيّة والأديبة مقبولة الشلق أوّل امرأةٍ سوريةٍ تحوز إجازةً في الحقوق، كما كانت تنشر قصصَها ومقالاتها باسم «فتاة قاسيون». وإن اختارت الأديبات الأوليات إخفاء هوياتهنّ لدوافع مختلفة، فقد برزَت لاحقًا اتهامات خبيثةٌ بثّت سمومها ضدّ الإنتاج الأدبي النسائي وكانت أشبه بالإخفاء القسري عبر التشكيك بحقيقة أنهنّ كتبنَ أعمالهنّ بأنفسهنّ، لاسيما إذا ما حقّقت أعمال الكاتبة نجاحًا ملحوظًا. ونسوق مثالًا على ذلك قضية الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي وثلاثيّتها «ذاكرة الجسد» (١٩٩٣)، و«فوضى الحواسّ» (١٩٩٧)، و«عابر سرير» (٢٠٠٣)؛ إذ أُشيع بأنّ الشاعر نزار قبّاني - صديقها المقرَّب آنذاك - كان قد كتبها . أما مسيرة الأديبة المصرية أليفة رفعت، فشهدَت دينامية حجبٍ مختلفة، إذ قلّما نجد أعمالها متاحةً للقراءة، كما اقترن اسمها بوصف «المثيرة للجدل» ليزيد من تجاهل النقّاد لإنتاجها الإبداعي في مجال القصة القصيرة. وكانت تلجأ إليها الأديباتُ لولوج عالم الأدب المُحتكر من قبل الذكور.

٣. تحديات ومواجهات تاريخية مزمنة

في الأنظمة الابوية لطالما كانت العراقيل التي تقف في وجه المرأة حين تقرر أن تصبح كاتبة وشاعرة او روائية او تشكيلية في صورة زوج يمنعها من الكتابة، ويرفض تواجدها في المحافل والفعاليات الثقافية، على اعتبار أنه يمتلكها، ويمتلك حياتها وتفاصيلها، وله وحده الحق في أن يحدد لها ما تفعله وما لا تفعله. وهناك كاتبات ضحين بالأسرة والاستقرار العائلي لأجل التمسك بالكتابة كحلم، وأخريات كتبن في سرية تامة، وكأن نصوصهن خطيئة يخفينها عن الجميع، ومنهن من تركت الكتابة واخترن الشعور بالأمان في مجتمع لا يعطيها فضاء لتعيش فيه أحلامها. مثالاً على ذلك نوال السعداوي استطاعت أن ترمي حجرا في بركة الوعي السائد الراكدة، وإن لم توفق لتغيير جذري في تركيبة المجتمع إلا أنها استطاعت بانحيازها الشديد للقضايا النسوية أن ترفع صوت المرأة عاليا، ونتج عن ذلك رغبة المرأة في التحرر من قهر

المجتمع و سلطة الوعي الذكوري الذي تمثل في الجانب الثقافي و الأدبي , وايضا ومن الشخصيات النسائية العربية التي كان لهن دورا لعصر الحديث نازك الملائكة، فهي شاعرة، وناقدة، وقاصة، ومترجمة، وعشقت الأدب وموسيقى ، درست الفن تمثيلا الإنجليزي، ولمس شعرها واقع الناس، وخاصة الجانب المأساوي، وقد ألفت مجموعة من الكتب، وهو كتاب « مآخذ اجتماعية على حياة المرأة العربية»، وكتاب «التجزيئية في المجتمع العربي « اللذان انتقدت فيهما وضع المرأة في المجتمع وأنها مسلوبة الحقوق. وفي عام(١٩٥٢م) ألقت محاضرة في النادي السينمائي، انتقدت فيها أوضاع المرأة العربية الحاضرة، ودعت إلى تحريرها من التخلف والجمود .

ثالثاً: التحديات وآثارها امام النساء في المجال الأدبي والثقافي في العراق ومصر

أولا: التحديات الاجتماعية العامة التي تواجه المرأة في المجال الادبي

من خلال البحث الميداني واجراء المقابلات لاحظنا أن فئة النساء اللاتي تحدثن أفدن بأنهن غالباً ما يواجهن نظرة سلبية من قبل المجتمع حيث كانت الإجابات على ذلك بمتوسط (٣,٣٣) من خمسة. تؤكد هذه النتيجة أن قبول عمل المرأة يضعف ويقوى حسب وعي الفرد وتحضره وتطوره والمجتمع المحيط به، وقد تؤثر بعض الأعراف المحددة الخاصة بالنوع الاجتماعي التي تأثرت بدورها بالعوامل التاريخية والثقافية والاجتماعية على حرية المرأة في العمل.
أظهرت النتائج أنه أحياناً ما تواجه العاملات في المجال الأدبي والثقافي صراع أدوار بين المتطلبات الأسرية والأعباء العمل حيث بلغ المتوسط العام لهذا البعد (٣,٣٨) من خمسة. حيث أفدن بأن أوقات العمل الطويلة تقف عائقا أمام واجباتهن وأمام مشاركتهن في الأنشطة الأسرية، وبالتالي يعانين من المشاكل الأسرية، وتعزو هذه النتيجة إلى الضغوطات التي تواجه المرأة العاملة في المجال الادبي والفني للموازنة بين المسؤوليات المنزلية ومسؤوليات العمل، فهي تعمل لساعات طويلة على فترتين في معارض ومهرجانات مضافاً إليها وقت الذهاب والإياب لاشك أنها تعود متعبة وربما لا تستطيع القيام بالواجبات المنزلية، وهنا تؤكد النساء أن خروج المرأة للعمل غير كاف لإعطائها حريتها ما دام عملها داخل المنزل موضوعاً ذا خصوصية وواجباً عليها لهذا تظل النساء يقمن بجهد وظيفي مضاعف.
أتضح من خلال النتائج أن العمل في المجال الأدبي يكسب العاملات مهارات في التواصل مع الآخرين بصورة دائمة وهذا مؤشر إيجابي وجيد يعزز من تمكينهن اجتماعياً. وكما بينت النتائج السابقة فإن معظم المشاركات يحملن مؤهل تعليمي (ثانوي وجامعي) مما يؤكد أن فرصة الاستفادة من التفاعل مع الآخرين والعلاقات الاجتماعية، اما العلاقة مع العائلة فقد تأثرت سلبا بصورة غالبة و بمتوسط بلغ (٣,٤٨) من خمسة، بسبب الانشغال بالعمل وتعزو الباحثتان ضعف العلاقات الاجتماعية مع الأقارب إلى طول ساعات العمل الثقافي والأدبي.

ثانيا: التحديات الاقتصادية التي تواجه المرأة في العمل المجال الادبي والثقافي.

١_ تشكل الأجور والحوافز تحدي اقتصادي يواجه العاملات في المجال الأدبي والثقافي في كثير من الأحيان يتمثل هذا التحدي في قلة الرواتب مقارنة بما يبذلنه من جهد وما يقتضيه من ساعات عمل مما يؤدي إلى التفكير بترك العمل حيث بلغ المتوسط العام للإجابات (٣,٣) من خمسة، ويمكن تفسير ذلك بأن الأجور والمزايا التي يحصل عليها العاملون تلعب دورا أساسيا في دفعهم إلى زيادة إنتاجيتهم وولائهم للعمل وعدم التفكير بتركها. لذلك فإن الاهتمام بتحديد الأجر العادل ووضع سياسة رشيدة للأجور والحوافز يعتبر من عوامل نجاح أي مؤسسة لأن الأجر لا يقتصر دوره على إشباع الحاجات المادية وإنما يمتد ليعطي الشعور بالأمن وليرمز للمكانة الاجتماعية، في حين نجد أنه نادرا ما توفر الإدارات رواتب بعد التقاعد عن العمل وهذه النتيجة واقعية نظراً لطبيعة العمل في القطاع الخاص حيث انعدام الأمان الاقتصادي. ومن التحديات الاقتصادية أيضا عدم توفر أماكن خاصة لهن في أوقات الاستراحة بمتوسط بلغ (٣,٣٦) من خمسة، وكذلك الإرهاق الذي يعانين منه.

٢_ مشكلات نظامية تتمثل في نظرة المجتمع إلى عمل المرأة، ونقص الخدمات المساندة، والتحرش الجنسي، والعنف اللفظي؛ فكثيراً ما نجد مدونات السلوك في أماكن العمل مبهمه وغير واضحة ومحددة، خاصة في وقائع التحرش وصعوبة إثباتها بدليل مادي، ذلك ما يتعرض له النساء لأنهن نساء.
وكذلك صعوبات في التأهيل والتدريب، وعدم المساواة في العمل، وضعف دعم الإدارة العليا إضافة إلى ظروف وصعوبات العمل بحد ذاته، فهناك بلدان تطبق التمييز الإيجابي وتعطي النساء إجازات كافية للوضع وإجازات في وقت الحيض، أما في بلادنا العربية يتم وصمهن ووصفهن بالكسالى. وفي القطاع الخاص يتم فصلهن أو رفض عودتهن للعمل بعد الولادة، أو التشكيك في قدرتهن على الكتابة والأبداع بعد الإنجاب، بجانب عدم توفير حضانات لرعاية الصغار مما يعيق حضور النساء الندوات والمعارض والتدريبات. ما يسبب بمجمله مشكلات الاقتصادية: وتتمثل هذه الصعوبات في عدم كفاية الدخل الشهري، وطبيعة الدور المزدوج لعمل المرأة.

ثالثاً: تحديات الجندر والأنظمة الابوية

العمل الرعائي المفروض على المراة في الأنظمة الأبوية وتربية الاطفال يمنعها من التفرغ للكتابة ليس هذا فقط بل ان الزوج يمنعها احيانا من الكتابة والظهور لأنه يعتبر ظهورها في المحافل الادبية عملا معيبا وفيه احراج للأسرة وقد تخضع الزوجة لرغبة الزوج وتكف عن الكتابة وتتمرد وتضحي بالعائلة والزوج وتهب نفسها كليا للعمل الادبي والظهور الاعلامي. اشارت المشاركات الى حالات من الزيجات تحطمت نتيجة ضغط الزوج، الا في حالات نادرة كان يكون الزوج نفسه اديبا أو مشتغلا في المجال الادبي وحتى في هذا الحالة هناك ضغط على الزوجة

وقد نسفت الكثير من الزيجات ولم تصمد الا القليل منها ,وهناك من تكتب وتخفي ما تكتبه عن الاهل وعن وسائل الاعلام حيث انها تعبر عن مكنوناتها كأنثى ومن ثم قد تمزقه او يجد طريقه للنشر ولكن بصعوبة بالغة ... هناك حيف كبير يلحق بالمرأة الكاتبة والنيل منها ومن كتاباتها حتى من قبل ادباء كبار ممن ينظرون الى المرأة كآلة للجنس والولادة والبعض يعتبرها شيئا مكملا لهم. انهم لا يصغون لما تقوله من شعر أو سرد بل حسبهم ان تكون جسد جميلا يتنقل بينهم ويثير فيهم رغبات واحاسيس بعيدا عن الجانب الادبي الابداعي . وحين تحظى المرأة الكاتبة ببعض الاهتمام فتكون عرضه للسخرية او ان هناك غرضا اخر وراء هذا الاهتمام . وأشارت المشاركات الى ان المشكلة تكمن في تهميش ذكوري للمرأة من قبل المؤسسات الثقافية والنقدية المختلفة سواء على صعيد كون المرأة ناقدة أو كاتبة، ذكرت احداهن: لنأخذ مثالا الجوائز العربية! فنادرا ما تحصدها امرأة رغم وجود عدد لا بأس به من باحثات جادات على المستوى العربي وكأنها أصلاً وجدت للنقاد والكتاب والأدباء الرجال. ودكتاتورية الذكورية مخفية تحت الاغلفة الثقافية الكثيرة التي تلعب فيها العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية والأيديولوجية دورا حاسما اذ يرفض مقوم الجائزة الأدبية المرأة فقط لأنها امرأة ويحرمها الفوز . الا ان الجائزة لا يجب ان تمنح للمرأة لأنها امرأة، بل لأنها تستحق ذلك بامتياز. والذكاء والخلق والإبداع ليست حكراً على الرجال. ويجب تفادي الحالة المرضية اجتماعياً التي تعتبر المرأة ناقصة وعاجزة.

رابعاً: اثار ونتائج: اخفاء الهوية الادبية خوفاً من الاقصاء

كثيراً ما كانت الكتابة والإبداع الأدبي يمثلان تحديًا كبيرًا للنساء الكاتبات والأديبات في المجتمعات العربية والشرقية. والجندر، وهي واحدة من العوامل الهامة في تحديد الهوية الشخصية للكاتبات. ولذلك، كثيراً ما تختار النساء استخدام أسماء محايدة جنسيًا أو أسماء رجالية لتجنب الكشف عن هويتهن النسوية في الكتابة والإبداع الأدبي.

بالإضافة إلى ذلك، احياناً تلجأ النساء إلى الكتابة بأسلوب محايد جنسيًا لتجنب التمييز. يعني ذلك أنهن يتجنبن استخدام الضمائر المحددة للجنس والتعابير التي تكشف عن هويتهن النسوية في كتاباتهن. وبسبب الاقصاء والهجمات التي يمكن أن تواجهها النساء الكاتبات والأديبات، قد يخترن التعبير عن قضايا المرأة بشكل غير مباشر. واستخدام الرموز والمجازات والألغاز للتعبير عن تجاربهن ومشاعرهن بدلاً من الكشف عنها بشكل صريح.

وتلجأ النساء أيضًا إلى الاندماج في تيارات أدبية أخرى غير الكتابة النسوية. يمكنهن الكتابة عن قضايا أخرى تهم المجتمع بشكل عام دون الكشف عن هويتهن النسوية بشكل صريح، كما اكدتها نتائج مقابلات البحث.

وفي العصر الحديث، توجهت بعض النساء الى الاستفادة من الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي للتعبير عن أفكارهن وآرائهن بشكل مجهول أو مجهز. وكذلك استخدام حسابات مستعارة أو الكتابة بشكل مجهول لتجنب الاقصاء والهجمات.

على الرغم من أن إخفاء الهوية الشخصية للنساء الكاتبات في الأدب والكتابة والإبداع الأدبي كان ضروريًا في بعض المجتمعات العربية والشرقية لحماية النساء، إلا أن ضعف العمل على تغيير هذه الثقافة التمييزية وتعزيز حرية التعبير والمشاركة الفعالة للنساء في المجال الأدبي والثقافي هو سبب أساس في استمرارها، بالإضافة الى غياب مساحة آمنة ومشجعة للنساء للتعبير عن أنفسهن ومشاركة قصصهن وتجاربهن بدون خوف من الاقصاء أو الهجمات.
يعد إخفاء الهوية والاقصاء، وسيلة للتشكيك في حقيقة أن الكاتبة قامت بكتابة أعمالها بنفسها، وإثارة الشكوك حول قدرتها على الكتابة وإبداع الأعمال الأدبية التي قدمتها، وهي إحدى الظواهر السلبية التي تواجه الكاتبات في العالم العربي. وتعد هذه الحيلة طريقة لتقليل قيمة إنجازات الكاتبات وإخفاء إبداعاتهن الأدبية، وتضعف مكانتهن في المجتمع. ويعود ذلك إلى الصورة النمطية التي ترسمها المجتمعات العربية للمرأة، والتي تقلل من قدرتها على الإبداع والتفكير وتحد من حرية تعبيرها الأدبي. وعلى الرغم من أن هذه الحيلة تستخدم بشكل خاص ضد الكاتبات، إلا أنها تؤثر أيضًا على النساء في مجالات أخرى، مثل الفن والسياسة والعلوم.
وتعد الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي والأديبة المصرية أليفة رفعت من بين الكاتبات اللواتي واجهن هذه الحيلة بشكل مباشر، ولكنهن استطعن تجاوزها وتحقيق نجاحات كبيرة في مجال الأدب العربي. وتعد هذه النجاحات مثالًا على قدرة المرأة على التغلب على الصعوبات والتحديات التي تواجهها في مجتمعاتنا، وتحقيق إنجازات كبيرة في مختلف المجالات.

الاستنتاجات والخلاصة

من كل ما تقدم ندرك حجم التحدّيات والمسارات التي يتوجّب على النساء اجتيازها في كلّ مرّةٍ يُقرّرن فيها الخروج من الصندوق، و أنّ فعل الكتابة بالنسبة للنساء هو مغامرةٌ مضاعَفةٌ لأنها تبحث عن حماية الموهبة الأدبية من ناحية، وصون الحياة الشخصية من الانتهاك والتشويش والوصم من ناحيةٍ أخرى.
عوامل عديدة ساهمت في انتقال المرأة الى زوايا مظلمة وجعلت من النتاج الثقافي الذي تصنعه المرأة مطوقا بالمساءلة. فالمرأة جزء من المنظومة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ،وما يطال النتاج الثقافي برمته ينسحب على النتاج الثقافي للمرأة. و أما المشكلة الحقيقية التي واجهت المرأة العربية في الشأن الثقافي هي وجود المرأة تحت الثقل الاجتماعي وانشغالها بالمهام الأسرية اضافة الى الإرهاق الاقتصادي الذي أكل جزءا كبيرا من اهتماماتها ، إضافة الى ترسيخ الثقافة الذكورية الذي جعل من التعامل مع الإبداع النسوي لا يؤخذ على محمل الجدّ . ورغم كل ما ذكرت الا أن هناك الكثير من الشخصيات الثقافية من النساء استطاعت أن تحقق حضورا بارزا على الساحة الثقافية العربية والعالمية, وأبرز مثال على تحدي الإبداع الحقيقي لهذه الثقافة سنديانة فلسطين فدوى طوقان التي خاضت معركتها على جبهتين نضاليتين الأولى ضد الاحتلال الذي جاء ليعيق الحياة ذاتها ، والثانية الجبهة الاجتماعية التي حالت دون حقها في مواصلة التعليم ، لكن جمر الإبداع ظل يتّقد تحت الرماد الى أن توهج متحديا

الظلمتين. وكذلك مي زيادة التي مارست حياتها الأدبية بكل تحد الى أن اتهمت بالجنون ،و نازك الملائكة التي قدمت للشعر العربي الحديث أسسا اذ كانت هي وفدوى طوقان من أوائل الشعراء الذين قدموا نماذج جريئة من الشعر الحرّ ، وكان هذا بحد ذاته تحديا أكاديميا أيضا ..فيما نسبت ريادة الشعر الحرّ الى السيّاب فقط كونه مبدعا رجلا.. وهذا ما أثبتته الدراسات النقدية الحديثة والمحايدة. القضية الثقافية العربية برمتها تحتاج الى نهضة أساسها الحرية والعدالة وهذا ما سينسحب على ثقافة المرأة وابداعها وتلقي هذا الإبداع دون تصنيف أو انحياز لأن مستوى رقي الشعوب وحضارتها يقاس بما تصل اليه المرأة من تقدم ثقافي واجتماعي .

نستنتج من خلال المنظور الادبي والميداني ان المجتمع فرض منطقه في سياق الحقوق النسوية، النساء قليلات عددياً في البروز إبداعياً لأسباب مجتمعية، والرجال كثيرون عددياً لكن العبقرية الفنية لا تخضع لهذه التوازنات العددية مطلقاً. الكاتبة المميزة تفرض نفسها بقوة خياراتها الفنية واستراتيجياتها أمام قوائم ذكورية واسعة. ونرى ضرورة التخلي عن فكرة ذكورية مقيتة والتي تفترض المرأة في حاجة إلى رعاية ودورها الأساس الرعاية، هذا ممكن في المجال الاجتماعي، لكن غير وارد في المجال الفني والإبداعي، بل ومضر للمرأة ولا يخدمها. والمرأة، خارج الفكرة العددية، ولها تفردها الفني والأدبي، وذلك من خلال الكاتبات العربيات اللواتي يزيد عددهن، ونفس الشيء بالنسبة للفنانات التشكيليات، لأن اللون واللغة يلتقيان في كونهما التعبير الأسمى عن الصمت.

قائمة المراجع

١-الادب النسوي وذكورة المصطلح ‘مقال منشور على موقع نت https://alrai.com

٢-فاطمة بن محمود, عن الادب النسائي والادب النسوي اشكاليات والرهانات ,مقال منشور على موقع https://www.kechpresse.com

٣-سها عراف ,بأسماء مستعارة عن النساء والكتابة موقع فسحة ٤٨com.https://www.arab

٤-ريهام عزيز الدين ,التخفي والاخفاء القسري للنساء في الادب ,مقال منشور على موقع https://jeem.me

٥-ليلى الرفاعي ,مفاهيم جندرية. مقال منشور على مواقع الانترنيت .https://www.aljazeera.net

٦-الادب النسوي وذكورة المصطلح ‘مقال منشور على موقع نت https://alrai.com -

٧-محمد الديهاجي ,النسوي و الجندري في الثقافة العربية ‘مقال منشور على موقع نت https://wwwalqudsri.co.uk

٨-جميلة محمد , مصطلح الادب النسوي الاشكالية التي لم يفصل فيها ,مقال منشور في مجلة افكار العدد٣٨٠ سنة ٢٠٢١ http://afkar.jo/view-Ar.ticieAR
٩-الطريف ,غادة عبد الرحمن ,معوقات تمكين المرأة السعودية في سوق العمل ,مستقبل التربية العربية,العدد١٠٨, ٢٠١٤.
١٠-الفرق بين الادب النسوي والقضايا النسوية ,مقال منشور على موقع .https://www.ejaba com
١١-كاهنة عباس، «الأدب النسائي»... ماذا تعني هذه التسمية؟» ، ٢٠٢٢/١٢/٤، متاح على https://medfeminiswiya.net/٠٤/١٢/٢٠٢٢
١٢فهد مرسي البقمي , فدوى طوقان نموذجا , مجلة الدراسات الإنسانية والاجتماعية ,المجد ٤١, محلق ١, ٢٠١٤
١٣-ذوق وجمال في الادب النسوي المعاصر رواية كوابيس بيروت لغادة السمان نموذجا, ربيحة العمارة وهدية رزق
١٤-الادب النسوي واشكالية التسمية .مجلة التواصل الادبي ,ع ١٢

المعايير الانثوية، قيود اجتماعية مفروضة على النساء

الباحثة طيبة علي.

وبمشاركة الباحثتان في الجانب الميداني أليفة حسن ومنة الله جواد.

تتعرض المرأة خلال حياتها إلى عملية تنميط وقولبة جسدية وذهنية ونفسية، لتهيئتها للدور الاجتماعي الذي يعدها له المجتمع وما يتوقعه منها وفق دورها البايولوجي وتشريحها الجسدي، الذي حكم عليها مسبقاً بهذه الحياة وبشكل عام، فقد أحتد النقاش في السنوات الأخيرة حول ماهية الانوثة وعن مواكبة النساء المتزايدة للقيام بعمليات التجميل واضافة ما يسمى بالرتوش على أجسادهن وأقتيادهن للقيام بها بأعتباره تمكين للمرأة، إذ اثارت عمليات التجميل خلافات واسعة بين الناشطات النسويات ومناصرات المرأة بين معارض ومؤيد. فنجد بعضهم يقول أنها حق من حقوق الإنسان، والبعض الأخر يعتبره انتهاك واضح لحق الجسد. وذلك لكون القطاع التجميلي قائم على فكرة المثالية التي تروج لها الشركات الرأس مالية وبدعم من الاعلام الذي يجعل من المرأة سلعة تعتمد على تقييم الآخرين من أجل رواجها. وقد شدنا الموضوع للقيام ببحثٍ نظري وميداني عن أسباب لجوء النساء للقيام بمثل هذه المخاطرة على الصعيد الصحي والمادي، وماذا يقبع خلف الكلمات التي ننطقها محاولين تفسير لماذا نذعن للمعايير الانثوية، ولماذا نقتاد بها بحياتنا اليومية، أكانت الأسباب فعلياً هي محاولة لتمكين النساء ولسهولة الإجراءات الطبية؟ ام ما هي إلا مجرد إستجابات تلقائية لأحد المحفزات كـ البيئة؛ الأهل؛ الأعلام؛ منصات التواصل الاجتماعي، وأصبحنا مجرد نواتج ثقافية يتاجر بها ويتكلم بها كـ بديهيات لا أكثر؟

في الآونة الأخيرة قد اثار فيلم وثائقي تحت عنوان (ماهي المرأة؟-What is a woman ?) استغراب الناس واوقعهم بحيرة للإجابة عن سؤال ما هي المرأة؟ لم يستطع أي شخص أن يجسد

معنى أن تكون امرأة، كان الوصف الذي يتردد على مسامع المشاهد هو؛ أن المرأة هي شخص يحب أن يلبس بشكلٍ جيد وأن يكون جميل وأن يعرف نفسه كمرأة؛ والبعض الآخر وقف مكتوف الأيدي أمام هذا السؤال البسيط شكلياً والمعقد نفسياً، لا أحد يرى ما هي ذاتية المرأة ولم يستطع حتى العلماء أن يلخصوا المرأة بصفات معينة او بهوامش بسيطة لا تتعلق بالشكل الخارجي والسلوكيات،

فعند القيام بالبحث السريع عن الانوثة نجد أجماع من العلماء التشخيصيين على أن الانوثة هي مجموعة السمات البيولوجية والجسدية عند الفرد، وأنها مجرد مفاهيم جندرية ترتبط بالسيكولوجية الخاصة للشخص المعني بها. ويعتمد دور الجنسين في التنشئة الاجتماعية على النمذجة وتربية الفتيات والنساء بشكل خاص على تعلم واستيعاب ما يطلب منهن اجتماعيًا جنبا إلى جنب مع الصفات والسلوكيات التي تدخل ضمن إطار السلوك الجنسي، على الرغم من أن السمات المرتبطة بالأنوثة تختلف باختلاف المجتمعات والأفراد وتتأثر بمجموعة متنوعة من العوامل الاجتماعية والثقافية. وكما قد أشارت الكاتبة الشهيرة سيمون دو بوفوار «لا تُولد المرأة امرأة.. وإنّما تُصبح كذلك» . إذ ترى بوفوار أن المرأة تخضع لعملية «تنميط» تكسبها الهوية التي يعرفها بها المجتمع كامرأة، فأن حياتها تتمحور منذ الصغر على دورها المستقبلي كـ أنثى وزوجة وليس كـ ذات مستقلة ذات أهمية وأهداف واعدة.

وكما قد عمدت عالمة الاجتماع الامريكية مارغريت ميد(Margaret Mead) بأحدى دراساتها في المجتمعات البدائية في غينيا نقلًا عن كتابها(الجنس والمزاج في المجتمعات البدائية) على هدم الفكرة القائلة بأن صفات الانوثة هي سمات تتصف بها النساء فقط إذ تباينت سلوكيات كل من الرجال والنساء وأتسمت باللطف والعدائية على حد سواء وأوضحت بأن هذه السمات ليست بيولوجية ولا تولد مع المرأة وانما يتم اكتسابها من البيئة المحيطة بها, حيث تعتبر السمات الانثوية من الامور التي تفرض على المرأة في اغلب الأحيان، لكي يتم قبولها اجتماعيا، وضمها إلى فريق الأناث يكون مشترط بهذه المعايير وبالرؤية الظاهرة لها. لكن لا يزال البعض يرى أن الاناث هن مايظهرن من سلوكيات خارجية، ومن مكتسبات لصفات اجتماعية يحبذها البعض. ويجعل منها إطارًا واضحاً شاملاً يعني به كُل النسوة، وهناك من يروج لهذه الصفات، ويشرع بأنها صفات انثوية فقط وتزيد من طابع الانوثة لدى المرأة، حسب ما نشر في مجلة سيدتي نقلاً عن موقع Goodness. بأن تلك الصفات هي ما يعتبرونه سر قوي وعميق جداً للأنوثة!

ومن اهم السمات التي تفرض على النساء هي المعايير الانثوية, يستوجب على الفتاة منذ مرحلة حيضها الأول إلى فتورها بأن تكون انثى ليس غير ذلك، أن تستعمل انوثتها لوصمها، لتقييض حريتها وسلب ما تبقى من حياتها منها بذريعة النضج، أن تصبح طفولتها خبرًا لكان، وترى بأن الانوثة او النضج هما كلمتان ملتصقتان بالتقيد والخزي لا وسيط بينهما. ان يكونن ذوات ابتسامة رقيقة ومحببة، وحساسات، او جميلات، ونحيفات أو ممتلئة القوام(حسب الرقعة الجغرافية التي تنشأ بها المرأة)، ذوات مشية خجولة ورأس منحني من فرط الانوثة والحياء وأن تهمس بأسمها لا أن تصرح به. قد تم ترسيخ هذه الصفات كـ قاعدة ونهج أساسي متبع

في معظم المجتمعات وساهم الانتشار الواسع لهذه الصفات عند الإناث في رفع مصداقية الظن بأن هذه الخصال متجذرة في بيولوجيا الإناث وتشريحهن، سواءً كان ذلك بواسطة التصميم الإلهي أو الانتقاء الطبيعي الداروينى،

ويفرض عليها التصرف بطريقة معينة وان تتكلم بصوت منخفض، وان ترتدي ملابس معينة، وتضع مساحيق التجميل وغيرها من الاشياء المفروضة على المرأة، لكي تكون مصنفة كـ امرأة جميلة. حيث ترتبط سمة الجمال بالانوثة، ويتم قياس الجميلة على وفق تلك المعايير مثل معايير الجمال العالمية ؛ أن يتراوح طولها بين ١٧٠-١٧٥ وأن تكون لبقة، وذات جمال جذاب، وقياسات جسدية محددة للخصر كما مرفق بشروط ملكات جمال العالم من السبعينات الى التسعينات وحتى الآن، تحت مسمى « Miss World ».

لقد وجد العديد من الخبراء النفسيين أن مسابقات الجمال يمكن أن تؤدي إلى مجموعة كاملة من المشاكل العقلية بين المشاركات، من بينها فقدان احترام الذات الذي يصل إلى أدنى مستوى، حسب الورقة البحثية التي نشرت بواسطة الجراح التجميلي في جامعة بارك/دكتور ويليام آدامز في عام /٢٠١٨في مدونته الشخصية.

ولقد نوقش موضوع الأنوثة والمثالية التامة للمرأة والمعايير التي تلاحقها على مدى قرون، فمثلا كتبت فيرجينيا وولف في إحدى مقالاتها: «طوال كل هذه القرون كانت النساء تبحث عن طرق وأساليب تعكس شخصيتها في عين الرجل.» وترى وولف أن مفهوم الأنوثة قد أثر على الكثير من النساء ودفعهن إلى التخلي عن الكثير من الأمور حيث تقول: «كانت متعاطفة بشكل مكثف، كانت ساحرة، ولم تكن أنانية أبدًا. لقد برعت في فنون الحياة الأسرية حيث ضحت بنفسها يوميا. فإذا كان هناك طبق دجاج تأخذ هي الساق، أما إذا حضرت جلسة عائلية فتأخذ مكانها في الجانب ... باختصار كانت تمانع كل رغباتها الخاصة من أجل التعاطف دائما مع عقول ورغبات الآخرين.»

سياق تاريخي، الجمال وقولبة النساء

لقد تغير التجميل ومعاييره ومفاهيمه عبر الزمن، فـ لطالما اعتبر الجمال عنصراً جذابًا للتغني به ومدحه منذ أقدم العصور وحتى اليوم، فقد جاء لدى الشعراء في نظرتهم إلى جمال المرأة (التي لا تكاد تختلف فيما بينهم) فكلهم كان ينظر إليها على أنها أنثى قبل كل شيء، وعلى أنها كائن للذة الجسدية لا أكثر. وهي نظرة لا ترفع من مكانة المرأة الجاهلية بقدر ما تحط منها، لأن المرأة ليست جسمًا فقط، ولكنها جسم وروح وعقل ووجدان فتقاسم الرجل الحياة وتعينه في التغلب على تكاليفها.. ولكن من ينظر إلينا بلا رغبة وبمساواة؟

كانت النزعة الجمالية لدى العرب وشعرائهم سابقًا نزعةً حسيةً، وكان اهتمامهم بالجمال الشكلي واضح في شعرهم ونصوصهم الأدبية، من ذلك ما جاء في معلقة امرئ القيس حين وصفَ المرأة وصفاً حسياً:

مُهفهفةٌ بـيضـاءُ غيرُ مُفاضـةٍ تَرائبُها مصقـولةٌ كالـسَّجَنجَلِ

وكما تلاه عمرو بن كلثوم بطريقة تغزله بالنسوة حيث قال:

بِكْـرٍ تربّعتِ الأجارِعَ والْمُتونـا وثَدْياً مثلَ حُقِّ العاج رَخْصاً حَصَاناً من أَكُفِّ اللاّمِسينا
ومتني لدنةٍ سَمَقتْ وطالتْ روادِفُها تنُوءُ بْمَا ولِينـا
ومأْكَمَةً يضيق البابُ عنهـا وكشْحاً قد جُنِنْتُ به جُنونا

فلم يلتفت أحد منهم إلى حُسن تدبيرها، ولا إلى كرم أمومتها. ذلك غائب عن المرأة في المعلقات.
أنهـم يـكادون يتفقـون عـلى وصـف أعضـاء مـن جسـمها دون أعضـاء أخـرى، فنجدهـم يركـزون عـلى وصـف الثغـر، والأسـنان، والصـدر، والعنـق، والشـعر، والقامـة، والسـاقين. أنهـم كانـوا يؤثـرون القامـة الطويلـة، والخلقـة الضخمـة. والشـعر الفاحـم الطويـل، والسـاقين المْتلئتـين. وهـي أوصـاف يحبهـا البـدو لا أهـل الحضـارة الرقيقـة. وغالبًـا مـا وجدناهـم يكـررون مـا جـاء عنـد امـرئ القيـس ويتغنـون بتلـك المواصفـات الحسـنة ليصنعـوا الانوثـة المثاليـة كـما يرونهـا هـم مـما جعـل النـاس يسـعون إليهـا بالوسـائل كافـة كلٌ بحسـب مقومـات عـصره. وكثـيرا مـا قرأنـا عـن الاهتـمام بالجـمال مـن أيـام كليوباتـرا وغيرهـا مـن ملـكات اشـتهرن بجمالهـن وطقوسـهن في الاهتـمام بـه وعنايتهـن الفائقـة لهـذا الجـمال ومحاولـة تخليـده او السـعي مـن أجـل تذكرهـا بالحُسـن والغنـج والأنوثـة الطاغية..نعـم هـذا السـعي مـن أجـل الكـمال أن أسـتطعنا الجـزم بذلـك.
ومـع بدايـة الألفيـة الجديـدة أصبحـت عمليـات التجميـل منتـشرة بشـكل واسـع بـين النـاس حـول العـالم، وأصبـح كثـيرون منهـم يُجـرون العمليـات لغـرض التجميـل أو التشـبه بالفنانـين والمشـاهير، كـما سـاهم تطـور وسـائل التواصـل الاجتماعـي في فـرض ثقافـة عمليـات التجميـل بشـكل كبـير بـين المجتمعـات، حتـى أصبحـت هوسـاً لـدى كثيريـن.
قُـدر عـلى الجيـل الجديـد بـأن يسـمع هـذه المصطلحـات والتغنيـات بالكـمال والمثاليـة المطلقـة مـن ماسـبقهم بـه ذويهـم، بيضـاء لامعـة، مصقولـة الجسـد، رفيعـة الأنـف، مثـيرة القـوام.
حينـما يتعلـق الأمـر بالمـرأة، نجـد أبتـذالاً كبـير ضمنيًـا في مـدح الجـمال والكـمال، وعليـه اصبـح الجـمال نهـج أقرتـه النظـم الثقـافي ورسـخته في عقـول العـوام، ومـن تحـاول مواجهـة هـذا التيـار قـد تتلقـى كرهًـا وامتعـاض او اسـتنقاصًا ملحـوظ لكيانهـا الـذي حاولـوا دفنـه بغيـةً تدجينهـا مـع بقيـة القطيـع الـذي أنسـاق لتلـك الأوامـر. وكيـف لجيـلٍ كهـذا أن ينشـئ اذاً؟ راسـمًا لمواصفـات شريكـة أحلامـه كالؤلـؤة، وفتـاة متخيلـةً نفسـها بأبهـى طلـة عـلى الـدوم وأخـذةً للأنفـاس، قائمـة عـلى توقعـات الآخريـن ومهيئـة لأن تكـون شـخصًا غريبًـا تمامـاً يسـكن في شـكلٍ وجسـد بنـاه لـه المجتمـع.
وقـد حللـت بيتـي فريـدان/ Betty Friedanفي كتابهـا الصـادر تحـت عنـوان الغمـوض الأنثـوي موضـوع الانوثـة ومعاييرهـا حيـث قالـت:
«المـرأة لا تُعتـبر أنثـى إذا لم تلتـزم بهـذه المعايـير المجتمعيـة والأعـراف، جوهـر المشـكلة بالنسـبة للمـرأة اليـوم ليـس المشـكلة الجنسـية بـل مشـكلة الهويـة «.

التوجهات التي يجب على النساء إلالتزام بها

في مقابلة مع جراح التجميل اللبناني إبراهيم الأشقر يذكر ان أكثر من يخضعون لعمليات التجميل ليسوا من أصحاب التشوهات وإن حوالى ٧٠ في المئة يحتاجون إلى هذه العمليات بسبب عدم تناسق في الوجه و٢٠ في المئة وجههم جيد لكن يريدون تحسينه أكثر. ويعتبر أن التجميل مهم كونه يعطي ثقة بالنفس، وبحسب ملاحظته فإن التلاميذ الذين يجرون عمليات للأنف يصبحون اجتماعيين أكثر ومتفاعلين مع أصدقائهم ويتفوقون في الدراسة. فلكل شخص أسبابه التي تتعلق غالباً بشأن صحي أو نفسي.

وبغض النظر عن كون القطاع التجميلي قطاع رأس مالي ذكوري يحول شعورنا بعدم الأمان النفسي مع اشكالنا وأجسادنا، إلى أموال لأجراء عملية جراحية لمشكلة غير موجودة إلا في أذهاننا. وبحكم ما نراه بمحيطنا من أشكالٍ متشابهة الجمال ومتناسقة، وبما نسمع عن جارتنا، وعن أقاربنا التي شفطت الدهون وحقنت البوتوكس وعادت كأنها بنت العشرين عاماً، أما الفقيرات منهن فلا يسلمن ايضًا من هذا السياق! أرتبطت مواصفات الجمال لديهن بعدة معايير وعدة طرق للوصول إليها. فعلى سبيل المثال يشتهرن النساء الصحراويات في المغرب بتناولهن لكميات وفيرة من الألبان الطرية والتي غالبًا مايكون مصدرها الأبل او البقر وتناول لحومها بشكل متكرر ويرمز هذا التقليد للدلالة على حسن المرأة وثرائها والرخاء الذي تعيش فيه عند ذويها مما قد يحسن فرص أرتباطها بالزوج الأنسب. وتنتشر مثل هذه الظاهرة كثيرًا في موريتانيا وتبدأ في سن مبكرة من عام إلى ستة أعوام وتتناول فيه البنت ما يقارب خمسة ليترات من لبن الأبل او البقر ويقدم لهن وجبات من الأرز الممزوج بالدسم والنشأ منذ الصباح إلى المساء مع تناول اللحوم في الأوقات مابينها ويعتبر تسمين الفتيات القسري هذا بمثابة تقليد موروث حيث أن ٦٠٪ من النساء الموريتانيات أكدن بأنهن يحبذن السمنة وبأنها مفيدة لهن ويعتبرن النحافة ظاهرة سيئة وعيبًا يلحق بالنساء، ويعتقد الرجال الموريتانيون أن ترك البنات نحيفات دون تسمين يجلب العار والذل للأسرة، اضافةً إلى أتهامهم بالتقصير والبخل. وبما لا نجهله ايضاً وما تعرضه علينا شاشات التلفاز ومواقع التواصل، لكي تزعزع قناعاتنا بما نملك ولكي نبحث عما يراد لنا من قبل الآخرين، ونرى أنفسنا بذات المعيار الذي يحددوننا به وتكون انوثتنا معلبةً بالشكل الخارجي وبما يوحي قوامنا ولباسنا فقط.

ومن الجدير بالذكر بأن الولايات المتحدة تتصدر قائمة الدول التي أجريت فيها عمليات التجميل وعمليات الصدر هي الأكثر انتشارا، والتكاليف في الولايات المتحدة بحدود ٤ آلاف دولار أمريكي. وخلال آخر عقدين من الزمان، زاد الاهتمام العالمي بجراحة التجميل لأهداف مختلفة، ففي عام ٢٠١٨ وحده تم أكثر من ٢٣ مليوناً و٦٠٠ ألف عملية تدخل تجميل في العالم، من بينها نحو ١٠ ملايين و٤٠٠ ألف عملية تجميل جراحية، حسب آخر إحصائية أصدرتها الجمعية العالمية لجراحة التجميل (ISAPS) في عام ٢٠١٨.

وبجانب الهدف الأساسي الذي بُني عليه علم التجميل في أصله منذ آلاف السنين، وهو إجراء

عمليات ترميمية ضرورية، تقتصر على إصلاح الأجزاء التالفة من جسم الإنسان وترقيعها كي تعود إلى حالتها الطبيعية قدر الإمكان، تبين أن كثيراً من هذه العمليات أُجري لغرض التجميل ومواكبة الموضة فقط، أو للتشبه بشخص مشهور، أو لمجرد أن عمليات التجميل انتشرت بشكل واسع وأصبحت في متناول أغلب الناس، على الرغم من فشلها في كثير من الأحيان. وتتضارب الأعداد والنسب في اغلب بلدان الشرق الأوسط وبتباين ملحوظ في الدول التي تحظى برقابة صحية. إما العراق فـ أننا نتجه نحو المجهول، وفيات من النساء في مقتبل الأعمار نتيجة لخطأ جراحي او لهفوة طبية من غير ذكر لتفاصيل ما يحدث مع المريض ويتم تضليلها من قبل الجهات المعنية ولكن لا شيء فعلاً يذكر غير أن هذا مايحدث جراء ما يفرضه المجتمع عن الصورة المثالية أو لتقليد شخصٍ أخر وأرضاء لصورته الجندرية التي تعرضت لأقصاء بسبب طبيعتها غير المثالية، وهذه هي إشكالية الجسد حين يصبح مصيدة تنميط بين الطبيعة والمجتمع وأن يصبح الجسد جوهرًا كلي والذات مجرد مظهر يخلو من أي مكانةً او تقدير.

المعايير الانثوية وتنميط النساء في العراق:

من خلال مقابلات مباشرة مع أربعة نساء من عدة محافظات ، تم انتقائهن بشكل متباين على حسب اختلاف الموقع الجغرافي والوضع الاقتصادي مع ذكر القاسم المشترك بينهن جميعًا وهو التداخل الجراحي ورغبة تحسين المظهر الخارجي وهن من(بغداد، نينوى، أربيل، النجف) ومع طبيب اختصاص امراض جلدية تأكد أن العديد من النساء في العراق يخضعن إلى معايير انثوية صارمة تولد توجه قد يكون واعي أو غير واعي لديهن لتماهي مع هذه المعايير ومسايرتها، ولتحقيق التوازن النفسي أتجاه ذواتهنَّ، الذي سييجعل منهن أكثر مقبولية في المجتمع، هذا ما أكدته أحد المتقابلات من بغداد في سياق حديثها:

«عندما وصلنا إلى عصر الصور والسناب شات والفلاتر، تزايد شعوري بالضيق من أنفي أكثر من سابق عهده وبأن هذا الأنف غير متناسق مع كامل وجهي من الأساس، وقد كانت تضاف لي تعليقات من أصدقائي بأنه يجب عليّ القيام بتعديل لأنفي مع قولهم لي بأنني جميلة ولكن سأصبح أجمل عندما أقوم بنحته وتجميل شكله».

اكدت المتقابلة مراراً اثناء حديثها انه كان لديها دافع شخصي وهو شعورها بعدم الارتياح من شكل أنفها وبأنه لا يبدو متناسب مع بقية ملامحها وتأكيداً لهذا الشعور قد واجهت ما يشبه الضغط من محيطها واصدقائها على تغيير هذا الجزء الذي لا ينتمي لها ومما يزيد الأمور تشابكاً هو أنها قد تأثرت بشكل شخصي بما هو سائد او بما يسمى»ترند» من خلال مواقع التواصل التي عززت لديها الشعور بأنها جميلة ولكن ليس بالشكل اللازم والمألوف لأنثى بعصرها.

وكما قد رددت المتقابلة بأن النساء قد يقمن بأجراء عمليات كثيرة التعقيد من أجل أن يصلن للشكل «الفنتازي» الذي يحلمن به. وقد صرحت بأن كلفة العملية كانت قد تجاوزت ال٩٨٣ دولار. وقد توضح هذه الأسعار الهائلة للقارئ بأن هذه العمليات ربما لا تتعدى عن كونها

ظاهـرة أخـرى منتـشرة بـين ذوات الطبقـة المخملية(المتمكنـات اقتصاديًـا) والنسـاء مـن أصحـاب الدخـل المحـدود لا يمكنهـن القيـام بهـا او حتـى التفكـير بشـأنها. إلا أن هنالـك دول قـد قامـت مسـبقًا بدعـم قطـاع التجميـل عـن طريـق توفير منـح وقـروض لـشركات ناشـئة للحصـول عـلى سـيولة كافيـة للمواطنـين لإجـراء العمليـات والجراحـات التجميليـة مثـل لبنـان وفرنسـا وإيطاليـا وأمـيركا وبريطانيـا إلا أن متحدثتنـا كانـت قـادرة عـلى تحمـل هـذه الكلفـة. وتـشرح بـأن رغـم تداعيـات عمليتهـا الجراحيـة إلا إنهـا الأن قـد وصلـت إلى غايتهـا، واصبـح شـكل الانـف مطابقـاً للمعايـير الانثوية ال»ترنـد»، ويبـدو ان هـذا التماهـي لـن يتوقـف عنـد هـذا الحـد لأنهـا تنـوي ان تجـري عمليـات تجميـل لمناطـق أخـرى في جسـدها : «لقـد وصلـت إلى مرحلـة جيـدة مـن الرضـا والاقتنـاع الـذاتي حاليـاً بنتيجـة العمليـة وقـد تحسـنت نفسـيتي كثـيراً عنـد قيامـي بالتصويـر وحتـى عنـد النظـر في وجهـي بشـكلٍ عـام وأننـي أنـوي مسـتقبلاً القيـام بعمليـة نحـت خـصر عـلى الرغـم مـن أننـي بغـير حاجـة لهـا وذلـك لأن اجراءاتهـا سريعـة ويمكـن اعتمادهـا بـدلاً عـن ممارسـة التماريـن الرياضيـة وانتظـار النتائـج التـي قـد تكـون بعيـدة الأمـد» وهـذا الطريـق قـد اصبـح الطريـق المختـصر لمعظـم الشـباب للجـوء إلى مثـل هـذه الإجـراءات بحثـاً عـن طـرقٍ سـهلة ونتائـج فوريـة ومرضيـة حتـى وأن كانـت خطـرة او مكلفـة.

وفي مقابلـة مـع احـدى النسـاء مـن أربيـل التـي ابتـدأت مقابلتنـا بـكلام مُحبـب عـن نفسـها وعـن كيفيـة كونهـا مقتنعـة بجمالهـا الطبيعـي وبوزنهـا الـذي أضـاف لهـا طابعـاً مميـز وكيـف أنهـا اعتـادت عـلى أن تقـف أمـام المـرآة وهـي تحـدث نفسـها عـن الجـمال الهائـل الـذي تحملـه والـذي وحدهـا تعـرف ماهيتـه وأنهـا تتغـزل بنفسـها كلـما رأت انعكاسـها بتلـك المـرآة. الا ان تجربتهـا مـع علميـات التجميـل غـيرت كل تلـك الاحاسـيس عـن ذاتهـا وعـن جسـدها: «أعـرف بـأني شـخص جميـل، وبشـكلٍ عـام أنـا شـخص راضٍ عـن جسـمه جـداً والسـمنة لم تكـن تؤثـر عـليّ لا نفسـياً ولا صحيـاً ولا شـكلياً.... انـا شـخص لـو رأي نفسـه بالمـرآة يعاكـس نفسـه ويغازلهـا فـوراً! وكُل مـن حـولي كان يتفاجـئ بالثقـة النفسـية والحـب الـذي أحملـه اتجـاه نفـسي. ثـم تكمـل؛ في أحـد الايـام كنـت أجـري محادثـة مـع أحـدى صديقـاتي عـن قيـام النـاس بأجـراء عمليـات تنحيـف وقـص معـدة وعـن مـدة خطـورة مثـل هكـذا اجـراء وقلـت لهـا: ايـن حـب النفـس في القيـام بمثـل تلـك العمليـة؟ لكـن صديقتـي اقترحـت عـليّ أن أتكلـم مـع طبيـب فقـط لعمـل استشـارة، وذهبـت لكـن نتيجـة الإلحـاح، وانتهـى بيّ المطـاف محاطـة بضغـط كبـير مـن أصدقـائي ومناوشـات عـن أسـباب تلكئـي بالقيـام بالعمليـة إلى الأن!»

ورغـم كلام المتقابلـة إلى أنهـا قالـت بشـكل خـاص: «لم يجـبرني أحـد عـلى القيـام بالعمليـة لكـن كان شـعور جماعـي مثـل قيـام الصديقـات بالذهـاب معـاً للتسـوق وقضـاء الوقـت، نحـن ثلاثـة صديقـات نعـاني مـن الـوزن الزائـد وأردنـا أن نقـوم بتغيـير في حياتنـا وعنـد انتهـائي مـن العمليـة قامـت صديقتي بأجرائهـا بعـد عـشرة أيـام، والأخـرة أجرتهـا بعدهـا بأسـبوع».

بينـت المتقابلـة بأنهـا تـرددت مرتـين قبـل الدخـول لصالـة العمليـات وصـادف بأنـه لم يكـن في متنـاول يدهـا المبلـغ المـادي المقـدر عليهـا دفعـه لمثـل هكـذا اجـراء إلا أن صديقاتهـا قامـن بجمـع المبلـغ لهـا والإصرار عليهـا لأخـذه والقيـام بالعمليـة بـدون افتعالهـا لأي حجـج واهيـة لعـدم عمـل العمليـة.

وكان جواب المتقابلة عن مدى رضاها النفسي على شكلها الحالي والنتيجة فقالت: «أنني لازلت أشعر بالانزعاج بسبب نزول الوزن، دخلت صراعاً نفسياً مع ذاتي اتسائل في داخلي (لماذا فعلت هكذا بنفسي؟) وزني لم يكن يحتاج إلى كُل هذا! لقد كنت نشطة، جميلة، سليمة صحياً وجسدياً. لماذا سمحت لنفسي بأن أعاني وأبذل مدخولي المادي من أجل هذا؟

مع العلم بأنني لازلت أعاني عندما أرى نفسي بالمرآة دون ملامحي المعتادة، الوجه الممتلئ الذي أعتدت عليه، وأشعر بخيبة كبيرة من ناحية ومن ناحية أخرى أرى بأنني أصبحت قادرة على المشي لمسافة طويلة بعد أن كنت لا أستطيع أن امشي طابقاً واحداً دون أن ألتقط أنفاسي».

وعندما طُرح على المتقابلة سؤال بأنها ستقوم بإجراء أي عمليات جراحية أخرى مستقبلاً؟ أجابت:

«قد حدثت مضاعفات بعد قيامي بالعملية الأولى لذلك يتوجب عليّ القيام بعملية أخرى لشد الترهلات الناتجة عن خسارة الوزن ولكنني سأتجنب القيام بعمليات أخرى سوى شد الصدر وسأتعايش مع جسدي كما هو».

وايضاً تكلمنا مع المتقابلة الأخرى التي كانت من محافظة النجف وسألناها عن أسباب قيامها بمثل هذه العملية التي كانت قد سببت لها إجهاد نفسي كبير، اثر على مجمل حياتها وفرصها في الحياة إلى الأن، وهي في مقتبل عمرها وبما لا يختلف عليه أثنين، كانت أجابتها واضحة وشاملة:

«أنني من مدينة مُرة الطباع، يريدوننا أن نكون كاملات مُكملات. حتى وأن لم يكن فينا أي نقوص، البدينة يجب عليها أن تنحف، والنحيلة يجب عليها أن تمتلئ بشكل كافٍ ليزيد من جمالها وأنوثتها، أن تكون رشيقة، بيضاء، ذات شعر منسدل وطويل. ليس انتقاصاً لنفسي ولكني لم أشعر بأنني مثل باقِ البنات حولي! لم أستطع أن ارتدي الجينز من دون أن أسمع ما يعيبني من الكلام، لقد كان صعب عليّ جداً بأن ارتدي التيشرت بدون أن يكلموني عن تقاسيم جسمي الظاهرة وكيف أنه يتوجب عليّ ارتداء ملابس فضفاضة لا تليق بعمري ولا بجيلي، لقد حرمت نفسي من الخروج والتمتع بالحياة، لم أعتد على أن أرى نفسي بشكل كافٍ، لطالما رددوا عليّ هذه الكلمات(عندما تتزوجين هل ستجدين ثوباً يلائم هذا القياس؟ومن سيتزوج بك وأنت هكذا؟ أنحفي قليلاً وستكونين أجمل بكثير) لم أهتم للزواج ولا لغيره ولكن هذا الكلام بقى يرن في رأسي وبدأت التفكير بالقيام بعملية قص المعدة في عام ٢٠١٩ وقد أكملت الإجراءات والتكاليف جميعها في عام ٢٠٢٢. كان وزني ١٢٧kg إما الأن بعد ثلاثة أشهر من قيامي بالعملية قد أصبح وزني ٩٣kg وأنا جداً راضية بهذه النتيجة ومتفائلة بها».

وقد شددت على قولها «لقد كنت شخص ، وأصبحت شخصاً أخر كلياً!

ولا أنكر بأنني عرضت نفسي للوم عند حدوث مضاعفات العملية لي، إلا أن هناك شيئاً من الطبطبة عندما أرى نفسي بالمرآة، أشعر بأني أقتربت من ما كنت أتمنى أن اصير! ولقد ساعدني طبيبي بقوله لي بأنني سأصبح أجمل بكثير وستكون النتائج أفضل مما نتوقع حتى ولن أضطر لسماع كلام الأخرين عني او عن جسدي الذي شكل عبئاً على شبابي، كُل ما اريده هو أن أكون جميلة وابدو بصورة لائقة ليس إلا».

كلفة العملية كانت صعبة على المتقابلة وذلك لكونها لم تكمل دراستها او تعمل وتطلب منها وقت كبير لجمع ما يعادل المليون ونصف دولار وذلك لأنها كانت تعاني ايضاً من مشاكل صحية أخرى وعائلتها من ذوي الدخل المادي المحدود، حرمت نفسها من بعض احتياجاتها الاساسية من أجل أن توفر ما تراه حاجةً أسمى لها.

وهنا نستطيع الجزم بأن المجتمع والأطباء المتخصصون بالجراحات التجميلية على حد سواء هم المستفيدون الأكثر من هذه العمليات التي تدر على فاعليها بالأموال والمكانة المرموقة والصيت الذائع تمجيداً بقيامهم بما يسمى (رتوش وترقيعات) على أجساد النساء بشكلٍ خاص وقيامهم بنصب فخ يتكون من القياسات التي تلائم ولا تلائم ذلك الجسد وعن كيفية المحافظة على شبابنا الدائم بقص هذا الجزء وإضافة الجزء ذاك لتكوني نسخة أفضل من نفسك.
وفي مقابلة مع فتاة أخرى من أربيل قالت» لقد كنت بحاجة إلى القيام بعملية لأنفي وذلك لأنني أعاني من الجيوب الأنفية ولدي صعوبة في التنفس وقد كان اصدقائي يتنمرون على صوتي وشكل أنفي فقمت بأجراء العملية ولكن الأن أشعر بأن الجيوب الأنفية لا تزال تضايقني وبعض الأشخاص المقربين لي قد قالوا بأن انفي كان أجمل قبل العملية وكان يمكن لي أن أقوم بمعالجة الجيوب الأنفية فقط دون قيامي بتغيير تام في شكله».
وعندما سئلنا الدكتور عدي المختص بالجلدية في مستشفى حردان الأهلي-سنجار عن أسباب انتشار العمليات التجميلية في الآونة الأخيرة ومن هي الفئة التي تقوم بعمليات اكثر؟
كانت الإجابة:
-»الأكيد هو أن زيادة عمليات التجميل يعتبر لأسباب كثيرة وغير معروفة ومن المتعارف عليه بأن اكثر من يجرون عمليات التجميل هن النساء على الخصوص».
والسؤال الذي يطرح نفسه الأن ولم يتطرق الدكتور للأجابة عنه، هل تحول القطاع الطبي إلى عمل تجاري ربحي يستفد المتنفذون عليه من الضعف النفسي لمرضاهم؟ أكان من الممكن أن يستبدل الاجراء الجراحي لمراجعته بأن يقترح عليها ان تبحث عن دعم طبي نفسي يعزز ثقتها بنفسها ويساعدها على رؤية جمالها الداخلي قبل الظاهر منها؟ تستمر هذه التساؤلات ويستمر أهمال البحث عن أجوبتها إلى الأن على أمل أن نلاحظ ما بين السطور ونخرج بإجابة كافية.

ولكي نضع النقاط على الحروف يجب أن نرى الصورة الأكبر لجميع هذه الأسباب التي قد تبدو للبعض غير منطقية وقد تكون للبعض الآخر مسئلة قناعات فقط وتندرج ضمن الحريات الشخصية. من جانب تحليلي نفسي فأن غالباً ما يكون الأشخاص الذين يريدون التناسب مع المحيطين بهم والتكيف مع مستجدات الموضة حتى لو كان هذا التأقلم على حساب أنفسهم، هم أشخاص فاقدين لذواتهم ويبحثون عن القبول الاجتماعي وقد يكون ذلك بسبب العبارات التي يسمعها هؤلاء الأشخاص مراتٍ كثيرة من صديقٍ ناقد او معلم او حتى شريك حياة، فتكون آلية في دماغه دون أن يعي. وذلك لأن العقل اللاواعي حسب ما أعطاه فرويد تفسير،

بأنـه يمهـد الطريـق أمـام ألافعـال المسـتقبلية أو بعبـارة أخـرى؛ يعمـل العقـل عـلى نحـو واعٍ وغـير واعٍ في ذأت الأوان. ولأن مثـل هـذه التنبـؤات عـن رؤيـة النفـس بالصـورة المثاليـة وبالمعيـار الفـلاني لا يتعلـق فقـط بالعـالم الخارجـي ولكـن ايضـاً بالبيئـة الداخليـة للجسـد، حيـث تتـم برمجـة العقـل الباطـن منـذ الصغـر بمـا يناسـب جنـس الفـرد وبمـا يحـدده المجتمـع، مـن سـتكون الأجمـل أو الأطـول او الإرشـق. أن تكـون حيـاة المـرأة وكأنهـا في حلبـة سـباق أو منافسـة مـع قرينتهـا مـن النسـاء، وأن يحـدد المجتمـع أو الرجـل مـن هـي الفائـزة بلقـب الأنثـى، مـن سـتكون الحاويـة عـلى كُل سـمات الجـمال سـتربح الأسـم الـذي قـدر لهـا أن تحملـه بـكُل الأحـوال، ولكـن وحـده المجتمـع قـادر عـلى سـلبه إياهـا متـى شـاء، أن خالفـت المألـوف والمتفـق عليـه مـن الجميـع، أن تكـون المجتمعـات قائمـة عـلى صنـع فجـوة بـين النسـاء عـن طريـق تكليلهـن بمعايـير سـطحية وظاهريـة تقـوم بتقسـيمهن إلى مجاميـع مختلفـة، البيضـاء، والسـمراء، والجميلـة، والفائقـة الجـمال، أن تطمـح واحـدة بـأن تحـل مـكان الأخـرة، حيـث تتولـد بـين تلـك المجاميـع صراعـات داخليـة وغـيرة مـن فتـاة مثلهـا دون اسـبابٍ حقيقيـة تذكـر، أن يكـون هـذا الأختـلاف الطفيـف بـين الـوان البـشرة وقياسـات الجسـم قـادرة عـلى صنـع فـوارق عديـدة بـين الاختـين حتـى وأن يتسـبب في نشـوب شـجار.

أنها ما تسمى بـ (ظاهرة العقل الجمعي)

أن تنصـاع لمـا حولـك وتفقـد ذاتيتـك محـاولاً إيجادهـا في الأخريـن، في رؤياهـم لمـا هـو مناسـبٌ لـك وبمـا هـو عكـس ذلـك، باحثـاً عـن المـؤشرات والقـرارات الصائبـة في الشـخص الخطـأ، لـكي يكـون محبوبًـا أو مرغوبًـا ولـكي يتقبلـه العامـة دون أن يـدرك بأنـه منصـاعٌ لهـم، فـ كيـف مـن المفـترض أن يتحكـم الفـرد في شيء بينـما لا يعـرف حتـى متـى وكيـف أثـر فيـه؟

أن معايـير الأنوثـة لازالـت مرتبطـة باسـم المـرأة وبتعريفهـا مـما يجعـل الانوثـة بشـكل عـام آفـة فتاكـة لم يسـتطع الغـرب المتقـدم أن يتخلـص منهـا او يتفـق عـلى تحديـد ماهيتهـا حتـى ومايـزال الـصراع المهنـي قائـم لتعريفهـا. فـما بالـك ببلـدان الـشرق الأوسـط والقـرى والمـدن الريفيـة التـي لا تـزال النسـاء فيهـا تعمـل وتحـرث ويطالـب منهـا رغـم ذلـك أن تكـون انثـى وأن تحافـظ عـلى مفهـوم الانوثـة المتعـارف عليـه في بيئتهـا الناشـئة وأن تحقـق غايتهـا بهـذه الحيـاة، ليصبـح الجـمال الطبيعـي والاصطناعـي مضـاف إلى السـمات الشـخصية ومطالـب بـه رغـماً عنهـا.

وفي سـياق البحـث عـن الأنوثـة ومكنوناتهـا، أضاعـت المـرأة نفسـها وهويتهـا مـن آجـل تلبيـة تطلعـات الآخريـن إلى ان أصبحـت لا تفـرق بـين مـا تريـد ومـا يـراد منهـا، فاقـدةً لـكُل رغباتهـا الحقيقيـة بذاتهـا وصانعـةً لأنعـكاس اخـر لشـخص غريـب قـدر لـه بـأن يكـون عالقـاً بمعايـير غـير ثابتـة وغـير قابلـة للقيـاس. وكـما قـد كتبـت دوروثي باركـر في كتابهـا الصـادر بعنوان(المـرأة الحديثة:جنـس ضائـع):

« أعتقـد أنـه يجـب اعتبارنـا جميعًـا بـشرًا، نسـاءً ورجـال، مهـما كنـا، وأن تتخـلى المـرأة عـن مفهـوم الانوثـة الأزلي وأن لا تبـدد كـ جوهـر يحـدد بالشـكل».

التشاركية في الأدوار الاجتماعية
تقسيم الأدوار بي الأسباب والآثار

الباحثتان:
ماسة الرمادي وسارة مجيد

أنتجت هذه الورقة العلمية كمشروع تخرج من المدرسة
النسوية الرابعة التي ينظمها تحالف امان النسوي

المقدمة

تتلخص الادوار الجندرية حسب الايديولوجيا البطريركية المتوارثة وحسب هيكلة النظام الابوي لها، أي هناك اب وام واولاد ويختزل دور القيادة والوصاية على الأب فقط لكون الدور الجندري للذكر مرتبط بفكرة إنه المسؤول الأول وله كامل الأهلية لإدارة الأسرة، ثم المجتمع، ثم الدولة.

وبذلك يكون دور المرأة في المجتمعات الابوية هو دور هش في الوصاية وأحيانا مرفوض حتى بهشاشته، حيث تحولت الإناث إلى عاملات منزل لقرون حتى بات الامر ثقافة، بل وحتى جزء من كينونتها وهذا ما يكشفه علم الجندر والأدوار الاجتماعية التي تعطى للمرء حسب هويته الجنسية ونوعه، فحسب الثقافات المختلفة في العالم، تتفق جميعها في أن الذكر هو صاحب السُلطة والمرأة تابعة له ولمنزله ونسبه، ومن واجبها الالتزام بالدور الرعائي دون مقابل مالي. ويبقى العمل غير مدفوع الاجر وهو جوهر اساسي لعدم المساواة بين الذكور والاناث، حيث بقي هذا العمل لسنوات غير مرئي وغير مسموع وغير مقدر.

تترتب هذه الأدوار على الأولاد والفتيات أيضًا، فنرى أن الأدوار الجندرية تتوارث حسب ثقافة المجتمع التي تقدم امتيازات للذكر لا تقدمها للأنثى والعكس صحيح. ومن هنا نرى دور الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والبيئية في تكوين ادوار الاجناس في المجتمع، وكذلك تأثر هذه المجالات في التقسيم الصارم بين الأدوار.

اهمية البحث

تنطلق اهمية البحث من اهمية دراسة وفهم معنى الادوار الجندرية والعمل الرعائي وماهي الانعكاسات الايجابية والسلبية لأثار تقسيم الادوار الجندرية التي فرضتها سلوكيات المعتقد الاجتماعي على النساء والرجال.

ان الاتفاق شبه التام على اختلاف الرجال عن النساء يمنح هذا المعتقد قوة كبيرة بين الاوساط المجتمعية، بل ايضا يتفق الناس ان هذه الاختلافات مفيدة. بدأت الدراسات العلمية للأدوار الجندرية بشكل جدي خلال الموجه الثانية من الحركة النسائية في السبعينات بعد ان شرع علماء النفس في شرح الفروقات بين الجنسين في السلوك والمهارات المعرفية.

سؤال البحث

يناقش البحث التفسيرات المختلفة المتعلقة بالجنس وانعكاسه على الدور الاجتماعي والعمل الرعائي ودور التقسيمات الاجتماعية والبيولوجية على المطالب الاجتماعية والنفسية والاقتصادية المختلفة.

المنهجية

لغـرض الإجابـة عـلى تسـاؤلات البحـث، اسـتندت المنهجيـة التـي تـم اتباعهـا في هـذا العمـل عـلى اسـتمارة اسـتبيان الكـتروني، بالإضافـة الى مصـادر مكتبيـة ثانويـة، وشـاركت فيـه ٦٧ امـرأة عراقيـة مـن المتزوجـات والمطلقـات (١١ مطلقـة، و٥٦ متزوجـة)، مـن الاعـمار مـا بـين ١٥ و٦٥ عـام، والنسـبة الأكـبر مـن الفئـة العمريـة ٣٠-٤٠ عـام، ٧٥٪ مـن المشـاركات نسـاء عامـلات بأجـر، و٢٥٪ غـير عامـلات بأجـر، و٦٠٪ منهـن يسـكن مـع الـزوج بسـكن منفصـل.

مـن الجديـر بالذكـر ان الفئـة الأكـبر مـن المشـاركات التـي وصلتهـن الاسـتمارة، هـن مـن النسـويات والناشـطات في مجـال حقـوق المـرأة.

إطار مفاهيمي

وحـين نـدرس الأدوار الجندريـة، فهـي تتشـكل بنـاء عـلى التوقعـات الاجتماعيـة للجنسـين فغالبـا مـا يتوقـع مـن ان تظهـر النسـاء والفتيـات سـلوكيات مجتمعيـة أكـثر حساسـية وعاطفيـة ويتوقـع مـن الرجـل ان يظهـر سـلوكيات مسـتقلة كالهوايـات والاهتمامـات والاختيـار المهنـي.

امـا العمـل الرعـائي: فهـو العمـل الغـير مدفـوع الاجـر والتـي تقـوم بـه النسـاء عـادة ويشـمل الاعـمال المنزليـة ورعايـة الاطفـال وكبـار السـن، والجنـدر: وهـو مصطلـح اسـتخدم لوصـف النظـم الاجتماعيـة والثقافيـة عـلى سـبيل المثـال (التنشـئة الاجتماعيـة)، والجنـس: وهـو مصطلـح اسـتخدم لتوصيـف التجمعـات البيولوجيـة للنسـاء والرجـال.

أولاً : الأدوار الجندرية في السياق العراقي

يعـبر مصطلـح الجنـدر عن مجموعـة الخصائـص والفـرص والأدوار والعلاقـات والمواقف والسـلوكيات التـي يحددهـا المجتمـع بنـاءً عـلى جنـس الفـرد ذكـر او انثـى[١] وبشـكل تفاضـلي، بمعنـى ان الجنـدر يمنـح هويـة مكتسـبة، يتـم تعلمهـا وتتغـير مـع مـرور الوقـت وتختلـف عـلى نطـاق واسـع داخـل وعـبر الثقافـات، ويشـمل مفهـوم الجنـدر تطبيـق الجنـس بالتقاطـع مـع المتغـيرات الاخـرى مثـل العـرق والطبقـة والعمـر والقوميـة والديـن ومـا إلى ذلـك.

والجنـدر هـو متغـير اجتماعـي ثقـافي شـامل، يتـم إنشـاء أنظمتـه في سـياقات اجتماعيـة وثقافيـة مختلفـة تحـدد مـا هـو متوقـع ومسـموح بـه وذات قيمـة للمـرأة والرجـل والفتـى والفتـاة وكذلـك العزبـاء والمتزوجـة والاعـزب والشـاب والأرمـل/ة والمطلـق/ة والمسـنين/ات بحسـب مـا يعـرف بالحالـة الاجتماعيـة في هـذه السـياقات

١- European Institute of Gender Equality, Glossary and Thesauruses, access at: https://eige.europa.eu/thesaurus/terms/١١٤١

المحددة، اي انه يحدد معايير المثالية والقيم والسلوكيات الجيدة بشكل يختلف ما بين الاناث والذكور، ويتم تعلم أدوار الأفراد ذكور واناث من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية وهي قابلة للتغيير. مثلاً تعتبر العاطفة والخجل صفة للمرأة المثالية والقسوة والعنف صفة للرجل المثالي وفق منظور معظم المجتمعات، والتي تحدد اعمال الرعاية كدور الاناث الاساسي، اما الدور الانتاجي (اي العمل لجلب المال) هو دور الذكور، ويتم إضفاء الطابع المؤسسي على أنظمة الجندر من خلال أنظمة التعليم والنظم السياسية والاقتصادية والتشريعات والثقافة والتقاليد[٢].

أصول تقسيم الأدوار الجندرية

ترتبط الأدوار الجندرية بشكل مباشر بالأدوار المخصصة للنساء والرجال، هذا التقسيم التقليدي للعمل الذي يجعل الرجال بمكانة عالية أكثر من الرجل كالأدوار القيادية والسياسية والاقتصادية بينما تشغل النساء اداور الرعاية والمهمات المنزلية المختلفة.
تعتقد هذه المنظومات الاجتماعية ان النساء يمتلكن سمات شخصية تجعلها تتطابق مع الادوار الرعائية والعمل الرعائي (الغير مدفوع الاجر) او احيانا يعتقد ان النساء تملتك صفات تجعلها تقوم بالدورين معا (العمل خارج المنزل وداخله).
ان هذه القولبة الاجتماعية للأدوار الجندرية حدثت بغض النظر عن الجنس الفعلي حيث ان الاعتقاد بأن الرجل والمرأة يمتلك سلوكا يتوافق مع الدور الجندري المناط به .
ان من يمنح قوة لهذه التوقعات والاستنباطات للأدوار الجندرية وحصر المرأة في العمل الرعائي هو مجموعة من المصادر من ضمنها الاباء والمعلمين ووسائل الاعلام حيث ان هذه التوقعات يمكن ايضا ان يكون لها تأثيرها الكبير على خيارات الحياة للجنسين.
ان من يمنح قوة لهذا المفهوم هو مبدأ الثواب والعقاب فغالبا ما يتم مكافأة الرجال على التزاماتهم بالأنماط الجندرية الموكلة لهم ويتم معاقبة النساء إذا تبين ان لها سلوكا استقلاليا او مطورا للذات.
يعتقد الناس ان النساء والرجال قد يستمرون في تبني الادوار الجندرية المنوطة بها لوقت اطول كما في الماضي مستهجنين اي علامة من علامات التغيير في الادوار الجندرية.

٢ - Office of the Special Adviser on Gender Issues and Advancement of Women (OSAGI) United Nations, Definitions and Concepts.

ثانياً: العمل الرعائي

يمكن تعريف «العمل الرعائي»: رعاية الأشخاص، والعمل المنزلي، والأشكال الأخرى للعمل التطوعي التي تخدم المجتمع الأكبر، وبناء على هذا التعريف، يشكل العمل الرعائي الذي تؤديه النساء والفتيات، والذي غالباً ما يكون غير قابل للنقاش، عائق وقت كبير وعقبة في طريق الوصول إلى فرص أشكال مختلفة من تطوير الذات. ويوزع هذا العمل بشكل متفاوت بين الرجال والنساء، حيث تقضي النساء حسب منظمة العمل الدولية، أربعة أضعاف كمعدل عدد الساعات التي يقضيه الرجال في تقديم العمل الرعائي[٢]

وحتى النساء اللواتي يعملن في وظائف خارج المنزل، عادة ما تبقى مسؤوليات الرعاية في المنازل على عاتقهن. لذا تظهر تحليلات الجدوى الاقتصادية أن هذا الالتزام هو السبب الرئيسي وراء عدم مشاركة النساء في الأعمال المأجورة، خاصة في ظل غياب السياسات المفروضة من الدولة والإجراءات المؤسساتية التي تشجع النساء على المشاركة. وبالتالي، ليس مفاجئا ان تكون الدول العربية أدني المعدلات عالمياً لمشاركة النساء في القوى العاملة [٣].

الدور الرعائي في السياق العراقي

في العراق يمثل العمل الرعائي بشكل عام الانشطة المتعلقة بالرعاية والاهتمام بالأشخاص والاشياء المتكونة ضمن الحيز المنزلي ويعد من الاعمال التي تختص بها النساء وذلك وفقا لتقسيمات العمل التقليدية والابوية التي تحصر المرأة في ادوار جندرية معينة وتؤدلج لصالح اقامة نضام ابوي بشكل اعمق فأعباء العمل الرعائي هو من مسؤولية الفتيات والنساء بشكل خاص حيث ان هذا الامر مرتبط بالأدوار الجندرية التي تقدم النساء على انهن يقمن بعمل الرعاية بالفطرة، بناء على هذا التعريف فان العمل الذي تقوم به النساء والفتيات في المنزل يشكل عائقا في طريق حصولها على وقت كاف لتطوير الذات.

يبقى العمل الرعائي هو عمل مرتبط بالنساء بشكل خاص سواء العناية بالمنزل او الاطفال او كبار السن ويعتبر هو ضمن واجباتهم حسب ما تفرضه العادات والتقاليد والتقسيمات الجندرية. فحسب نتائج الاستبانة تبين ان ما يقارب ٧٧٪ منهن يطلبن من ازواجهن مساعدتهن في الاعمال المنزلية، كما يوضح الشكل ادناه

وحسب الاستبانة ايضا تبين ان ما يقارب ٨٠٪ من الرجال لا يستجيبون لطلب النساء في المشاركة بالعمل الرعائي ، كالتالي:

ثالثاً: توجيه النساء للعمل الرعائي

من المتعارف عليه ان المرأة العراقية تدير مجتمع صغير في منزلها دون مقابل، تقوم بالأعمال المنزلية من تنظيف إلى رعاية أفراد الأسرة حتى تدريس وتربية أطفالها، وكل هذا الأمر تعتقده النساء بأنه دورها الفعلي ولا يجب التذمر منه وازعاج الأسرة بانها كائن يحتاج إلى الراحة وتثمين جهوده، اتى هذا الاعتقاد من برمجة عقول لنساء لقرون على هذا الدور وأنه جزء من كينونتهن، وأنه يأتي قبل تكوين ذاتهن او اكمال تعليمهن واحيانا يكون هذا الدور هو الأداة التي يتم ابتزاز الاناث من خلاله لكي يستطعن اكمال التعليم او العمل خارج المنزل، واحيانا اخرى يكون احد الاسباب الذي تعرّض النساء والفتيات للعنف بكل أشكاله، فكلما قامت الانثى بهذا الدور على اكمل وجه حصدت رضى المحيطين بها وأحيانا كثيرة لا تحصد حتى كلمة شكرا، فالسلوك ورد الفعل تجاه العمل الرعائي للنساء متباين ومختلف ولكنه يلتقي بنقطة واحدة فقط وهي أن العمل الرعائي دون تثمين هو جزء من مسؤولية النساء لا غير. ويستخدم العنف في أحيان كثيرة كوسيلة لتوجيه النساء لهذا الدور، اذ بينت ٣٣ مشاركة انها تعرضت للعنف اللفظي بسبب ضعف اداءها للعمل المنزلي، كما يوضح الشكل ادناه:

رابعاً: الاثار النفسية لتقسيم الادوار الجندرية

أدت اختلافية هذه الأدوار وتباينها في اعطاء الانسان البالغ حقه في الوصاية على نفسه واختيار دوره المناسب سواء في المجتمع او المنزل وخاصة من جانب النساء اللواتي يدفعن ثمن هويتهن الجندرية وفق بيئتهن حتى الان، إلى خلق اعباء واثار نفسية جمة تعود على النساء بالكثير من الضغوطات والعراقيل التي تصنع منهن نساء قائدات او احرار باختيار شكل حياتهن من غير ان يتم تمريرهم بخندق المعايير المثالية الخانقة لهن، فبالتالي صنع ذلك مجتمع غير متزن بسبب الهويات الجندرية والادوار التي تترتب عليها ما بين فوقية الرجال ودونية النساء. فالحبس القصري المنزلي والعنف بأشكاله المتعددة الذي يتعرض له نساء وأطفال هذا المجتمع بسبب عدم التوازن ومساواة الكفة بين الاناث والذكور خلقت لنا افراد غير اسوياء في التعامل مع بعضهم البعض سواء نساء او رجال، بل صنعت ايديولوجيا تؤكد بأن كل ما يحاول انتشال المرأة من دونية الانظمة الابوية هي أفكار منحلة وغير مقبولة، وصنع صور اجتماعية ترسخ شكل المرأة المقبولة مجتمعيا والتي يجب ان تكون مطيعة وعاملة دون اجور او نقاش. كل هذا التباين أدى بالنساء ان يكون وجودهن في احصائيات ونسب سوق العمل والسياسة شبه وجود الهامش في اذيل الكتب والمقالات وذلك وفق تقرير اصدرته منظمة العمل الدولية لعام ٢٠١٨.

فلايـزال معـدل مشـاركة النسـاء في القـوى العاملـة في العـالم ويبلـغ ٤٨,٥ في المئـة في عـام ٢٠١٨ أدني بمقـدار ٢٦,٥ نقطـة مئويـة مـن معـدل مشـاركة الرجـال كـما يزيـد معـدل بطالـة النسـاء العالمـي في عـام ٢٠١٨ ويبلـغ ٦ بالمائـة اي بنحـو ٠,٨ نقطـة مئويـة عـن معـدل بطالـة الرجـال. ويعنـي ذلـك ان كل عـشر رجـال يعملـون هنـاك سـت نسـاء فقـط يعملـن.

ان هـذا الفـارق الواضـح بـين عمـل النسـاء والرجـال تـرك في نفـوس النسـاء اثـار نفسـية سـيئة وافـكار مغلوطـة تجـاه قدرتهـن وامكانياتهـن في الانتـاج والشـعور بالأهميـة كأي مواطـن مـن جنـس اخـر.

ورغـم التعهـدات التـي تقطـع لتحسـين مشـاركة المـرأة في العمـل وتحسـين اوضاعهـن الاقتصاديـة فلايـزال سـوق العمـل بعيـدا عـن تحقيـق هـذه المسـاواة مـع الرجـل. ان الجهـود المبذولـة في هـذا الاتجـاه غـير مقبولـة ولا تراعـي الاحتياجـات الخاصـة بالمـرأة والظـروف التـي تواجهـا في المنـزل بالإضافـة الى اعبـاء مسـؤولية الرعايـة.

ويـأتي الاقتصـاد النسـوي الى تقديـم دراسـة نقديـة لعلـم الاقتصـاد والنظـم الاقتصاديـة وارتباطهـا بالعواطـف، اذن يهـدف الاقتصـاد النسـوي الى احتسـاب الجـزء غـير المدفـوع مـن العمـل اي العمـل الرعـائي والاهتـمام بالأطفـال والعجـزة والعمـل المنـزلي. ان المبـادئ الاساسـية التـي يعمـل عليهـا الاقتصـاد النسـوي هـو تحقيـق عدالـة اقتصاديـة واجتماعيـة وبيئيـة ايضـا يهتـم بإظهـار العمـل الرعـائي والاعـتراف بـه حيـث يعتـبره هـو اليـد الخفيـة للاقتصـاد. ايضـا ان المطالبـات النقابيـة لتخفيض سـاعات العمـل تسـام في جعـل مهـام تقسـيم العمـل الرعـائي بـين الرجـال والنسـاء أسـهل.

خامساً: تقسيم الادوار الجندرية وارتباطها بالعنف:

غالبـا مـا ترتبـط صرامـة تقسـيم الأدوار الجندريـة بالعنـف بسـبب عـدم جـود تضامـن بـين الجنسـين اضافـة الى ارتبـاط العنـف الموجـه ضـد النسـاء بقدرتهـن وقوتهـن الاقتصاديـة وبمـدى قيامهـن بالـدور الرعـائي اي الاعـمال المنزليـة التـي ارتبطـت اجتماعيـا بهـن.

ففـي الاسـتبيان الـذي اجريـنـاه، ذكـرت ١٩ مشـاركة بأنهـا تعرضـت للـضرب او العنـف الجسـدي بسـبب عـدم الالتـزام بالـدور الرعـائي والقيـام بأعـمال المنـزل، ينسـحب الامـر كذلـك عـلى الذكـور، فعنـد عـدم التزامهـم بالـدور الإنتاجـي الـذي يعـد أحـد مقاييـس «رجولتهـم»، تطلـب النسـاء في هـذا النظـام الطـلاق والانفصـال، كمـبرر وهـذا كلـه يرجـع الى القولبـة الاجتماعيـة التـي تـم وضعهـا للجنسـين التـي تحتـم عـلى الرجـل القيـام بعمليـة الانفـاق والمـرأة بالـدور الرعـائي او الدوريـن معـا.

سادساً: اثار اقتصادية لتقسيم الأدوار الجندرية:

في ظـل عـدم تكافـؤ الفـرص والمسـاواة بإعطائهـا للجنسـين والانـاث بشـكل خـاص، وفي ظـل تقييـد النسـاء واختـزال ادوارهـن داخـل سـور المنـازل يضعنـا كل ذلـك تحـت عواقـب اقتصاديـة يعـاني منهـا

العـراق منـذ عقـود، وبالتـالي طـال هـذا لتأثـير عـلى الاسرة العراقيـة المتمسـكة في تقييـد النسـاء بـأدوار ووظائـف محـددة. والجانـب الأخـر مـن العواقـب الاقتصاديـة الـذي يقـع عبئـه عـلى النسـاء أكـثر، كـون ان الايـدي العاملـة مدفوعـة الثمـن منهـن قليلـة وغـير مدعومـة مجتمعيـا واقتصاديـا، فهـذا يبقيهـن بحاجـة إلى مـوارد ماديـة وجوانـب اقتصاديـة تكفـي متطلباتهـن وتتنمـي مهاراتهـن وثقتهـن في أنفسـهن تجـاه النتـاج الاقتصـادي للعـراق بشـكل عـام، كـما ان تحويـل طاقـات النسـاء في سـن العمـل مـن النشـاط الى الركـود، وتحويلهـن مـن منتجـات اقتصاديـاً الى مسـتهلكات؛ لـه اثـار سـلبية عاليـة عـلى الاقتصـاد العراقـي، وكذلـك عـلى مختلـف الجوانـب الأمنيـة والاجتماعيـة وغيرهـا، فمثـلاً عـبرت النسـاء المشـاركات في الاسـتبيان عـن مشـاركتهن في الانفـاق عـلى الاسرة، مـا يعنـي رفع المسـتوى المعـاشي وضـمان الامـن الغـذائي ورفـع نسـبة الابـداع والمهـارات والقـدرات لـدى المجتمـع.

وأشـار تقريـر منظـم العمـل الدوليـة في ٢٠٢١ الـذي صـدر بالتعـاون مـع وزارة التخطيـط العراقيـة، ان ١٣ مليـون امـرأة في سـن العمـل هـي خـارج سـوق العمـل، وان ٢٤٪ مـن القـوى العاملـة مـن الذكـور يعملـون لحسـابهم الخـاص، مقابـل ٧,٨٪ مـن الانـاث، وان الانـاث يعملـن بنسـبة أكـبر مـن الذكـور كموظفـات لـدى غيرهـم بواقـع ٧٧,٣٪ مـن العامـلات[٣].

ففـي الاسـتبيان الالكـتروني الـذي أعـده البحـث تبـين ان ٨٨,١ بالمائـة هـن مـن ينفقـن دخلهـن المـالي عـلى الاسرة التـي تسـاهم وبشـكل مهـم في تحسـين مسـتوى الاقتصـاد الوطنـي.

اذن أصبـح واضحـاً لدينـا ان عـدم تعطيـل قـدرات النسـاء ودعمهـن ومشـاركتهن في العمـل لـه اثـار إيجابيـة عـلى الحركـة الاقتصاديـة للمجتمـع كسـوق العقـارات والسـيارات وغيرهـا، بالإضافـة الى العوائـد للمـرأة واطفالهـا.

ورغـم مـا حققتـه النسـاء مـن إنتاجيـة عاليـة بكسرهـا قيـود الأدوار الجندريـة، ومـن تنشـيط للحركـة الاقتصاديـة، الا ان جهودهـا ماتـزال تسـتغل في الأنظمـة الاجتماعيـة التـي تسـتمر في الحفـاظ عـلى المعايـير الجندريـة، اذ يجـري تبريـر سرقـة مـال المـرأة بالعـادات والتقاليـد والانمـاط الاجتماعيـة السـائدة، ويتـم في كثـير مـن الحـالات تسـجيل العقـارات والأصـول التـي تسـاهم في شرائهـا النسـاء بأسـماء الرجـال.[٤]

سابعاً: انتاجية وابداعية عبر تشارك الأدوار

مـما وردنـا مـن اراء عـبر النسـب والاجوبـة في دراسـتنا في الاسـتبيان الالكـتروني، نـرى ان تبـادل الأدوار

---

٣ - Central Statistical Organization (CSO), Kurdistan Region Statistics Office (KRSO) and International Labour Organization (ILO), (٢٠٢٢), "٢٠٢١ Iraqi Labour Force Survey", pp ٢٥-٢٦.

٤ - https://www.albankaldawli.org/ar/news/press-release/٢٠٢٠/٠٦/٢٣/addressing-the-barriers-that-hold-back-womens-economic-activity-in-the-mashreq-countries-would-boost-growth-and-prosperity

وتشاركية كلا الجنسين في الاعمال المنزلية او الوظيفية والفرص، تؤدي إلى انتاجية عالية وتخلق بيئة صحية يتشاركها كل من النساء والرجال والأطفال، وذلك يؤدي إلى أمجتمع أكثر استقراريه سواء على الصعيد الاجتماعي او الاقتصادي، عكس ما يؤديه عدم تكافؤ الفرص الذي تعاني منه نساء المنطقة الجنسيين في المناصب والأدوار كما هو موضح في تقرير منظمة العمل الدولية.

فأن اهمية المشاركة بين أفراد الأسرة يصل تأثيرها على جميع جوانب ومجالات الحياة التي يعيشها الفرد العراقي، وتكون فكرة ضرورية في عقول اطفال الأسرة التشاركية بأهمية هذا الفعل وتغيير القولبة النمطية في عقولهم تجاه الاناث او الذكور بما يخص اعمال المنزل او الوظائف وانواعها، بل يؤدي ذلك إلى نزع جنسانية الادوار من كلا الجنسين وانهاء اختزال ادوار كلا الجنسين في الخضوع والعمالة المجانية للإناث او السلطة والوصاية المطلقة للذكور، فالأدوار الجندرية القائمة على جعل جندر فوق آخر او تصنيف انواع الجندر وأدواره حسب النوع يؤدي إلى مانعاني منه الآن من عدم مساواة وتمكين جنس على حساب الأخر.

تشير النتائج في دراستنا الى ان النساء العاملات باجر خارج المنزل ومتزوجات يتعرضن الى نسب عنف اقل بنسبة ٢٠٪ نسبة الى النساء غير العاملات بأجر خارج المنزل مما يبين الاثر الايجابي للعمل وانعكاساته الايجابية على الادوار التشاركية من خلال نتائج الاستبيان الالكتروني.

ان انخفاض نسبة مشاركة النساء في سوق العمل وتدني مستويات حضور المرأة على المستوى المهني أضعف كثيرا من اداورها الاجتماعية وكان له اثار سلبية على الوضع النفسي للمرأة بشكل كبير [٥]

اما على الصعيد الاقتصادي وبحسب نتائج الاستبيان فالنساء العاملات وبنسبة ٦٠٪ يسكن في منزل منفصل عن الاسرة في حين ان ٣٦٪ منهن يمتلكن عقار او سيارة باسمهن حيث ترتفع نسبتهن بحوالي ٢٠٪ عن النساء اللواتي لا يمتلكن عمل خارج المنزل في حين ان ٩٢٪ منهن ينفقن دخلهن على حاجات الاسرة الاساسية او يساهمن مع الشريك في شراء سيارة او عقار ما.

لكن على صعيد اخر فان المرأة العاملة تعاني من فقر في الزمن لتأدية الاعمال المنزلية حيث ان في مهمات مضاعفة بين العمل خارج المنزل وبين الاعمال والمهمات المنزلية حيث تقوم المرأة ب ٨٦٪ من اعمال العناية المنزلية لوحدها غير مدفوعة الاجر وتنفق ما لا يقل عن ٦ ساعات للعناية بالمنزل والاطفال مقابل اقل من ساعة يقضيها الرجل للقيام بنفس النوع من الاعمال [ ] فحسب الاستبانة الذي اعده البحث فنسبة ٢٠٪ من النساء العاملات خارج المنزل يطلبن من شركائهن مساعدتهن في القيام بالأعمال المنزلية في حين ان ٢٨٪ فقط منهم يبدون المساعدة بشكل متناوب في اعمال المنزل كالتنظيف والطبخ وغيرها[٥] مما يجعل المرأة تعاني من مهمات مضاعفة نتيجة قيامها بمهمة الانفاق على المنزل وايضا القيام بالعمل غير مدفوع الاجر فضلا عن قيامها بالعملين بكفاءة.

قد تعيش المرأة شكلا من اشكال الاذى النفسي نتيجة عدم التزامها في الاعمال المنزلية او

٥ - https://www.ilo.org/global/about-the-ilo/newsroom/news/WCMS_٦١٩٧٥٩/٧_lang--ar/index.htm

محاسبتها على عدم ادائها للأعمال المنزلية فلا تزال الاعمال المنزلية هي عملا مرهوناً بالنساء العاملات وغير العاملات وغالبا ما يتم الحكم عليهن بشكل سلبي نتيجة التهاون في الاعمال المنزلية اذ ان كثير من النساء يشعرن بالحزن والاكتئاب والعار وانها غير راضية والخجل وغالبا ما تذكر المرأة نفسها انها انثى ويجب عليها القيام بكافة اعمالها المنزلية على اكمل وجه بالإضافة الى تذكر والدتها وتفانيها في اداء الواجبات المنزلية فالجميع هنا ضمن قالب الصورة النمطية الذي سيضل هو المحرك للأدوار الجندرية .

الخلاصة

يبقى العمل غير مدفوع الاجر هو جوهر اساسي لعدم المساواة بين الذكور والاناث، حيث بقي هذا العمل
لسنوات غير مرئي وغير مسموع وغير مقدر.
ان أكبر استغلال اقتصادي وجسدي ونفسي تتعرض له النساء والفتيات في المنازل يتم تحت شعار الاعمال المنزلية، ان العمل المنزلي والتقسيم الجندري على هذا الاساس ليس له اساس بايولوجي فالعمل الرعائي تم قولبته على النساء للقيام بخدمات تحت ظروف الاعمال الرعائية الاستغلالية.
ان قيام المرأة بأعمال مضاعفة داخل وخارج المنزل ضاعف من عملية استغلالها ووضعها تحت اوضاع اجتماعية ونفسية سيئة وغالبا ما ترتبط قضايا العنف ضد النساء بعدم التزامهن بأداء اعمالهن المنزلية.
هنا يجب الاعتراف ان العمل المنزلي هو عمل غير مدفوع الاجر وهو ترسيخ للامساواة والتمييز ضد النساء، والانجراف نحو العادات والتقاليد المجتمعية المتحيزة جنسيا.

المرأة والكتابة
الكاتبات العراقيات بين التحديات وكسر حاجز الصمت

بتول فاروق وآمنة حيدر

ورقة بحثية قدمت للتخرج من المدرسة النسوية الرابعة
تحالف أمان النسوي

المقدمة:

تعاني المرأة المثقفة والكاتبة في الماضي والحاضر في شرق الأرض وغربها، من ضغوط عدة، فلدينا تاريخ أدبي نسائي طويل قائم على تغييب صورة المرأة الكاتبة ونكرانها، هذا إذا لم تُسلب منها هذه الصفة، أو يُضيق الخناق عليها كي لا تكتب، إن كان بقصدٍ أو بغيره.[١]

إذ تعاني الكاتبات في عموم العالم، وفي الوطن العربي، وفي العراق - كما سنتحدث عنه في هذه الورقة البحثية، من عدم استطاعتهن الحصول على الوقت الكافي للقراءة، المطالعة وحضور الفعاليات الثقافية ومن ثم الكتابة بحرية والنشر بالاسم الصريح. – فهناك الكثير من المعوقات التي تواجه المرأة في عملية النشر والتوزيع والتسويق والنقد الأدبي والحضور الإعلامي [٢] ، أهمها أن عملها في البيت يستغرق اغلب وقتها، وعليها ان تلبي حاجات الأسرة أولا، وهذا سياق عام تعاني منه المرأة العراقية والعربية وحتى الغربية، التي مازالت تقوم بأغلب الأدوار الرعائية [٣]، كما انها لا تملك المكان والزمان الخاص بها، كما تحدثت عن ذلك الكاتبة البريطانية «فرجينيا

١- ظ: إكرام عبدي ، أصوات المرأة الكاتبة ، مقالة ، موقع ثقافات، ١/ مايو / ٢٠١٦، https://thaqafat.com/2016/05/31086

٢- -زيزي شوشة : « عندما كلمت الله أنكر صوتي « .. سنية صالح ضحية الذكور في الحياة والموت ، مقالة ، موقع رصيف ، ٤١/ ابريل / ٢٠٢١https://raseef22.net/article/.

٣- سماح عادل :، مقالة ، موقع كتابات ، https://kitabat.com/cultural/النساء-والكتابة-٢-١٢-الرجل-لم-يعد-وحده-سي/

وولـف» حـين قالـت ان النسـاء بحاجـة لغرفـة خاصـة، مـع الوقـت والمـال الكافيـان لتتفـرغ للإبـداع والإنتـاج الفكـري.[٤]

ستكشـف الورقـة البحثيـة جملـةً مـن تلـك التحديـات وكيفيـة مواجهتهـا مـن خـلال اسـتطلاع اراء بعـض الكاتبـات العراقيـات حـول تجاربهـن في عـالم الكتابـة والإنتـاج الإبداعـي، والعقبـات التـي واجهنهـا، وكيـف تغلـبن عليهـا وكـسرن حاجـز الصمـت، واسـتطعن النـشر، وماهـي تجاربهـن في عمليـة النـشر ومعوقاتـه.

اتجهنـا لخمـس كاتبـات عراقيـات مـن مختلـف المـدن العراقيـة النجـف وبابـل وذي قـار وميسـان، ينتمـين الى اعـمار متفاوتـة مـا بـين الثلاثـين والأربعـين والخمسـين، وخلفيـات ثقافيـة مختلفـة فمنهـن المهندسـة ومنهـن الأسـتاذة ومنهـن ربـة بيـت، لمعرفـة تلـك المعوقـات وفيـما إذا كانـت قـد اثـرت في نتاجاتهـن الإبداعيـة، وماهـي رؤيتهـن للاسـتمرار ومقاومـة المصاعـب والضغوطـات؟

طـرح البحـث أسـئلة متعـددة في محـاور ثلاثـة: محـور تحديـات الكتابـة، وكانـت الأسـئلة: ماهـي تحديـات الكتابـة والإنجـاز الفكـري وكيفيـة إيجـاد الوقـت والمـكان الهـادئ للكتابـة؟

هـل واجهـت الكاتبـات صعوبـة في البـوح بمكنونـات افكارهـن، أم حاولـن إخفـاء مشـاعرهن وآراءهـن الشـخصية خشـية الوصـم المجتمعـي الـذي يمنـع عـلى المـرأة البـوح بالمشـاعر او الكتابـة عنهـا؟

- هـل رأت الكتابـات النـور، ام ظلـت مخفيـة هنـا وهنـاك ولا يوجـد للكاتبـة مـن تثـق بـه لتطلعـه عليهـا ليبـدي رأيـه قبـل دفعهـا للنـشر؟

امـا في المحـور الثـاني المتعلـق بآليـات المواجهـة، فـكان السـؤال الأهـم: كيـف تغلبـت الكاتبـات في مسـالة تحـدي المعوقـات، وكيـف كـسرن حاجـز الصمـت؟

- امـا في المحـور الثالـث: الكاتبـة العراقيـة والنـشر: ماهـي تجاربهـن مـع النـشر وتحدياتـه، ماهـي التحديـات التـي واجهنهـا عنـد نـشر المنتـج الكتـابي وكيـف تعاملـت دور النـشر معهـن، وماذا بعـد النـشر، كيـف تعامـل النقـاد مـع كتاباتهـن؟

اسـتخدمت الورقـة طريقـة المقابلـة المبـاشرة مـع الكاتبـات، وأيضـا طريقـة اللقـاء الإلكـتروني عـبر وسـائل التواصـل الاجتماعـي لاسـتطلاع الآراء.

كـما اعتمـدت عـلى جانـب نظـري، بـين حالـة المـرأة وهـي تعيـش في عـالم أبـوي يفـرض عليهـا اجنـدة قاهـرة يضعهـا في خانـة التابـع، والفـرد الـذي لا يتمتـع بالاسـتقلالية، ولا بالحريـة كحـق أولي مـن حقـوق الإنسـان.

الكاتبتان للمقال هما امرأتان تنتميان للوسط النسوي الأدبي، من الوسط والجنوب العراقي الـذي يؤطـر المـرأة بقيـود جمـة، تدركهـا الكاتبتـان، تـم وضعهـن في خانـة النسـاء اللـواتي لابـد ان يظهـرن بنمـط واحـد، متعـارف عليـه مجتمعيـا لا يجـب ان يتخطينـه.

تظهـر الأسـماء هنـا مسـتعارة للحفـاظ عـلى أمـن الكاتبـات المسـتطلع أراءهـن. وهـذا بحـد ذاتـه

٤- رواية " غرفة تخص المرء وحده "

تحـدٍ يكشـف عـن العائـق الـذي يقـف تجـاه حـق التعبـير عـن الـرأي بحريـة كافيـة، ويعـود الى القيـود الاجتماعيـة التـي تسـلط عـلى المـرأة بصـورة خاصـة.

الإطار النظري:

تعيـش المـرأة العراقيـة في واقـع أبـوي صـارم، يكـون الذكـر هـو المسـيطر الأول عـلى الأسرة، وتكـون النسـاء في العـادة تابعـا مجـردا لـه، وغالبـا مـا ترسـم القوانـين لتبقـي هـذا النظـام سـائدا، **بحجـة** العـادات والتقاليـد المجتمعيـة الراسـخة والأصيلـة، وتقـع الكاتبـة تحـت هـذه النظـرة وأن بـدت تظهِـر لمحيطهـا انهـا صاحبـة قلـم إبداعـي، يحتـاج الى النظـر اليـه بجديـة، وإعطـاء صاحبتـه الخصوصيـة للتفـرغ وحريـة الحركـة، وعـدم القيـام بالأعـمال النمطيـة التـي انيطـت بالمـرأة. فـلا توجـد مؤسسـات داعمـة لعمـل المـرأة الإبداعـي، فالمجتمـع ينظـر الى جميـع النسـاء بمختلـف مواهبهـن وأعمالهـن عـلى انهـن نسـخة واحـدة يجـب ان يؤديـن دورا نمطيـا واحـدا في الحيـاة؛ اسـتمرارية النسـل والعنايـة بـه والعنايـة بالـزوج، **أي إعـادة** انتـاج القـوى العاملـة مجانـا عـبر العمـل الرعـائي والمنـزلي.

إلا أن الواقـع يكشـف لنـا أيضـاً غـن تناقضـات مهمـة لـو تمعنـا فيهـا لوجدنـا أنهـا نتـاج للمنظومـة الأبويـة وليسـت نقيضـاً لهـا. وتـشرح لنـا النظريـة التقاطعيـة هـذه التناقضـات وتبـين لنـا مـدى تأثـير منظومـة القهر

-كاظـم حبيـب ، الحـوار المتمدنhttps://:aid/asp.s/org.ahewar.m=r&٨٤١١٩=٠واقـع المـرأة العراقيـة وضرورات التغيـير ، ٣/٣١ ، ٢٠٠٧ ،

منـال حميـد غانـم ، عراقيـا : مامعنـى عمـل رعـائي غـير مدفـوع الأجـر ، مقـال في الحـوار المتمـدن ، ٧٢/ ٧ / ٢ https://:aid/asp.s/org.ahewar.m=r&٦٠٢٠٠٨=m.ahewar.org/s.asp?aid//:https **،٣٢٠٠**

كذلـك : سـماح عـادل ، الدعـم المبالـغ بـه مـن بعـض الرجـال ، مقالـة في كتابـات ، ٦٢/ سـبتمبر / ١٢٠٢، https://:kitabat.com/cultural/**النسـاء-والكتابة-١٢-الدعم-المبالغ-فيـه-م**/?fbclid=IwAR٠MYrVYLFVrND-٦٧iFIkZha٦٠oFziVQYTaq-hNvP YiBeg٢٥IBV٤٢hevjtA

والاضطهاد على تجارب النساء فالأخيرة ليست واحدة بل تختلف وتتنوع بحسب اختلاف عوامل متعددة تتعلق بالطبقة الاقتصادية والمكانة الاجتماعية، الجنسية، القومية، والمستوى التعليمي، وغيرها الكثير، تتداخل جميعها لتشكل تلك التجارب. وعلى هذا الأساس، يمكن القول إن الكاتبات العراقيات لسن على وتيرة واحدة من انعدام الحرية للكتابة والنشر، فهناك من تخطت هذا الحاجز الى حد ما، واستطعن النشر بحرية نسبية، لذا نجدهن يملكن بعض الصفحات المروجة على مواقع التواصل الاجتماعي، وحققن بعض الشهرة المقبولة.

فهناك نساء يمتلكن معايير اجتماعية مقبولة- جميلات وغنيات مثلا -ومن عوائل داعمة، استطعن الظهور وكسر الصورة النمطية للمرأة المهمشة، لكن أمثال هذه النساء يبدون بأعداد قليلة وأيضا لم يسلمن من التعرض للمضايقات والتنمر المستمر. أعلنت الكاتبة العراقية سمرقند الجابري، وهي من الأديبات اللامعات في الوسط الثقافي الأدبي العراقي، كشاعرة وقاصة، اثبتت حضورا طيبا في هذا الوسط، الى انها ستلجأ الى القضاء للوقوف بوجه المحاولات التي تشوه سمعتها وتنال منها. [5]

كما لابد من الإشارة أيضا الى ان بعض الكاتبات المبتدئات حصلن على دعم مزيف جعلهن يظهرن في مواقع متقدمة من الاعلام والنقد الأدبي ، تم الترويج لهن ، ليس لخصوصية رقي في الكتابة بل لكونهن نساء ، إذ يحاول الوسط الأدبي «الذكوري» اظهارهن لما يتمتعن به من «انفتاح» مزعوم يفضله الرجال في هذا الوسط ، أي يتم تسويقهن كمواضيع للعرض عبر تلميع كتاباتهن ، دون ان تدرك بعضهن انهن يستدرجن الى هذا العالم الصاخب بالإعلام والاطراء وتضخيم نتاجاتهن البدائية ، انما هو فخ يراد منه ايقاعهن في أجواء مزيفة يدمر إبداعهن ،عبر النفاق الذي يمارسه بعض النقاد [٦].

كما ينبغي التأكيد على ان هناك نظرة لكاتبات وكتاب المحافظات على انهم اقل حظا وشأنا من كتّاب بغداد العاصمة، هذا ما نلاحظه في طريقة تعاطي الدولة مع ادب وابداع المحافظات ، من حيث توفير البنى التحتية مثل البيوت الثقافية واتحادات الادباء ، فاذا كانت الكاتبة امرأة جنوبية ولا تتمتع بمواصفات خاصة تتعرض للتنمر مما يجعلها تنكفأ عن الوسط الادبي أحيانا ، فالتقاطعية هنا ترسم واقعا ليس واحدا لجميع العراقيات الكاتبات ، لذا ينبغي مراعاة ذلك عند تناول قضية المرأة الكاتبة في العراق ، والتقاطعية نظرية « طرحتها الباحثة القانونية النسويّة كيمبرلي كرينشو لتحليل تجارب النساء الملونات، وتقاطع التفرقة العرقية والجنسية التي تواجهها النساء الملونات على مستوى النظام القانوني والقضائي والحق في الخدمات العامة والقدرة على النفاذ إليها. تطوّرت النظرية بعد ذلك لتشمل جميع تقاطعات أشكال وأنظمةالقهر والهيمنة على النساء.» [٧]

٥- ظ: صفحة الكاتبة سمرقند الجابري على الفيس بوك ، https://www.facebook.com/smrqnd. QTL٣mibextid=nW?١aljabry
يوم ٣٢٠٢ / ٧/٧

٦

٧- ظ : التقاطعية ، ويكي الجندر، https://genderiyya.xyz/wiki/%D٨%٩AA%D%٢٨ ٩A%٨A%D٨%٩D%٩B%٨D%٧B%٨D%٧A%٨D%

المحور الأول: تحديات الكتابة والإنتاج الفكري:

تحديات الابداع للكاتبة لا تقف عند جودة الابداع وكيفية صقله وتحسين مهارة الكتابة باستمرار، بل العراقيل تختص بجنسها أي بكونها انثى كاتبة، وما تعنيه الكتابة من قدرة على التعبير عما يدور بذهنها ووعيها وبما ترغب وتريد، وهذا من المساوئ عند المجتمعات التي ترى المرأة عورة حتى في تجلياتها الذهنية والفكرية.

ومن علامات تلك الثقافة، التهميش الذي تعرضت له كتابات المرأة العربية والمتجذر منذ فجر التاريخ ونكران أنها من وضع حجر الأساس للرواية العربية. إذ تم تجاهل أول رواية عربية، لزينب فواز (هي كاتبة وأديبة وشاعرة ولدت بلبنان وانتقلت لمصر) ٨، والتي كانت رواية مكتوبة بلغة فصحى، واعتبار رواية زينب التي كتبها محمد حسين هيكل (كاتب مصري) بلهجة عامية، كبداية للتاريخ الروائي العربي. وظل سائدًا لعقود طويلة أن رواية محمد حسين هيكل هي الرواية العربية الأولى، واعتبر هيكل بذلك مؤسس الرواية العربية في الكثير من الدراسات النقدية والأدبية. لكن أصحاب هذا الرأي قد يفاجَؤون بوجود نساء سبقن حسين هيكل بسنوات لدرجة أن هناك من يعدّ المرأة «أول من فجر نبع الرواية عربيا بنصوص مثل (حسن العواقب) لزينب فواز التي صدرت سنة ٨٩٨١ وبعدها بست سنوات كانت رواية (قلب رجل) للكاتبة لبيبة هاشم الصادرة سنة ٤٠٩١ وإن كانت (قلب رجل) أهم ما اشتهر للبيبة هاشم فقد صدر لها روايتان أخريتان هما "حسناء الجسد" سنة ٨٩٨١ و"شيرين" سنة ٧٠٩١. وهي أعمال سبقت رواية محمد حسين هيكل (زينب) التي لم تر النور الا سنة ٤١٩١.» [٨]

والتحديات للإبداع الفكري أنواع، ممكن تقسيمها كالآتي:

أولا: تحديات إنتاج النص الإبداعي أو الفكري: تتعدد التحديات أمام المرأة وتتنوع، وتتخذ اشكالا مختلفة، يمكن ذكر بعضها كالتالي:

أ- تحديات الفسحة المكانية والزمانية:

يعاني المجتمع العراقي بصورة عامة من نقص في أعداد المنازل، فتكاد تكتظ البيوت بأسر متعددة تعيش في بيوت صغيرة، وغرف أصغر، يتقاسمون المرافق الملحقة بالبيت من مطبخ ومرافق صحية. فلا يكاد الفرد يجد غرفة مستقلة له الى وقت قريب.[٩] وهذا بفعل السياسات

٨- ظ: الداديسي ، الكبير ، هل كانت -زينب – فعلا اول رواية عربية ، مقالة في الحوار المتمدن ، نشرت ١٣/ ٥ / ٢٠٢٠ .

٩- سميرة علي مندي ، ازدياد السكان في العراق ،وتحذير من تفاقم ازمة السكن ، إذاعة العراق الحر ، ٢١تموز ، ٢ https://www.iraqhurr.org/a-٤٤٨٧٩٠٢.html

والحروب المتعاقبة التي مر بها العراق. لذا تجد البنت او المرأة منذ نعومة اظفارها في بيت صاخب، بلا مكان مستقل للفتيات ، ويكاد يكون الأمر ترفيا جدا ، ان يكون لكل بنت أو ولد غرفة خاصة به . من هنا لاتجد الفتاة ولا الزوجة أو الأم، في الغالب غرفة تستطيع ان تغلقها على نفسها للتفرغ للكتابة ، علاوة على ان وقتها ليس ملكها ، عليها ان تشغله بخدمة ذكورالعائلة وترتيب البيت ليبقى نظيفا للأسرة ولضيوفهم.

ان تحديات المكان المستقل والوقت الخاص بها لتخصصه لنفسها وهواياتها يعتبران من الأمور البعيدة الحصول في مجتمع يرى المرأة كائنا مخلوقا لخدمة الجنس الآخر ، وتابعا له، ومسؤولا بشكل تفصيلي لتوفير الراحة للآخرين .

ان هذا التحدي يقف العائق الأكبر أمام الفتيات والنساء في عدم تطوير مهاراتهن الكتابية وصقلها والتي تتطلب جهدا كبيرا ووقتا أكبر في القراءة والمطالعة[١٠] ، ومن ثم الكتابة على مراحل لتصل الى كتابة إبداعية ناضجة.[١١]

تقول الشاعرة (هناء الكاتب) : انها مُقيدة بذرائع مختلفة وقوائم طويلة من الواجبات المنزلية وحتى إن استدعى عملها الإبداعي الخروج كثيراً فلا تخرج خروجًا غير مقنن ومدروس ومخطط له، كما يحلو لها . لديها أوقات تسرقها من حين لآخر، لتستغلها في القراءة، - التي هم المقوم الأول للكتابة -ولديها وقت اقل لمتابعة الحركة الثقافية في المدينة.

وبهذا الصدد تقول الكاتبة المصرية رضوى عاشور:» نحن الكاتبات نركض، نركض باستمرار تحت ضغط لا نهائي ونحارب في كثير من الزوايا، فنحن الأمهات، ونحن الزوجات، كأن الكاتبة في حاجة دائمًا إلى أن تسرق وقتا.[١٢]

وفي هذا دلالة على أن الضغط الذي يُمارس ضد المرأة الكاتبة لا يُعنى بالدولة ولا الظرف الاجتماعي فحسب، بل هو في غالب الأمر مُتعلق بثقافة مجتمعية مُحيطة من سلسلة طويلة من التوقعات المفروضة على المرأة سواء أكانت ربة بيت فقط او كاتبة او حتى وزيرة.

ب- قيود عائلية ومجتمعية :

يقع على الكاتبة العراقية والعربية عموما عبأ أن تراعي سمعة العائلة، فلا تخرج عما هو سائد اجتماعيًا، ولا تكتب ما هو خارج عن المألوف فيما يتعلق بتجربتها الكتابية، فلا تستطيع البوح بما يذهب إليه قلمها وابداعها، بل عليها التقيد بالآداب والأخلاق العامة كامرأة، وان

١٠- سماح عادل ، تتعرض النساء لتحديات خاصة ، موقع كتابات ، ٩١/ ٩/ / ١٢٠٢

١١ - سماح عادل ، تتعرض الكاتبة لتحديات خاصة ، موقع كتابات ، ٩١/ ٩/ ١٢٠٢، تذكر بها تجربة الكاتبة العراقية د هناء احمد، https://kitabat.com/cultural .

١٢- ٢١- الكتابة للنساء ، مقالة https://www.aljazeera.net/amp/blogs/٢٠١٨/١/

تكتب ضمن الحدود الدنيا من الحرية في البوح بمكنونات ذاتها. [١٣]
تقول الشاعرة هناء الكاتب، انها لا تستطيع البوح كثيرا في الكتابة وهي تضع ضوابط وخطوطا حمراء امام كتاباتها، لأنها لو فعلت العكس فإنها سوف تمنع من الظهور للعلن باسمها الحقيقي. وهي غالبا ما تكتب باسم مستعار أو تضطر للتخفي خلف أسماء وهمية لغرض نشر بعض نصوصها هنا وهناك في المواقع الثقافية الالكترونية، مع ان ما تكتبه لا يخالف الأعراف الاجتماعية في حدودها المقبولة.
وهذا ما قالته الكاتبة (الهام) من انها قررت إخفاء اسمها أحيانا لتمرير كتاباتها وقبول ما تكتبه مجتمعيا.
فكل حرف تكتبه الأنثى يصار الى تأويله الى مديات أخرى، قد تدين الكاتبة، لذا اتجهن الى الاستعانة بأساليب أخرى منها قضائية، او التغيير في الأسلوب والذهاب الى الأسلوب المواربة، والإحالة على كتابات أخرى، لتنجو من الاتهام المباشر.[١٤]
تكتب القاصة والشاعرة العراقية سمرقند الجابري عن ذلك في صفحتها على الفيس بوك، وتقول انها في البداية حين كانت تتعرض لحملات تشويه، لم تكن تفعل شيئا بل تتجاهل الأمر، الى ان وصلت الآن الى جمع الوثائق والادلة والشهود لغرض اقامة الدعوى القضائية.
فيبدو ان الحملات لم تنته، وإنها في صراع مع المجتمع الذكوري الذي يرى في كتاباتها امرأ غير مقبول فيعمد الى تشويه سمعتها بطرق غير انسانية.

ثانيا: تحديات النشر باسمها الصريح:

ما يَحدث بعد أن تتمكن الكاتبة من إقناع هذا وذاك من أهلها بحقها في أن تُخْرِج بكتاباتها للعلن عبر النشر باسمها الصريح، لتدخل إلى سوق دور النشر، حيث يكون كل ما كتبته مشبوهًا وأقل مما يَستحق أن يُنشر، حتى وإن كان يتفوق على ما كتبه أقرانها من الجنس الآخر. ولأن دور النشر في آخر الأمر تنشر كل ما يُقدم إليها، تتعرض للمحاربة بعد ذلك من خلال تسويق الكتاب ووصوله إلى المتلقي، وهذا كله نتيجة العقلية الأبوية التي تعطي صفات الذكاء والإبداع والعقلانية للرجل دون المرأة، فالأبوية كما هي معروفة هي منظومة تسلط الذكر (الأب) على الأسرة، واتخاذه القرارات والسياسات بمفرده. حيث تكون المرأة كائنا هامشيا تابعا له، لا دور لها غير ان تلبي ما يطلبه الذكر منها، ويكون النسب للأب حصرا.[١٥]

١٣- ظ:: **تتعرض الكاتبة لتحديات خاصة حين تكون في بيئة مغلقة لا تؤمن بما تصدره المرأة من إبداع** سماح عادل ، ٩١/ ٩ / ١٢٠٢، https://kitabat.com/cultural

١٤- سماح عادل : المبدعة العربية تواجه التحرش والسخرية والتفتيش في كتاباتها ، ظ: https://www.afrigatenews.net/article

١٥- ظ:: بريجرز ، ايفانز ، علم الانثربولوجيا الاجتماعي ، حيث يتناول هذا الموضوع . ١

المحور الثاني: مرحلة الكتابة وأساليب المواجهة.

استطلاع رأي الكاتبات العراقيات:

ولغـرض الإلمـام بالموضـوع بصـورة واضحـة بعـض الـشيء توجهنـا إلى مقابلـة بعـض الكاتبـات العراقيـات اللـواتي سَـبق ونـشرن كتاباتهـن بكتـاب مطبـوع، وكانـت عينـة البحـث تتألـف مـن كاتبـات عراقيـات ، طرحنـا تسـاؤلاتنا وتحدثنـا عـن تجاربهـن الشـخصية، وهـي مُحاولـة لتقديـم مـا نريـد طرحـه بصـورة واضحـة مسـنودة بالأدلـة الواقعيـة مـن عالمهـن :

كانـت الأسـئلة : كيـف تحـدى قلـم المـرأة العراقيـة- التـي تخضـع لعـادات وتقاليـد أبويـة ومكبـلًا بقيـود صارمـة تمنعهـا مـن التحليـق في عـالم الكتابـة والبـوح -؟ واذا مـا نجـح هـذا القلـم في تخطـي الكثـير مـن الحواجـز فهـل اسـتطاعت صاحبتـه النـشر بحريـة، هـل سـاعدتها دور النـشر وأخـذت بيدهـا؟ ثـم هـل كان النقـاد حريصـين عـلى تقديـم الكاتبـة بشـكل موضوعـي بعيـدًا عـن كونهـا امـرأة؟ ومـاذا عملـت النسـاء الكاتبـات للخـروج مـن أسر هـذه القيـود، وكـسرن حاجـز الصمـت ؟ .

في هـذا المحـور، تنتقـل المقالـة الى مناقشـة الاسـتراتيجيات التـي تتخذهـا الكاتبـات العراقيـات محـل الدراسـة لمواجهـة تلـك التحديـات.

مرحلة الكتابة وأساليب المواجهة

لمعرفـة واقـع الكاتبـات العراقيـات اللـواتي عانـين مـن ضغـط مجتمعـي وأسري ممانـع لكتابـة المـرأة ، سـألنا بعضـا منهـن:

محطتنـا الأولى عنـد (إلهـام)كاتبـة تقـترب مـن الخمسـين مـن عمرهـا خريجـة آداب إنكليـزي ، وتعيـش في مدينـة « محافظـة « ، اضطـرت لـترك العمـل بعـد ان توظفـت لعـام واحـد لتتـماشى مـع ظروفهـا الحياتيـة في الأسرة التـي تطلـب منهـا ان تكـون ربـة بيـت قبـل كل شيء ، كانـت تقتطـع جـزءً مـن وقتهـا للكتابـة والقـراءة ، و منـذ شـبابها المبكـر كانـت تكتـب قصصـا قصـيرة ومقطوعـات مـن الشـعر ، لا تعطيهـا الا لبعـض صديقاتهـا وبعـض زملائهـا الذيـن يحبـون القـراءة ، كانـت مـترددة في الاعـلان عـن نفسـها ككاتبـة ، ولا تسـعى للظهـور الاعلامـي ، طبعـت مجموعتهـا الأولى منـذ سـنوات خمـس بعـد تأخـر لسـنوات طويلـة مـن الـتردد، لكنهـا سرعـان مـا اخفتهـا ولم تقـم بتوزيعهـا ، بعـد ان تـم مهاجمتهـا مـن قبـل مجتمـع الفيـس بـوك ، ومـن قبـل اشـخاص مـن محيطهـا ، وليسـوا شـخصيات افتراضيـة غـير معروفـة..

رأوا في كتاباتهـا بوحـا لا ينبغـي ان يعـرف. قالـت لنـا: «انهـم يفترضـون ان كل مـا اكتبـه مـن تجـارب

انسانية أنما هو نتاج تجربتي الشخصية الذاتية، بمعنى انني اذا كتبت نصا فيه توقا للحرية والانعتاق من ضغوط اجتماعية ، والهروب الى عالم اكثر رحابة ، كان المجتمع المحيط بي يقرأ النص على انه اعلان عن سيرة ذاتية متحررة ، او الدعوة لإقامة علاقات مفتوحة مع الرجال، وأن التجارب المتخيلة انما هي تجارب حقيقية قمت بها على أرض الواقع ، او هي دعوة لممارسة هذه الأمور في الواقع، او اريد ممارستها في المستقبل « .
ولم تكن إلهام تكتب أمورا خارج الآداب العامة، بل ان اغلب كتاباتها متحفظة - كما تقول - ولك اقل بوح من امرأة في مجتمع» محافظ « يعد خروجا غير محبب يضر سمعة الأسرة، هكذا يقولون لها في العادة.
إلهام ظلت تكتب لكنها لم تنتمِ لأية اتحادات أدبية ولا تعرّف عن نفسها بأنها كاتبة. نجحت في استمرارية الكتابة وأخفقت في النشر، تخفي اسمها أحيانا وتظهر أحيانا باسمها الصريح بصورة متباعدة في لعبة (الظهور والاختباء) لكيلا ترصدها عيون ناقدة.

المحطة الثانية عند الكاتبة (فاطمة)، وهي مهندسة شابة لم تتجاوز الثلاثين من عمرها ، وتسكن مدينة بابل ، صدرت لها مجموعة شعرية ،قالت عند سؤالها عن تحديات الكتابة والنشر ، انها بالرغم من عدم تفرغها للكتابة وتهتم بالأعمال الرعائية المنوطة بها كاملا ،الا انها تحاول ان تقرأ كثيرا خارج اختصاصها العلمي، وتكتب شعرا، وحين تراكمت لديها كتاباتها جمعتها في كتاب ونشرتها، لتستطلع رأي الآخرين فيها وتعرف مكانتها في عالم الإبداع ، فكانت ردة الفعل التي لم تتوقعها من بعض افراد أسرتها، أن زوج اختها الذي يعيش في احدى الدول الأوربية ، حين علم بصدور مجموعتها الشعرية ، قال لزوجته (اخت الكاتبة) انه لو كان بالعراق لذبح اخته لو قامت بإصدار مجموعة شعرية. كانت صدمتها كبيرة حين اخبرتها اختها بهذا الأمر، لكنها لم تتوقف عن الكتابة ، ولو أنها صارت اكثر حذرا واكثر توجسا في تصدٍ شبه معلن لهذا الموقف المتطرف من قبل زوج اختها . كانت هذه الصدمة محفزة لها لتجاوز هذه الآراء المتطرفة والبقاء في ساحة الإبداع ولو من بعيد.
اما (هدى) وهي قاصة واستاذة جامعية وأم لثلاثة اطفال، اصدرت مجموعتين قصصيتين، فقد تحدثت عن انها ليست حرة تماما في كتابة ما تود قوله، وانها تخشى المجتمع وحتى الوسط الجامعي، ولا تكتب ما تود كتابته، وانها تضع باعتبارها الهجوم الذي سيطالها لو كتبت بشكل حر. تقول انها تحاول ان تعقد توازنا بين الكتابة المقيدة و المجتمع القامع وبين الأبداع. وهي لم تتوقف عن الكتابة وإنها مستمرة في ذلك. مستعينة بقدرتها الاكاديمية على الاقناع لمن يحيطون بها، كما انها حاولت التوفيق بين عملها الوظيفي وأمومتها وعملها الإبداعي عبر تنظيم وقتها بصرامة عالية .

اما الكاتبة (سناء)، وهي تكتب القصة والشعر والمقالات السياسية، ولها مؤلفات عدة، فقد منعها زوجها من النشر في المواقع الاجتماعية، او الترويج لكتاباتها أو حتى النشر باسمها الصريح، لأنه يخشى المجتمع ، يقول لها : المجتمع لا يرحم ، وان أولاده لابد ان يعيشوا بجو

حسـن السـمعة بعيـدا عـن شـوشرة الإعـلام وتنمـر النـاس .
ومـع كل ذلـك لم تتوقـف عـن الكتابـة وصـارت تخفـي اسـمها، لحـين اتاحـة الفرصـة لهـا بالنـشر باسـمها الحقيقـي ولتظهـر بصورتهـا الحقيقيـة وهـي تكتـب الآن باسـم مسـتعار في المواقـع الثقافيـة الالكترونيـة.

لقـد ناضلـت هـؤلاء الكاتبـات ومـا زلـن يناضلـن مـن اجـل اسـتمرارية ابداعاتهـن لكنهـن لم ينجحن في جعـل المجتمـع يعـترف بتجاربهـن المهمـة للتعبـير عـن اراءهـن بعـد ان نجحهـن في اصطيـاد الوقـت الثمـين بعيـدا عـن التزاماتهـن الأسريـة القسرية.

الكاتبـة (الهـام) امتنعـت عـن الكتابـة لفـترة ليسـت بالقصـيرة لكنهـا اسـتعادت حماسـها للكتابـة ، وهـي بصـدد اصـدار كتابهـا الثـاني . كذلـك فاطمـة وهـدى وسـناء ، فكلهـن مسـتمرات بالكتابـة ، بالرغـم مـن المصاعـب الجمـة التـي تقـف حجـر عـثرة بطريقهـن، فلديهـن ارادة بطولية للاسـتمرارية بوتـيرة متصاعـدة، وان كـن يتلقـين بـين الحـين والآخـر تعليقـات سـاخرة وفجـة مـن القـراء والمحيـط الخـاص بأسرهـن ، حـول نوعهـن والجـرأة في الطـرح الـذي مـن المفـترض ان لا يكـون موجـودا عندهـن وأن كـنّ كاتبـات بمسـتوى إبداعـي يفـرض عليهـن تنـاول مختلـف الموضوعـات .

ولم تكـن مقاومـة الكاتبـات المسـتطلع اراءهـن واحـدة تجـاه التحديـات التـي تعانيهـا فبعضهـن استسـلمن لظروفهـن وعزفـن عـن المواصلـة في فـترة مـا ، وبعضهـن واصلـن الكتابـة غـير المنتظمـة وبعضهـن صرن يملـن لكتابـة المقـالات العامـة التـي تـرضي المجتمـع ولا تثـير حساسـيته . فالهـام قالـت انهـا تكتـب بشـكل متقطـع وفاطمـة تحولـت الى الكتابـات العامـة حـين تريـد النـشر، وتخفـي النصـوص الخاصـة، التـي تتحـدث عـن أفـق الـذات ورؤيتهـا للعـالم ، وهـدى تناضـل لتسـتمر بالكتابـة في كل حـين ، وان لم تشـعر انهـا كتبـت مـا كانـت تـود كتابتـه لليـوم ، لا مـن حيـث النـوع أو مـن حيـث الكـم . وكانـت عمليـة النـشر هـي المعرقـل الاخـر لظهـور نتاجهـا للعلـن.

إذ لا تتوقـف هـذهِ التحديـات عـما يـدور في العائلـة، والعمـل، عندمـا تعـترف الكاتبـة لنفسـها بانهـا تكتـب، فهنـاك عقبـة أكـبر سـيكُن في مواجهتِهـا وهـي عقبـة النـشر.

المحور الثالث : النشر وعقباته .

عقبات نفسية واجتماعية.

في التجمعـات النسـائية التـي أحضرهـا[١٦] لكاتبـات ومؤلفـات عراقيـات، كُنـا نلتقـي دائمًـا بشـعورٍ يجمعنـا، وهـو التشـكيك الـذاتي بمـا نكتـب، ومـن وحـي التجربـة الشـخصية، أسـتطيع أن أقـول أنّ كل صاحبـة قلـم تسـاءلت خمـس مـراتٍ عـلى الأقـل خـلال حياتهـا وهـي تكتـب (ولـن أقـول حياتهـا الأدبيـة لأننـا ننشـأ ونحـن نشـكك بـكل مـا نسـتطيع تقديمـه فنخـاف أن نقـول عـن أنفسـنا كاتبـات) هـل بإمـكان نصـوصي رؤيـة النـور يومًـا مـا؟ ويكـون التفكـير هُنـا مُتعلقًـا بالمقـدرة عـلى الإقـدام عـلى هكـذا خطـوة بِمباركـة الأهـل ومسـاعدتهم، لأننـا وعـلى الأغلـب لا نملـك صـورة كافيـة عـما ينتظـر

١٦- الكاتبة هنا هي آمنة حيدر حيث تتحدث عن تجربتها مع الكاتبات .

الكاتبة عندما تخرج من نطاق العائلة وتتوجه إلى سوق النشر. فالتحدي الأول الذي يواجه الكاتبة بعد الكتابة هو إفتقارها للثقة الكافية بالنفس وهذا امر نابع من التشكيك المستمر بقدراتها، كما ستناقش ورقتنا البحثية في أدناه.

التشكيك وتقويض الثقة بالذات

تذكر لنا الكاتبة (تضامن أحمد) : كنت أكتب قبل أن أقرأ في أيٍّ من المجالات، وعندما بدأت بالقراءة وبصورة تلقائية توقفت عن الكتابة وكان السبب (هل من الممكن أن أكتب كهؤلاء) تركت الكتابة لسنوات وفي نفس الوقت كنت أقرأ بنهم أقرأ وأقرأ، التحديات التي واجهتني هي أولاً الثقة، هل أنا جيدة لأصبح كاتبة ؟ هل ما أكتبه يستحق أن يقرأ؟ الخوف من ردة الفعل! من النقد! الخوف من العائلة التي من الغريب عليها أمرٌ كهذا! هل لروايتي رسالة؟ ما الغاية التي ابتغيها من خلال كلامي؟ ومن أنا كي أكتب وأنشر ؟

«فكم من النساء ألفت قصصًا لأبنائها.. أو كم روت من القصص إلى صاحباتها في جلسات السمر، نحن النساء ساردات بطبعنا شئنا أم أبينا.. ولكن. كم واحدة منا تجرأت ووثقت قصصها وحكاياتها وألبستها ثوب شهرزاد جدتنا كما يحلو للبعض تسميتها؟ هذا هو السؤال المهم، نحن اليوم نخوض محاولة عسيرة ليخرج النتاج الأدبي النسائي إلى رفوف المكاتب.»[١٧]

فبالنسبة الى تضامن أحمد ، كان افتقاد الثقة هو العقبة الأولى في خطوتها نحو إعلام الأخرين بكتاباتها أو حتى الاقدام على نشرهن، فأخذت سنوات عدة في الجامعة وهي تتخبط بين أن تكتب وأن تمتنع وأن يعرف الغير أنها تكتب، وهذا التخبط ناتج من سلسلة طويلة من ممارسات وأعراف وصور نمطية أفقدتها الثقة بنفسها والجرأة في اتخاذ مثل تلك الخطوة فيُصبح من الصعب بعد ذلك تجاوز تلك التربية التمييزية وما يحيطها من قوانين وأعراف قبلية. وليس من السهل أبدًا اقناع شخص تعود على كونهِ لا يُقدم ما يستحق القراءة، بأن يكسر تلك الصورة ويحاول أخيرًا أن يشارك ما كتبه، وبالأخص إذا كان يخاف ردود الفعل، ولا يمتلك الشجاعة الكافية ليعاود الكتابة ومشاركتها مع الآخرين مرة بعد أخرى.

وهذا يتجسد في حالات كثيرة تمتد معنا خلال حياتنا منذ المراهقة ودفاتر الانشاء وإلى التدوين في دفاتر المذكرات وانتقالًا إلى مواقع التواصل، وفي حالات كثيرة يتوقف بعضنا بعد أدنى رفض يتعرض أو استهزاء يمسه أو يُكمل ولكن بصمت وهذا ما تحدثت عنه الكاتبة زينب أنور: عرضت كتاباتي على أحد الأصدقاء فكان رده الاستهزاء وعدم التصديق بأن كتابة كهذهِ يمكن أن تكون لي، أو تكون لامرأة.

١٧- ١, ٢٢٠٢, ص٥ هن صانعات الحكايات، منتهى عمران، المقدمة، دار كيوان للنشر والتوزيع، ط

فهنا وأن كان ما كُتب نصاً جيداً يحتوي على سمات الكتابة الإبداعية ولكن تآكل الثقة الفردية بالنفس كما أسلفنا وضعفها، كافية بأن تشكك الكاتبة بمقدرتها وبنصها، وبأن ينتابها شعورٌ بالخوف والغبن للأسباب المذكورة آنفًا.
فغالباً ما تواجه الكاتبة بالسؤال الساخر: «أنتِ امرأة من أين لكِ أن تكتبي هكذا؟ "والمقصود بهذا السؤال هو التشكيك، سواء بمصدر النص، أو بأحقية هذهِ الكاتبة بما كُتب فقط لأنها امرأة، فهي دوامة مستمرة، حلقة متصلة ببعضها

بين المقارنة مع نتاج الرجل والتهليل غير البناء

رغم أن النتاج الأدبي ونجاحه لا علاقة له بالجنس فكما ذكر الناقد هيثم حسين: الإبداع لا يرتبط بجنس، ولا يقيّد بذكورة أو أنوثة، وفي الحقيقة القضايا لا تجزأ ولا تصنّف وفق خانة التجنيس، بل تخرج عن القوالب الجاهزة والأحكام المسبقة إلى رحابة الفكر وثراء عالم الأدب الذي لا يمكن فرض حواجز أو قيود عليه بأيّ شكل من الأشكال، إلا أن الكاتبة التي تتمكن من إخراج نتاجها الى النور، غالبا ما تتم مقارنه كتاباتها بكتابات الرجل.[١٨]

من جانب آخر تتعرض المرأة الكاتبة إلى نوعٍ من أنواع النقد غير البنّاء من قبل بعض الأدباء، يتمثل في المقارنة بين ما تُنتجه المرأة وما ينتجه الرجل، فأنا عن نفسي لا أقبل أن يُقارن عمل أدبي لرجل بعملٍ لي.[١٩]

ومن ناحية اخرى، وكما ذكرنا سابقاً، تكون ردة الفعل حول بعض النتاجات الأدبية لكاتبات يتمتعن بمزايا جمالية أو تتعلق بالشهرة والشعبية على مواقع التواصل، الى تهليل مبالغ به من دون إعطاء أي نقد بناء لأعمالهن بحيث يمكنهن من التطوير والتعديل. نحن اليوم لسنا بحاجة إلى أيدٍ تُكبّل المرأة وتمنعها من إطلاق إبداعها المدفون تحت جبالٍ من العادات والتقاليد، ولسنا بحاجة أيضاً إلى أيدٍ تصفق لكل بنت تعلن نفسها أديبة، بل نحتاج إلى أيدٍ تعلّم وتوجه وتُقوّم وتساعد البنت الراغبة في الخوض في ميدان الأدب، على عبور هذا الحاجز بجدارة.[٢٠]

١٨- أيّ مكانة لمؤلفات النساء في عالم تسيطر عليه كتب الرجال(مقال)
١٩- النساء والكتابة (١٢): الدعم المبالغ فيه من بعض الرجال للكاتبات المبتدئات يحمل بين طياته نوعا من تدمير قواهن الإبداعية (مقال)
٢٠- المصدر السابق

لا يخفى عن الأديب والكاتب والقارئ العراقي بأن الوضع الثقافي في تردٍ مستمر، وأن كل ما يهم صاحب دار النشر في هذا الوقت هو المكسب، بدون النظر إلى الهيكلية الصحيحة، لقراءة مسودة العمل، ولقبوله، ولإصلاح حالهِ، ولنشره، ولتسويقه وتوزيعهِ.

إذ يفترض بدار النشر، طالما أن عملها هو التداول المعرفي، أن يكون لديها فريق عمل، معنيٌّ بصناعة كتاب، يخدم ويغذي النقص العلمي والمعرفي، اللذين يحتاجهما الفرد العراقي. وذلك الفريق يبدأ بالخبير المتفحص لنقص الشارع من الخطاب العلمي والمعرفي، حتى تقوم الدار بمعية بضاعتها، بسد هذا النقص. ومن ثم المستشار ومَهمته إبداء رأيه المنطلق من علميته وسعة خبرته في ذلك المجال بما يخدم القارئ والدار، بشأن المشاريع المتقدمة من المؤلفين لطباعتها.[٢١]

فالكاتبات حين يُقدمن عملاً لدار نشر، يتوقعن وحسب الاتفاق والتعاقد القائم بأن هذا الدار سيأخذ ما له وسيقدم ما عليه من تدقيقٍ وتحريرٍ وتنضيد لا أن يأخذ الدار مسودة الكتاب كما هي ويقوم بنشرها! لذا هُنا ندخل بمواجهة سوق النشر. إن قلة قليلة من الناشرين في المجتمع العربي، يلتفتون للنص بشكلٍ حقيقي وكامل، ويمنحونه ما يجب منحه، كي يُصبح نصًا صالحًا للقراءة.

وهذا ما تتحدث عنه الكاتبة تضامن أحمد : كنت أتوقع أن يتم قراءة روايتي ومناقشتي حولها وحول التعديلات ولكن تم نشرها مباشرةً! تبخرت رغبتي بأن تدقق الرواية قبل أن تنشر، أن تصحح وتعالج قبل أن تكون بين أيدي القراء، الكتاب هو عمل فريق ليس فقط عمل الكاتب، لكن هناك المدقق والمحرر والمُنضد والناشر أيضًا.

عندما أمسكت روايتي الورقية وقرأتها قلت: «لو أستطيع تغيير مكان هذهِ الحركة، لو أستطيع استبدال هذهِ الكلمة، آه من يضع علامة تنوين هنا!» والأمر أني دققتها بنفسي لمرات كثيرة وخرجت مع بعض الأخطاء قد لا يلاحظها الكثير من القراء لكن كان من الواجب وجود من يقرأها بعدي قبل أن تنشر، ويدققها، ويعتني بها!

وتُكمل تضامن: أقول لنفسي من الطبيعي أن أنسى بعض الحروف والعلامات لأن عين الكاتب تغض البصر عن الأخطاء الواردة بسبب التعود على النص وليس كل كاتب هو مدقق أو يُجيد تطبيق كل ما يجب أن يُطبق على النص، ولهذا وُجد مدققو الكتب في دور النشر! المدققون

٢١- ليست دور نشر بل دكاكين لـ محمد حاذور (مقال) ٦١/ يوليو / ٢٠٢٠)،
https://www.jadaliyya.com/Details/٤٨٤١٤

الذيـن لم أرهـم، ولم يسـمع بهـم أحـد.

وبحسـب تجربـة الكاتبـة الثانيـة لهـذا المقـال: مـن تجربتـي كقارئـة/ كصديقـة لكتـابٍ مـن الرجـال والنسـاء، أصـدروا كتبهـم في ذات الوقـت، وفي ذات الوسـط، ومـن الـدور نفسـها، وجـدت الكِتـاب الـذي أصـدره كاتـب رجـل جـاء مُدققًا، منقحًـا، حصـل عـلى حقـهِ بالعمـل عليـهِ، وبالترويـج لـه بعـد نـشرِه، وبـدلًا مـن اختفـاء الكتـاب مـن رفـوف المكتبـة إلى المخـزن أو التلـف، كانـت الكتـب تختفـي لنفاذِهـا مـن السـوق الكتبـي .

إن دار النـشر توصـف بأنهـا شركـة، لـذا فهـي مسـؤولة بالدرجـة الأسـاس عـن توزيـع بضاعتهـا، والعمـل عـلى توطيـد وجودهـا في الأسـواق والمكتبـات، إمـا اتفـاق أو وكالـة أو عقـد ينـص عـلى مـا يتفقـون عليـه، ففـي يافطـة كل دار نـشر، مكتـوب: طباعـة، نـشر وتوزيـع، إلا أن الـدور العراقيـة، هـي دكاكـين للطباعـة ومخـازن لتكديـس الكتـب، ولا تملـك أي دار خطـة تسـويقية ناجحـة لـرواج منتوجاتهـا إلا نـادراً و الأخـيرة، يحظـى بهـا مـن تربطـه علاقـة حميـدة بالنـاشر بطريقـة أو بأخـرى، فيعلـو نجـم كاتـب ويهبـط آخـر بفضـل الروابـط الاجتماعيـة، لا رصانـة مـا هـو مكتـوب، وتمظهـرات ذلـك، في أفـول وانعـزال الكاتـب الجيـد، وانحسـاره مقابـل سـطوع وشـعبية الكاتـب السـطحي، وهـذه العمليـة وتراكماتهـا، أفسـحت المجـال لأشـباه الكتّـاب أن يتسـيدوا المشـهد والتفـرد بمكانـة لا يسـتحقونها.[٢٢]

لـذا لا يمكننـا القـول إنـه ليـس مـن الـوارد أن يتـم طباعـة العمـل بـلا الرجـوع إليـه والتأكـد منـه! كـما أنـه مـن غـير الطبيعـي أن يتعـرض الكاتـب للاسـتهزاء لأن النـص الجيـد الـذي كتبـه كان فيـه بعـض الأخطـاء الإملائيـة والنحويـة لأنـه وكـما ذكرنـا ليـس كل كاتـب بمدقـق.
وهـذا مـا تحدثـت عنـه الكاتبـة زينـب أنـور: كنـت ضعيفـة بالقواعـد والنحـو أو غـير مجتهـدة بهـم لأننـي أحـب أن أكتـب لا أن أبحـث عـن الأخطـاء وأحـاول تصحيحهـا، ومـا كان يخفـف عنـي أن التدقيـق هـو عمـل مختـصّ اللغـة العربيـة، ومـن يجيدونهـا بشـكل أفضـل مـن سـواهم مـن الكتـاب والمدققـين. وبعـد التعـرض للاسـتهزاء عـلى الأخطـاء، توصلـت لمدقـق بـدون أن يظهـر التهكـم عـلى وجهـه لأني اخطـأت في موضـع كلمـة.

ابتزاز ومساومات

لا تخلـو السـاحة الثقافيـة مـن الغوغائيـين، الذيـن يُعتـبرون عالـةً عـلى الوسـط الثقـافي ومشـكلة لا تُحـل بسـهولة، فـإن بعـض دور النـشر التـي رفعـت أسـماء مـن لا يسـتحق أن ينـشر، هـي ذاتهـا الـدور

٢٢- ليست دور نشر بل دكاكين لـ محمد حاذور، مصدر سابق . ، https://www.٤٨٤١٤/jadaliyya.com/Details

التـي تتعـرض للمـرأة الكاتبـة وتسـاومها عـلى النـشر وتقـرر أن كانـت سـترفع مـن شـأنها أم لا.

فكـما تُكمـل الكاتبـة زينـب أنـور حديثهـا، بعـد أن وجـدت مـن يُدقـق الكتـاب وينـشره، مـررت بـشيءٍ أكـبر مـن الاسـتهزاء الـذي كنـت أتعـرض لـه
«كنـت مُقدمـة عـلى النـشر، وأرغـب بالحصـول عـلى مدقـق لغـوي لمـا كتبـت، وقـد يُتوَقـع أن هـذا مـا حـدث، فبعـد الترحيـب بي، والحديـث عـن العمـل وقبـل أن نبـدأ بـأي إجـراءات بشـأن التدقيـق، أظهـر رغبتـه بعلاقـة مفتوحـة ورسـائل غـير لائقـة وحتـى عندمـا واجهـت ذلـك كان الجـواب بـأني غـير مُتحـضرة! ويجـب أن أكـون أكـثر انفتاحًـا مـا دمـت أود دخـول عـالم الكتابـة والنـشر؟ هـل للكتابـة علاقـة بـأن تكـون متاحًـا؟ متـى أصبـح هـذا قانونًـا؟»

لـذا أن النظـام المُتبـع يُمثـل عبـارة: "أنـا لا أقمعـك في الواقـع وأمـام النـاس، بـل أُميـز ضـدك خفيـةً» هـو النظـام المُتعامـل بـهِ، في سـوق النـشر ودوره، كأن المقابـل يقـول للكاتبـة: سنسـمح لـكِ بالكتابـة ولكننـا نتفـق عـلى إنـك لا تسـتحقين النـشر ويجـب ألا تشـاركيننا سـاحتنا الشـخصية (الإبداعيـة).
وإننـا نسـمح، لمـن نختـار السـماح لهـا لتكـون كاتبـة، وهـي ليسـت كذلـك، وهـذا لا يختلـف عـن منـح المسـميات للكتـاب الرجـال (الذيـن ليسـوا بكتاب)
«فالمشـكلة التـي تظهـر جليـة اليـوم في الوسـط الثقـافي، أن هنـاك مجانيـة في منـح الألقـاب الأدبيـة جزافـاً، حيـث نجـد أي بنـت سـمحت لهـا ظـروف عائلتهـا المتحـررة، وتمكنـت مـن كتابـة بضعـة أسـطر مـن خواجهـا، أسـمت نفسـها كاتبـة، حتـى قبـل أن تعـرف الأجنـاس الأدبيـة وقوالبهـا وضوابطهـا».[٢٣]

ولا يكفـي أن يكـون الاقـدام عـلى النـشر لوحـده صعبًـا ومُتعبًـا، ولا يكفـي أن يكـون محمـلًا بـكل المسـاومات، إن مـا يتبـع ذلـك ليـس بالسـهل اليسـير، فأمـا أن تقـوم الكاتبـة بالترويـج لكتابهـا بنفسِـها أو يختفـي الكتـاب مـن عـلى رفـوف الكتـب خـلال مـدةٍ أقصاهـا سـتة أشـهر.

الخاتمة:
ختامًـا ناقشـنا في هـذهِ الورقـة البحثيـة ، بعضًـا مـن التحديـات التـي تمـر بهـا النسـاء ككاتبـات، وصاحبـات قلـم، في العـراق، مـن خـلال تجاربهـن الشـخصية مـن عيشـهن في ظـل النظـام الأبـوي، وخروجهـن إلى مواجهـة مظهـر مـن مظاهـر هـذا النظـام بصورتـهِ الأكبر، مـن خـلال ممارسـة بعـض الحقـوق و الخطـوات، والمواقـف، والمواجهـات، والصراعـات ، وفي خضـم كل هـذهِ التحديـات وحقيقـة وجودِهـا فـان النسـاء يكتبـن، وأن شَـح مـا يُكتبـن ،ولكنهـن يَكتبـن .نأمـل أن نُشـاهد أغلفـة كتبهـن تتزايـد في رفـوف المكتبـات ، وأن يعـترف بأقلامهـن ، وأن يكـون محتـواه ثريًـا يسـتحق أن يُقـرأ بعيـدا عـن كونهـن نسـاء ، فالإبـداع لا يحـصر بجنـس دون آخـر.

٢٣- النساء والكتابة (١٢): الدعم المبالغ فيه من بعض الرجال للكاتبات المبتدئات يحمل بين طياته نوعا من تدمير قواهن الإبداعية

تهميش المهندسات في أماكن العمل- دراسة حالة في مؤسسات وزارة الكهرباء العراقية في المنطقة الجنوبية

أنتجت هذه الورقة العلمية كمشروع تخرج من المدرسة النسوية الرابعة التي ينظمها تحالف أمان النسوي

إعداد:
سمية يوسف وهالة ابراهيم

المقدمة:

يعتري المهندسات الشعور بالتهميش والافتقار للتقدير في مؤسسات وزارة الكهرباء في المنطقة الجنوبية (ميسان، ذي قار، البصرة، المثنى) في العراق. لذلك تطلب البحث في **أسباب وعوامل التمييز الاجتماعي والمؤسساتي**. البحث يجادل في أن التمييز الجندري والقوالب النمطية الذكورية تؤثر على عملهن في المجال الهندسي والفني. ولتبيان التهميش استخدمنا منهج التحليل الموضوعاتي[1] للكشف عن صور الممارسات التمييزية ضدهن.

استخدمنا منهجية البحث النوعي في هذه الدراسة، فاعتمدنا على إجراء المقابلات التفاعلية التي تضمنت ايضا أسئلة رئيسية معدة مسبقا. ونفذنا بعض المقابلات وجهاً لوجه والبعض الاخر عبر الإنترنت. حيث اخترنا عينة من ثماني مهندسات خريجات كليات حكومية في اختصاصات الهندسة الكهربائية والميكانيكية ممن رغبن بممارسة اختصاصهن الهندسي لكنهن اقصين ومنعن. جرى تعيين ستة منهن في العام ٢٠١٩ بأجور يومية ثم تحولن إلى عقود وزارية (ملاك موقت)، وفي بداية العام ٢٠٢٣ ثبتن ضمن الملاك الدائم. المسمى الوظيفي الحالي لهن هو معاون مهندس/ درجة سابعة. وايضا اثنين من المهندسات الاكثر خدمة.

---

١) Braun, V. and Clarke, V., 2006. Using thematic analysis in psychology. Qualitative research in psychology, 3(2), pp.77-101.

بالاضافة الى تجربتينا كمهندستين . تتراوح الاعمار بين ٢٦ و٤٥ سنة. جميع الاسماء التي استخدمت هي مستعارة.

يتناول البحث تهميش النساء في ميدان العمل الهندسي والنظرة الاجتماعية لعملهن في مجال الهندسة، ثم التحديات المتجذرة بعوامل بنيوية التي يعانين منها والتي ينبغي التعامل معها. نبحث في التهميش والعوائق والإقصاء في تلك المؤسسات، ونمط العمل المسموح للمهندسات بأدائه، والهيمنة والقيود العائلية والمؤسساتية التي تؤثر على حرية تنقلهن وحركتهن ونمط ملابسهن والعنف المؤسساتي والعائلي والأعباء الأسرية المتمثلة بالأمومة والأعمال الرعائية والمنزلية غير مدفوعة الأجر، وطبيعة مكان العمل ومرافقه والبيروقراطية الذكورية، حيث تشكل جميعها الإطار العام لبحثنا.

هذا البحث يضاف إلى الدراسات العربية القليلة التي أُنتِجَت في مواضيع المساواة الجندرية في فرص العمل. وعلى الرغم من وجود العديد من الدراسات والأبحاث المكتوبة باللغة الإنجليزية حول النساء في المهن الهندسية والفنية، إلا أن أهمية هذا البحث تكمن في أصالته وارتباطه بالنساء العراقيات، فسيكون مصدرًا مهمًا ومساعدًا لكوننا نفتقر إلى المصادر والابحاث العربية التي تعرض تهميش النساء في المجال الهندسي.

بصفتنا باحثتين، لم نقتصر على إجراء المقابلات فقط، بل كمهندستين ونسويتين، شاركنا أيضًا في تعزيز وتوعية ودعم المهندسات المشاركات في البحث بحقوقهن خلال هذه المقابلات، حيث قدمنا وشاركنا تجاربنا الخاصة معهن، تمامًا كما فعلن معنا.

الذكورية والتهميش في ميدان العمل الهندسي-

الذكورية تعني النظام الذي تسود فيه القناعة بسيادة الذكر و تفوقه على الأنثى. حيث للرجال الحق في القيادة والرئاسة. فيتخذون جميع القرارات في الأسرة والمجتمع ويشغلون ويحتكرون جميع مناصب السلطة والنفوذ والاقتصاد[٢]. توفر الذكورية امتيازات اجتماعية غير مستحقة لهم، وعليه تنتج بيئة ومناخ متسامحين مع الجرائم القائمة على أساس الجندر[٣]، مثل العنف الجنسي والجسدي والنفسي ضد المرأة. كما وتبعا لذلك يتعارض دور المرأة المعتاد في المخيلة الثقافية العراقية مع دور المهندسة، فالمطلوب من المرأة أن تكون مطيعة، ومستقبلة للأوامر، وبعيدة عن الرجال، ولا تصدر القرارات بل مستعدة للقيام بما يراه المجتمع والرجل صحيحا.

تسهم الذكورية[٤] بشكل اساسي في التهميش. واستناداً الى[٥] بيل هوكس، يمكن أن نعرف التهميش[٦] في هذا البحث على أنه الإقصاء والاستبعاد والعنف الذي تتعرض له المهندسات

٢) تطور مفهوم الذكورة ونشأة المجتمع الابوي، اسامة العاشور، **(2023)**، محاضرة من المدرسة النسوية الرابعة، تحالف امان النسوي.

٣) معجم المصطلحات والمفردات المعنيَة بالعنف المبني على أساس النوع الاجتماعي، جنان الاسطة، صندوق الامم المتحدة للسكان في لبنان،**(2012)**.

٤) النظام الابوي واشكالية الجنس عند العرب، ابراهيم الحيدري، دار الساقي ، بيروت،**(2003)**.

٥) النظرية النسوية: من الهامش الى الوسط، بيل هوكس، بلوتو برس، **(2000)**.

٦) استخدت بيل هوكس ثلاث كلمات أساسية للإشارة إلى واقع النساء المهمشات (التمييز والاستغلال والاضطهاد) حيث عبرت كل كلمة على مفهوم خاص، فالتمييز يعبر عن السياسة

في بيئة العمل نتيجة القواعد والقيم الدينية والعشائرية والتحيز ضدهن بناء على تصورات تحبسهن في القوالب والأدوار التقليدية فتقيدهن وتمنعهن من الحصول على التدريب والخبرة والتقدم الوظيفي، بالإضافة إلى افتقارهن للحقوق والحماية القانونية في تلك المؤسسات.

عمل النساء في الهندسة- نظرة اجتماعية عامة- اكتشافات البحث :

- **"الهندسة ليست للبنات"**

تؤكد جميع المهندسات اللاتي شاركن في البحث أن أول عقبة واجهتهن عند مباشرتهن في العمل هي عدم تقبل وجودهن من قبل المؤسسات نفسها[٧]. حيث حاول بعض المدراء وأغلب الرؤساء إلغاء(تقليص) دورهن بمنعهن من التدريب والعمل في الأقسام التي تناسب اختصاصاتهن. فهم يعتبرون أن وجودهن معهم غير ذي نفع. وفيما حصل زملاؤهن من المهندسين على الاهتمام والتدريب المكثف، عملت بعض المؤسسات فصلا جندريا بين المهندسين والمهندسات حيث أقصيت الأخيرات من خلال إرغامهن على الدوام في الأقسام الإدارية مثل (الحسابات، القانونية، الرقابة، الإدارة)، وذلك لاعتقادهم أن المهام الوحيدة التي تناسبهن هي القيام بالأعمال المكتبية (السكرتارية) فقط. فيما قامت مؤسسات أخرى بضم المهندسات في الدورات النظرية وتجاهلتهن في الدورات العملية والفنية. حتى أن بعضهن منعن من الدخول لمواقع العمل بحجة أنهن نساء وبنيتهن الجسدية والبيولوجية لا تحتمل العمل وأيضا بذريعة القيم المجتمعية العشائرية وبحج أخلاقية وترهيبية أخرى.

تعرضت م. سيناء وزميلاتها العشرة للإلغاء حينما قال المسؤولون لهن إن «**الهندسة ليست للبنات**» ومع أن بقية زميلاتها اتفقن مع ما أخبروهن به أولئك المسؤولين والموظفين، لربما حرجا منهم أو خوف، إلا أنها مع زميلتها رفضن تصورهم التمييزي ضدهن، واعترضن على الدوام[٨] في الاقسام الادارية، بل طلبن بإصرار أن يعملن في قسم الصيانة أو أقسام فنية أخرى، فتقول م. سيناء:

«بكثير من الإلحاح تمكنت من الدوام في قسم الصيانة إلا أن رئيس القسم رفض وجودي معهم. أخبرته بأني مهندسة حديثة التعيين وسأتدرب وأعمل معهم لكنهم رفضوا تدريبي وكانوا يقصونني. تفاعلوا مع زملائي المهندسين ودربوهم وأنا كنت مهمشة. رفضوا تواجدي ولم يسمحوا لي بالانخراط معهم في العمل ولا الذهاب معهم للمحطات من أجل أداء أعمال الصيانة الدورية».

والقانون والممارسة التي تميز على أساس الجندر، والاستغلال يعبر عن استغلال النساء اقتصاديا في سوق العمل ومن خلال العمل غير المأجور داخل المنزل، أما الاضطهاد فيعبر عن علاقة القوى غير المتوازنة التي تمارس العنف الفعلي والرمزي ضد النساء من أجل أن تبقيهن أسفل الهرم تحت سلطة الرجال. ينظر الى:تقاطعات،دليل معرفي نسوي،(٢٠٢٣).

٧) دراسة بحثية عن المرأة في مجلات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات، المجلس الثقافي البريطاني، مصر،(٢٠٢٠)

٨) استخدمنا كلمة دوام للإشارة إلى الحضور اليومي للعمل أو الوقت المستمر الذي تقضيه المهندسة في مكان العمل بغض النظر عن كونها تعمل فعليا في اختصاصها أم لا. حيث يشير الدوام إلى ساعات العمل الرسمية التي يجب أن يلتزم بها الموظف في مكان العمل.

حصل ذات الأمر مع م. رغد التي وضعوها في قسم إداري بعيد عن تخصصها الهندسي، وحاولت أكثر من مرة الانتقال إلى قسم فني لكن كان يقابل طلبها بالرفض، فتقول:

«يستهزئون بي ويقللون من قيمتي كمهندسة لكوني امرأة وتريد التواجد في موقع العمل مع الرجال وأبسط ما يقوله لي (انتي مرة، بطرانة تريدين تشتغلين بأختصاصج؟ اقعدي وأسكتي أحسنلج)».

كذلك حصل مع م. حنين التي بالكاد تم تنسيبها إلى قسم الإسناد الفني فرع التكييف وعندما ذهبت لتعمل وتتعرف بالكادر المسؤول قال لها رئيس القسم أن عليها الجلوس في قسم اخر مع جمع الموظفات المعزولات، لأنه لا يجوز لامرأة أن تعمل في هذا القسم مع الرجال. تقول:

«تبين أنهم ليسوا بحاجة لمهندسة ميكانيك اختصاص تكييف في قسم التكييف لأنني امرأة».

ينظر أغلب الرجال للنساء نظرة دونية فنراهم يطبقون تلك النظرة في العمل ونتيجة لذلك لا يتقبلون فكرة وجود المرأة معهم. كما وبسبب الغيرة، خصوصا لو كانت المرأة تحمل مؤهلا علميا مساويا للرجال أو أعلى من مؤهلهم فيخشى أغلبهم من أن تصبح منافسا لهم أو أعلى مكانة منهم، فتؤدي تلك الغيرة إلى محاولات مستمرة لكبت المرأة ورفضها وتحطيم معنوياتها بكل الوسائل المتاحة، حيث لا يلام الرجل عند مواظبته على القيام بتلك المحاولات بل يحصل على التأييد غالبا[٩].

- **نمط العمل المسموح**

مع أن المهندسات اللاتي تحدثنا إليهن نجحن في الاختبارات النظرية وأغلبهن نجح في بعض الاختبارات العملية بواسطة استراتيجيات بديلة اضطرت المهندسات للجوء إليها لتطوير مهارتهن عوضا عن حرمانهن من التدريبات اللازمة بسبب جنسهن: كحصولهن على بعض المعرفة العملية من الإنترنيت والكتب ومن خلال المراقبة كلما أتاحت لهن فرصة الدخول لموقع العمل رغم كمية التنمر والإزعاج ومحاولات الطرد منه وأيضا من خلال عدم الاجابة على الأسئلة التي يطرحنها، حيث بالكاد كن يحصل على إجابة من بعض الأشخاص القلائل الذين تعاونوا معهن في مرات قليلة. بعضهن قلن إنهن وجدن قنوات لمهندسين وفنين مصريين على اليوتيوب واستفدن من الشرح الموجود فيها. إلا أن هذا لم يغير نظرة الرؤساء والزملاء في العمل نحوهن. بناء على ذلك أصرت المهندسات الراغبات بممارسة العمل الهندسي على الدوام في الأقسام الفنية والهندسية لكن وجدن أنفسهن في حرب وضغط كبير يقوم به الرجال ضدهن لتهميشهن وحبسهن ضمن المهام الطباعية والمكتبية حتى في تلك الاقسام[١٠]. فأجمعت المهندسات على أنهن يعانين من الواقع ذاته على إختلاف المؤسسات التي يعملن فيها. فمثلا، بعد انتقال م. رغد إلى القسم الفني الجديد الذي كانت متحمسة له و راغبة فيه تقول:

---

٩) ينظر الى: العنف ضد المرأة في مكان العمل في المؤسسات الحكومية و الخاصة، ورقة بحثية، الجامعة الاسلامية(غزة). (https://:ae.٢h/WdD/)

١٠) نور فرج، معهد ابحاث الشرق الاوسطMERI ، تحقيق.(https://:ae.٢h/Girt/)

«أدخلونا دورات تدريبية ومع أن أغلبها نظرية، لكني نجحت في الاختبار مع زميلاتي وكنت فرحة لأني سأعمل أخيرا في المجال الهندسي لكن بمرور الأيام صدمت بواقع آخر وهو عدم تسليمنا مهام أو مسؤولية هندسية وكان وجودنا في القسم شكلي، فقط لكي يثبتوا أنه ليس صحيحا ما نقوله عنهم بأنهم لا يعطون الفرصة لنا لنداوم في الأقسام الفنية».

أما م. حنين التي خاضت العديد من المحاولات التي وصفتها بالفاشلة، لكي تعمل ضمن قسم التكييف في اختصاصها، الا ان محاولاتها لم تكلل بالنجاح، فانتقلت إلى قسم فني آخر، قالت:

«اجتهدت كثيرا واقتحمت الدورات المعدة للمهندسين ونجحت فيها وتفوقت على زملائي المهندسين لكن هذا لم يمنعهم من تقييدي والاستهزاء بي ورفضي. يسمعونني كلاما محبطا مثلا يقولون لي بأستهزاء (ست أنتِ شنو مسؤوليتج أشو بس كاعدة ؟!).ولكنهم لا يعترفون أنهم هم الذين لا يسمحون لي بأداء أي مهام هندسية أو فنية ويعرقلون ويرفضون تواجدي في موقع العمل».

في الظروف نفسها، ذكرت لنا م.هبة:

«أول مهمة أوكلت لي في القسم هي القيام بأعمال الطباعة والأرشفة وجداول الوورد وعمل الإجازات لكادر القسم ورغم أني شعرت بالإهانة لكن قلت لا بأس إلا إن الأمر استفحل وصرت أرى ممن هم أقل مني وأعلى مني وقبلي وبعدي من الرجال يأخذون أدوارا في العمل الفني لا يستحقونها ولا يجيدونها».

اما م.مريم التي كانت من المهندسات الاقدم وخدمتها ١٧ عام قالت:

«طوال خدمتي فرضوا علي العمل المكتبي.وأنا أشاهد الطريقة التي يتعامل بها المسؤولون والموظفون مع المهندسات الجديدات. تذكرت أنهم يفعلون بهن مثلما فعلوا بي تماما. لكن فرقهن عني أن بعضهن أكثر إصرارا».

الطرق التي مكنت المهندسات من الحصول على الوظيفة:

بعض المهندسات توظفن بعد استخدامهن لوسيلة التظاهر أمام الحكومة بهدف الحصول على فرص عمل في القطاع الحكومي (مظاهرات المهندسين والمهندسات التي حصلت في بغداد والتي بدأت في صيف العام ٢٠١٩)، وبعضهن توظفن «بواسطة»[١١] حصة النواب وهي حصة كل نائب من الأجور اليومية، وبعضهن توظفن «بواسطة» المسؤولين عن طريق مكاتبهم ومكاتب التشغيل ضمن دائرة العمل والشؤون الاجتماعية. ولولا طرق التوظيف أعلاه لما حصلت المهندسات على وظائف[١٢] في مختلف مؤسسات وزارة الكهرباء. لأن

١١) نظرًا لنُدرة الفرص الوظيفية في القطاع الحكومي، فإنه عندما تتاح فرص عمل (أجور، عقود، وظائف دائمة)، يستولي المديرون والمسؤولون الحكوميون والنواب على تلك الفرص فيبيعونها للناس، أو يقوم بعض النواب بتوزيعها على جمهورهم لأغراض انتخابية أو من أجل زيادة شعبيتهم. ويجدر بالذكر أنه حتى في حالة التوظيف عبر الواسطة، فقد استفاد منها الرجال ونسبةٌ قليلةٌ جدًا من النساء، في موضوعنا هنا (استفاد المهندسون ولم يكن للمهندسات نصيبٌ كبيرٌ للاستفادة من هذه الوسيلة).

١٢) بصورة عامة وعلى الاغلب فإن مراحل تعيين الموظف في القطاع الحكومي تبدأ من حصوله على أجر يومي ثم تحوله إلى عقد سنوي ومن ثم إلى ملاك دائم.وأحيانا هذه الدورة لا تكتمل لتنتهي بإنهاء خدماته لعدم

سياسة التوظيف في الوزارة ومؤسساتها تطلب توظيف مهندسين ذكور لشغل درجات الحذف والاستحداث ووظائف الاجور اليومية. فمثلا واحدة من المؤسسات التي شملها بحثنا كانت قد طلبت ١٤ مهندس ومهندسة واحدة فقط. لكن أصبح صافي التوظيف في النهاية ١٦ مهندس و١٠ مهندسات في اختصاصات مختلفة من ضمنها الكهرباء والميكانيك.

التحديات المتجذرة أمام المهندسات:

تختلف وتتباين العوائق والتحديات التي واجهت المهندسات اللاتي شاركن في البحث، حسب المراحل التي مرت بها النساء اللواتي اجرينا معهن المقابلات من مرحلة ما قبل الدراسة الى مرحل ممارسة المهنة. العوائق الأولى تبتدأ مع مرحلة التفاوض مع العائلة ليوافقوا لهن على دراسة الهندسة. وعوائق المعاملة التمييزية في التعليم والتدريب في كليات الهندسة. وعوائق بعد التخرج التحيزية التي تتضمن صعوبة حصول الإناث على وظائف. ومن ثم بدء مرحلة التهميش والتكبيل بالقيود بشكل صريح وضمني بعد التوظيف، فأصبحن يعملنّ في بيئة ذكورية إقصائية ومؤذية لهن على المستوى المهني والصحي والاجتماعي.

ونقصد بالتحديات المتجذرة، هي سلسلة مستمرة من الصعوبات والمشاكل والعوائق التي تواجه المهندسات في كل مناحي الحياة والتي تكون نابعة من التربية التمييزية والثقافة العشائرية والإسلامية. ويمكننا تصنيف هذه التحديات إلى ما يلي:

اولا: العنف ضد المهندسات

تواجه المهندسات اللاتي تحدين وأصررن على العمل والانخراط في البيئات والمواقع الهندسية معاملة سلبية وفظة تصل لدرجة الطلب منهن بشكل صريح الابتعاد عما يطلق عليه المهندسون مجالهم أو منطقة نفوذهم. فيعمدون إلى إزعاجهن بشكل مباشر وغير مباشر وأيضا تخويفهن من أجل التسلية وإبراز القوة والسيطرة وكذلك إطلاق التعليقات المهينة وإعاقة مهامهن وأعمالهن إلى الدرجة التي يشكل فيها ذلك خطرا على حياتهن.

إحدى المهندسات قالت لنا إن أحد المهندسين عمل فيها مقلب ليسخر منها ولولا أنها انتبهت في اللحظة الأخيرة لأصيبت بصعقة كهربائية كادت أن تتسبب في موتها. ومهندسة أخرى قالت إن أحدهم وجه نحوها مطفئة حريق وفتحها ليخيفها. فيعتبر بعض هؤلاء الرجال أن قيامهم بتلك الأفعال الخطرة والمؤذية هو نوع من المزاح والتسلية. وتحصل هذه السلوكيات السلبية ضد المهندسات في الأقسام الفنية وفي مواقع العمل ومازلن يتعرضن لها بين حين وآخر وتخف وتشتد وتيرتها حسب الحالة وسياق العمل. وقد أكدن على أن سلوكيات الرجال (الرؤساء والمرؤسين) تركت آثارنا سلبية عليهن فأصبن بالتوتر النفسي والانهيار وخيبة الأمل والغضب وعدم الثقة وافتقار الشعور إلى الأمان[١٣].

توفر تخصيصات مالية أو لأسباب حكومية أخرى.والفترة الزمنية بين التحولات تلك تختلف بتغيرات سياسة الحكومة معهم. فمثلا المهندسات الست اللاتي قابلناهن أخبرننا أنهن تحولن من أجر إلى عقد بفترة (١٨ يوما إلى ٤ أشهر) ومن عقد إلى ملاك دائم بعد خدمة ثلاث سنوات، وهن لسن الوحيدات بل من عدد (أكثر من ١٠٠ ألف) موظف توظفوا بذات الآلية باختلاف تحصيلاتهم الدراسية في وزارة الكهرباء.

١٣) ما الذي يعترض طريقهن؟ نظرة فاحصة على أسباب قلة عدد النساء العاملات في العراق والأردن ولبنان،مريام مولر وبوي وواي، مدونات البنك الدولي،(٢٠٢٠) (https://blogs.worldbank.org/ar/arabvoices/what-stands-their-way-closer-look-barriers-female-employment-iraq-jordan-and-lebanon).

ويمكن أعتبار تلك السلوكيات عنفا ضد المرأة في مكان العمل بأشكالة الجسدية والمعنوية والنفسية والرمزية والتي تكون امتدادا للعنف المجتمعي[١٤]. اما العنف الجنسي فله صور عديدة، فقد أكدت أغلب المهندسات أن بعض الموظفين يتفوهون بالشتائم أمامهن ليحرجوهن ويتلفظوا بعبارات تحمل إيحاءات جنسية ويقومون أحيانا بحركات غير لائقة. هذا بالإضافة إلى إطلاق الإشاعات وتشويه السمعة والتجاوز على خصوصيتهن ومراقبتهن وتعرضهن للمضايقات والتحرش عبر الهاتف بواسطة المكالمات والرسائل. ومضايقتهن وجها لوجه، والحاح بعضهم على طلب اقامة علاقات غير مقبولة معهن، والتحرش بهن ومحاولة الاحتكاك باجسادهن ولمسهن، وايضا محاولات الابتزاز والمساومة الجنسية.

بشكل عام هنالك غياب للعقوبات الإدارية والقانونية الفعالة ضد ممارسي العنف ضد المرأة في مكان العمل. فحتى حينما تتشجع المهندسة على تقديم شكوى ضد أي ممارسة تتعرض لها يتم لومها أو تسخيف ما تتعرض له. حيث يعتبر المدراء والرؤساء من أكثر المطبعين مع العنف في حالة لو كانوا غير معنفين بصورة مباشرة وقد وجدنا أن المؤسسات على علم بالعنف الذي تتعرض له المهندسات لكن بسكوتهم وعدم تقديم المساعدة ولا الحماية وبتسترهم على المعنفين والمتحرشين وتحميل المهندسات الذنب يمكن اعتبارهم مشاركين بالعنف.

من الناحية القانونية هناك قانون العمل رقم (٣٧) لسنة ٢٠١٥ (المادة ١٠ والمادة ١١) لكن هاتين المادتين قاصرتان وعليهما مآخذ. فقد حُصر الحق في تحريك الشكوى ضد الجاني واللجوء إلى محكمة العمل فقط بالمجني عليها. وهذا قصور كبير وعيب في التشريع، وكان سيكون أكثر ضمانا وتحقيقا للعدالة وردع الجناة ودعما للمرأة لو أن المشرع أعطى الحق لكل من علم بوقوع حالة تحرش جنسي أو سلوك ترهيبي أو مهين ضدها. لأن طبيعة وسلطة المجتمع العشائرية ستقف حائلا دون تمكن المجني عليها من اللجوء إلى القضاء. وجانب القصور الآخر هو ضعف العقوبة التي تسمح للجاني بالافلات منها اذ ما تم الضغط على القاضي ليكون قرار العقوبة هو الغرامة المالية فقط. وحتى لو كان قراره عقوبة الحبس التي لا تزيد على ستة اشهر فبالامكان أن تصدر مع وقف التنفيذ استنادا للمادة ١٤٤ من قانون العقوبات العراقي[١٥].

ثانيا: هيمنة الرجال،»اكعدي وسكتي»

خلال محاورة المهندسات، جميعهن كررن عبارة واحدة يقولها لهن الرجال دوما في المؤسسات وهي **«اقعدي واسكتي»**وتعني (اجلسي دون حراك واصمتي). هذه العبارة شائعة جدا فحتى نحن الباحثات بصفتنا مهندسات، أيضا قيلت لنا مرارا لكي نجلس في مكان واحد تحت المراقبة وأن نلتزم الصمت دون إصدار أي فعل أو كلمة تزعجهم وألا نتجاوز الحدود والموانع التي يضعوها لنا.

---

١٤) النساء العراقيات العاملات في القطاع الخاص.. تمييز واستغلال وابتزاز ،علي المياح، الترا عراق، **(٢٠٢٢).** (https://:cl.n٩q٤cd٦٩)

١٥)ينظرالى: سرد لأهم القوانين التعسفية بحق النساء في العراق، بشرى العبيدي، محاضرة من المدرسة النسوية الرابعة، تحالف امان النسوي، (٢٠٢٣).(لكن المصدر ليس موجود للعامة.).

إن ما يفعله الرجال في العمل مع زميلاتهم المهندسات يوضح لنا حجم المظلة الابوية[١٦] الاجتماعية الكبيرة التي تحيط بهن وتحدد لهن أدوارهن وتصد بقوة تحدياتهن وشغفهن وترفض مطالبهن. وهذه الممارسات الابوية[١٧]تبدأ من البيت، إذ أن هذة العبارة يقولها الرجال للنساء في البيت، وعلى نحو ذلك يحضروها معهم للعمل ليقولوها لزميلاتهم. فهم يخاطبوهن بها بطرق متنوعة وفي مواقف كثيرة، يستخدمونها مثلا للتنمر، للأمر، للنهي، للمزاح، للإهانة، وللتهديد. فيسمعنها منهم في بدء الحديث معهم أو في نهايته. وعلاوة على ذلك يسمعنها من عوائلهن وأزواجهن، فأغلبهن لا يجدن الدعم العائلي بل يطلبون منهن أيضا أن **«يقعدن ويسكتن»** وبذات الطرق التي تقال لهن في المؤسسات. ويبدو أنهن لن يسمعن عبارة **«اقعدن واسكتن»** إلا عندما يستسلمن فعلا ويكن مثل بقية النساء والموظفات والمهندسات اللاتي رضين بالدور المخصص لهن حسب معايير الرجال والمجتمع[١٨]

أصرت م. سيناء على ملاحقة الكادر الفني بعد أن حاولوا ركنها وعزلها وكما تقول:

«لأضعهم أمام الحقيقة وهي إني مهندسة ولست مجرد بنت ينظرون لها باحتقار».

فذهبت سيناء في مرة إلى مهندس حماية كهربائية لترافقه كي تتعلم من خبرته وتتدرب لكنه رفض تدريبها وحسب ما أخبرتنا به، أنه قال لها:**(«في رأيي الشغل الفني والهندسي لا يلائم المرأة وشخصيتها. هذا بالإضافة إلى أنهم سيتكلمون عنك بالسوء وستتلوث سمعتك ولن يتزوجك أي رجل. ستصبحين مثل ليلى عانس»)**

تقول أنها حينما سألت عن ليلى وقصتها، عرفت أنها مهندسة عملت في إحدى محطات الإنتاج وعمرها ٣٩ سنة وهي عزباء وفي نظرهم هي غير متزوجة لأنها وقعت في المحظور واختارت أن تمارس العمل الهندسي لكنها لم تحتمل المحاربة والاذى النفسي والاقصاء فاستسلمت وتوجهت نحو الدراسات العليا.

ذات الحال تعامل الرجال مع م. رغد التي تقول:

«يستهزئون بوجودنا معهم ويقولون لنا...(كان من الأفضل أن تبقين في المطبخ)».

وحكت لنا كيف أنها إذا حاولت مع زميلاتها طلب المساعدة والمعرفة من أحدهم أو أفضلهم لعله يكون مرنا معهن ويدعمهن ليمارسن العمل مبدئيا تحت إشرافه، فإنه سيتعرض للإتهامات بأن غايته التقرب منهن لغرض إقامة علاقات معهن، فيتراجع:

«حتى الأكثر خلقا من المهندسين والفنيين تخلوا عن دعمنا خوفا على سمعتهم وسمعتنا».

توضح لنا حنين حسب رأيها والذي لا يختلف كثيرا عن بقية اراء المهندسات أن من اسباب

١٦) النظام الابوي واشكالية تخلف المجتمع العربي، هشام شرابي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية،(١٩٩٣).

١٧) ينظر: «حجر الزاوية في النظام الأبوي المستحدث يقوم على اقصاء المرأة، من هنا كان العداء العميق والمستمر في لاوعي المجتمع العربي للمرأة ونفي وجودها الاجتماعي كإنسان وحتى تحريرها، فهذا المجتمع لا يدري كيف يعرّف ذاته إلا بصيغة الذكورية وصفتها، وليس للأنثوية من وظيفة فيه إلا تأكيد تفوق الذكر وتثبيت هيمنته. وبالتالي ففي غياب المساواة بين الرجل والمرأة ينتفي مبدأ المساواة إطلاقا». (المصدر السابق).

١٨) النصف الغائب.. نساء العراق يتحدين المهن الصعبة وينافسن الرجال، أسعد زلزلي، الحرة، **(٢٠٢٢)**. (https://arbne.cl/t٩٠١٦).

رفضها واقصائها مع زميلاتها من قبلهم هو:

«وجود النساء معهم يقيدهم ولا يجعلهم يتصرفون على راحتهم. فقد قالوا لي: (ست أنتن من أجيتن قيدتنا... جنا مأخذين راحتنا)».

وبالمثل م.هبة التي فرض عليها عمل السكرتيرة تقول:

«حينما كنت أتعامل مع الإداريين الرجال الذين يعرفون أني مهندسة كانوا يبتسمون لي ابتسامة ساخرة ويتعمدون تأخيري وعدم إتمام الطلب الذي اريده منهم لاتمم عملي.ورغم هذا واجهت مسؤولي وناقشته ورفضت أن أعمل بهذه الطريقة المهينة. لكنه لم يهتم».

وعلى اثر ذلك قررت م.هبة الانتقال لمحطة أخرى، كانت تظن أن الحال سيكون أفضل خصوصا أنهم وعدوها أنهم سيسمحون لها بالعمل الفني، لكنها واجهت نفس المعاملة الذكورية ونفس التوزيع غير العادل للأعمال والمهام ونفس الأوامر الذكورية تكررت:

«(اشتغلي بالمكتب، اشتغلي على الحاسبة، طبعي هذا الكتاب، سوي إجازة لفلان. شسوين بالشغل الهندسي... (اكعدي وسكتي)). لا يمكنني تولي أي مهمة أومسؤولية ووجودي في القسم الفني شكلي مع أنهم وعدوني الكثير من الوعود الكاذبة والكلام الفارغ بشأن مناصرة المرأة المهندسة».

أما م. نور فاستطاعت أن تقف في وجههم وتثبت نفسها في العمل الهندسي رغم رد الفعل العنيف منهم إلا أنها تقول:

«أنا أصارع وأعمل لأثبت نفسي كمهندسة لكنهم يبحثون عن أي شيء ليعتبروه كزلة أو خطأ قمت به لكوني أنثى. لم يدربوني ولم يعطوني مصادر وإنما تعلمت بنفسي وذاتيا وما زلت أتعلم وأحاول».

مما سبق نرى أن دافع الإقصاء هذا ليس سوى نوع من الأنانية الذكورية التي تتجلى في التفاعلات الاجتماعية وبيئات العمل. حيث يعطون أولوية لمصالحهم الشخصية مهما كانت تافهة ورغباتهم على حساب فرص وحقوق وحاجات النساء الأساسية كالتعليم والتدريب والتمكين والعمل والقدرة على اتخاذ قراراتهن ليجعلوهن دوما الأضعف ولتغذية شعورهم المستمر بالتفوق.

ثالثا: القيود على ملابس المهندسات

في الغالب وبشكل شائع يفرض الحجاب والعباءة على النساء في العراق لأن هناك مناخا عشائريا وإسلاميا مشجعا او فارضا على تغطية النساء القسرية. ويحدد لهن بقيود صارمة ما يجب عليهن ارتداؤه ويمنع عليهن ارتداء الملابس التي يجدنها تناسب شخصياتهن وذوقهن وطبيعة عملهن وأسلوب حياتهن والتي لا تناسب توقعات المجتمع.

تراقب العائلة والمؤسسة مدى التزام المرأة بالملابس المحددة لها ويعد أمراً طبيعيا جدا أن تُحبس المرأة في البيت[١٩] وتُمنع من الخروج للعمل من قبل عائلتها وزوجها في حال لو خالفت الحدود وارتدت عكس ما يرغبون فيه[٢٠].

١٩) حبيسات المنازل في العراق..العيش في أزمان جاهلة، منال حميد، جمار،(٢٠٢٣). (https://media.jummar/٢٩٦٥)

٢٠) العنف ضد المرأة في العراق الاشكاليات و الخيارات، دراسة قامت بها بعثة الامم المتحدة

إذا كان الأهل أو الزوج متسامحين وأكثر مرونة من ناحية تحكمهم بملابس النساء، فهنا تأخذ المؤسسة نفسها دور مراقبة ما يرتدين لمنعهن من تجاوز شروط الملابس المسموحة. ليس هناك قانون واضح يحدد ملابس النساء في المؤسسات[٢١] باستثناء الكتب الرسمية التي تحمل توصيات تطلب من مدراء المؤسسات مراقبة حشمة الموظفات. لكن بصورة عامة تنتهك المؤسسة بواسطة أغلبية الموظفين عبر تلك التوصيات أو من دونها حرية وخيارات النساء من خلال مضايقتهن والطلب منهن بشكل صريح تغيير ملابسهن وأيضا التضييق عليهن ووضع عقبات أمامهن ودفع موظفات أخريات نحوهن من أجل أن ينصحوهن بتغيير ملابسهن. كما ويقوم بعض الأفراد في تلك المؤسسات بالشكوى عليهن عائليا أو يوصلون إشعارا غير رسمي بأسم المؤسسة إلى عوائلهن وأزواجهن ليخبروهم أن ملابسهن لا تناسب الحشمة المرجوة، لعلهم يمنعوهن من ارتدائها. والحشمة هي كلمة فضفاضة يختلف تفسيرها من شخص لآخر. حيث تعتبر العباءة و»الجبة» حشمة لكن التنورة والقميص ليست كذلك أو يعتبر الفستان والتنورة والقميص حشمة والبنطلون ليس كذلك. عندما تحدثنا مع المهندسات عن ملابسهن تبين أن المؤسسات التي يعملن فيها تعتبر(العباءة، الجبة، والحجاب، والقميص الطويل والتنورة العريضة والطويلة) هي ملابس محتشمة وخلافها ليس كذلك. كما أن أغلب موظفي تلك المؤسسات لديهم كره وازدراء كبير للمرأة التي ترتدي البنطلون حتى لو كان عريضا وطويلا، ويغطي الورك قميص طويل وعريض. ففي النهاية يبدو أن ضوابط المؤسسات هي نفسها ضوابط المجتمع العشائري الاسلامي بغض النظر عن أي ضوابط مهنية أخرى تتعلق بشروط وتدابير السلامة[٢٢].

إن العمل الهندسي يتطلب الكثير من الحركة والتنقل والصعود والنزول لذلك فالملابس العريضة والفضفاضة يمكن أن تعيق الحركة وتؤثر على مسار العمل وراحة المهندسة فتشكل خطرا كبيرا على السلامة الشخصية وتعرضها بصورة أكبر وأشد لمخاطر التعرض للكهرباء والحوادث الكهربائية. فيجب ارتداء الملابس الوقائية أو ملابس السلامة للحماية من الأذى. وهي بدلة مكونة من قطعتين أو قطعة واحدة (الأفرول) ويجب أن تكون البدلة على مقاس الجسد. وأحيانا يرتدي المهندسون والفنيون القطعة العلوية من البدلة (السترة أو الصدرية) وبنطلون جينز مع بقية ملحقات السلامة. وهذه المعدات والملابس توفرها المؤسسة لهم بين فترة وأخرى حسب الحاجة. وعند سؤال المهندسات العاملات في الأقسام الفنية والهندسية حول توفير بدلات عمل لهن، تبين أنهم لا يحسبون حسابهن فلا يتم توفير ملابس السلامة لهن لأنهم بحسب قولهن، لا يعترفون بهن كمهندسات ولا يحسب المدراء والرؤساء أنهن يقمن بعمل أصلا. كذلك يجد أولئك المدراء أن من غير المقبول لهن ارتداء ملابس السلامة لانها لا تتناسب مع قواعد الملابس «المحتشمة» المفروضة عليهن.

تقول م. نور:

لمساعدة العراق (jufuy/cl.n٩//:https)

٢١) في العراق... المؤسسات الرسمية تمارس العنف على أساس النوع الاجتماعي، سنار حسن، رصيف ٢٢، (٢٠٢٢). (mjat8/cl.n9//:https)

٢٢) دليل السلامة و الصحة المهنية ،(cdy٠k/cl.n٩//:https)

«حينما زودوا المهندسين الجدد بمعدات الوقاية (خوذة، حذاء سلامة، بدلة عمل، ونظارة) لم يحسبوني معهم. وحينما سألتهم قالوا: أنت مجنونة؟! (عيب) تلبسيهن. (اكعدي وسكتي) في الكرفان وعملك من الآن وصاعدا هو طبع الأوراق وكتابة المواقف الشهرية».

نور رفضت ذلك وتشاجرت معهم، كانت تنهار في كل يوم. كلما اصرت على موقفها كانوا يزدادون عناد معها. تقول لنا أنها طلبت منهم بألحاح معدات وقاية وبعد أسبوعين تقول:

«أخبروني أنهم جلبوا لي بدلة عمل، لكن ما وجدته هو صدرية عريضة جدا وطويلة تشبه صدرية الطبيب لكنها زرقاء. أخبرتهم أن هذه ليست بدلة عمل فقالوا: (عيب) لا يمكنك ارتداء بدلة مثلنا. (شنو يكولون عليج الناس؟). اشتريت ملابس السلامة خاصتي على حسابي وارتديتها في العمل. أذكر أنهم غضبوا وبدأوا يتنمرون علي ويستهزئون بإصراري».

نور ترتدي بنطلون جينز وقميص طويل يغطي الورك. لكنهم أرسلوا لها الموظفات القديمات والاكبر عمرا يطلبن منها الالتزام بملابس طويلة وعريضة ومحتشمة. وقلن لها أن عليها ارتداء التنورات والجبب فهذا افضل. فتقول:

«طبعا هذا لا يمكن فالعمل يتطلب ملابس مناسبة على الجسد لأن خيارات الملابس التي يريدون مني الالتزام بها لا تناسب العمل وستعيقني. حتى الحجاب الذي أرتديه قسرا هو في الواقع يعيقني مع الخوذة لأني أشعر أنه يحبس أنفاسي والدم في رأسي لكني أتحمل كل هذا».

حينما سألنا نور عن لماذا تجد الحجاب مزعج مع أن بقية المهندسات يعتبرنه غير مؤثر ولا يعيقهن، قالت:

«الحجاب كما تعرفين قطعة قماش ترتديها على عصابة رأس ومن ثم تلفيها عدة لفات على رأسك ورقبتك هذا بعد أن تلفي شعرك وتعصبيه حتى لا يتحرك او يفتح تحته ويفسد لفة الحجاب(الشال) لذلك اشعر بالضغط وخصوصا في الصيف واعاني الالم بسبب انعدام الراحة والضيق وصعوبة تحريك الرقبة..ويزداد الضيق عند ارتداء الخوذة على الحجاب».

وبعد شرحها لمعاناتها أكدت أن **«بقية المهندسات يشعرن بما تشعر لكنهن غير منتبهات»** وهذا كما لو كان يبين على نحو عام مدى ضخامة الألم والضيق النفسي والجسدي الذي يصيب النساء نتيجة أساليب القمع الابوية[٢٣] المغرقات فيها والتي تحاصرهن من كل حدب وصوب إلى الدرجة التي يصعب عليهن تشخيص مسبباتها أو جذور المشاكل التي يعانين منها. لذلك فبعضهن مثل نور مثلا، يجدن أن حتى الحجاب، يعرقلهن ويسبب ضغطا عليهن أثناء العمل فربما في أحيان كثيرة يؤثر على أدائهن. وأغلب الناس يجدون أن هذا غير

٢٣) "يشير مفهوم المجتمع الأبوي بشكل عام إلى المجتمع التقليدي الذي يتخذ طابعاً مميزاً بالنسبة إلى البنى الاجتماعية الكلية - المجتمع والدولة والاقتصاد والثقافة ، وكذلك إلى البنيتين الجزئيتين - العائلة والشخصية ، التي تتخذ، بمجموعها، طابعاً يتسم بأشكال نوعية من التخلف الاجتماعي والاقتصادي والثقافي تعيق تطوره وتقدمه، مثلما يتسم هذا المفهوم الأبوي بالتحجر والجمود والتناقضات الداخلية التي تمزقه وتستنزف طاقاته المعنوية وتدفع أفراده إلى الشعور بالتمزق، ما يؤدي إلى تقييم دوني للذات «. (النظام الابوي واشكالية الجنس عند العرب، ابراهيم الحيدري)

صحيح ومجرد «**حجة سمجة**» تقولها بعض النساء فقط ليبرهن أن الحجاب سيء ويضطهد المرأة من أجل أن يخلعنه. حيث يعتبر التخلص من ارتداء الحجاب أو النقاش حولة أمر مرفوض كما لو أنه تعدٍ سافر على قيم المجتمع.

ايضا م. ابتهال لم يزودوها بملابس سلامة وحكت لنا عن زميلاتها اللاتي يتعرضن لوصاية أبوية مزدوجة من المؤسسة ومن العائلة فتذكر لنا:

«المهندسات اللاتي يرتدين العباءة لم يسمح اهاليهن وازواجهن لهن بنزعها في اثناء العمل. فالملابس مثل العباءة والتنورة الطويلة الفضفاضة والقمصان العريضة والطويلة تعيق الحركة وتؤثر على السلامة».

أما م. امنة صاحبة خدمة ١٥ عام، فتخبرنا عن محاولاتها المتكررة مع أهلها ليسمحوا لها بنزع العباءة فقط في موقع العمل لتشعر بالراحة وتكون في أمان:

«وبعد الكثير من المعارك والمساومات سمحوا لي، لكن بشرط أن أرتدي ملابس مثل (الجبة والتنورة الفضفاضة والقمصان الطويلة). وحتى هذه الملابس تعيقني وتمنعني هذا بالإضافة إلى الصراعات التي أخوضها كل يوم لأزيح ولو قليل من تسلط الرجال علي».

وحتى من يدعي اهتمامه بشروط سلامة المهندسات من الرؤساء فإن الأمر لا يتعدى كونه مجرد نفاق فقد أخبرتنا آمنة، كيف أن رئيس أحد الأقسام الهندسية رفض عمل أربع مهندسات معه في قسمه وطلب أن ينتقلن إلى أقسام إدارية، لأنهن يرتدين العباءات فقال: «**(شنو تردوني افتر بيهن بالمحطات بالعبي)**».

تقول آمنة إن (رئيس احد الاقسام) يهتم جدا بالعمل وبشروط السلامة ودقيق ويرى أن العباءة والملابس العريضة ستؤثر ليس فقط على سلامة المهندسات وإنما على سلامة الأشخاص الذين سيعملن معهم لأنه هو من يتحمل مسؤولية الأفراد والمعدات في موقع العمل في النهاية. والمفارقة تقول آمنة، إن زوجة رئيس القسم هذا، هي مهندسة وامرها بارتداء العباءة بعد الزواج وجعلها تعمل في قسم الحسابات.

هناك بعض المهندسات يجدن العباءة فرضا دينيا مثل م. مريم التي ارتدت العباءة بعد الزواج لأن زوجها طلب منها ذلك وكانت لا تمانع طلبه لأنها أصلا تجد ارتداء العباءة أمرا واجبا، فتقول:

«الاحتشام والستر يبعد الفتنة عن المرأة ويبعد مضايقات وتحرش الرجال».

لكن حينما سألناها عن فيما لو توافرت لها جميع ظروف العمل المناسبة والتشجيع والتمكين الا تشكل العباءة عائق لها في ممارسة العمل الهندسي؟ وبعد تخيل سيناريوهات مختلفة أدركت أن خيارها الشخصي والناتج عن إيمانها بوجوب ارتداء العباءة سيعيقها عن العمل حيث قالت:

«لو حلت كل مشاكلي ستكون العباءة هي المؤثر الوحيد الذي سيمنعي عن ممارسة العمل في المجال الهندسي وستؤثر على سلامتي الشخصية».

في الواقع لا تستطيع المهندسة التي ترتدي عباءة ارتداء خوذة عليها ولا تستطيع التعامل مع الأدوات والأجهزة والأسلاك. مريم كانت تظن أن العباءة لا تمنع ولن تشكل عقبة لها

فـي العمـل وحينمـا سـألناها إذا كانـت تفضـل عملهـا الهندسـي وسـلامتها الشـخصية أو الابتعـاد عـن العمـل مـن أجـل أن تلتـزم بالعبـاءة. اختـارت تـرك ممارسـة العمـل الفعلـي الهندسـي وارتـداء العبـاءة. ثـم سـألناها:

لو لم تكوني تلتزمين بالعباءة التزامنا دينيا هل ستختاريها أيضا على العمل؟

قالت: «**زوجي لن يسمح لي بخلعها**».

أن المهندسـات الملزمـات بارتـداء العبـاءات قـد تعرضـن لتقيـد ولإقصـاء مـن العمـل بسـبب عوائلهن. ومـن الشـائع ارتـداء النسـاء للعبـاءات بعـد الـزواج بأمـر مـن أزواجهـن. لكـن هـذا لا يخلـي مسـؤولية أغلـب المؤسسـات التـي تمـارس الوصايـة الأبويـة علـى المهندسـات مـن خـلال تقييدهـن ليلتزمـن باللبـس الإسـلامي «المحتشـم» وهـذا فـي حـد ذاتـه تجاهـل لتدابيـر السـلامة اللازمـة لحمايتهـن أثنـاء العمـل مـن المخاطـر والأضـرار المحتملـة فنجـد أن التوقعـات الابويـة والذكوريـة مثـل التحكـم بملابـس النسـاء تدفعهـم حتـى لعـدم تطبيـق واحتـرام قوانيـن ولوائـح السـلامة.

رابعا: العوائق العائلية

إن البيئـة الاجتماعيـة فـي العـراق لا تسـمح للنسـاء بحريـة الاختيـار. أي انهـا تحـدد وتضيـق مـن حريتهـن فـي تأديـة وممارسـة المهـام والأعمـال التـي يجدنهـا تناسـبهن. فهنـاك التقاليـد والثقافـة (العشـائرية والإسـلامية) التـي تعتبـر النسـاء أقـل قيمـة وتنظـر إلـى دورهـن بشـكل محـدود وتبخـس جهودهـن وتحجـم تطلعاتهـن وطموحاتهـن. حيـث يطلـب مـن المـرأة أن تكـون ممتثلـة لقواعـد وفـروض المجتمـع[٢٤]. لذلـك فأغلـب المهندسـات يواجهـن ضغوطـا عائليـة مـن قبـل الأهـل والأزواج لحثهـن علـى الالتـزام بالأعمـال المكتبيـة فتفـرض عليهـن القيـود مـن البيـت علـى العمـل.

أغلـب العوائـل والأزواج لا يفضلـون اختـلاط المهندسـات مـع الرجـال فـي موقـع العمـل ولا الخـروج معهـم فـي أعمـال الصيانـة الدوريـة فـي داخـل المديريـات إذا كانـت تضـم محطـات أو خارجهـا فـي المحطـات التـي تكـون منتشـرة فـي مناطـق متفرقـة كمحطـات نقـل الطاقـة الكهربائيـة، والأمـر لا يختلـف كثيـرا فـي محطـات التوليـد والتوزيـع. تخـاف العوائـل علـى سـمعة بناتهـم فأغلبهـم يحملـون جميـع أو جـزء مـن تصـورات المجتمـع العامـة وهـذه التصـورات«**لا ترتضـي أن تكـون المـرأة بصحبـة الرجـال**». ولأن المـرأة تعتبـر حاملـة الشـرف[٢٥]ومسـؤولة عنـه لذلـك وجـب عليهـا الابتعـاد عـن كل مـا يخـدش ويذهـب بهـذا الشـرف الهـش[٢٦] الـذي يهـدد بإزالتـه كل سـلوك[٢٧].وتختلف آليـة تنفيـذ هـذه الإلزامـات، والرقابـة العائليـة[٢٨]مـن حيـث الشـدة والممارسـة مـن عائلـة إلـى أخـرى. لكـن الأكثـر شـيوعا بيـن المهندسـات هـي إلزامهـن بالابتعـاد عـن الرجـال ومنـع خروجهـن مـع الكـوادر الفنيـة وحصرهـن بالمهـام المكتبيـة فقـط. بالإضافـة الـى منعهـن مـن السـفر لأجـل العمـل والتدريـب

---

٢٤) المراة العراقية بعد ٢٠٠٣ محفزات العنف وحواجز التمكين، لينا عماد الموسوي، مركز البيان للدراسات و التخطيط (٢٠٢٢). (znyu٥/cl.n٩//:https).

٢٥)اثر الثقافة على القانون في جرائم الشرف، ماسة حسام الدين. (ymuh١/cl.n٩//:https)

٢٦) جرائم الشرف في مجتمع ذكوري (دراسة ميدانية في محافظة بغداد)، مروج مظهر عباس ، حوليات اداب عين شمس ،(٢٠٢٠) (YwsmOpJ/pw.2u//:https)

٢٧) المرصد العراقي لحقوق الانسان. (html.-١٢٥/ar/org.iohriq//:https)

٢٨) نساء العراق المفقودات: العنف الاسري، مريام بوتيك. (g٢t٨w/cl.n٩//:https)

والإيفاد سواء خارج المحافظة أو العراق، هذا في حال لو منحت المؤسسات هذه الفرصة للمهندسات الممارسات فعليا للعمل الهندسي. ووصل الحد ببعض تلك المؤسسات أن تلتقي أو تجتمع بعائلة أو زوج المهندسة التي يرون أنها تستحق أن تكون مسؤولة عن قسم أو شعبة، بحيث تضطر تلك المهندسة أن تثبت للمؤسسة موافقة أهلها (ولي امرها). حيث طُلب من إحدى المهندسات أن تؤكد للمؤسسة أن عائلتها لا تعارض تسنمها لمنصب. وهذا الطلب ليس قانونيا، لكن المدير اراد الحصول على التأكيد والموافقة العائلية لكي لا تحصل له وللمهندسة بسبب منع ورفض عائلتها لعملها، مشكلة في المؤسسة والتي من خلالها يمكن أن تؤدي الى عرقلة العمل.

تسنمت م. امنة منصب رئيسة شعبة غير فنية، شعبة أعمالها مكتبية. وقبل حصول ذلك اشترط عليها المدير أن يحصل على موافقة عائلتها منعا لحصول أي مشاكل أو عرقلة في عمل الشعبة مستقبلا قبل أن يصدر لها الامر الاداري[٢٩] فتقول:

«فاتحت عائلتي بالأمر ووافقوا بعد أن تأكدوا أن ترأسي للشعبة لن يترتب عليه مهام دورية خارج المديرية ولا سفر».

وبخصوص السفر فقد منعت امنة من الذهاب في رحلة عمل (ايفاد) الى المانيا بسبب اخوتها فتقول:

«كانت تلك المرة الأولى التي يوضع اسم أمرأة موظفة في المديرية التي أعمل فيها في إيفاد.وكنت سعيدة لأن المدير اختارني رغم أن من النادر جدا ذهاب امرأة في إيفاد في مديريات المنطقة الجنوبية، فمعروف أن الإيفادات تكون من حصة الرجال. لكن فرحتي لم تكتمل حيث حضر إخوتي إلى المدير وطلبوا منه حذف اسمي».

اما م. مريم فقد أثرت عوامل عديدة عليها، وبحسب قولها:

«تزوجت بعد التعيين مباشرةً. وزوجي قيدني ومنعني من مزاولة أي عمل فني. أيضا أنجبت الاطفال. أهلي وزوجي لم يدعموني وحتى حينما تحديت منعهم فقد كانت سلطة الرجال من المسؤولين والمهندسين والفنين في المجال الهندسي تمنعني وتؤثر علي».

تجزم مريم أنها حتى لو لم تكن هنالك عوائق تعيقها جزئيا أو كليا لممارسة العمل الهندسي كزملائها المهندسين،الا انها لن تحصل ودون شك على أي منصب أومسؤولية. فوفقاً لها:

«لانهم يعتبرونني مجرد أمرأة، كما أنني لا أستطيع السفر او التنقل إذا ما حصلت على إيفاد لأن الأهل والزوج لن يسمحوا. فلو بقي معرقلا واحدا، فهو بالتاكيد عائلتي».

كما حكت لنا م. ابتهال كيف أنها تحارب وحيدة لان زميلاتها اللاتي كن معها استسلمن ورفعن الراية البيضاء. فعلى حد قولها أن إحدى زميلاتها التي خاضت معها بعض الصراعات، قام احد زملائها من المهندسين بالتقاط صور لها وأرسلها الى شقيقها الذي كان على معرفة به، ليخبره ان شقيقته تعمل مع الرجال وتخرج مع كادر الصيانة والفحص إلى المحطات خارج مقر المديرية. فتشاجر أخوها معها ومنعها من العمل الهندسي. فتراجعت وإضطرت للتنازل

٢٩) غائبات ومغيبات عن مراكز القرار، نور فرج ، كركوك ناو KIRKUKNOW: (https://:news/ar/com.kirkuknow/٦٥٢٢٤)

والعمل في الأقسام التي تحاكي الأدوار التقليدية كأعمال السكرتارية أسوةً ببقية زميلاتها المهندسات. أيضا أخبرتنا كيف أن إحدى زميلاتها المهندسات واجهت المنع من قبل الزوج والأهل بعد أن حذروها منذ البداية من ممارسة أي عمل فني. وأخرى اشترط عليها أهلها أن تعمل فقط في المحطة التي تقع في نفس المديرية حيث لم يسمحوا لها بالخروج إلى بقية المحطات. وحينما ذهبت مع فريق الصيانة في قسمها وعلموا أهلها بذلك عاقبوها وليتأكدوا أنها لن تكرر ذلك طلبوا من المدير ورئيس القسم أن لا يوافق ولا يسمح لها بالخروج لأي عمل هندسي وطلبوا منه أن يجعلوها تقوم بالاعمال المكتبية.

خامسا: الاعمال الرعائية والمنزلية غير مدفوعة الاجر

نقصد بالعمل الرعائي والمنزلي هو الرعاية المباشرة للأشخاص(الأطفال، المسنين، الأشخاص ذوي الإعاقة، والكبار القادرين على العمل). ويشمل إعداد الطعام والطبخ والتنظيف والكنس والمسح وغسل الملابس والإطعام والتمريض وتدريس الأطفال والتسوق وأشكال أخرى من نشاطات الخدمة[٣٠]. يقف عمل الرعاية غير المأجور حاجزا أمام تمتع المرأة بحقوق الانسان كاملة. حيث يعتبر احد العوامل التي تسهم في فقر الدخل والوقت والتنمية لدى المرأة[٣١]. فهو يجسد التنميط الجندري السائد ويعمق عدم المساواة ويعزز المفاهيم والافكار التمييزية. يشكل العمل الرعائي (الذي يكون قسريا وغير قابل للنقاش والتقدير) الذي تؤديه المهندسات عقبة في الوصول إلى الفرص. حيث أكدت المهندسات إن الخدمة التي يقمن بها في المنازل والواجبات المفروضة عليهن تساهم ايضا بتأخيرهن مهنيا. فيشعرن بالإنهاك بسبب هذه الأعمال التي تشكل عليهن مع العمل الهندسي ضغطا كبيرا وعبئا مزدوجا[٣٢]. فيصيبهن اجهاد الجسد والذهن وارهاق المشاعر. وكل ذلك يحول دون تمكنهن من مواصلة القراءة ومواكبة التعليم المهني والاستمرار بالتدريب رغم رغبتهن وطموحهن.

وفي الوقت الذي يتصارعن فيه مع المؤسسات التي تقوم بتهميشهن كمهندسات ليحاولن أن يثبتن جدارتهن في العمل الهندسي، ذكرن لنا ايضا، أنهن يصارعن في البيت كي لا يُقصرن بالعمل الرعائي للدرجة التي يشعرن بها أنهن لا يحققن المعادلة لكي يصبحن مهندسات ناجحات بسبب الخوف من التقصير في خدمة الأهل أو الزوج وواجبات الأبناء. وذلك يشعرهن بالاستنزاف فهن لا يحصلن على أي مشاركة أو مساعدة من الأزواج. كما أن أغلب المتزوجات منهن لا يسكنن في منازل خاصة، بل يعشن في أسر ممتدة في منازل عوائل

٣٠) ضمان اعتراف السياسات الضريبية بعمل الرعاية غير المدفوع والعمل على تمثيله وتخفيضه واعادة توزيعه، (٢٠١٩).
https://www.annd.org/uploads/summernote/[AR]_٢٠٢٤٪.GATJ_٢٠Issue_Brief_Unpaid٪٢٠Care٪٢٠Work٪٢٠TMR-٢٠٪٢٠ARABIC١٦١٢٥٦٩٤٦١٪.pdf

٣١)عراقياً :ما معنى عمل رعائي غير مدفوع الأجر، منال حميد، الحوار المتمدن،(٢٠٢٣).(https://cl.n٩/nuj٢t)

٣٢) العبء المزدوج بين العام و الخاص، شيماء طنطاوي، براح امن،(٢٠٢٣).(https://cl.n٩/dssq٢)

أزواجهن. وهنا تكون أعمال الرعاية عليهن مضاعفة لأنهن سيقمن بالخدمات القسرية لجميع أفراد هذه العائلة.

تذكر م. سيناء أن زملائها ورئيس قسمها أبدو إستغرابهم من رغبتها في العمل الهندسي والتدريب فتروي لنا أنهم قالوا لها:

«أنت أول وتالي راح تزوجين وتخلفين واجازة امومة وره امومة..فعلى شنو متعبة نفسج ومتعبتنا. من هسه اكعدي واسكتي».

من ذلك نستنتج أن رويتهم لحياة المرأة المهنية تتمحور حول الزواج والإنجاب. ووفقا لتجربة أحدى الباحثتين فأن أحد المهندسين الكبار الذي كانت تعمل معه، اخبرها عن مهندسة كانت شاطرة وعملت معه إلا أنها بعد الزواج والأمومة تراجعت عن العمل وانشغلت بأطفالها. وكان يسخر من النساء لكونهن لا يستطعن الإفلات من الأمومة لذلك فهو يعتبر مثله مثل بقية الرجال أن الامومة هي الدور الوحيد والرئيسي الذي يمكن أن تقوم به المرأة أما بقية الأدوار المهنية فلن تستطيع إنجازها أو القيام بها على أتم وجه ودوما سوف تبقى مقصرة في الدورين لأنها تحاول أن تخرج عن دورها «الفطري».

ورغم أنهم يُعَيّرون المرأة بالامومة والولادة، الا انهم يتذمرون ويمتعضون عندما تأخذ المهندسة إجازة امومة أو عندما تصطحب طفلها الصغير معها. حيث تفتقر المؤسسات التي تعمل فيها المهندسات إلى حضانات بسبب رفض المدراء توفيرها رغم أن عدد الموظفات أصبح اكبر من قبل في تلك المؤسسات بعد اخر تعيينات، كما ذكرنا في مكان اخر من هذه الورقة .[٣٣] أما الروضات والحضانات الحكومية فهي قليلة ولا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة وتتسم بانعدام الرعاية للأطفال وتعنيفهم وأيضا لا تُفتح على مدار السنة بل تعمل بنظام الدوام المدرسي، أما الحضانات الخاصة فهي لا تقل رداءة عن نظيراتها من المؤسسات الحكومية وتتميز بأنها مرتفعة الأجور[٣٤] وبدون تقديم أي خدمة حقيقية. لذلك فهن يصطحبن أطفالهن معهن. ان وجود الطفل مع الام في العمل يحتاج الى الوقت والرعاية والانتباه والحماية. وهذا ما حكت لنا م. ابتهال عنه فتقول:

« كان صراع إحدى زميلاتي مع زوجها ومع أهلها ومع المهندسين هو مع واجبات الامومة، فلديها طفلة بعمر عامان ونصف وطفلة بعمر ٥ اعوام، وكانت تجلب الطفلة الصغيرة معها والأخرى تتركها عند والدتها. فكان من الصعب عليها اداء المهام والاعمال الفنية رغم أنها تحاول وترغب بأتمامها. وكانت تتمنى لو أن في المؤسسة حضانة لتضع ابنتيها فيها وعندما طلبت من المدير توفير حضانة، سخر منها».

أما م. مريم فحكت لنا عن تجربتها المماثلة:

«أنجبت ثلاثة أطفال تباعا وكنت أشعر بالحيرة أين أضعهم إذا ما عملت المهام والأعمال الهندسية في موقع العمل فلا يوجد في المديرية حضانة».

سادسا: مرافق العمل

٣٣) انظر الى : الطرق التي مكنت المهندسات من الحصول على وظيفة .

٣٤) شمسويه انتِ!.. العمل المنزلي وحرمان المرأة من يومها،منال حميد، جمار(٢٠٢٣). (https://media.jummar/٣٣٥٥)

لاحظنا شكوى المهندسات بشأن عدم توفر غرف مناسبة لإتمام الدوام أو للاستراحة من العمل. سواء كانت هذه الغرف موجودة داخل البنايات التي تعتبر متهالكة أو في الكرفانات القديمة التي تحتاج إلى تجديد أو صيانة، بالمقارنة مع الرجال. يشغل الرجال في الاغلب الغرف المتاحة والجيدة أن وجدت. وكما شرحنا في السابق، فهم أغلبهم لا يرغبون بوجود المهندسات معهم كشريكات في نفس الغرف او الكرفانات. لكن في بعض الاقسام والمؤسسات يتشاركن معهم. وغالبا يتشارك ٤ - ٨ موظفين غرفة او كرفان صغير. كذلك تعاني المهندسات من عدم توفر خزانات لحفظ ملابس الوقاية والأدوات الشخصية وبقية مستلزماتهن. وحتى المهندسات اللاتي حصلن على غرفة كرفان مشتركة مع بعضهن، فقد كانت الغرفة خالية من الاثاث والاجهزة الكهربائية ولم يكن يستجاب لهن حينما يطالبن بتوفير مستلزمات للغرفة. وبهذا الصدد، تحكي م. سيناء عن وضعها مع زميلاتها المهندسات الثلاثة:

« عند استلامنا للغرفة بعد معاناة، وجدنا فيها مكتبًا قديمًا ومتهالكًا، إضافة إلى كرسي المكتب وكرسي بلاستيكي اخر وكان جهاز التكييف عاطل.. استغرقت استجابتهم لطلبنا عامًا كاملاً لاستبدال جهاز المكيف.. في الوقت الحالي، ليس في الغرفة ثلاجة، ولكن لدينا نية لشرائها على حسابنا، كما قمنا بشراء جهاز تدفئة على حسابنا في الشتاء الماضي.»

اما م. ابتهال فتقول:

«الكرفان كان صغيرا ومشترك مع الرجال ومن غرفتين وليس في الغرفة التي جلست فيها مكتبا أو حتى كرسي ولا ثلاجة والمكيف كان عاطلا. كما أن المديرية نفسها ليس فيها حمام للنساء».

معظم تلك المؤسسات لا تحتوي على حمامات مخصصة للنساء. على سبيل المثال، كانت إحدى المؤسسات تضم حمامين، أحدهما مخصص للرجال والآخر مشترك. وبعدما تقدمت المهندسات بطلب لإنشاء حمام خاص للنساء، كان رد المدير على هذا الطلب بأن المديرية مُخصصة للرجال، وعدد النساء قليل مقارنةً بالرجال هناك، وكان رده: **«لماذا ننفق جهدًا ومالا على بناء حمام خاص بكن؟"».**

في هذا السياق، يمكننا ملاحظة أن المدير يتعامل مع قضية طلب المهندسات وبقية الموظفات للحمام كما لو كان يتعامل مع قضية طلب الموظفات لحضانة اطفال. وكالعادة فحتى يتنصلوا من توفير الاخيرة يضعون عدة حجج واسباب، منها أن عدد النساء المتزوجات قليل، أو عدد النساء الاجمالي أصلا قليل بالمقارنة مع الرجال في المؤسسة. ونفس الامر تكرر في مؤسسات اخرى. فلا يدرك هؤلاء المدراء بأن توفير حمام للنساء وحضانة أطفال ليس رفاهية وانما ضرورة.

في ثلاث مؤسسات من بين خمس، أفادت المهندسات بأن مؤسساتهن إما انها لا تحتوي على حمام خاص بالنساء من الأساس، أو إنه غير صالح للاستخدام. لكنهن لم يبقين صامتات، بل طالبت بعضهن على مدار اشهر بتوفير حمام. وبالكاد أنشا لهن حمام وكان صغيرا وضيق ويعاني من مشاكل.

بالإضافة لذلك، فإنه وبشكل عام في اغلب تلك المؤسسات، لم توفر خدمات النقل للموظفات

ومن ضمنهن المهندسات. كما أن بعض المهندسات اللاتي سُمح لهن عائليا ومؤسساتياً أداء أعمال الصيانة صرن يواجهن رفض وعرقلة في ركوب سيارات الصيانة من قبل الرجال(زملائهن من المهندسين والفنيين) وغالبا ما يحاولون أشعارهن بالذنب أو الخطأ لانهن يركبن مع الرجال في سيارات العمل. ذكرت لنا م. نور موقفا مرت به:

«قالوا لي أن السيارة سيركبها ثلاثة رجال، لن تذهبي معنا، فأين ستجلسين. قلت لهم سأجلس في الخلف بجانب الشخص الثالث. فقالوا لي (مستحيل (عيب) تكعدين بصف رجال).. ثم تركوني وذهبوا».

يمكن أعتبار هذه الافعال نابعة من ايمان ديني[٣٥]، او مجرد ذريعة أتخذوها لأقصاء المهندسة وتُعد هذه الذريعة مناسبة لتجنب أي انتقاد أو لوم. فإذا ما اشتكت أو عبرت المهندسة عن استيائها من تلك الأفعال، فإنها قد تكون عرضة للانتقاد، ومجددا نؤكد أن المجتمع في الغالب لا يستسيغ فكرة تواجد المرأة مع الرجال في بيئة العمل الهندسي أو خارجها، وأيضًا لا يتقبل رؤيتها ترافقهم في سيارات العمل أو خلال أعمال الصيانة.

سابعا: البيروقراطية الذكورية

منهج المؤسسات التي تعمل فيها المهندسات هو تفضيل الرجال على النساء، وكما سُبِقَ الإشارة إليه، يظهر هذا التفضيل[٣٦] في جوانبٍ عديدة، مثل عمليات التوظيف والتدريب والتطوير. ويشمل على تعزيز ومضاعفة التحديات، مثل دور الأمومة وغياب البنية الداعمة للنساء، والتمكين الحقيقي، وتوزيع المسؤوليات واتخاذ القرارات والتمييز في القوانين والسياسات، وسنتناول الان الترقيات المهنية والمناصب، والمكافآت والمخصصات الوظيفية، والانحياز اللغوي.

فيما يتعلق بالمخصصات الوظيفية فهناك المخصصات الهندسية[٣٧] التي تكون نسبتها في بيئة العمل الفني ٥٠% بينما تكون نسبتها ٣٥٪ في مقار الشركات أو الاقسام الإدارية. ففي حالة م. ابتهال التي أوضحت أنهم يفرضون عليها اعمالا مكتبية في القسم الفني ويعرقلون ويرفضون مزاولتها المهام الهندسية، وفي الوقت نفسه، تذكر لنا كيف أن هنالك مهندسين رجال يختارون عدم القيام بأعمال هندسية أو فنية ويخصصون أنفسهم للأعمال الإدارية أو الجلوس دون القيام بأي عمل ويحصلون على مخصصات بنسبة ٥٠٪:

«على الرغم من أنني أعمل ضمن قسم فني واقوم ببعض الاعمال الفنية متحدية رفضهم وبدلاً من منحي نسبة ٥٠٪ من المخصصات الهندسية كما ينبغي، يمنحوني نسبة ٣٥%. والسبب وراء ذلك هو لجعل مهامي مقتصرة على الأعمال المكتبية».

---

٣٥) الإختلاط بين الجنسين، المكتب الشرعي لسماحة السيد السيستاني، جمعية اهل البيت، LXoUikK/pw.٢u//:https ، TyB٢SWw/pw.٢u//:https

٣٦) المرأة والتكنولوجيا والهندسة: حضور وتميز عربي، مؤتمر المرأة الليبية للدراسات الحديثة،(٢٠٢١) (Hbofc6y/pw.2u//:https)

٣٧) (« ... إن الأمانة العامة لمجلس الوزراء، أكدت على صرف المخصصات الهندسية بنسبة ٣٥٪ من راتب العاملين في مركز الوزارات والإدارات، ومنح مخصصات هندسية بنسبة ٥٠٪ من راتب العاملين في مواقع العمل والمشاريع خارج المقرات»). dpVl٩N٠/pw.٢u//:https

وفيما يخص الترقيات المهنية والمناصب تقول م. امنة أنهم سمحوا لها بأداء بعض الأعمال والمهام الهندسية والفنية البسيطة، بالإضافة إلى المهام المكتبية التي تم تكليفها بها فحصلت على مخصصات هندسية بنسبة ٥٠٪، لكنها تعرضت للتهميش والاقصاء حينما تسنمت منصب رئيسة شعبة غير فنية، شعبة أعمالها مكتبية. تقول م. امنة:

«بعد مضي ٦ أشهر على توليي لرئاسة الشعبة، تفاجأت بسحب الشعبة مني وتسليمها لرجل وحين سألتهم عن السبب قالوا:(الرجل أولى بالمنصب منك). وبهذا خسرت مخصصات منصب بنسبة ١٥٪».

فيما يخص المكافآت، عادةً لا يتم وضع أسماء المهندسات اللواتي يعملن بشكل فعلي في طلبات المكافآت. ومع ذلك، أشارت بعض المهندسات إلى أن بعض رؤساء الأقسام يُدرجون أسمائهن في الطلبات بهدف الاستحصال على مكافآت باستخدام أسمائهن لأنفسهم. وبالتاكيد فإن هذا الفعل غير قانوني، ويمثل نموذجًا من أشكال الفساد الإداري والمالي. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن المهندسات يجدن صعوبة في التبليغ عنه، نظرًا لمخاوفهن من الانتقام والتهديدات والضغوط الخارجية والنفسية، وعدم الثقة في آليات الإبلاغ وعدم وجود ضمانات للحماية وضعف الدعم الإداري، والعواقب القانونية التي تتجلى في دخولهن في إجراءات قانونية معقدة وطويلة ومكلفة. وفقدان ثقتهن وأملهن بالتغيير بسبب التواطؤ الثقافي الذكوري، حيث تشجع الثقافة المجتمعية والمؤسساتية على تجاهل السلوك غير اللائق والفساد والتستر عليه. وأيضًا الضغوط العائلية والاستقواء والعلاقات الشخصية التي تؤثر على معالجة التبليغ، وأخيرًا عدم الوعي بالحقوق.

وفي الختام هناك الانحياز اللغوي ضد النساء والذي يظهر في الكتب والوثائق والعناوين الوظيفية والمخاطبات. حيث يتم كتابة العنوان الوظيفي للمرأة بصيغة مذكرة مثل «معاون مهندس»، «مهندس»، «مهندس أقدم»..الخ. وتنطبق هذه النمطية على سائر التخصصات والعناوين الوظيفية أيضًا.

وتُستخدم ألقاب احترام وأساليب مخاطبة في الكتب الرسمية والإدارية دائماً بصيغة المذكر. على سبيل المثال: صدر أمر اداري لاقامة دورة تدريبية لمهندستين ومهندسين وجاء فيه :.. «تقرر اقامة دورة تطويرية بعنوان... (للسادة) المدرجة اسمائهم وعناوينهم..» يمكننا هنا أن نلاحظ أنهم لم يكتبوا السيدات والسادة بل اكتفوا بكتابة السادة وهنا تتمثل لنا جنوسية اللغة[٣٨] بتغليب التذكير على التأنيث. حيث تخاطب مجموعة متكونة من النساء والرجال بصيغة مذكرة حتى وأن كانت تلك المجموعة تحتوي على ٢٠ إمرأة ورجل واحد. كما أن «السيد» معتمدة في اغلب الكتب والمعاملات الرسمية عند الاشارة الى المفرد حتى لو كان الفرد امرأة واحيانا بعد الطباعة يضيفون تاء مربوطة بقلم الحبر الجاف.

وايضا في بعض الحلات يستخدم اللقبين الكتابين «أنسة» للعزباء و»سيدة» للمتزوجة والمطلقة والارملة للتفريق بين النساء على اساس حالتهن الاجتماعية ويمكن للفتاة الصغيرة أن تتقبل لقب «الآنسة»، وهذا اللقب يمكن أن يكون محببًا لها. ومع ذلك، قد يسبب للمرأة

٣٨) جنسوية اللغة: بمعنى الانحياز الجنسي، وهي التصوير اللفظي لهيمنة الذكورية في الاستعمال اللغوي التي يتم بها التفسير الذكوري للعالم.

الإحراج عندما تتقدم في العمر وتصبح امرأة كاملة النضج أو كبيرة في السن. وهذا يعود إلى الطريقة التي ينظر بها المجتمع إلى مظهرها وشكلها، حيث قد لا يكون ملائمًا لها أن تُلقب بـ»الآنسة». فيمكن أن تتعرض للسخرية والازدراء والشفقة خصوصا أن النساء غير المتزوجات يلقبن بالعوانس. كما وتتحسس وتُجرح النساء المطلقات وخصوصا الشابات من كلمة «أنسة» فيشعرن بالتفرقة وبالتمييز الاجتماعي. وأنسة استخدمها المعاصرون كترجمة لكلمة miss لوصف المرأة العذراء حيث لم يكن يفرق العرب قديما بمخاطبة المرأة المتزوجة وغير المتزوجة[٣٩]وتعني كلمة انسة: الفتاة الطيبة النفس المحبوب قربها والمأنوس حديثها[٤٠]. لكن استخدامها الان في بعض الاحيان في المعاملات والخطابات الرسمية لا يشير الا الى افكار نمطية ذكورية وابوية لها علاقة بالعذرية والعنوسة والتدخل بالحياة الخاصة للمراة وعلاقتها بجسدها.

الخاتمة:

مع أن البحث متخصص في المنطقة الجنوبية في العراق وفي مؤسسات تابعة لوزارة الكهرباء، إلا أن الظروف والتحديات والعوائق والقيود التي تواجه النساء اللواتي تمت مقابلتهن تعكس الوضع الذي تواجهه النساء في عموم العراق، سواء كن في القطاع العام أو القطاع الخاص، وسواء كن يدرسن أو يعملن في المجال الهندسي أو الفني أو الطبي أو الصحي أو الاجتماعي وغيرها من المجالات الوظيفية، سواء كانت مدنية وحتى عسكرية. ناقش هذا البحث اغلب المعوقات والقيود التي تواجه المهندسات العاملات في وزارة الكهرباء في المنطقة الجنوبية من تمييز جندري واجتماعي وتنميط لعملهن في الاعمال الادارية والمكتبية وعدم تسليمهن مسؤولية حقيقية. فكان نمط العمل المسموح به هو الاعمال المكتبية والادارية البعيدة عن الاختصاصات الهندسية والفنية.

تواجه المهندسات الكثير من التحديات في بيئة العمل منها الهيمنة والنظرة الدونية والذكورية والعدائية والتعليقات الاستهزائية لوجودهن في بيئات ومواقع العمل وعليه فيتعرضن لإنواع عديدة من العنف كالتحرش والإساءة اللفظية وتشويه السمعة بالإضافة الى التدخل في خصوصياتهن وخياراتهن. وايضا تواجه المهندسات الكثير من القيود ومنها القيود المفروضة على ملابسهن (كالعباءة والجبب والملابس العريضة والطويلة) والتحكم بما يرتدين بناءا على معايير العائلة والمؤسسة والمجتمع العشائري الاسلامي والتي تحرمهن من ارتداء ملابس الوقاية والسلامة ومن ممارسة العمل الفني، كما تمنع اغلب المؤسسات والعوائل المهندسات من العمل والاختلاط مع الرجال في مواقع العمل وايضا يعارضون سفرهن خارج المحافظة والبلد في حال حصولهن على فرصة للايفاد او التدريب او الدراسة.

تشمل العوائق الأخرى التي ناقشها البحث الاعمال المنزلية والرعائية غير مدفوعة الأجر إذ تشكل عائقاً اضافيا امام المهندسات للحصول على الفرص والتطوير والوصول الى اماكن

٣٩) لكنهم يفرقون بوصف المرأة المتزوجة (المطلقة والارملة) وغير المتزوجة فيسمون الاولى ثيب و الثانية باكر ومازالت الفوارق قائمة حتى الآن، ولا سيما فيما يتعلق بالزواج.
٤٠) فصول عن المرأة، هادي العلوي، دار الكنوز الادبية، بيروت، (١٩٩٦).

او درجـات عاليـة مـن المسـؤولية بالإضافـة الـى إفتقـار أماكـن العمـل الـى الاثـاث والتكييـف والمرافـق الصحيـة للنسـاء كالحمامـات وغـرف الإسـتراحة، وايضـا الافتقـار للحضانـات. وأخيـراً، تؤاجـه المهندسـات فـي المنطقـة الجنوبيـة بإنـواع مختلفـة مـن صـور التمييـز والتفرقـة سـواءاً الماديـة وحتـى اللغويـة.

يوجـد وعـي ومثابـرة و اصـرار حقيقـي لعـدد غيـر قليـل مـن المهندسـات الطموحـات ليثبتـن انفسـهن فـي العمـل الفنـي والهندسـي رغـم كل المعوقـات والقيـود والتحديـات ولكـن هـل تسـتطيع جميـع المهندسـات التغلـب عليهـا؟ وهـل مـن الممكـن الإكتفـاء بالمقاومـة الذاتيـة لمواجـة مشـكلة هيكليـة ومؤسسـاتية وثقافيـة؟ رغـم أهميتهـا، إلا أن المقاومـة الفرديـة لا تمثـل حـلاً جذريـاً للمشـاكل التـي طرحناهـا فـي هـذا البحـث بـدون إسـتجابة حقيقيـة ومسـؤولة مـن قبـل الجهـات المعنيـة للتصـدي لتلـك المعوقـات والقيـود ومعالجتهـا مـن خـلال فـرض تشـريعات قويـة وسياسـات ناجحـة تُقلـل مـن حجـم التمييـز والتهميـش الـذي تتعـرض لـه المهندسـات وتحـاول إنصافهـن فـي بيئـة العمـل. وحتـى مـع إقرارهـا وتحققهـا، تظـل التسـاؤلات حـول المعوقـات والقيـود الخارجيـة المرتبطـة بالعائلـة والمجتمـع وسـط إنعـدام التشـريعات التـي تحمـي المـرأة فـي الفضائيـن العـام والخـاص، تسـاؤلات مشـروعة وواجبـة الطـرح.

نساء ذي قار في الاحتجاجات

مريم قاسم وبان فالح

تشرين ليست كمثيلاتها من الاحتجاجات فيما يخص مشاركة المرأة. مثلت تشرين تطلعات المرأة في وقتنا الحالي التي تتغنى بالمساواة والحرية وحقوق الانسان فقد كانت مشاركتها مشاركة فعالة كشريكة بالوطن وليس تابعة وخلف الكواليس, كما هو الحال في كثير من مشاركات النساء، اضافة الى تنوع النساء المشاركات من كل الطبقات والاعمار والخلفيات الثقافية مما سبب بصدمة للقوى الحاكمة التي استخدمت كل الطرق للطعن والتشكيك في النساء المشاركات في تلك الاحتجاج, كانت مشاركة المرأة في تشرين واحدة من العلامات الفارقة الكبيرة التي جعلت لتشرين اهمية كبيرة ومؤثرة لما مثلت من ثورة واعية سلمية تسعى الى اخذ حقوقها بالطرق السلمية.

وللمضي قدماً نحو مشاركة فعالة للنساء، فنشر الوعي، وكسر الصور النمطية، وحماية الناشطات، والتحول في النظرة للنساء من ضعيفات الى قوى التغيير، هو من أكثر ما يحتاج العراقيون اليه، لتحسين ظروفهم وواقعهم.

المقدمة:

لعبت نساء ذي قار دورا كبير في الاحتجاجات الاخيرة، ففي تشرين الاول من سنة ٢٠١٩ وذلك حسب المادة ٣٨ من الدستور العراقي والتي تنص على (تكفل الدولة وبما لا يخل بالنظام العام والآداب، اولا: حرية التعبير عن الراي بكل الوسائل. ثانيا: حرية الصحافة والطباعة والاعلان والاعلام والنشر)" حيث خرجت الحشود العراقية لترفض الظلم، والفقر، والبطالة، والتهميش وللمطالبة بالحقوق المشروعة في احتجاجات سليمة. وقد شهدت حضور كبير للنساء من بينهم نساء ذي قار ومشاركتهن وأثبات وجودهن وعدم الاكتفاء بالدور المعنوي ,المتمثل بالتشجيع وتقديم الرعاية وانما توسعت مشاركتهن الى الوقوف في الصفوف الاولى وارتفاع صوتهن وخطابهن، بالرغم من وجود القيود الاجتماعية، الا ان ذلك لم يحد من قوة حضورهن او يمنعهن من المطالبة بحقوقهن رداً على توسع دورهن سياسياً واقتصادياً واجتماعياً, وقد تنوعت مشاركتهن ما بين تقديم الدعم اللوجستي الى تشكيل دروع بشرية لحماية المحتجين الشباب والمشاركة

في الخطاب ومع هذا التنوع في المشاركة كان وجودهن في غاية الخطورة ما بين تعرضن الى الاختطاف والتهديد.
استند هذا العمل على مقابلات ميدانية حيث تمت مقابلة خمس شابات وتم طرح مجموعة من الاسئلة عليهن منها ما يتعلق بدوافع المشاركة في الاحتجاجات وماهي العوائق التي وقفت امام مشاركتهن. اثنان منهن يعملن في القطاع الصحي، بعمر ثلاثين عاما، والثلاث الاخريات طالبات في جامعة ذي قار بعمر الخامسة والعشرين عاما. تم طرح عدة أسئلة وتوضيحها وشرح اهداف الدراسة والجهة المنفذة، وهنالك بعض الاسئلة امتنعت عن الإجابة عليها اثنتان من المشاركات، رغم انه كان لهن دور كبير ومعرفة واسعة بالنشاط الاحتجاجي وقمن بأدوار مختلفة وشاركن بخط الصد الأول، أما باقي المشاركات قمن بحمل البوسترات في المسيرات الاحتجاجية من ساحة الحبوبي وهي الساحة المشهورة في احتجاجات الناصرية إلى جسر الزيتون وذكرن أيضا قيامهن بتشجيع الفتيات على الخروج في الاعتصامات على مواقع التواصل الاجتماعي.

اولا: السياق التاريخي لمشاركة النساء في الاحتجاجات السلمية في العراق:

بدأت أول مظاهر الاحتجاج للمرأة العراقية في القرن التاسع عشر إبان الحكم العثماني حيث طلب الوالي عبد الوهاب باشا إجراء تعداد خاص بنسوة العراق تنفيذا للفرمان السلطاني الصادر من الباب العالي في إسطنبول من أجل إصدار الجنسية العثمانية وقد واجه هذا الأمر معارضة شديدة من الشيوخ والأهالي والنسوة في بغداد الذين عبروا عن سخطهم لهذا الأمر فقد خرجوا بمظاهرة حاشدة بقيادة محمد جمال الدين الكيلاني وقد استجاب والي بغداد لطلبهم. وتوالت مشاركة النساء بحشد المظاهرات الجماهيرية من ضمنها المعادية للاستعمار البريطاني وغيرها.

لم يذكر لنا التاريخ أي مشاركة سياسية فعلية للمرأة العراقية قبل ثورة العشرين، ودورها كان يقتصر على المشاركة المعنوية فقط مثل تشجيع الرجال على المشاركة وتقديم الدعم بالإضافة الى رفع الشعارات، ولكن في الخامس عشر من تشرين الأول عام ١٩٢٣ في بغداد بدأت اراء النساء السياسية تتواجد في الساحة المدنية والمجالات العامة، حيث ظهرت أول مجلة عراقية وهي مجلة ليلى لصاحبتها بولينا حسون وهي أول مجلة نسائية في تاريخ الصحافة العراقية وتزامن ظهور المجلة مع انتخابات المجلس التأسيسي. وكان شعارها في «سبيل نهضة المرأة العراقية» وطالبت بمنح المرأة حقوقها كاملة في التعليم وقبولها في الكلية الطبية بسبب حاجة المجتمع الى الطبيبات آنذاك وأيضا حق المرأة في المشاركة بالوظائف والانتخابات، ولكن للأسف بسبب الحملات التي أقيمت ضد المجلة وبالضغوطات التي أثقلت السيدة بولينا الحسون لسنتين اضطرت إلى التوقف عن إصدار مجلتها وغادرت العراق إلى فلسطين. ولكن مشاركات النساء لم تنته عند هذا الحد حيث جاءت بعدها السيدة مريم نرمة وقامت بتأسيس مجلة فتاة العرب

في عـام ١٩٣٧ وكتبـت العديـد مـن المقـالات التـي تحـث عـلى حـق المـرأة في التعليـم والانتخـاب والمشـاركة في السياسـة وكان لهـا صـدى واسـع وتشـجيع مـن بعـض الشـعراء مثـل الرصـافي والزهـاوي واتيحـت الفرصـة للمـرأة العراقيـة في بدايـة القـرن العشريـن المشـاركة في المؤتمـرات النسـوية المنعقـدة خـارج العـراق لتسـاير المـرأة العراقيـة بذلـك ركـب النهضـة النسـوية العربيـة وقـد وجـدت بذلـك الفرصـة لطـرح مشـاكلها وتلمـس الحلـول لهـا وكذلـك الاهتـمام بالحقـوق السياسـية والدسـتورية ومشـاكل عمـل المـرأة.

وفي الحقبـة التـي تلـت انتهـاء الحـرب العالميـة الثانيـة شـهدت تحـولات في مجـالات الحيـاة السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة وكان العـراق مـن المتأثريـن بهـذه التحـولات ومـن هـذه الاثـار توسـع التعليـم للنسـاء وخاصـة التعليـم الجامعـي مـما خلـق فئـة مثقفـة مـن النسـاء اللـواتي اسـتوعبن التحديـات التـي يمـر بهـا البلـد وقـد ترجمـت تلـك الحالـة بمشـاركتها في الانتفاضـات التـي سـجلت فيهـا حضـورا متميـزا وراحـت تشـارك في حـل المشـكلات الاجتماعيـة عـن طريـق انخراطهـا في الجمعيـات بالإضافـة إلى مسـاندتها لقضايـا الشـعب العـربي ضـد الاسـتعمار.

كـما شـاركت عـلى المسـتوى المحـلي في المظاهـرة الاحتجاجيـة ضـد معاهـدة بورتسـموث عـام ١٩٤٨ وإعـلان الاضطـراب في كليـات الصيدلـة والكيميـاء وأيضـا كان للمـرأة العراقيـة دورا في ثـورة ١٤ تمـوز عـام ١٩٥٨حيـث أن تأثـير هـذه التطـورات عـلى حركـة الحقـوق في العـراق كان كبـيرًا. بـدأت المـرأة العراقيـة في المشـاركة في الحيـاة السياسـية والاجتماعيـة بشـكل أكـبر، وتـم تأسـيس منظـمات نسـوية للدفـاع عـن حقـوق المـرأة وتعزيـز مشـاركتها في القـرارات السياسـية. وتأسسـت رابطـة المـرأة العراقيـة في عـام ١٩٥٢ وكان لهـا دور هـام في تعزيـز حقـوق المـرأة وتمكينهـا. قـادت الرابطـة العديـد مـن الحمـلات والمبـادرات لتحسـين أوضـاع المـرأة في المجتمـع العراقـي، بمـا في ذلـك حمـلات لمكافحـة العنـف ضـد المـرأة وحمـلات لزيـادة نسـبة تمثيـل المـرأة في المجـال السـياسي والاقتصـادي. كـما سـاهم الحـزب الشـيوعي العراقـي في تعزيـز دور المـرأة في الحركـة السياسـية مـن خـلال تنظيماتـه النسـوية. قـدم الحـزب فرصًـا للمـرأة للمشـاركة في صنـع القـرار وتأثـيره عـلى السياسـة العراقيـة. وقـد أصبحـت أمينـة الرحـال، التـي حصلـت عـلى مركـز قيـادي في الحـزب، رمـزًا لقـوة وقـدرة المـرأة العراقيـة في السياسـة.

ومـن خـلال هـذه التطـورات، بـدأت المـرأة العراقيـة تحقـق تقدمـا في مجـال حقوقهـا ومشـاركتها السياسـية. واسـتمرت هـذه الحركـة في النمـو والتطـور عـلى مـر السـنين، وتحققـت بعـض الانتصـارات الهامـة مثـل حصـول المـرأة العراقيـة عـلى حـق التصويـت والترشـح في الانتخابـات السياسـية وعليـه فقـد تغـير حـال المـرأة العراقيـة بعـد الثـورة إذ تـم تعيـين الدكتـورة نزيهـة الدليمـي وزيـرة للبلديـات بتاريـخ ١٤ تمـوز ١٩٥٩. وقـد تزامـن اعـلان قـرار تعيينهـا في الـوزارة مـع اعـلان شرعيـة الأحـزاب السياسـية. كـما سـاعدت الثـورة عـلى اشـتراك المـرأة في تخطيـط سياسـة البلـد مـن خـلال مشـاركتها في الـوزارات حيـث كان لهـا نشـاط في المجـال الـدولي اذ خرجـت المـرأة بفضـل الثـورة مـن النطـاق

المحـلي الى العـالم الخارجـي وتمثـل ذلـك بالتمثيـل الـدولي حيـث مثلـت المـرأة العراقيـة بلدهـا في اجتماعـات الجمعيـة العامـة للأمـم المتحـدة في نيويـورك. وسـاعدت ثـورة ١٤ تمـوز المـرأة العراقيـة للدخـول في الحقـل السـياسي ومشـاركة الرجـل في بنـاء مجتمـع متقـدم تمكنـت النسـاء مـن اقتنـاع الحكومـة العراقيـة آنـذاك بأهميـة وجودهـن في اماكـن صنـع القـرار الأمـر الـذي حـدا بهـن ان يتبـوأن عـدة مناصـب وزاريـة في الحكومـة مـع اخـذ مكانهـا في التمثيـل الـدولي لبلادهـا في المؤتمـرات العربيـة والعالميـة. كـما سـمحت الثـورة للمـرأة العراقيـة بتشـكيل منظماتهـا النسـوية حيـث بـرزت (رابطـة المـرأة العراقيـة) التـي ترأسـتها الدكتـورة نزيهـة الدليمـي والتـي كانـت قـد تأسسـت في ١٠ /٣/ ١٩٥٢ في اجتـماع سري برئاسـة الدكتـورة نزيهـة الدليمـي وبجهـود عـدد مـن المناضـلات المثقفـات مثـل سـافرة جميـل حافـظ وخانـم زهـدي وبـشرى برتـو وزكيـة شـاكر وغيرهـن، وقـد اسـتمرت المـرأة في دورهـا الاحتجاجـي إلى يومنـا هـذا وهـو مـا رأيناه في مظاهـرات تشريـن التـي كان لهـا التأثير الأكبر في الدفـاع عـن الحقـوق ونجـاح الانتفاضـة بتغييرهـا كثـيراً مـن الأنمـاط في المجتمـع.

ثانيا: دوافع النساء للمشاركة وادواها في تشرين:

• الدوافع:

دفـع الفسـاد، القمـع، التهميـش، البطالـة، غيـاب التعيـين، سـوء النظـام التعليمـي والواقـع الخدمـي والصحـي الكثـير مـن شـباب العـراق للخـروج في مظاهـرات تشريـن ومـن ضمنهـم النسـاء، يقـول دوشي المراقـب للشـأن السـياسي» إن ذي قـار عرفـت منـذ التأريـخ كملجـأ للثـوار والمقاتلـين منـذ حـرب الآشـوريين ضـد السـومريين ولجوئهـم الى الأهـوار كمـلاذ آمـن وتلتهـا الحكومـات المتعاقبـة في الفـترة الإسـلامية حتـى التاريـخ المعـاصر إذ قـام نظـام صـدام حسـين في تسـعينيات القـرن المـاضي بتجفيـف الأهـوار لأنهـا ضمـت الثـوار والمعارضـين لنظامـه، أمـا الآن فـيرى المحتجـون أن وجودهـم في هـذه المحافظـة بـات مرهونـاً بقدرتهـم عـلى تحقيـق الإصلاحـات المطلوبـة».

ومـن خـلال مجموعـة مـن المقابـلات الميدانيـة التـي اجريـت مـع النسـاء ولذلـك لغـرض معرفـة الدوافـع والأسـباب التـي دفعـت المـرأة في ذي قـار للخـروج الى سـاحات الاعتصـام كانـت النتائـج كالتـالي:

١. الواجـب: حيـث شـعرت بعـض النسـاء بالواجـب اتجـاه الوطـن والمشـاركة والخـروج والتعبـير عـن رأيهـن وموقفهـن تجـاه الوضـع السـياسي بغـض النظـر عـن العواقـب.

٢. الفضول: شارك البعض بدافع الفضول وخوض تجارب جديدة بالنسبة لهن ولمحيطهن.

٣. التأثـير: وذلـك لغـرض التأثـير والمسـاهمة في احـداث تأثـير في الوضـع السـياسي ووضـع البلـد بصـورة عامة.

٤. حب الوطن: حيث ان اغلب المشاركات دفعهم حب الوطن ومحاولة النهوض بواقعه.

٥. الواقـع المعيـشي: بعـض المشـاركات دفعهـن الوضـع الخدمـي والصحـي والاقتصـاد المتدهـور والوضـع العـام الـسيء.

٦. اثبات الوجود: حيث تعاني النساء في ذي قار والعراق عامة من التهميش والوجود شبه المعدوم بسبب المجتمع الذي يعامل المرأة بدونية والذي يسلط الضوء على الرجل فكانت الاحتجاجات نقطة فاصلة لبيان دور المرأة وتأثيرها.

• الادوار:

١. إطلاق الهتافات ضد الواقع الخدمي والصحي السيء.
٢. انشاء المكاتب بين مجموعة من النساء لغرض التشجيع على القراءة والتعرف على الدستور العراقي والحقوق والحريات التي يستحقها الفرد العراقي.
٣. الوقوف في الصفوف الاولى اسوةً بأخيها الرجل والاحساس وعيش الخطر المحدق بها وبعائلتها.
٤. التحدث في مواقع التواصل والتحفيز على التغيير والاستمرار في الاحتجاج.
٥. المطالبة بالحقوق مثل ضمان حق المساواة والمطالبة بتشريع قانون العنف الاسري. واعلاء صوت المرأة.

ثالثا: التحديات والعقبات التي واجهت نساء تشرين:

أن من ابرز التحديات التي واجهت المرأة التشرينية في ساحات الاعتصام هي التنشئة الاجتماعية التقليدية للمرأة منذ نعومة اظفارها على نمط معين من الادوار كالتي تتعلق بالأعمال المنزلية، حيث ان هناك رجل «قوام» ومسؤول عنها اضافة الى تحديد المواضيع التي تهتم بها. فقد فرض المجتمع على المرأة التحدث بطريقة معينة وصوت منخفض وعدم الاختلاط مع الرجال وحتى عزلهم عن بعض في موائد الطعام في الولائم وكذلك النظر للمرأة على انها انسانة عاطفية لا يمكنها المشاركة في القرارات المصيرية كزواج الابناء وشراء العقار. كل ذلك جعلها تعتقد انها خلقت لتمارس هذا النوع من الادوار ولا تستطيع ممارسة غيرها. لذلك فأن هذه التنشئة جعلت الكثيرات يترددن في التعبير عن أرائهن أو المشاركة في أي نقاش يتعلق بالسياسة، حيث يرى المجتمع العراقي ان السياسة والحديث عنها هو المجال العام للرجال وإن النساء لا تستطيع ان تفهم دهاليز السياسة كون النساء محجمات فكريًا وليس لديهن اهتمامات سوى الطبخ، والتجميل، والعناية بالأطفال، والمنزل بحسب ادعاء معظم القائمين على السلطة في المجتمع.

بالإضافة الى ذلك هنالك التحديات الدينية كالخطابات الدينية المتشددة والمتطرفة عبر تحريم بعض رجال الدين خروج النساء والاختلاط مع الرجال مما ساعد في ازدياد العنف ضدهن، وقامت جماعات مسلحة باستخدام الترهيب والتهديد بالقتل والاختطاف وزعزعة الاستقرار الأمني مما ولد الخوف وعدم الأمان للكثيرات ممن رغبن بالمشاركة.
ولم يخل الأمر من وجود تحديات متنوعة طالت عددا من النساء المشاركات في المظاهرات،

ومصدرها جهات معروفة. كما تعرضت بعض الناشطات إلى حملة إشاعات ملفقة وتهم متنوعة مثل الطعن والتشويه في الشرف والسمعة، والعمل ل»صالح أجندات أجنبية لزعزعة الأمن والاستقرار في البلاد».

وهنالك نوع اخر من التحديات التي واجهت النساء في ساحات الاعتصام وهي الأدوار النمطية التي فرضت عليها من تنظيف وطبخ للمتظاهرين والمشاركة القليلة في طرح المطالب ومعاملتها كأنها مطالب ثانوية يتم الالتفات لها بعد تغيير الوضع السياسي الراهن وانتخاب حكومة جديدة. والعديد من النساء رفضن هذا التعامل ونجحن في تغيير هذه الصورة النمطية للمرأة العراقية بالمشاركة بخط الصد الأول وإثبات وجودهن كجزء فعال في العملية السياسية والمجتمع. ومن ضمن التحديات ما يتعلق بتنظيم النساء أنفسهن وذلك بسب الفجوة بين ما يسمى بالناشطات الرائدات والناشطات اللواتي اخذن من وسائل التواصل الاجتماعي منصات للتعبير عن نشاطهن. لقد أسهم ذلك بإضعاف المطالب وبإضعاف وحدتهن حيث جرى اقناع قسم اخر من النساء بأن التغيير في النظام السياسي سيغير وضع النساء تلقائيا. بالإضافة الى استخدام وسائل التواصل الاجتماعي التي تناولت منشورات تسيء للنساء المتظاهرات بالسب والشتم من خلال العديد من الصفحات والحسابات الوهمية.

ابعاد قمع نساء تشرين وأدواته:

اتخذت السلطة القمع وسيلة من اجل اخماد انتفاضة تشرين والتمسك بالسلطة وكأنها لا تملك خيارا اخر غير ذلك. وفقا لتقرير منظمة العفو الدولية لعام ٢٠٢٠، فان السلطة متمادية في القمع حتى لو أدى ذلك الى ابادة كافة العراقيين كما كان يحدث في الحكم الدكتاتوري السابق. لقد شهد الجيل الحالي ما حصل في أبرز احتجاج حدث في القرن الحالي والمتمثل بثورة تشرين. فقد استخدمت الدولة كل أدواتها لتفكيك هذا الحراك وانهاءه بمختلف الطرق وبالتأكيد كان لنساء تشرين الحصة الأكبر من هذا القمع حيث تعرضن الى:

• التهديد والاغتيال فقد اشارت بعض التقارير ان هناك أكثر من ٢٠ ألف بين قتيل ومصاب وكانت للنساء المشاركات حصة في ذلك فقد اغتيلت الناشطة سارة حسين وزوجها حسين المدني في بداية تشرين الاول ٢٠١٩ في شقتهم وتلاها اغتيال الطالبة زهراء القرة لوسي بسبب نشاطها ونشاط عائلتها في توزيع المساعدات وقت التظاهر ومحاولة اغتيال الناشطة لوديا ريمون والكثير من المغدورات اللواتي قضين نحبهن في ساحات الاحتجاج في بغداد والمحافظات لغرض بث الرعب وانهاء الاحتجاجات.

• الحملات التحريضية ضدهن مثل استخدام صور لشابات يمسكن خمور من اجل ممارسة الضغط الاجتماعي على الاهالي في عدم السماح لهن بالمشاركة وإطلاق العديد من الشائعات والالقاب عليهن مثلا «بنات الخيام» وغيرها من الألفاظ الجارحة للحياء.

• ضغط الاهالي والمجتمع والخوف من العار حيث أثر ذلك وبشكل كبير في تضاؤل عدد النساء

المشاركات واحباط عزيمتهن في التعبير عن صوتهن.
• اسكات الاعلام حيث تعرض الصحفيون الى القتل والتهديد بالإضافة الى التهديد بأغلاق القنوات ولهذا الفعل تأثير كبير. منها فقدان الدعم الشعبي للاحتجاجات حيث تمثل الصحافة ركيزة اساسية في الاحتجاجات.

خامسا: الأثر الذي تركته مشاركة المرأة في ثورة تشرين:

إعداد كبيرة من النسوة خرجن للتظاهر في ثورة تشرين في ذي قار وباقي المحافظات وبهذا أصبحت المرأة العراقية قادرة على كسر الاغلال والتحرر من القيود التي فرضها المجتمع والتربية وبذلك استطاعت التعبير عن رأيها واثبات وجودها حتى باتت عنصرا أساسيا في الثورة ورمزا من رموز الصمود والقوة، كما عززت ثقة العديد من النساء لبناء كيان خاصة بهن وان لهن تأثير في التغيير. ولذلك تعد تشرين محطة نجاح كبيرة في الحراك النسوي العراقي.
وإن من أبرز سمات نجاح مظاهرات تشرين مسيرتين نظمتا بقيادة النساء الأولى «بناتك يا وطن» يوم ٢٠٢٠\١٢\١٣ وهي اول مسيرة نسوية في تاريخ العراق الحديث، حدثت نتيجة سياسات التعهير والتهديد الذي طال المتظاهرات وشعارات تحريم الاختلاط بين الجنسين. والمسيرة الثانية يوم ١ /اذار/٢٠٢٠ في شهر المرأة والتي سميت ب "شذر اذار» تخليدا للمرأة التشرينية والتحدث عن أهمية وجودها في هكذا احتجاجات لأنها جزء لا يتجزأ من الثورة وقد أحدثوا تغييرا في الوعي السياسي أيضا ونشر ثقافة الاحتجاج في العراق وفي الوطن العربي وقد مهدن الطريق للأجيال القادمة.

المصادر:

١. نساء تشرين والانتخابات العراقية لعام ٢٠٢١https://www.kas.de/documents/٠/٢٦٦٧٦١/ ٧٨٨b--٧f٢f-٣c٥٩ad٤٦/Dr.+Hadeel+Abdelhameed+-+Tishreen+Women+Arabic.pdf ١٦٤٨٥٥٢٥٢٠١٥٠=t&١,٠=version?١ffff٣٥fef٨٣-e٥cb

٢. علي الوردي, دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ١٩٦٥. https://www.kotobati.com/book/%D٩ -A٩%DA%B٣%DA%AV%DA%B١%AF%DA%DA%-AA%DA%AV%AA%DA%DA%٨٣% %A٥%D٩%A٤%D٩%AV%DA%-A٩%DA%B٩%AA%DA%D٩%AA%DA%BV%AA-%DA%D٩%٨١%D٩% D%٨٢%D٩%AV%DA%B١%DA%B٩%DA%A٤%D٩%AV%DA%-B٩%DA%٨٥%AA%D٩%AC%DA%D٨ ٨A%٩

٣. مقال الناصرية أيقونة تظاهرات العراق، وبيضة القبان في خطوات التصعيد لساحات

الاحتجـاج بقلـم أمـير دوشي الباحـث في شـؤون الـتراث الثقـافي العـربي.
٢٣٥٧٢=https://www.almadasupplements.com/print.php?cat
٤. مقابلـة مـع عاملـة في مستشـفى وطالبـة واسـتاذة في جامعـة ذي قـار، ٢٥-٣٥ سـنة ، ٣١ مـن تمـوز ٢٠٢٣، الناصريـة.
٥. https://www.aljazeera.net/women/٢٠٢٠/٨/٢٤/%D٩%٢٤%D٨%٢٠%D٨%AA%D٨%AA%D٨%B١%D٨%B٩%AA%D٨%AF-%D٨%AA%D٨%AF%D٩%D٨%AA%D٩%D٨%٤٤%D٩%٨٦%D٩%B٦%D٨%AA%D٨%B٠%D٨%٨٣%D٩%٨٧%D٩%-B١%٨٨%D٨%D٩%٨٧%D٩%B٤%AA%D٨%D٨%٨٤%D٩%٨٧%AA%AF%D٨%AD%D٨%AA%D٨%D٨%
٦. دكتـورة الهـام المـكي، تظاهـرات أكتوبـر نقطـة تحـول في الحـراك النسـوي، كتـاب المظاهـرات التشرينيـة، دار سـطور، ٢٠٢١.https://www.amnesty.org/ar/latest/news/٢٠٢٠/١٠/١-iraq-protest-death-toll-surges-as-security-forces-resume-brutal-repression/
٧. صحيفـة الجزيـرة, ٣\١١\٢٠١٩, عراقيـات في الخطـوط الأماميـة للمظاهـرات. https://www.aljazeera.net/women/٢٠٢٠/٨/٢٤/%D٩%٢٤%D٨%٢٠%D٨%AA%D٨%AA%D٨%B١%D٨%B٩%AA%D٨%AF-%D٩%AA%D٨%AF%D٩%D٨%AA%D٩%D٨%٤٤%D٩%٨٦%D٩%B٦%D٨%AA%D٨%B٠%D٨%٨٣%D٩%٨٧%D٩%-B١%٨٨%D٨%D٩%٨٧%D٩%B٤%AA%D٨%D٨%٨٤%D٩%٨٧%AA%AF%D٨%AD%D٨%AA%D٨%D٨%
٨. https://www.amnesty.org/ar/latest/news/٢٠٢٠/١٠/١-iraq-protest-death-toll-surges-as-security-forces-resume-brutal-repression/
٩. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%AA%D٨%AF%D٩%D٨%AA%D٨%AA%D٨%B٤%D٩%٨٦%D٩%B٦%D٨%AA%D٨%B٠%D٨%٨٣%D٩%٨٧%D٩%-B١%٨٨%D٨%D٩%٨٧%D٩%B٤%AA%D٨%D٨%٨٤%D٩%٨٧%AA%AF%D٨%AD%D٨%AA%D٨%D٨%_%D٨%A٩%٨٨%D٨%D٩%٨٢%D٩%٨٧%D٨%B١%D٨%B٩%D٨%٨٤%D٩%٨٧%D٨%_%D٨%AA%D٨%B١%D٨%B٤%D٩%٨٦%D٩%D٩%
١٠. صحيفـة الاحتجـاج اليوميـة في العـراق, ٨\٣\٢٠٢٠, المـرأة ايقونـة الاحتجاجـات العـراق.https://alihtijaj.com/view.php?cat=١١٤٠

مقالات مختارة حول مواضيع نسوية مختلفة

المرأة والانتفاضة

بين حضور المرأة في انتفاضة اكتوبر في العراق(٢٠١٩) وغياب مطالبها.

نادية محمود

مـن المعـروف ان انتفاضـة اكتوبـر في العـراق كانـت حدثـا تاريخيـا اسـتثنائيا مـن حيـث الانخـراط الجماهـيري والاجتماعـي الواسـع فيـه. حسـب علمـي، لم يمـر العـراق بانتفاضـة مـن هـذا القبيـل. بـدأت الجماهـير تسـيطر عـلى سـاحات في المـدن في وسـط وجنـوب العـراق واعلنـت انهـا سـاحاتها (التحريـر، الحبـوبي، البحريـة، الصدريـن، السـاعة). واقامـت بهـا خيامهـا، ومطاعمهـا، وملتقياتهـا الخطابيـة، وقاعـات اجتماعاتهـا، وتجمعاتهـا، وعلقـت الزينـة، والاعـلام، واقيمـت الاذاعـات، ومكـبرات الصـوت لالقـاء الخطابـات والاغـاني الحماسـية، وعقـدت النـدوات، واشـترك الرجـال والنسـاء، الشـابات والشـبان، مـن مختلـف مـدن العـراق. تـزاور المنتفضـون، تعرفـوا عـلى بعضهـم البعـض، اصبحـت تلـك السـاحات مدنـا قائمـة بذاتها.اعيـد رسـم جدرانهـا بصـور المنتفضـون لتعـبر عـن روح الانتفاضـة.

سـاهمت النسـاء بمختلـف الادوار وخاصـة بعـد ٢٥ اكتوبـر. قـد يكـون لثـورة لبنـان ومسـاهمة النسـاء فيهـا في ١٧ اكتوبـر دورا في الهـام الشـابات في العـراق لحـذو حـذو رفيقاتهـن في لبنـان. فكانـت ادوارهـن المشـاركة في المسـيرات، الهتافـات، رفعـن الشـعارات المختلفـة، نظمـن انفسـهن وخرجـن بجماعـات نسـوية، عملـن كمسـعفات، وطبيبـات، وصلـن ألخطـوط الاماميـة لصـد قـوات الشـغب، ركضـن مـع رفاقهـن مـن الشـبان، دون ان يلتفـت احـد الى كونهـن» انـاث». عملـن في تنظيـف السـاحات والخيـم، في الطبـخ، غسـيل الملابـس، الرسـم عـلى الجـدران والكرافيتـي. قمـن ببيـع الكتـب

في الساحات، عملن اسواق بازار لبيع منتجاتهن. قدمن تبرعات مالية، حتى مصوغاتهن الذهبية. الطالبات تبرعن بمصروفهن الشخصي، وتحدين ادارات مدارسهن وانخرطن في التظاهرات. طالبات الجامعة انخرطن فيها. اضافة الى قيامهن بالتحشيد عبر السوشيال ميديا، وخاصة اولئك اللواتي حرمن من المشاركة بسبب رفض اسرهن لمشاركتهن في الانتفاضة. المتقدمات في السن كن ناشطات ومفعمات بالحيوية يشاركن باشكال مختلفة بجهود الانتفاضة.

جراء هذه المشاركة متعددة الاشكال، تعرضت النساء الى القتل والاختطاف، والترهيب والتهديد، وتشويه السمعة والتضييق من قبل الاطراف الحكومية وميلشيات احزابها. في الوقت الذي نجحت هذه الاسلحة في ردع عدد من الشابات، الا انها لم تنجح في ردع الجميع. في ذكرى احياء الانتفاضة في اول اكتوبر ٢٠٢٠، قامت النساء بعمل استعراض نسوي كبير وهن يرددن» لم ننسى ان ننعود».

ألا اننا ونحن نحيي ذكرى الانتفاضة او « استمرار» الانتفاضة كما يحب ان يطلق عليها، لا بد من القاء نظرة متفحصة على نواقص انتفاضتنا فيما يتعلق بدور ومطالب النساء فيها. تنتقد هذه المقالة، مع هذا الظهور الواضح والجديد لنساء العراق، الا ان المطالب النسوية كانت غائبة. ان هذا الغياب لم يكن صدفة، لذا يتوجب تعقب اسباب هذا الغياب.

لقد اعزّي غياب المطالب النسوية الى «أن رفع مطالب نسوية في الانتفاضة سيؤدي الى تشتت مطالب المتظاهرين!"او « ان عدم رفع مطالب النساء لا ضرورة له، لان «التغيير» ان جاء سيعم الجميع بخيراته وبشكل اوتوماتيكي». اضافة الى التصور بان مشاركة النساء في التظاهرات كانت لمساندة» اخيهن الرجل»، لتقوية عزيمته، للشد من ازره، لمساعدته على المطاولة للاستمرار في الانتفاضة وليس للدفاع عن حقوقهن المهضومة والتي تزيد اضعافا مضاعفة عما يتعرض له اخيهن الرجل .

من هنا يتوجب ان نطرح الاسئلة التالية هل ان مشاركة النساء مطلوبة من اجل تحقيق « مشاركة واسعة» في الانتفاضة؟ اي لزيادة العدد اكثر مما هو ظهور من اجل تعقب اهداف تخص المرأة باعتباره الجنس الذي يعاني من الاضطهاد والتهميش والتمييز ضده. وهل يتوجب تأجيل المطالب النسوية ودفعها الى المرتبة الخلفية على اعتبار ان المطالب الاوسع للجماهير هي ما يجب ان تحتل المكانة الرئيسية، في حالتنا هذه شعار « نريد وطن»؟ على الرغم من ان(اعتصام الخريجات من ذوات الشهادات العليا). هو «الشرارة» التي اوقدت انتفاضة تشرين

الشـبابية وبقطـع النظـر عـن التراكـمات الاحتجاجيـة الثـي اختطهـا المتظاهـرون منـذ٢٠١١ حيـث اختزلـت واقتصرت»حقـوق ومطالـب النسـاء» ب(نريـد وطـن)!! لم نـر، مطالـب الخريجـات العاطـلات عـن العمـل، والخريجـون العاطلـون عـن العمـل، الذيـن كانـت اعتصاماتهـم لمـدة تقـارب مـن ١٠٠ يـوم، بفـرص عمـل ترفـع، سـواء مـن هـذه الحكومـة او ايـة حكومـة سـتحل محلهـا.

لنتطـرق الى الاوضـاع التـي تعيشـها النسـاء حتـى نتمكـن مـن معرفـة هـل يجـب ان يكـون هنالـك مطالـب خاصـة بالنسـاء ام يجـب ان نبحـر كلنـا في « قـارب واحـد» تجـاه تغيـر النظـام، دون ان تعلـن النسـاء عـما يردّنـه مـن النظـام الجديـد. لا تنـوي هـذه المقالـة وضـع اسـتقطابا بـين النسـاء والرجـال بـاي حـال مـن الاحـوال. فرغـم اننـا كلنـا في « نفـس القـارب» بمواجهـة نظـام رأسـمالي نيوليـبرالي ذو ايديولوجيـة دينيـة طائفيـة، قائمـة عـلى المحاصصـة والفسـاد، ولكـن الاعبـاء التـي تتحملهـا المـرأة والانتهـاكات التـي تتعـرض لهـا حقوقهـا هـي اضعـاف مضاعفـة عـن زميلهـا الـذي هـو معهـا في نفـس القـارب. وسـنوضح ذلـك بمـا يـلي.

العبودية، الفقر والتعامل الدوني ضد النساء في العراق:

النسـاء يعشـن العبوديـة في العـراق. العبوديـة تعنـي انعـدام الخيـارات التـي تضطـر الانسـان الى الخضـوع للامـر الواقـع بـكل مـا فيـه مـن فقـر وعنـف واهانـة وتنكيـل بالشـخصية. مـا يعـزز هـذه العبوديـة هـو الفقـر، عـدم وجـود الفـرص، عـدم وجـود بدائـل، قلـة الخيـارات او حتـى انعدامهـا. القوانـين التـي تـشرع اسـتخدام العنـف ضـد النسـاء، القوّامـة عـلى النسـاء، سـيطرة الاحـزاب الاسـلامية وميلشـياتها وتحكيـم سـيطرتها عـلى سـلوك النسـاء والـذي ابتـدأ بعـد ٢٠٠٣ وبشـدة. التقاليـد الاجتماعيـة وثقلهـا عـلى المـرأة. والتـي تحكـم سـيطرتها عـلى المـرأة بسلسـلة مترابطـة الحلقـات منـذ الـولادة وحتـى المـوت.

النسـاء تعـاني مـن الفقـر في العـراق مقارنـة بالرجـال: فمـن ناحيـة الفقـر بـين النسـاء، فهـو واسـع جدا. نسـبة عمـل النسـاء العامـلات هـي اقـل بكثـير مـن نسـبة عمـل الرجـال. هـذا يعنـي ان النسـاء يعانـين الفقـر مقارنـة بالرجـال كتحصيـل حاصل.عـدد النسـاء العامـلات في العـراق في القطـاع الرسـمي حسـب الاحصائيـات الرسـمية يقـارب ال ١٥٪ وفـق لاحـدث الاحصائيـات. مـن المؤكـد ان النسـاء العامـلات في القطـاع غـير الرسـمي او الهـش هـو اكـبر مـن هـذا العـدد بكثـير. ويعشـن ظـروف عمـل مأسـاوية مـن حيـث طـول سـاعات العمـل وشـدّته ومـن حيـث قلـة الاجـور. انهـا تصـل لدرجـة تقـترب مـن

العبودية. ١٠ ٪ من نساء العراق هن المسؤولات عن اعالة اسرهن، ٨٠٪ من هؤلاء النساء ارامل. يمارس التمييز الجنسي بشكل صارخ ضد النساء. مثلا لا يسمح للنساء في القطاع النفطي ان يشكلن اكثر من ١٠٪ من الايدي العاملة في هذا القطاع الرئيسي في العراق، ولا يسمح لاكثر من ١٥٪ للدراسة في معاهد النفط في البلاد. اجور النساء في القطاع الخاص وغير الرسمي الذي يشكل ٣/٢ القطاعات الاقتصادية في العراقية تصل اجور النساء الى نصف اجور الرجل. المرأة التي تعترض يقال لها «بامكانك ترك العمل". اما الفتيات والنساء لهن حصة من الامية ضعف ما بين الذكور. ٣/١ الفتيات بعمر يزيد عن ال١٢ سنة يفتقدن للتعليم او اميات.

تتعرض النساء للابتزاز الجنسي حين تقدم على عمل. اصبحت مساومة النساء الطالبات لفرص عمل على اجسادهن ظاهرة منتشرة في حالة بحثهن عن فرص عمل حتى في مقابلة العمل. يطلب منهن وبشكل مباشر ليس بيع قوة عملهن فقط بل وبيع جسدهن ايضا مقابل «نفس الاجر» كما عبرت عنه احد الشابات بسخرية مريرة. تقع المرأة امام خيارين احلاهما مرّ. فاما عبودية الجلوس في البيت وتحمل الفقر والعنف من جراء ضعف الوضع الاقتصادي، او ان تذهب للعمل وتبيع قوة عملها وجسدها معا. انها تخسر كرامتها في الحالتين.التحرش الجنسي في العمل اصبح ظاهرة منتشرة الى الحد الذي اضطر قانون العمل رقم ٣٧ ان يخصص فقرة تتصدى لهذا الامر.

تتعرض النساء للعنف المنزلي. ليس من المبالغة بشيء القول بانه ليست هنالك امرأة لا تتعرض للعنف المنزلي، باي شكل من الاشكال ومن قبل افراد الاسرة. النساء يتعرضن للعنف بمختلف اشكاله بدءا من التضييق عليهن من الخروج من المنزل الى القتل والحرق، النسبة التي ازدادت في اوضاع جائحة كورونا في ٢٠٢٠. وبالتاكيد نسبة العنف الذي يتعرض له الرجال مقارنة بالنساء، لا يمكن ان تتجاوز الا نسبة ضئيلة جدا. العنف ضد النساء مشرع بشكل قانوني. المادة ١٦٩ من قانون العقوبات تعطي الحق للرجل لتأديب زوجته واطفاله. وحسب احصائيات منبر الصحافيات العراقيات فان ٨ من ١٠ من النساء يتعرضن للعنف الجنسي. تعفي المادة القانونية رقم٣٩٨ من قانون ١١١ لسنة ١٩٦٩ المغتصب من العقوبة في حالة الزواج من ضحيته وتعتبره عذرا مخففا لفرض عقوبة على جريمته. اما اللامساواة ومعاملة المرأة كنصف رجل فهو امر « دستوري»، اي ينص عليه الدستور، حيث ان الاخير يستند الى الشريعة الاسلامية. المرأة لها نصف حصة الرجل بالميراث. تعدد الزوجات، وكأن النساء لسن بشرا على نفس الدرجة وبنفس المرتبة مع الرجال. ويفرض على المرأة تقبل وجود زوجات اخرى في حياة الزوج، وكأننا نعيش في زمن الحريم. وهو شكل اخر من اشكال العنف المنزلي، حيث يفرض على المرأة ما لا تريده، ولا تملك

الا خيارات محدودة تجاهه. هذا ناهيك عن تزويج الاطفال القاصرات، وتعريضهن للاغتصاب وبشكل منظم، الذي يعد بحد ذاته جريمة ترتكب ضد الاطفال وامام اعين الجميع.

النساء محرومات من ممارسة ابسط حقوقهن الشخصية والمدنية: حسب الاحصائيات فان نسبة النساء اللواتي يحتجن الى أذن من اجل الذهاب وزيارة الطبيب تبلغ في المدن٦٤٪ وبين النساء الريفيات ٧٤٪، علما ان المتوقع ان تكون النسبة اعلى من ذلك بكثير. حق الخروج من المنزل دون استئذان الذكور لقضاء اي امر شخصي ليس امرا وحقا معطى للنساء، بل تعاني منه الفتيات والنساء على السواء. تقول احدى النساء «احتاج الى تقديم طلب من اجل الخروج للتسوق او لزيارة صديقة، لينظر بها جميع افراد الاسرة للحصول على موافقتهم. المكان يجب يكون معلوما ووقت الزيارة محددا. وليس لي الحق ان اعيد الطلب الا بعد مرور شهر والا سيجري تذكيري باني خرجت من المنزل في التاريخ الفلاني". ان هذا لا يقل وصفا عن اي سجن يمكن ان يوضع خلف قضبانه الافراد. عدم امتلاك حرية الخروج والقرار عليه، ينتقص من عقلية واحترام المرأة ولاستقلاليتها وامتلاكها لقرارها على نشاطاتها.ولهذا منعت اعداد كبيرة من الفتيات والنساء من الخروج من المنزل والمشاركة في التظاهرات في ايام الانتفاضة.

النساء مرغمات على اداء العمل المنزلي والعمل الرعائي لكبار السن والمرضى والاطفال. لا تمتلك المرأة الحق في رفض القيام بالعمل المنزلي.انها مجبرة وبشكل قسري على القيام به وبغض النظر عن ارادتها. في حالة رفضها او عدم ادائها لهذه الاعمال قد يؤدي بها الى القتل كما تعرضت بعض الضحايا للقتل في اسرّ ازواجهن. لزيادة الطين بلة، نص الدستور العراقي على ان واجب الابناء والبنات رعاية ابائهم وامهاتهم. تنص الفقرة الثانية من المادة ٢٩ على « ان للوالدين حق على اولادهم في الاحترام والرعاية، ولاسيما في حالات العوز والعجز والشيخوخة» اي هنا تقوم الدولة بنقل مسؤولية العمل الرعائي من كاهل الدولة الى كاهل الاسر. وحين نقول الاسرة هنا، فان المقصود به المرأة بشكل اساسي.

ان سلسلة معاناة النساء - التي لا يتعرض لها الرجال- لا تنتهي هنا من حيث التضييق في العمل والحصول على فرص عمل، التحرش في العمل، العنف المنزلي، الحرمان من الحقوق الفردية والمدنية. بل تمتد الى اختطاف النساء والاتجار باجسادهن. تعرض النساء الى ألاغتصاب وخاصة من ازواجهن والسماح بهذا الامر قانونيا واجتماعيا بحجة ان هذا "حق معطى للزوج". لا تقسر النساء الرجال على زنا المحارم، الا ان الفتيات والنساء يتعرضن لهذا القسر من اقرب افراد اسرتهن بما فيه الاباء البايولوجيين انفسهم. وبالتاكيد ليس هذا الا شرح موجز عما تعانيه

النساء مقارنة بالرجال، فالسلسلة اطول من ان تغطيها هذه المقالة القصيرة.
ان جوهر «الحركة النسوية» هو وعيها اولا بالاضطهاد التي تتعرض له النساء في الاسرة ، في مكان العمل وفي المجتمع، ووقوفها وتصديها للاضطهاد والتمييز الجنسي الذي تتعرض له النساء لكونهن من جنس « الاناث» بمختلف الوسائل والاشكال. ومن اجل ازالة هذا الظلم متعدد الاشكال واستلاب الحقوق تقوم ناشطات الحركة النسوية بمختلف الاعمال والنشاطات من اجل انهاءه. ان ما يقع في صلب عمل الحركة النسوية وهو اولى اولويات هذه الحركة ومنظماتها وشخصياتها هو ابراز معاناة النساء والانتهاكات التي يتعرضن لها في حياتهن اليومية وعلى امتداد سنين والمطالبة بالسياسات والاجراءات الكفيلة بانهاء المعاملة الدونية ومختلف اشكال الاضطهاد. فهل قامت الحركة النسوية في العراق في خضم انتفاضة اكتوبر بابراز هذه الانتهاكات وفضحت هذا التمييز وطرحت المطالب والاجراءات التي تريدها من اجل احقاق حقوق النساء؟ فهل ذكرت معاناة المرأة متعددة الاشكال و بشكل واضح في الانتفاضة؟ وهل جرى اسماع صوت الاذلال الذي تتعرض له النساء في قلب تلك الانتفاضة؟ هل اكتفت النساء في التظاهرات في الخروج الى التجمعات، وكأنهن اجتزن الخط الاول، ليمضين قدما ليصلن الخط الثاني وهو ان يرفعن مطالبهن ايضا، ولا يكتفين بالحضور والمشاركة. الجواب هو كلا.

من المعلوم ان المنظمات النسوية في العراق قامت بالعديد من الاعمال بهذا الاتجاه من قبيل رفض احلال الشريعة الاسلامية محل قانون الاحوال المدنية والذي طرحته الاحزاب الاسلامية في ديسمبر ٢٠٠٣. وقفت ضد المادة ٤١ من الدستور العراقي الذي سّن الذي يسمح بتطبيق القوانين المتعلقة بمختلف الطوائف فيما يتعلق بالاحوال الشخصية. في عام ٢٠١٠ طرحن مسودة لقانون تجريم العنف المنزلي، في عام ٢٠١٤ وقف ضد القانون الجعفري، في عام ٢٠٢٠ وقفن ضد المادة ٥٧ من قانون الاحوال الشخصية ١٨٨. وبالتاكيد تصدين لقضية المعاملة السلعية للمرأة كما جرى في استبدال٥٠ امرأة في ما يسمى بالعشائرية عام ٢٠١٥. الا ان هذه المطالب لم تبرز في انتفاضة اكتوبر. بل غابت حتى المطالب التي عملت من اجلها تلك المنظمات في السنوات المنصرمة. ولم تتعدى الهتافات التي رددتها النساء الشعارات العامة وهي « نريد وطن»، «ايران برا برا" او" العن ابو ايران لا بو امريكا".

ان ابرز الهتافات النسوية في الانتفاضة والتي تكررت في عموم المدن المنتفضة هي مايلي: «هاي بناتك يا وطنك هاية..ضحن بدمهن ورفعن الراية» و» اليوم الكذلة تسولف..خلي عكالك للدكات»، « منهو الكال صوتك عورة..صوتك مفتاح لكل ثورة». ان طبيعة ومحتوى هذه الهتافات تؤكد على اهمية وجود المرأة، على التضحيات التي قمن بتقديمها، وانهن شريكات في

الثورة، وانه يراد لهن الاعتراف وانتزاع الاعتراف بهذا الوجود. خاصة وان النساء في العراق ظهرن بشكل لم يسبق له مثيل من قبل. (الانتفاضة بحد ذاتها لم نجد لها مثيلا من قبل في العراق). لكنها لم توصلنا لحقيقة مالذي تعاني منه النساء، ومالذي تطالب به ومالذي تريده من النظام الجديد الذي يراد به احلال النظام الحالي؟

الا ان ما يجب الاشارة اليها هو «المسيرة الوردية» التي نظمتها الشابات على وجه الخصوص بعد تغريدة مقتدى الصدر في ٨ شباط والتي طالب فيها فصل النساء عن الرجال في الخيم في ساحات الاعتصام. لقد نظمت هؤلاء الشابات وبشكل مستقل تنظيم تظاهرة مليونية اطلقن عليها» المسيرة الوردية» تحديا ورفضا لتغريدة الصدر. وهن اللواتي احتللن الساحات جنبا الى جنب الرجال في عمل يومي مواظب وتحملن القتل والخطف والتهديد والعمل متعدد الاشكال استمر من الاسبوع الاخير من شهر اكتوبر وحتى الايام الاخيرة من الانتفاضة قبل بدء الحجر الصحي بسبب وباء كورونا. لذلك كان تنظيم المسيرة المليونية، وحسب تعبير الناشط و الاكاديمي فارس حرام هو « اطروحة اعطت ملمحا لوجود حركة نسوية». لقد كانت تلك المسيرة عملا نسويا من الطراز الاول والذي رفضت فيه الشابات « الفصل الجنسي». وحظيت تلك التظاهرة التي نظمت في الثالث عشر من شباط اي خمسة ايام بعد تغريدة الصدر، بدعم واسع من قبل المنتفضين الذين وفروا الحماية لها وعبر سلسلة بشرية طويلة لحماية المتظاهرات. لذا، يصبح من الضروري الان مناقشة الحجج التي سيقت في مسار عدم رفع مطالب نسوية في تلك الانتفاضة والتي يمكن تلخيصها بما يلي:

- رفع مطالب نسوية في الانتفاضة سيشتت مطلب المتظاهرين الرئيسي:

لقد رزم المتظاهرون كل مطالبهم التي امتدت على مدار سيعة عشر عاما من سعيهم للحصول على سبل العيش وفرص عمل، وخدمات، والقضاء على المحاصصة والفساد والطائفية، والمحسوبية والزبائنية ومن اجل الحريات السياسية والفردية والامان برزمة واحدة بحزمة وشعار واحد وهو « نريد وطن». وهذه مطالب يشترك فيها الجميع الرجال والنساء. الا انه بجانب هذه المطالب، هنالك ٥٠٪ من المجتمع، والذي يبلغ تعداده ٢٠ مليون انسانا، ولدن اناثا، قد قرر لهن وعلى امتداد حياتهن من المهد الى اللحد الى ان يعشن تحت « وصاية» وحكم الرجل. يعشن كمواطنات من الدرجة الثانية. حقوقهن اقل. يمارس ضدهن التمييز الجنسي بشكل منظم كما ذكرنا اعلاه. فلماذا وكيف يمكن ان تشتت مطالب الانتفاضة مطالب

الخلاص من عبودية نصف سكانه؟ كيف حدث وان اعتبر انعتاق الناس من التمييز الجاري بحقهم هو هدف ثانوي يشتت انتباه المتظاهرة وهدفها الرئيسي؟ ان لم يكن تحرر البشر من هذه العبودية هو احد اهداف انتفاضة بهذا الحجم، فاي هدف حري بهذه الانتفاضة ان ترفع؟ لقد شاركت النساء بمختلف الاشكال في هذه الانتفاضة، وقدمن حياتهن ثمنا، ليس لاجل المطالب المشتركة مع الرجال فقط، بل ومن اجل المطالب غير المشتركة والتي تعاني من وطأتها النساء باعتبارهن اناثا. هنالك ثورة نسوية عبرت عن نفسها بخروج النساء وانخراطهن غضبا على السلطة، على السلطة الابوية والذكورية، سواء ذكرنها بشكل مكتوب ومنطوق ام لم يقلنها. الا ان ما كان يجب ان يحدث وان ترفعه النساء والمنظمات النسوية والحركة النسوية، حتى تكون جديرة بهذا الاسم، ان ترفع لائحة بمطالب النساء ومعاناتهن حتى يكون صوتهن مسموعا لهذه الحكومة ولاية حكومة تخلفها. فتجاربنا النسوية في اماكن اخرى من العالم الناطق بالعربية لا تبشر بأي خير. على سبيل المثال التعامل النفعي والمصلحي والانتهازي الذي قامت بها حركات التحرر من الاستعمار في العالم الناطق بالعربية والذي شاركت فيه النساء. وتجربة الجزائر والتي شاركت فيه النساء المقاتلات مثلا جميلة بوحيرد ورفيقاتها خير دليل على هذه المشاركة. ولكن بعد ان انجز التحرر من الاستعمار، «تناسوا ونسوا» الدور الذي قامت به المرأة، فاعيدت مرة اخرى الى البيت. بل واصدرت الحكومة الجزائرية في عام ١٩٨٠ مرسوما يمنع المرأة من السفر بدون موافقة ولي امرها من الذكور، وفي عام ١٩٨٤ اصدرت قانون الاسرة الذي سلبت فيه الكثير من حقوق النساء مما اطلقت عليه النساء ب» قانون العار». هكذا جرى ويجري التعامل الانتهازي مع دور المرأة ومشاركتها. والكثير يتذكر كيف ان نظام صدام حسين اشاد ب» الماجدة العراقية» التي ادارت عجلة الانتاج، بينما الرجال في سوح الحرب، وحين توقفت الحرب، وعاد الرجال، اخرجت النساء من العمل تحت اسم» فائض عن الحاجة» في نهاية ١٩٨٨. والامثلة عديدة. لذا، لا يتوجب رفع المطالب النسوية فحسب، بل ومواصلة النضال حتى لا تصادر تلك الحقوق التي انتزعتها النساء في فترات لاحقة كما جرى في العديد من بلدان العالم.

- لا حاجة لرفع مطالب خاصة بالنساء فالتغيير الحكومي ان حصل سيجلب حقوقا الجميع: النساء والرجال!

ان التصور بانه «اذا جرى تغيير في النظام فان التغيير سيقدم حقوقا افضل للنساء وبشكل اوتوماتيكي» يحتاج الى وقفة جدية من قبل ناشطات الحركة النسوية والقوى الداعية للمساواة وللاسباب التالية:

اولا: ليست هنالك اية ضمانة بان التغيير الحكومي اذا حدث فانه سيجلب معه حقوقا اكثر للنساء. التمييز و العنف ضد النساء، الافقار، العبودية، ليس نتاج سياسة حكومة واحدة، بل نتاج حقبة تاريخية طويلة من الهيمنة الذكورية والرأسمالية والدينية والتي وضعت المرأة في المرتبة الثانية. لقد كان لنساء ايران في عام ١٩٧٨ دور عظيم في الثورة انذاك، الا انهن بعد ان فرض الحجاب الاجباري عليهن بعد تشكيل الجمهورية الاسلامية: بدأن يتسائلن «هل قمنا بالثورة من اجل ان نرتدي الحجاب؟» الثورات التي حدثت في بداية هذا العقد في مصر جلبت القوى الاسلامية للسلطة، وجرى هدّر منظم لحقوق النساء. فهل هذا ما ثارت النساء من اجله، ودفعن حياتهن ودمهن ثمنا في تلك الثورات ليس كل تغيير حكومي سينتج عنه حكومة تقرّ بحقوق النساء. ان الاقرار بحقوق النساء وفرضها ياتي عبر نضال نسوي ومن قبل القوى التي تؤمن بالمساواة من اجل تحقيق تلك الحقوق.

ثانيا: اي تغيير قادم في اوضاع المرأة يرتبط بشكل تام وكامل بمدى مساهمة النساء انفسهن بفرض هذا التغيير وانتزاعه عنوة وبالقوة من القوى الرجعية المعادية للمرأة. ان هذه حرب ضروس، وهي حرب ضد الذكورية والابوية بالدرجة الاساس، التي ترى ان الرجل متفوق على المرأة، وانه اكثر عقلا منها، وانه يجب ان يقوم بالسيطرة على سلوكها وتصرفاتها، وانها يجب ان تخضع لولايته وهيمنته واوامره. وهذا ليس امر شخصي يمارس داخل الاسرة بل نظام اجتماعي مشرّع ومكرس بقوة القانون. لذلك سلسلة الحرمانات التي تعاني منها المرأة من فقدانها لحقوقها المدنية والشخصية مرتبطة بخضوعها لاوامر الرجل في البيت والذي يسنده القانون والعرف والتقاليد من كل حدب وصوب. وعدم الخضوع المرأة لهذه القوانين والاعراف يودي بها حتى الى عقوبة الموت. لذا ان انهاء السيطرة الابوية هي ما تتعقبه الحركات النسوية المدافعة عن حقوق المرأة ومساواتها، بغض النظر عن الحكومات التي تستلم السلطة. سيتوقف هذا النضال النسوي في اللحظة التي ينتهي في التمييز بين البشر على اساس الجنس.

ثالثا: « تغيير النظام» لن يؤول الى تحسين اوضاع المرأة فقط بتغيير الوجوه، او حتى تغيير النظام من ديني الى علماني. ان نظام علماني بالتاكيد هو افضل من نظام ديني من حيث اخراجه للوائح الدينية من الاحوال الشخصية وبقية الحقوق المدنية والفردية من حياة البشر. ولكن لن يتحقق تحرر المرأة من الفقر والجوع والبطالة فقط بتغيير النظام من ديني الى علماني، بل الخلاص من نظام اقتصادي رأسمالي غير مسؤول عن حياة البشر. هذا النظام لا يبالي ان باعت المرأة جسدها من اجل لقمة العيش او تهدر كرامتها، ما لم تكن هنالك قوة

بشرية نسوية ورجالية حقيقية على الارض قادرة على تحميل هذا النظام المسؤولية عن حياة البشر. اخراج المرأة من الفقر والعبودية مرتبط بوجود نظام اقتصادي يضمن اشباع الحاجات المادية للانسان وعلى قدم المساواة بدون اية تفرقة بين المرأة والرجل للقضاء على الفقر وعلى امتداد مراحل حياتهم من الولادة وحتى الموت.

- خروج المرأة في التظاهرات كان دعما لاخيها الرجل- ضرورة فك الالتباس!

نصل هنا الى معالجة خطأ التصور التالي وهو ان المرأة خرجت للمشاركة في التظاهرات لمساندة « اخيها الرجل»، لتقوية عزيمتهم، للشد من ازرهم، لمساعدتهم على المطاولة للاستمرار في الانتفاضة. قد يعزز هذا التصور غياب لائحة مطالب المرأة وبرامجها وعدم وضوحها، يظهر وكأن التحاق النساء بالانتفاضة و التظاهرات من باب «فزعة»!! لمناصرة اخيهن الرجل وعدم تركه وحيدا في الميدان. أو ديكورا للواجهة الإعلامية. ان المرأة خرجت للتظاهرات من اجل تغيير النظام اسوة بغيرها من الرجال، الا ان هنالك قائمة من الانتهاكات التي تتعرض لها المرأة باعتبارها امرأة: حرمانها من فرص العمل، اجور اقل للنساء مما يتقاضيه الرجال، العنف المنزلي، التحرش الجنسي، الحرمان من الحريات الفردية، حق التحكم في الجسد، حق الملبس، والخ من عشرات الحقوق التي استلبت من المرأة بسبب وجود نظام ابوي ذكوري. هذه السلسلة من الانتهاكات تحتاج سلسلة من النضالات لايقافها وانهاءها، لا يتشارك بها معها «فيزيقيا اخيها». فهي، على الاقل من ناحية نظرية، خرجت من اجل ثورتها النسوية، سواء عبرت عنها بصوت واضح ومسموع او لم تعبر. ان النظر الى ان دور المرأة هو داعم ومساند، امتداد لذات التصور بان المرأة في المنزل له دور مساند للرجل في السراء والضراء. انتقل هذا الدور المساند الى ساحات الانتفاضة تحولت الى عنصر مساند للرجل ايضا، ولم يرقى دورها الى انها جاءت لتدافع عن مطالبها هي.

من هنا، غابت عن اجتماعات صياغة السياسات او كتابة البيانات النساء الا فيما ندر، خاصة وان الاجتماعات كانت تعقد في ساعات متاخرة من الليل، بسبب انشغال الرجال في امور اخرى اثناء النهار، وعدم ايلاء الرجال اية اهمية لتنظيم الوقت بحيث يتاح للمرأة الحضور في تلك الاجتماعات باعتبارها شريك وليس داعم او مساند. وهذا حرم النساء من فرصة المشاركة واسماع صوتهن. صار الابقاء على الادوار الروتينية، مساند، مساعد، داعم، او ثانوي، للمرأة امرا شائعا. واذا كان حضور المرأة مميزا في المدن، فان حضور المرأة في الاقضية والنواحي لا يكاد يرى. هذا يوضح اي تهميش وانزواء يعيشه نصف المجتمع فقط لانهن ولدّن» اناث»!

مشاركة المرأة في العمل السياسي و دورها في الحركة النسوية- فك الالتباس الثاني:

ان هـذه النظريـة قديمـة وملتسـبة. خرجـت النسـاء في التظاهـرات مـن اجـل قضايـا سياسـية عامـة ومنـذ اواسـط القـرن المـاضي. عـلى سـبيل المثـال مـا قامـت بـه رابطـة المـرأة العراقيـة مـن مشـاركة في التظاهـرات ضـد النظـام الملـكي، مـن اجـل النظـام الجمهـوري، مـن اجـل الديمقراطيـة، مـن اجـل السـلام، ضـد الفسـاد، مـن اجـل الخدمـات والـخ. الا ان مشـاركة النسـاء في هـذه الاحـداث وفي التعبـير عـن مواقفهـا السياسـية بالقضايـا التـي تخـص المجتمـع هـي شيء، و التصـدي للتمييـز الجنـسي الجـاري بحقهـا باعتبارهـن انـاث- بالضبـط كـما يتعـرض الملونـين والسـود للتفرقـة في مجتمعـات يحكمهـا العنصريـون- هـوشيء اخـر تمامـا.

ان وضـع القضيتـين في سـلة واحـدة، امـر خاطـيء. لانهـما موضوعتـان مختلفتـان. مثـلا مشـاركة النسـاء في المجالـس المحليـة، او في المحافظـة، او كوزيـرات او حتـى رئيسـة جمهوريـة لا يعنـي ازالـة التمييـز الجنـسي ضـد المـرأة كتحصيـل حاصـل. ان انخـراط النسـاء في هـذه الهيئـات لا يخلـق اي فرقـا او تغيـيرا باوضـاع النسـاء. انهـا تكمـل بقيـة ديكـور السـلطة الحاكمـة وتطعمـه بوجـوه نسـوية لا اكـثر ولا اقـل. ان نسـعى الى ان تحتـل النسـاء اماكـن في صنـع القرار،يطـرح السـؤال التـالي اي قـرار سـيقمن بصنعـه لصالـح انعتـاق المـرأة مـن اوضـاع العبوديـة؟ هـذا هـو السـؤال. ان نمـوذج مارغريـت تاتـشر التـي صـادرت الكثـير مـن حقـوق النسـاء العامـلات، لا تمثـل، رغـم كونهـا انثـى، مصالـح النسـاء العامـلات. كانـت تمثـل مصالـح طبقتهـا، وليـس مصالـح بنـات جنسـها. نـرى الكثـير مـن المنظـمات النسـوية تعمـل وتبـذل جهودهـا في»مشـاركة المـرأة في صنـع السـلام، او في صنـع القـرار السـياسي". الا ان السـؤال الاهـم هـو هـل العمـل السـياسي سيسـهم بتحـرر المـرأة وخلاصهـا مـن الموقـع الـدوني الـذي وضعـت فيـه؟ مـاذا يعنـي مشـاركة المـرأة في صنـع السـلام، او محاربـة الفسـاد، وتـرك قوانـين الاحـوال الشـخصية بـل وتـرك الدسـتور يسـتند الى القوانـين الدينيـة التـي تنظـر للمـرأة باعتبارهـا مواطـن يجـب « تأديبـه» مـن قبـل الرجـل، كـما في المـادة القانونيـة ١٦٩؟ ان الحركـة النسـوية معنيـة بازالـة كل القوانـين التـي تضعهـا في موقـع مواطـن مـن الدرجـة الثانيـة، هـذه هـي وظيفتهـا. امـا المشـاركة في البرلمـان، كـما ترينـا التجربـة في العـراق وكوتـا ال ٢٥٪ افـادت بـكل تاكيـد البرلمانيـات وغـيرت اوضاعهـن الا قتصاديـة مـن حـال الى حـال، ولكـن بقيـت النسـاء في العـراق تعـاني الأمريـن.

الخلاصة:

لقد خرجت النساء مع الرجال من اجل التغيير، تغيير النظام السياسي ولاحقاق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في حزمة واحدة اطلق عليها « نريد وطن». الا ان عدم ابراز اضطهاد النساء ومطالبهن في قلب هذه الانتفاضة العظيمة يدلل على ان حتى في قلب هذه الانتفاضة لازال هنالك تهميش لقضية المرأة وحقيقة عبوديتها واضطهادها. بالتاكيد الحركة النسوية هي المسؤولة الاولى عن هذا النقص والتهميش.هذا التهميش لم يكن صدفة. انه متأتي من تهميش دورها ومعاناتها ومطالبها في حياة اقتصادية و اجتماعية تليق بالانسان. انه نتيجة سياسات التهميش الذي تعرضت له المرأة، الحجر، اقصائها عن الحياة الاجتماعية والسياسية للحد الذي اصبح غياب المرأة، وكأنه امر طبيعي وروتيني، بحيث حتى في قلب الانتفاضة والثورة ينظر لمطاليبها على انها ثانوية، خارج السياق، ليست مركزية، ويجب تاجيلها لاشعار اخر. لذا، نخلص في نهاية المقالة الى ان مشاركة النساء في الساحات كانت بحد ذاته امر جديد في العراق وكان دورا مميزا ويبهج القلب، خاصة ان النساء اللواتي انخرطن جئن من بيئات اقتصادية واجتماعية متباينة. الا ان ما كان ينقص هذه المشاركة هو الظهور النسوي المستقل باهداف نسوية تعبر عن رفض العبودية التي تتعرض له النساء وتطالب بصياغة لائحة حقوق اخرى، مختلفة عما وردت في القوانين والدستور، وان تطالب بحكومة توفر الامان الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للنساء، وان تجعل هذه المطالب واضحة ومسموعة في قلب الانتفاضة حتى يستطيع الجميع سماعها. وان تواصل العمل عليها، ليس فقط في اوضاع الانتفاضة بل ومابعدها. ان انهاء وحل قضية النظام الديني الطائفي وإعادة هيكلته لاتعني حل الأشكال النسوي بالعراق ذاتيا أو كتحصيل حاصل!! دون عمل نسوي إيجابي فاعل بدون هوادة، عمل يطرد الاستكانة واليأس ونفض غبار عقود مرة من العسف الابوي الذكوري تجاه هضم حقوق المرأة والطفل معا...وهنا يكمن دور العامل الذاتي النسوي الفاعل في إحقاق حقوق النسوة. انه من البالغ الاهمية، أن يقف قادة الانتفاضة وناشطيها مع المرأة في إحراز حقوق النساء المشروعة والقائمة على المساواة سواء في قانون أحوال شخصية منصف او كل القوانين الاخرى المتعلقة بالمرأة وابتداءا من تثبيتها في دستور يقر بالمساواة وبشكل غير مشروط.

في ختام هذه المقالة نرد بعض المقاطع من هتافات وشعارات نساء لبنان في ثورة ٢٠١٩ كنموذج على ما افتقدناه في انتفاضتنا لعام ٢٠١٩. ولكن من المؤكد اننا تعلمنا الدرس منه، وسنرفع صوتنا ومطالبنا عاليا، حيث ان طريق النضال من اجل انهاء التمييز الجنسي طويل.

نحن صوت الحرية | وثورتنا ثورة نسوية
للحرية للحرية | ثورة ثورة نسوية
بدنا نغضب بدنا نثور | حتى الذكورية تزول
علّي صوتك علّي صوتك | هالنظام بدو يموتك
علّي صوتك تينبح | هالنظام حنقلو بح
ما منريدو ما منريدو | النظام الأبوي بدنا نبيدو

حق المرأة بالجنسية | هول مطالب شعبية
حق المرأة بالحرية | هول مطالب شعبية
حق المرأة بالحضانة | هول مطالب شعبية
حق اللاجئة تعيش بكرامة | هول مطالب شعبية
حق المرأة بالأمان | هول مطالب شعبية
حقنا نعيش بلا تحرش | هول مطالب شعبية
حق المرأة تملك جسما | هول مطالب شعبية
حق المرأة تحكي باسما | هول مطالب شعبية
حق المرأة بالنشوة | هول مطالب شعبية
حق المرأة بالاشغال | هول مطالب شعبية
حق المرأة بالاجهاض | حق المرأة انتفاض
منمشي سوا والإيد بالإيد | وعن نسويتنا ما منحيد

عليهم يا حرات | هيدي ثورة البنات
عليهم يا نسوية | هيدي ثورة ع الأبوية

جنوا جنوا الذكورية | لما طلبنا الحرية
وقفتنا بوجه التمييز| بوجه السلطة الأبوية
جنوا جنوا الحزبية | لما طلبنا الحرية
وقفتنا بوجه الذكورية | بوجه السلطات الدينية
جنوا جنوا الطائفية | لما طلبنا الجنسية
جنوا جنوا العونية | لما طلبنا الحرية

النساء في تشرين.. أكنا «راديكاليات» بما يكفي؟

أماني الحسن

نشر هذا النص في الأصل على موقع جمار الصحفي، بتاريخ ٠١ تشرين الأول ٢٠٢٢ ، بالعنوان نفسه، ويمكن العودة إلى المقال على الرابط التالي:
www.jummar.media/1699
، وقد أعيد نشر النص بإذن من موقع جمار والكاتبة.

دفعت النساء في تظاهرات تشرين إلى أدوار ثانويّة بشكل تلقائي تماهياً مع الأدوار التي تربى عليها الذكور والأناث، أجّلن أجنداتهن وقضاياهن، وكان هذا خطأ وعلينا الآن مراجعته
السماعة أمامي والنساء إلى جانبي وخلفي. الخيمة فوقي، والكاميرات حولي. الشمس تضرب رؤوسنا بأشعتها القويّة، والصوت القوي الغاضب المبحوح يخرج من حلقي. كنا نترحم على شهداء انتفاضة تشرين، ونطالب بمحاسبة القتلة والفاسدين، وتشريع قانون العنف الأسري عسى أن نحمي نساءنا من عذاب كونهن إناثاً فحسب.

كان ذلك في الأوّل من تشرين الأول عام ٢٠٢٠، وسط ساحة التظاهرات في مدينة الكوت. كانت تلك اللحظة وساماً لم يفارق صدري، لكنها أيضاً وصمة لم تفارق جبيني.
عُدت إلى المنزل ولاقى البيان الذي ألقيته في الساحة صدى واسعاً أدى إلى غضب في واسط، مدينتي. لم يلاقِ أي بيان قبله هذا الهجوم، إذ نعتنا نحن المتظاهرات بالعاهرات، بنات الخيم، سافلات.. وأوصاف لم أسمعها من قبل. امتد الهجوم ليطال عائلتي ويصل إلى مسامعهم.
اضطررت، بعد ذلك، إلى مواجهة أخي الذي كان يشاهد سمعتي كامرأة تنهار أمامه. قال "وإن كان معك الحق لكنك امرأة في هذا المجتمع"، ثم أكمل "النساء لا يمتلكن صلاحية اعطاء آرائهن السياسية فضلاً عن التعبير عنها على العلن".

الحال، لأنني امرأة، فأن الحديث في السياسة يندرج تحت شعار "المسترجلة" أو الراغبة في الظهور، أو التي تريد إبراز نفسها ذكية.

والآن، مع حلول الذكرى الثالثة لتشرين، أريد استعادة كلّ تلك المسيرة. أريد أن أنزع عنها القدسيّة، وأضعها على طاولة التشريح وانتقدها. كما أني أريد العودة إلى الواقع والإشارة إلى أننا توهمنا بعض الإنجازات التي لا وجود لها. أود العودة إلى أخي، والمجتمع، والأشخاص الذين رافقوني طيلة الاحتجاجات.. أن أقف أمامهم جميعاً وأقول: صمتنا عن قضايا ما كان يجب السكوت عنها!

تشرين في ذكراها الثالثة

نادت تشرين بالحريات، والعلمانية، والدعوة إلى إسقاط النظام، واستبداله بنظام يؤمن بحقوق الإنسان والتساوي. ومن أكثر المدائح التي نالها الحراك هو الوجود النسوي داخلها.
بعد نحو عامين ونصف، جرت مقارنات بين تظاهرات تشرين، والتظاهرات التي قادتها قوى الإسلام السياسي بعدها، وعدّ غياب صوت نسوي بين جمهور الأحزاب مَثلبة. في الواقع، هذا صحيح.
لكن وجودنا كنساء، في ساحات التظاهر أيام تشرين، فيه أيضاً الكثير من المثالب والإخفاقات. كان يمكن لمس الذكورية في التعامل معنا نحن اللواتي جئنا إلى الساحات للمطالبة بحقوقنا وحقوق المجتمع ككل. سيثير هذا الرأي حفيظة الكثيرات والكثيرين، لكن عدم قوله والاستمرار بتأجيله يعني لنا، نحن النساء، تأجيل حياتنا ومطالبنا ومستقبلنا ودورنا.
لقد شاركت المرأة العراقية في التظاهرات بدءاً من يوم ٢٥ تشرين الأول ٢٠١٩. حضرت بوصفها متظاهرة تطالب بحقها كمواطنة. لكن بعد مضي فترة، وتحول الساحات إلى مآوٍ وأوطان مصغرة، أخذ وجود المرأة يُحدّد بكونها مسعفة ومساعِدة وطباخة إلخ. أما رأيها ومطالبها، فلم يكن على سُلّم الأولويات.

كانت لحظات نادرة وقليلة تلك التي شاركت فيها النساء في صناعة منعطفات التظاهرات، أو اطلاق البيانات، أو تحديد الانسحاب والتقدم. ولنتذكّر الآن، بأنه تقريباً لم يكن أي بيان صادر من ساحات تشرين شاركت في كتابته نساء، وإن شاركن، فإن صوتهن كان منخفضاً.
دفعت النساء، والحال هذه، إلى أدوار ثانويّة بشكل تلقائي تماهياً مع الأدوار التي تربى عليها الذكور والإناث على حدّ سواء. الرجال أشدّاء، يعرفون التحرّكات والمطالب، أما النساء فثانويات، لا باع لهن في السياسة. جديدات على التظاهر، وحقوقهن أصغر من مطالب المواطنة الكبيرة المرفوعة على اللافتات والمُذاعة عبر مكبرات صوت خيام الاعتصام..

كانت هذه النظرة شائعة بين عدد كبير من أصدقائنا ومن رافقنا في التظاهرات، أما بالنسبة لخصومنا: فكنا "عاهرات" فحسب.

على سبيل المثال، أُطلق على الرجال المتظاهرين تسميات "أبناء السفارات" أو "الجوكرية"، وذلك لوصفهم بـ"العمالة" للولايات المتحدّة الأمريكية. أما النساء فلسن سوى بنات مكان مستتر يُعتقد أن الجنس هو العامل الأكثر توفراً فيه، هي الخيم التي آوتنا في ساحات الاحتجاج.

لم يكنّ تابعات لدولة تملك أجندات تريد تدمير العراق -كما وصم الرجال- بل كن أدوات جنسية مركونة في الخيم. إنها نظرة موجودة منذ القدم، وهي أيضاً نظرة من عمق تقاليدنا، ولذلك كان متوقعاً، بين النساء، أن يتم وصمهن بهذه الاتهامات من خصومهن في السلطة والمقربين منها. نعرف هؤلاء ونناضل ضدّهم منذ أكثر من عقدين، لكن ماذا عن حلفائنا، أولئك الذين تختلط أصواتنا بأصواتهم، ومطالبنا بمطالبهم، وأحلامنا بأحلامهم؟
في الأشهر القليلة الماضية، كُشف عن محادثة سرية بين مجموعة من ناشطي ساحة التحرير ببغداد، وقد عبر كل فرد عن عدد النساء اللواتي استطاع "اصطيادهن" في التظاهرات.
ظهرت المحادثات واختفت ولم يجر نقاشها، ذلك رغم أن بعض المتحدثين ناشطون معروفون، وكان يجب وضعهم أمام أفعالهم، وإدانتهم ومحاسبتهم علانية، بل وإبعادهم عن الواجهة.

لكن الحديث عن المرأة وحقوقها وحريّتها لطالما كانت قضايا مؤجلة. قضايا المرأة ثانوية، ولا يجب الالتفات إليها إلا بعد الوصول إلى نظام سياسي نزيه، وسلطة عادلة. وكأن الشأن النسوي قضيّة تافهة لا تستحق النظر إليها في ظل مشاكل الدولة والمواطنة والذكور الكبيرة.

النساء والأحزاب التشرينية

لكننا، كنساء، كنا أيضاً مُشاركات في تأجيل قضايانا وحياتنا. ففور اندلاع تظاهرات تشرين، كنا نتحاور على مجموعة (غروب) نسوية في واتساب. كنا نناقش ما يحدث داخل ساحات التظاهر وطرق المساعدة التي يجب تقديمها. ومع توالي الأيام كانت هناك تصرفات غير مقبولة تظهر وضحاياها النساء، لكن، وفي ظاهرة عجيبة، اتفقت النساء فيما بينهن على عدم إظهار أي جانب سيئ لما يحدث احتراماً لشهداء تشرين. كنت أنا إحدى تلك النسوة.

هذا التأجيل، تحوّل إلى مُعطى

فمع انتقال التظاهرات إلى مرحلة التنظيم السياسي، كان من المتوقع أن تشغل المرأة مكانها السياسي الذي استحقته، لكن هذا لم يحدث أيضاً. ما جرى في ساحات التظاهر والاعتصام، تفاقم في الاجتماعات الحزبيّة والسياسية.

في حوار مع الأحزاب الناشئة التي كنت أجريها لصالح بحث لمؤسسة دولية، عبرت لي إحدى العضوات المنسحبات من حزب تشريني عن مدى شعورها بالاضطهاد داخل الحزب. كان، على

حد قولها، يُقال عنها بين زملائها أنها "مرا" تقليلاً من قيمتها، وتحقيراً لآرائها السياسية، وذلك رغم امتلاكها لقاعدة جماهيرية كبيرة وتأييد عالٍ من سكّان محافظتها.
لم تكن هذه المرأة استثناء، إذ أن نساء أُخريات انسحبن من أحزاب تشرينية نتيجة "التعامل السيئ من رجال الحزب". رجال كان لمطالبتهم بالحريات والمساواة دور في فوزهم بالانتخابات. ولأذكر هنا رئيس حركة امتداد علاء الركابي قبل دخوله إلى البرلمان بـ"التكتك"، قال مُطمئِناً جمهوره "حتى نسوانا زلم". هذه لم تكن أقلّ من إهانة، وعدم فهم، وحتّى تخلف كبير في العمل السياسي وفي فهم تشرين ومُرادها.

أما النائب والمحامي باسم خشان، وهو أيضاً يصدِّر نفسه كمدني وعلماني، فقد ردّ على أحد منتقديه بالقول: "إذا مرتك عدها شي آني حاضر"، وهو تلويح جنسي مُباشر ضد زوجة الرجل التي لم تكن لها أي علاقة في الأساس بالحوار.
هذه الحوادث تكشف أن الإساءات الصادرة عن بعض أفراد الأحزاب أو نواب في البرلمان او بعض الشباب، تكشف لنا حقيقة مهمة، وهي أن المرأة العراقية في مشاركتها السياسيّة لم تكن رايدكالية بما يكفي لفرض رأيها وخطابها ومطالبها. إن تأجيل القضايا النسوية حتّى الوصول إلى الهدف لم يعن إلا تأجيلاً لحياتنا، أو تجميدها إلى حين.

لكن الآن، وأنا أنظر إلى تلك الأيام العاصفة، أقول: كان علينا فرض أجندتنا وأصواتنا وجعلها حاضرة في البيانات والساحات. كان علينا عدم قبول التراتبية التي صنعتها تراكمات اجتماعية تاريخية تحل الرجل في المرتبة الأولى، والمرأة بعده. إن قضايا المرأة وحقوقها، ومطالب المساواة وفرض الأجندات النسوية، يجب أن تسير جنباً إلى جنب مع قضايا المواطنة وحصر السلاح بيد الدولة وإقرار القوانين العادلة.
القضايا النسوية لا تقلّ أهميّة عن أي قضايا أخرى، وربما حتّى قبل حلّها، لا يمكن الوصول إلى حلول أخرى ذات بُعد وطني.
عليه، فإن تقدّم المرأة أصبح متوقفاً على مدى قدرتها على الوقوف بوجه كل فرد يحاول تهميش دورها السياسي والثوري، حتى لو تشابه معها في أرضية مشتركة من المطالب.

كما أن المكاسب التي تستحقها المرأة ليست فضل، بل هي نتاج مخاض طويل خاضته نساء قبلها وحافظت هي على استمراره، علاوة على أن دخول المرأة إلى عالم السياسة كامرأة، وليست إكمالاً لعدد او حاملة لعقل ذكوري، هي الخطوة الأولى نحو تحقيق عالم يكون لمفهوم المساواة أرضاً صلبة لتطبيقه. والأهم من كل هذا، هو أن تشرين ليست ملكاً لنوع اجتماعي، بل هي نقطة تحول نصحح عبرها أخطاءنا، وننبري للدفاع عنها وننتقد كل من يحاول أن ينزع عنها مطالبها.

حول العمل الرعائي

«شمسويه انتِ!».. العمل المنزلي وحرمان المرأة من يومها

منال حميد غانم

نشر هذا النص في الأصل على موقع جمار الصحفي، بتاريخ ٣٠ نيسان ٢٠٢٣
بالعنوان نفسه، ويمكن العودة إلى المقال على الرابط التالي:
www.jummar.media/3355
وقد أعيد نشر النص بإذن من موقع جمار والكاتبة.

باتت مفاهيم مثل «معدّلة» و«ترفة» و«نظيفة» و«بيتها ينأكل عليه الزبد» معايير للتنافس بين النساء أنفسهن على حساب وقت إراحة اجسادهن، فقط من أجل الحصول على الرضا المجتمعي.. عن العمل المنزلي غير المدفوع وحرمان المرأة من يومها.

كنت أغسل الصحون بعد العشاء عندما رفع طفلي صوت التلفاز على فقرة برنامج خصصت لموضوع التنمية البشرية، حيث كان مدرب التنمية يقول بأننا نملك الـ٢٤ ساعة نفسها التي ملكها توماس أديسون وآينشتاين ومارك زغربرك وبيل غيتس وستيف جوبز، وأنهم لم يحققوا كل تلك الإنجازات بـ٤٤ ساعة في اليوم بل بالـ٢٤ ساعة نفسها التي نملكها جميعاً.. ولكن المشكلة تكمن في عدم استثمار الوقت.

"جميل جميل.. الأخ يملك ٢٤ ساعة ويبدو الآخرون كذلك.. لماذا أنا لا أملكها ملكا خالصا صرفا من الأصل؟!"، سألت نفسي متهكمة.

هذا سؤال تطرحه الكثير من النساء -ليس في العراق فقط- على أنفسهن يومياً، ويرافقه شعور دائم بضيق الوقت وقلة الإنجاز، ما يجعلنا تعيسات وكثيرات التفكير ومُجهَدات من ضغط

البيت ورعاية أطفالنا وأسرنا، علاوة على أعمالنا خارج البيت إذا استطعنا إلى ذلك سبيلا.

أين يذهب يوم المرأة، وهل هو حقاً لها؟

أيام مبنيّة للمجهول

ترزح النساء تحت وطأة العمل والرعاية المنزلية، فيما ترين زملاءهن من الذكور يحصّلون الشهادات العليا ويسافرون ويتقدمون في مجالاتهم المختلفة، دون عبء التفكير بمن سيرعى أطفالهم ويهتم ببيوتهم.

"أسرد لنا كيف تقضي وقتك بعد انتهاء العمل لطفاً علنا نتعلم منك تنظيم الوقت"، سألت مديري في العمل، حينما قال لي ولمجموعة من زميلاتي ذات يوم بأننا نملك الكثير من الوقت بعد انتهاء الدوام، ومن المهم استثماره بدل تصفح مواقع التواصل الاجتماعي بأخذ دورات تدريبية أو مطالعة كتاب أو حضور فيديوهات تعليمية على اليوتيوب.
ردّ المدير قائلاً أنه يعود للمنزل، يستحم، يلتقط ملابسه المكويّة النظيفة من الخزانة ثم يتناول طعاماً ساخناً وصحياً ثم يشاهد التلفاز قليلاً، يتبعها بقيلولة.. قبل أن يردف بسرد مهامه اليومية لتثقيف الذات والعناية بالنفس. ضحكت إحدى الزميلات وردّت عليه: "يومك العادي هذا لهو يومٌ من أحلامي التي لا أستطيع تحقيقها"، فيما رددتُ بأن الكتاب المحاذي لسريري لا ينقصه سوى أن يبكي لأقرأ منه أكثر من صفحتين كل يوم.

لم يعلم وربما لم ينتبه الرجل، وكثر غيره، لفرق التوقيت بين النساء والرجال، إذ أن الساعة السابعة صباحاً مثلاً بتوقيت الرجال مختلفة تماماً عن الساعة السابعة صباحاً بتوقيت النساء.

فعندما يستيقظ أي رجل عامل إلى يوم هيأته له النساء مسبقاً، وهن اللواتي يستيقظن قبله بساعة أو ساعتين لتجهيز لوازمه ولوازم أطفالهم: يجهزن الفطور للطفل الكبير (الزوج) وفطورا دافئا بصناديق صغيرة لبقية الأطفال وتلبيسهم أو مساعدتهم على ارتداء الملابس التي نظفت وكويت قبل ليلة، وتصفيف شعرهم والتأكد من أن حقائبهم المدرسية لا ينقصها شيء، ثم توصيلهم إلى المدرسة أو الى المواصلات، ثم يرتدين ملابسهن على عجالة والتأكد من أن المنزل سيُغلق آمناً، من إغلاق الكهرباء والماء والشبابيك وغيرها، لتستقل المرأة بعدها وسيلة المواصلات وتذهب هي الأخرى إلى عملها المأجور أو تواصل عملها المنزلي غير المأجور.

في نظر الرجال، وحتى الدولة، باتت هذه الأيام مبنية للمجهول وليست من صنيع النساء.

العمل المنزلي.. غير محسوس ولا محسوب

تُمضي المرأة العراقية حوالي ست ساعات من يومها، أي ربع اليوم، في العمل والرعاية المنزلية، ويُقدّر أن ٨٦ بالمئة من العمل المنزلي غير المدفوع في العراق، تقوم به الطفلات أو النساء، وفقاً لمسح أجرته منظمة العمل الدولية.

ويُعرّف العمل المنزلي الرعائي على أنه الأنشطة والعلاقات التي تلبي الاحتياجات الجسدية والنفسية والعاطفية للبالغين والأطفال، سواء كانوا كباراً أو صغاراً، ضعافاً أو قادرين جسدياً.

ينطوي العمل المنزلي الواقع بغالبيته على عاتق النساء على بعد إقصائي غير محتسب ولا محسوس، إذ لا يُعتَرف بأهمية هذا العمل للناتج القومي العام، علماً أن العمل المنزلي يُعدّ نشاطاً اقتصادياً يضيف قيمة وينتج الثروة والرفاهية الاجتماعية، بحسب البنك الدولي.

وبنظر المجتمع الذكوري، فإن العمل المنزلي لا يُعترف به حتى على مستوى الجهد الجسدي، إذ تغلب فكرة "هي غسل امواعين وتنظيف.. شمسويه انتي طالعة عمالة"، مقابل مثلاً العمل في مجال البناء والذي يهيمن عليه الرجال، فإنه وعلى صعوبته، فهو مثمن ومحدد بوقت ويتضمن أوقات استراحة، ويمتلك العامل إمكانية رفض العمل أو حجم الأجر المقرر، ويمتلك قدرة قول "لا" ومغادرة موقع العمل دون أن يعاقب بالتعنيف اللفظي أو الجسدي أو بنبذ مجتمعي أو وصم أو فك رابطة زوجية لمجرد رفضه.

وحتى دوائر تمكين المرأة والمنظمات النسوية التي تطالب بضرورة إشراكها في الاقتصاد، يفوتها بأن لا اقتصاد أو إنتاج قائم من دون الإنتاج الاجتماعي الذي تمارسه المرأة يومياً، في وقت تبقى هي معطلة اقتصادياً دون اعتراف بأهميتها الاقتصادية. وتخشى الدولة مثل هذا الاعتراف لأن من شأنه أن يضع على عاتقها مهمة وضع سياسات تفرض شبكة حماية اجتماعية للمرأة وعائلتها، مثل حضانات طفولة مبكرة مجانية وغيرها؛ وهي التي يعتقد كثر من العراقيين أن نقصها هو من أكبر العوائق أمام دخول المرأة سوق العمل، بموجب مسح البارومتر العربي ٢٠٢١-٢٠٢٢.

علاوة على ذلك، فإن رغبة الدولة بالتحول إلى النيوليبرالية بنقل امتياز دوائر الدولة التي تقدم خدمات اجتماعية بأجور مناسبة إلى القطاع الخاص، قد أدت إلى ارتفاع أجور الحضانات مثلاً، فأصبحت العاملات من الأمهات يفاضلن ما بين أهمية العمل ومستوى أجوره وبين ما تنفقه على دور الحضانة.

لا يقتصر عدم اعتراف الدولة والمجتمع بعمل النساء المنزلي على أنه "عمل" دون مردود مادي، بل يعني ذلك أنها غير قادرة على الانخراط في سوق، إذ بلغ معدل مشاركة النساء بالقوى العاملة ١٠,٦ بالمئة مقابل ٦٨ بالمئة من الذكور في عام ٢٠٢١، وفق مسح للقوى العاملة أجرته وزارة التخطيط بالتعاون مع منظمة العمل الدولية.

كما يفرض العمل المنزلي على النساء اختيار الأعمال ذات الدوام الجزئي أو الأعمال القريبة من العمل الرعائي، إذ وجد مسح وزارة التخطيط أن المهن التي تهيمن عليها النساء، هي التعليم الابتدائي ورياض الأطفال، ثم التعليم الثانوي وتتبعها صناعة الملابس والمهن المرتبطة بها، والتي عادة ما تكون أجورها منخفضة مقارنة بمناصب إدارية، والتي تشغل النساء نسبة ١٧,٥ بالمئة منها فقط في العراق.

وقد أدى إيكال مهمة إعادة الإنتاج الاجتماعي بشكل مجاني للنساء إلى دفعهن نحو الفضاء الخاص (البيت)، وخلق أمامهن صعوبة الوصول إلى الموارد وعدم الاستقلالية المادية المفضية إلى دائرة من الفقر والعنف والمرض غير المنتهية، التي قد تصل بهن إلى الجريمة كالتسول والبغاء بشكله الرسمي المعلن أو غير الرسمي بصيغ دينية.

مجتمع يحكم على المرأة من وقتها!

عملت لفترة في رياض الأطفال وراقبت سلوك الأمهات العاملات بشكل يومي وهن يأتين بأطفالهن مع غذاء يكفي لشخص بالغ في الكثير من الأحيان، في محاولة منهن لدفع عقدة الذنب التي صنعها المجتمع تجاه النساء العاملات. كانت تعتلي وجوههن نظرة المقصر عن أداء دوره.

تحاول الأمهات اللواتي يأتين بأطفالهن إلى الحضانات تبرير خروجهن من المنزل بأنه إما للعمل لتحسين مستوى عائلاتهن المادي أو من أجل الدراسة، وكلاهما يعتبرنه هدفا استراتيجيا واحدا. أما اللواتي لا يبررن أسباب إدخال أطفالهن إلى الحضانة أو تكون الأسباب متعلقة بالترفيه وليس بالعمل بالضرورة، فكن يثرن امتعاض العاملات الأخريات بالروضة وكأنهن مذنبات.

تنعكس نظرة المجتمع تجاه المرأة وتوقعاته منها على المرأة نفسها.
فمن جهة باتت مفاهيم مثل "معدلة" و"ترفة" و"نظيفة" و"بيتها ينأكل عليه الزبد" معايير للتنافس بين النساء أنفسهن على حساب وقت إراحة اجسادهن، فقط من أجل الحصول على الرضا المجتمعي. تتنازل المرأة عن الاهتمام بصحتها وتطوير وعيها واهتمامها بالشأن العام لأجل الأسرة والطفل، وإذا ما زاحم ما ترغب به الطفل والأسرة، فتعيش طوال الوقت في حالة تأنيب ضمير وعقدة ذنب مبررة بأنماط اجتماعية مفروضة على الأم بما يجب أن تفعل وما

يجـب أن لا تفعـل.

تصـل الأمـور في الكثـير مـن الحـالات إلى أن تنهـك الكثـيرات صحتهـن بشـكل مبكـر فيجنـح شريكهـا إلى اسـتبدالها بعلاقـات غراميـة أو زواج بمباركـة المجتمـع الـذي يـرى أن مـن حـق الـزوج اسـتبدال زوجتـه "المريضـة" بأخـرى تلبـي متطلباته.

مـن جهـة أخـرى، فـإن المجتمـع ذاتـه، ومـع تقـدم الوقـت، هـو مـن يفـرض معايـير المـرأة الناجحـة بكونهـا منجبـة ومربيّـة جيـدة ومسـتقلة اقتصاديـاً ومتعلمـة وعاملـة ناجحـة في عملهـا وذات جسـم صحـي ووجـه جميـل الـخ.. ولكـن في نهايـة اليـوم، عندمـا تتوفـر فسـحة وقـت للمـرأة في يومهـا تقـف حائـرة بـين متطلباتهـا بتطويـر نفسـها، أو بالعنايـة بجسـدها وشـكلها وصحتهـا، أم الاسـتمتاع والترفيـه دون صخـب الأطفـال، أو أخـذ قسـط مـن الراحـة، وهـي التـي تعيـش حالـة مسـتمرة مـن التعاسـة والتوتـر بسـبب ضغـط العمـل المنـزلي والعمـل المأجـور.

عليـه، هـل يسـاعد المجتمـع المـرأة في خيـار تطويـر نفسـها عـبر الدراسـة بالسـاعات الشـحيحة التـي تبقـى لهـا في آخـر النهـار؟ هـل يمكّنهـا مـن الالتحـاق بمقاعـد الدراسـة قبـل أن تتجـاوز العتبـة العمرية المفروضـة بقـرارات وزارة التعليـم أو التربيـة، والتـي تتغـاضى عـن السـاعات التـي تقضيهـا في العمـل المنـزلي فتقصيهـا عـن مقاعـد الدراسـة المجانيـة، وتخيرهـا بـين الدراسـة المسـائية أو الكليـات الأهليـة ذات الأجـور المرتفعـة وبـين التخـلي عـن أحلامهـا حينـما يكـبر أطفالهـا، علـماً أن ذلـك شرط منـافٍ لمبـدأ تكافـؤ الفـرص المذكـور في الدسـتور العراقـي في المـادة ١٦.

الـ٢٤ سـاعة في يـوم المـرأة هـي بالتـالي ملكيـة خاصـة قابلـة للنقـل، فعنـد زواج امـرأة تنقـل ملكيـة جسـدها وكذلـك وقتهـا وكل حياتهـا مـن أسرة الأب الى أسرة الـزوج، ويبـات مـن غـير المقبـول اجتماعيـاً أن ترفـض منـح ذلـك الوقـت لغـير العمـل الرعـائي.

أمهاتنـا وجداتنـا ندبـن حظهـن مـرات كـثراً وهـن يسـتذكرن انسـحاق أعمارهـن وأجسـادهن بـين تلـك الأعـمال غـير المقـدرة او غـير المرئيـة اجتماعيـاً واقتصاديـاً، ولذلـك نرغـب بتثمينـه ماليـاً عـلى شـكل أجـور شـهرية أو دور رعايـة للأطفـال وكبـار السـن مجانيـة تمامـاً.

هي ٢٤ ساعة صادرها المجتمع والدولة من المرأة ومن حقها بأن تعيشها لنفسها أيضاً.

- أنا واخي- العمل الرعائي كمساهم في الاخوة الهشة

منال حميد غانم

تولد الانثى ولا تعلم انها ستصبح خادمة مجانية وحتى ان علمت لا تريد ان تتقبل هذا الوصف , مع ان وصف المركز هو الخطوة الأولى للاعتزاز به او رفضه ومقاومته , تلك المقاومة التي تتجلى بأساليب متعددة منها عدم اعادة انتاجه مرة اخرى , فقد لا تمتلك القدرة على رفض نظام ما ولكنك في الوقت ذاته تمتلك الارادة في عدم تقويته على الاقل . هذه الخادمة تعمل في ثلاث اماكن ذات طابع اسري على امتداد حياتها , المكان الاول هو بيت اهلها وعملها يبدأ منذ السادسة من العمر الى سن الزواج المتعارف عليه مجتمعيا وفي العراق فأن ثلث النساء المتزوجات هن نتاج تزويج طفلات فقد بلغت نسبتهن ٢٤,٨٪ حسب وزارة التخطيط العراقية عام ٢٠٢١ يعني انها قد تخدم ما لا يقل عن ٦ سنوات لتنتقل الى مكان عملها الثاني وهو « بيت العيال» او العائلة الممتدة لتقدم خدماتها بشكل مشترك مع عاملات اخريات(كنات) بفترة تقدر من ٣ سنوات الى ٤٠ سنة في الحالات النادرة, والمكان الثالث هو بيتها المستقل المملوك لزوجها بالغالب الاعم , وهنا تخدم زوجها وعائلتها بالشراكة مع بناتها الى مماتها . في المكان الاول ,الام والاخوات يقدمن خدمات الرعاية غير مدفوعة الاجر الى الذكور في العائلة والذين لا تتدرج سلطتهم بحسب المراكز الاسرية فالأب والاخوة يقفون على مستوى واحد من حيث السلطة والهيمنة والرغبة بإخضاع نساء العائلة لهم , لكن النساء هي من ترى بأن الاب هو من يملك سلطة مشروعة بينما الاخ لا يملكها وعند اظهاره لأي قرار جائر نسمع جمل من قبيل (ابوية ما مات / انت مو ابوية ..) , فهن يرغبن بأخ قوي لكن ليس بحضور الأب كرغبة ضمنية بالمساواة امام سلطة اعلى وهي سلطة الاب ,فلا يرغبن بقوة تساوي مستوى قوة الاب او تعلى عليه , مع ان واقع الحال يظهر انه يتقاسمون تلك السلطة لمصالحهم المشتركة ويخططون ويتعاونون وينفذون الاعمال التي تضمن طاعة النساء وولائها لا لعادات

العائلة وتقاليدها فقط بل حتى لأفكارها ورؤاها حول المفاهيم المجتمعية والدينية والسياسية . فعندما يغيب الاب لظرف مؤقت او دائم يجعل من أحد الذكور خليفته, وحتى اذا لم يقرر ذلك صراحة , هم يصرحون بذلك بأنفسهم او يمارسونه دون الحاجة الى بيانه , فتعمل الفتيات والنساء طوال النهار لتنفيذ طلبات الاخوة والعناية بهم بشكل قسري لكنه في اطار مشحون بعواطف الاخوة وتماسك الاسرة والتي يبدو ومن خلال الواقع المعاش ان النساء هي من تتولى الحفاظ على ذلك التماسك وديمومته وليس الرجال . فتتكون علاقة الاخوة بطعم المر الممزوج بقطرات عسل لتستطيع النساء تقبل هذا الواقع المعاش المليء بالعمل المذل واسلوب « افعل ولا تفعل « الابوي ليجعلها تصل ان تختم القران عشرات المرات وتدعي الله من كل قلبها لتخرج من المكان الاول (الاسرة) للثاني (بيت اهل الزوج) في حكاية العمل المنزلي العراقية لتوهم نفسها انه مختلف وهين . وفي المكان الثاني وهو عائلة الزوج الممتدة فهي تقدم نفس الخدمات لكل لعائلة زوجها واخوته , حيث يرغمها السياق العرفي الى اعتبارهم اخوة ايضا لها وهم امتداد لأخوتها, فبالتالي تقدم نفس الخدمات لهم من طاعة و رعاية او عمل منزلي غير مدفوع الاجر في اطار من الاخوة الاسمية في الغالب والتي لا تحمل اي امتنان او عرفان لها بالعمل ولو الشيء البسيط فهي «كنة» ومهما كانت من الاقارب فهي غريبة وهذا واجبها . اما المكان الثالث فهي بطلته وتتحول فيه الى صانعة منتجة لهذا النظام لتعيد تجديده على بناتها مع اخوتهن عاكسة فيهن كل هذا البؤس والاذى وخالقة مع النظام الابوي ككل متمثل برؤية الاب والاعمام والمدرسة ونادي اللعب والشارع علاقة اخوة رخوة اخرى .

لتأخذ النساء هذا الانطباع عن الاخوة الى اي مكان اخر غير الاسرة فمثلا في اماكن العمل ولأعتبارات عرفية ودينية تنادي النساء الرجال او العكس بمفردة « خوية «وعندما يرغب زميل العمل «الاخ» بإظهار اخوته فهو يحاول ان يسهل لها عملا او يزكيها لدى الرئيس الاعلى, لكنها عندما تظهر ولائها لأخوته فهي تحضر له اكلة معينة او تصنع الشاي او الفطور حتى , في عملي كنا عدة موظفات وكنا نصنع فطورنا الجماعي بشكل تشاركي لكنهن يطلبن من الذكور الذين « لا يشاركون في احضار مواد الافطار او طهوها او صبها» ليبذلوا جهدا في تناولها فقط ليفرحن بكلمات الشكر والرضا عن مذاق الطعام لا اكثر وعندما اعترضت احداهن , رفضت الاخريات قطع تلم السُنة و قلن وبأسلوب ما هو مسلم به (هم اخوتنا ,انت تخلين اخوج يطبخ؟ , هم زلم شلون يحضرون اكل من كل عقلج) . في الاسرة قد يكون لتلك العلاقة الهشة منفعة محتملة متمثلة بالحماية لكن ما جدوى تلك العلاقة وبذل الجهد عليها خارج نطاق الاسرة سوى ان انها اغراق في الابوية والذكورية وغياب مراجعة ما هو مفرغ منه . «انتِ بنية ؟ وظيفتج تخدمين اخوج» , لو ولدت الانثى لعائلة تضم ذكورا اكبر منها ستكون هي الخادمة المنتظرة التي تتمنى العائلة قدومها لتعين والدتها على طلبات الذكور وابيهم , واذا كانت قد ولدت في عائلة ضمت ذكورا بعد ولادتها ستتحول الى ام صغيرة رغما عنها تحت يافطة مساعدة والدتها في تربيتهم ايضا فبينما تمارس الام العمل المنزلي

تمـرر جـزء مـن مهامهـا في العمـل الانجـابي الى طفلتهـا ويبـدأ ايـكال هـذا النـوع مـن الاعـمال مـن عمـر سـت سـنوات فـما فـوق فتتعلـم حمـل الاخ وتحميمـه وتغيـير ملابسـه او حفاظتـه وحمايتـه مـن نفسـه اذا حـاول تجربـة تسـلق مرتفـع او تنـاول شيء مـضر او وسـخ نفسـه . واذا كانـت قـد ولـدت بكريـة فهـي فرحـة الام وحـزن الاب كـما هـوم دارج فـالأم تفـرح لأنهـا سـتحصل عـلى مسـاعدة احتياطيـة في كل رحلتهـا لإنجـاح اسرتهـا او زواجهـا فالطفلـة سـتتولى مـا لا تطيـق الام القيـام بـه . واذا ولـدت كتـوأم لـه أو اصغر/ اكبر سـنة واحدة فقط اي بضع شـهور سـتتحول الى خادمته ايضـا لكـن مـع مشـقة نفسـية مضاعفـة اكـثر بكثـير كونـه نـدا لهـا مـن كل النواحـي واهمهـا العمـر .

وخـلال رحلـة الام التربويـة لإعـادة انتـاج النظـام الذكـوري كمتسـبب اول في تعاسـتها ومهـدد حتـى لفـرص ضـمان حقهـا بالحيـاة تسـتخدم بناتهـا في ترسـيخ تفـوق الذكـر وكفـاءة نوعـه واهميـة حياتـه وراحتـه , حيـث يتـم اجبـار البنـات عـلى معاملتـه كمدلـل فقـط , لأنـه هـو الذكـر لتقـوم الاخـت بفـرش فـراش نومـه ولمـه او تعديـل سريـره واحضـار الاكل ورفعـه مـن امامـه وتحضـير الشـاي وتقديـم المـاء لـه متـى احتـاج « كومـي جيبـي مـاي لأخـوج عطشـان « فتقـوم الام بمقاطعتهـا في حـال جادلتـه في تلـك المهـام او رفضتهـا بـل وحتـى تعنيفهـا اذا تسـبب ولـو بمقـدار نملـة في اغضـاب الاخ , تقـول احـدى البنـات (مـرة رفضـت تنفيـذ طلباتـه وقلـت انـا لسـت خدامـة لـه فتـم ضربي مـن والـدتي حتـى قلـت انـا خدامـة لـه لـكي تتوقـف) , وخدمـة الاخ تلـك اذا كانـت لشـخص لأخ اكـبر منهـا سـنا وعـلى الرغـم مـما يتضمنـه مـن اضطهـاد واذلال كونـه يتـدرج مـن رفـع كأس المـاء مـن امامـه و جلـب ريمـوت التلفزيـون الى راحـة يـده الى غسـل ملابسـه وحتـى مسـح حذائـه فهـي اهـون مـن تنفيـذ نفـس الطلبـات لمـن هـم اصغـر منهـا سـنا و هـي لفـترة مـن حياتهـا كانـت اشـبه بـأم صغـيرة لـه , شـعور مـن الاذلال لا يوصـف ليصـل مسـتوى التـمادي في السـلطة الممنوحـة لـه لان يمنعهـا هـذا الصغـير اذا خرجـت مـن المنـزل دون علمـه .

تعمـل الاخـوات طـوال الوقـت ليسـتطعن خدمـة ذكـور متعدديـن ويحاولـن ان يلتزمـن بدراسـتهن ايضـا ويتفوقـن , ويسرقـن الوقـت للعـب ورؤيـة الاقـران , وبضغـط الوقـت هـذا هنـاك متسـع كبـير لـدى لـلأولاد مـن الذكـور, يتفننـون بعيشـه وهـدره بسـاحات لعـب كـرة القـدم او المـشي او لقـاءات الاصدقـاء او الدراسـة بـدون مشـتت منـزلي , ولشـدة مللهـم يجـدون طرقـا مبتكـرة للعـراك معهـن وتصريـف الطاقـة بهـن ينتـج عنهـا المزيـد مـن العنـف البـدني واللفظـي والاغـراق في الاذلال العمـد , تحـت يافطـة (اني اخوهـا واربيهـا) , فيسـارع الوالديـن لتعزيـز هـذا الوضـع عـبر نظـام مكافئـات احـادي الرؤيـة حيـث يُقـدم الثنـاء للذكـر الـذي يعتبرونـه ذكي ولكنـه لا يـدرس ومـع ذلـك حظـي بالنجـاح ومـن حقـه الخـروج بسـفرات للنهـر او للمـدن السـياحية خـلال العطلـة المدرسـية والبنـات اللـواتي نجحـن في ظـل ضيـق الوقـت ملومـات عـلى عـدم «تفوقهـن» : (انـتن كاعـدات بالبيـت لا شـغلة ولا عملـة , تـالي تنجحـن بخمسـينات) , لتتجـلى عـدم العدالـة بحبسـهن في البيـوت واطـلاق العنـان لآخوهـن, ليحرمـن مـن رؤيـة الشـوارع وتنفـس الهـواء الطلـق . يتـم بنـاء علاقـة الاخـوة ومنـذ الصغـر بشـكل تراتبـي فيتـم وضـع الذكـور بمرتبـة اعـلى مـن الانـاث

لا لـشيء الا بسـبب نوعهـم , وتتصـف علاقـة الاخـوة بذلـك بعـدم التسـاوي بميـزان القـوى بـين الطرفين , عـدم التسـاوي هـذا هـو مـا يصنـع علاقـة رخـوة كالخـاصرة , اي ضربـة قـادرة ان تصيـب صاحبهـا بعاهـة مسـتديمة او وفـاة , ان العلاقـات التـي يكـون احـد اطرافهـا مسـتقوي والاخـر مسـتضعف لا يمكـن ان تنـدرج ضمـن العلاقـات الانسـانية الحميميـة , فتلـك مبنيـة بلبنـات مـن المسـاواة والاحـترام يضمـن متانتهـا لأطـول فـترة زمنيـة ممكنـة بينـما في علاقـة الاخـوة فهـي مبنيـة عـلى المصالـح , فالذكـور ينتفعـون مـن عمـل الانـاث الرعـائي والمنـزلي غـير مدفـوع الاجـر والـذي يجعلهـم يشـعرون بتضخـم الأنـا وتمددهـا التـي تجعلهـم مخدومـين حتـى لـو كانـوا فقـراء معدمـين ولا يقدمـون اي منفعـة تذكـر للعائلـة او لإناثهـا اللـواتي يقدمـن خدماتهـن منـذ الصغـر وحتـى الـزواج , والنسـاء تنتفـع منهـم بجعلهـم فزاعـة تخيـف بهـا الـزوج واهلـه اذا بطشـوا بهـا , اي حمايـة مزعومـة , غالبـا مـا يخيـب الرجـاء بهـا فأكثريـة النسـاء اللـواتي غضـبن عنـد اهلهـن مـن اسـتغلال الازواج واجرامهـم يتـم ارجاعهـن صاغـرات الى بيـوت ازواجهـن اتقـاء لخطـر الطـلاق ووصمتـه . الانـاث تقـدم عمـل يمتـد لسـنوات مقابـل موقـف محتمـل , اي ان الاخ قـد يقـف معهـا او لا كـما هـو الحاصـل . شـكل التعامـل السـلطوي هـذا هـو مـا يضـع قبضـة الرمـال الرطبـة فـوق الاخـرى تبنـي علاقـة الاخـوة , فالذكـور في العائلـة يعتقـدون ان اخواتهـن راضيـات عنهـم تمـام الرضـا وهـو اعتقـاد أبلـه نوعـا مـا كـون الانـاث مجـبرات عـلى تقديـم العمـل المنـزلي والرعـائي كعمـل عاطفـي لا تظهـر مـن خلالـه النسـاء غضبهـن وسـخطهن كـون « قلبـة الوجـه» هـذا قـد تتسـبب بإيـذاء لفظـي او بـدني او حتـى تخريـب مائـدة الطعـام وتكسـير الصحـون .

ومـع ان جملـة « اخـوج سـندج» لا تتفـق مـع جملـة (رجلهـا ويربيهـا احنـا شـنو , او رجـال ومرتـه يتمالخـون يتكاتلـون احنـا شـنو) بـل وتسـتطيع الجملـة الثانيـة تفريـغ الاولى مـن محتواهـا , مـع ذلك تسـتمر تلـك العمليـة في جعـل الاخـوات خاضعـات لهيمنـة الذكـور وسـلطتهم كأدوات خلقـت مـن اجـل راحتهـم , لتجـد نفسـها قـادرة ان تتحمـل اي ظلـم كان في بيـت زوجهـا كونـه ليـس الا محـض امتـداد لمركزهـا في بيـت اهلهـا وبالغالـب لا تحـاول عمـل تجريـب لجملـة « اخـوج سـندج «كـون المفاجـأة الناتجـة عـن هـذا الفحـص تجردهـا مـن فزاعـة الحمايـة التي تلـوح بها امـام زوجهـا وعائلته .

ولأنهـا علاقـة لم تبنـى عـلى الاحـترام والتعـاون بـل عـلى المنفعـة الاحاديـة فـلا يمكـن ان يجـدي نفعـا تذكيرهـم بعبـئ التربيـة او الرعايـة التـي قدمتهـا الاخـت كونـه يعتـبر امـر مفـروغ منـه , ففـي اطـار العلاقـة بـين صاحـب العمـل والعاملـة المنزليـة لا تسـتطيع ان تذكـره بجـودة اعمالهـا ولا بسـهرها ولا بلـذة طبخهـا اذا قـرر ان يتوحـش ويعنفهـا مثـلا . يتـم تربيـة الذكـور ليلعبـوا دور الـوصي او (الـوصي الظـل) عـن الاب عـلى الاخـوات ومـن الطبيعـي ان يتحكمـوا بهـن بشـكل حـرفي مـن حيـث مواعيـد الخـروج وقبـول الخاطبـين واعطـاء اراء تبـدو لأول وهلـة غـير ذات اهميـة كتلـك المتعلقـة بالتملـك والتحصيـل العلمـي والتنقـل والخصوصيـة لكـن بمجرد رفضهـا او عـدم تنفيذهـا هـذا يعنـي فتـح الضـوء الاخـضر للإيـذاء حتـى لـو كانـوا اصغـر منهـا ايضـا . يتـدرج الايـذاء الـذي تتعرض له الاناث من اخوانهن اصحاب المعـالي الابوية من العنف اللفظي الى القتل

فمـن الـوارد جـدا اذا كنـتِ عراقيـة ان تسـمعين بحـوادث القتـل غسـلا للعـار منـذ بدايـة تحسسـك لهـذا العـالم ولا تخفـي العائلـة تلـك القصـص عنـك بـل عـلى العكـس تمامـا ربمـا يزيـدون مـن رهبتهـا بنظـرات او ايحـاءات تهديديـة تقـول بشـكل صـارخ سـوف نقتلـك بوحشـية اذا فعلـتِ كـما فعلـت صاحبـة القصـة والمنفـذ غالبـا احـد الاخـوة. كنـت اسـمعها ولا يتبـادر الى ذهنـي سـوى لحظـات القتـل لا قبلهـا ولا بعدهـا , احـاول ان اتخيـل كيف مـن الممكـن قتـل اخـت ؟ الاخـوات التـي عرفتهـن بحيـاتي كـن امهـات مـن طـراز رفيـع , فأنطبعـت بمخيلتـي صـور عـن علاقـة الاخـوة بالأخـوات وهـم كبـار مليئـة بالعاطفـة والحـب المفـرط , وعنـد قص تلـك القصـص تظهـر في مخيلتـي التقـاء اعينهـما وهـو يحـاول غـرز السـكين في بطنهـا او خطهـا عـلى رقبتهـا , سـماعه لصـوت انفاسـها الاخـيرة والتـي لم تسـتطع ان تذكـره بنومـه بالقـرب منهـا أو تحديـق عينيهـا بعينيـه عندمـا يخنقهـا بمخـدة او كيـس دقيـق , تلـك العيـون التـي زمجـرت بنفس القـوة عندما خـاض عراكاتـه امـام البيـت مـع شركاء اللعـب , او عندمـا وقـع مـن مرتفـع او غمـس اصبعـه في كـوب شـاي حـار , كيـف صـارع جسـدا كـرس قوتـه البسـيطة الطفوليـة ليتبنـى دور الام في الاحتضـان واللعب ومتابعـة النجـوم عنـد النـوم في الاسـطح , كيـف عـارك ايـدي احتضنـت كفـه بالكامـل لتعلمـه مسـكة القلـم الاولى بشـكل صحيـح , كيـف تحمـل رفسـات ارجـل كانـت ارجوحـة لـه عنـد الملـل مـن الالعاب او شـحتها . لكـن اجابـات تلـك الاسـئلة لخصتهـا صديقـة انباريـة لي عندمـا قالـت « الرجـال يقتلـوا اخواتهـم ليغسـلوا عارهـم ثـم يحتفلـون بأنجازهـم بعـد ذلـك مـع الغانيـات» , كلهـا سـلوكيات تشـير ان العمـل الرعـائي والمنـزلي لم ينفـع علاقـة الاخـوة بـل ضرهـا وصـادر اهميتهـا مـا دامـه غـير تشـاركي ومبنـي عـلى مفهـوم الاسـتقواء وغـير مثمـن او معـترف بـه حتـى على صعيـد المجامـلات وذكـر الفضل .

حول الشعبوية وضرورة النضال ضدها

حقوق المرأة وضرورة النضال ضد التيارات الشعبوية

نادية محمود

لمعرفة ماهي حقوق النساء، لماذا تتمتع النساء بقدر معين من الحقوق يختلف عما يتمتع به الرجل؟ وكيف حدث هذا التفاوت في الحقوق؟ يجب ان نعرف اولا كيف جرى تحديد هذه «الحقوق» و استنادا الى اي شيء جرى تحديدها؟

انطلاقا من تفسيرنا الطبقي فان الحقوق تحددت على اسس طبقية اقتصادية. حيث ان المجتمع الذي نعيش فيه هو مجتمع رأسمالي يقوده رجال لهم ايديولوجية سياسية وفكرية تريد الابقاء هذه الطبقة وان يكون لها السيادة والهيمنة . تبعا لذلك، فان النساء- باعتبارهم اناث- العمال، الاجانب، المعاقين جسديا، هم الفئات الاضعف، والاكثر تهميشا واقل حقوقا مقارنة بالرجل.

في هذا المجتمع الطبقي، جرى تقسيم العمل بين الرجال والنساء في انتاج ما يحتاجه البشر. الرجل انيطت به مهمة الانتاج، اما المرأة فاوكلت لها مهمة «اعادة الانتاج» او» تهيئة مستلزمات ألانتاج». اي ان يكون للرجل الدور في العمل خارج المنزل، مثلا في الصناعة، الزراعة، الخدمات، او اية مهنة اخرى، اما المرأة فقد عيّن لها ان تكون مسؤولة عن العمل المنزلي. اي ان تكون مسؤولة عن العناية بالزوج، اشباع حاجاته من طعام، ومنام، انجاب الاطفال وتربيتهم واعدادهم ودعمهم الاجتماعي والعاطفي. اي تهيئة قوة عمل حاضرا ومستقبلا للانتاج الرأسمالي. وبهذا اعتبر عمل الرجل في الانتاج او في الخدمات، عمل مدفوع الاجر، له قيمة، بينما عمل النساء، عمل لا قيمة مادية له، ولا يقدر بثمن، ولا يدفع له اجر.

تمت صياغة قوانين وتقاليد وبنية فكرية فوقية باكملها من اديان وايدولوجيات واحزاب وسياسات بناء على هذا التقسيم وتوزيع الادوار على اساس جندري وضعت المرأة في موقع

دوني، بحقوق اقل، مانحة الرجل حقوق اكثر، وله حق القوامة والوصاية والتأديب للمرأة. وسّنت القوانين التي تجعل المرأة في المرتبة الثانية، في مرتبة دنيا قياسا بحقوق الرجل. لقد ثبت هذا الموقع الدوني للمرأة بالنسبة للرجل الى درجة انه حتى وان كان الرجل في احايين لا يعمل في الانتاج، بل المرأة هي العنصر الذي له دور في الانتاج، والرجل لا يقوم باي عمل على الاطلاق كما يحدث في احايين كثيرة في الريف العراقي، الا ان الرجل بقي يتمتع بموقع ومكانة اعلى مقارنة بالمرأة، وبفرض هيمنته وسلطته عليها، حتى وان كانت مكانتها مهمة اقتصاديا للاسرة وهي التي تجلب الدخل الى العائلة.

الذي اسهم في وقتنا الحاضر في تثبيت هذا التمايز بين الرجل والمرأة، النظام الرأسمالي وتياراته الشعبوية التي لها وجود مؤثر وقوي في كل انحاء العالم. هذه التيارات الشعبوية قد تكون دينية، قومية، وطنية، يسارية-قومية. ولكن لنوضح ما هي الشعبوية.

ماهي الشعبوية؟

الشعبوية هي اي تيار يصيغ تصوراته للمجتمع على اساس ال» نحن» وفي الجهة المقابلة – الخصم هو ال « هم». تذوب في هذه ال»نحن،» كل التقسيمات الطبقية والجنسية على اساس الطبقة، الجنس، الجنسانية، فنحن «كل واحد»، والطرف الاخر، هو ال» هم» الخصم، العدو، المخالف، المعارض. الشعبوية في جوهرها تقوم على انكار وجود طبقات، وانكار وجود صراع طبقي داخل مجتمع ال « نحن». من هنا، لا تشكل قضية المرأة ومطالبها، العامل ومطالبه، الاجنبي، المثلي، ولا تحتل اية اهمية في تفكير التيارات الشعبوية على اختلافها. وهكذا يجب ان تنصهر حقوق المرأة، حقوق العامل، الاجنبي او قد يحرم بشر من الحقوق بسبب عدم انسجامهم مع هذا الجمع. الجمع الذي يصفه التيار الشعبوي بـ «اننا كلنا معا». ولطالما نسمع عبارات من قبيل» نحن في قارب واحد»! والحال اننا لسنا في قارب واحد. هذه ال»نحن»، مهيمن عليها من قبل طبقة مستفيدة، سائدة « ناطقة باسمنا جميعا»، تقوم بسوق وتحشيد الجميع تحت رايتها، وتسعى للتحدث باسمنا، بتخويل او عدم تخويل منا ورغما عن ارادتنا! التيارات الشعبوية لا تعترف بوجود مؤسسات وقوانين، بل تعتمد على وجود شخصيات كارزماتية تتحرك وكأنها هي القانون، ويجري اتباعها وطاعتها بغض النظر عن مؤسسات الدولة وقوانينها. شخصية ترامب، كشخص شعبوي هو نموذج في الولايات المتحدة، كما هو نظام صدام حسين في العراق، او مقتدى الصدر. يهدف هذا التيار في جوهره وفي حقيقته على المحافظة على النظام الطبقي القائم الذي يتميز بهيمنة الرجل على المرأة ويوظف من اجل هذا الهدف الفكر القومي والديني والعنصري وافكار التيار المحافظ اي الحفاظ على الوضع الحالي ومعاداة التقدم والتغيير.

التيار اليميني الشعبوي في امريكا على سبيل المثال معاد لحقوق المرأة نتيجة لفقدان الرجال الابيض لموقعه المتميز في المجتمع الذي استمر لمدة ١٥٠ عاما اي من ١٨٢٠ – ١٩٧٠، اي في

فـترة «دولـة الرفـاه» او «دولـة الرعايـة» كان الرجـل يحصـل عـلى وظائـف تـدّر عليـه دخـلا كافيـا وبضمانـات عاليـة. الا انـه مـع تبنـي النظـام الليـبرالي القائـم عـلى تقليـص موظفـي دور الدولـة، ودفـع العاملـين الى التوجـه للقطـاع الخـاص ومـا يعنيـه ذلـك مـن قلـة اجـور وانعـدام ضمانـات، مـع توقـف الزيـادات في الرواتـب فقـد الرجـل بسـبب هـذا الوضـع الاقتصـادي الجديـد، موقعـه الاقتصـادي السـابق. اضطـر هـذا الامـر النسـاء لدخـول سـوق العمـل مـن اجـل تأمـين دخـل اضـافي جديـد يعـوض عـن النقـص الـذي حصـل في دخـل الرجـل. مـن هنـا دخلـت المـرأة في الانتـاج بشـكل اوسـع، ومـن هنـا تـم اتهـام النسـاء مـن قبـل التيـار اليمينـي بـان وجودهـن في ميـدان العمـل وتحررهـن قـد قـوّض مـن وضـع الرجـل وموقعـه، وهـو الاسـاس الـذي يقـوم عليـه كل النظـام الطبقـي، اي الموقـع المتفـوق للرجـل. لـذا، تعتـبر الشـعبوية ضروريـة لانهـا تسـعى للمحافظـة عـلى موقـع الرجـال في الاسـرة والمجتمـع، وتريـد تأبيـد تفوقـه.

التيـارات الشـعبوية اذن، هـي تيـارات برجوازيـة تهـدف الى المحافظـة عـلى الوضـع القائـم وتسـتفاد مـن الفكـر الدينـي والقومـي والعنـصري والفـاشي مـن اجـل تثبيـت الهيمنـة الطبقيـة للرأسـمالية، وتثبيـت هيمنـة الرجـل ايضـا. لـذا، يمكـن تفحـص « الحقـوق» والاوضـاع التـي رسـمتها التيـارات الشـعبوية سـواء كانـت قوميـة، دينيـة، فاشـية، او تيـارات مزيجـة مـن اكـثر مـن تيـار فيـما « اقرّتـه» مـن حقـوق للمـرأة. لنوضـح كيـف حـددت وقـررت التيـارات الشـعبوية حقـوق المـرأة.

كيف ينظر التيار الشعبوي الى حقوق المرأة؟

اولا: دور المـرأة في اعـادة تهيئـة مسـتلزمات الانتـاج: تعتـبر التيـارات الشـعبوية ان العائلـة هـي الخليـة الاولى والاساسـية في المجتمـع. وفي هـذه الخليـة الاساسـية لبنـاء المجتمـع تلعـب المـرأة الـدور الاسـاسي والجوهـري. يتضمـن هـذا الدورالعنايـة ورعايـة افـراد الاسرة والاسـتجابة لمتطلباتهـا عـلى انواعهـا واختلافهـا. بينـما يحتـل الرجـل دورا اقتصاديـا مـن خـلال تدبـير دخـل مـالي لـلاسرة. اي لا يضـع هـذا التيـار دور المـرأة في الانتـاج ودورهـا الاقتصـادي الا في المرتبـة الثانيـة وبشـكل لا ينافـس عمـل الرجـل. ثانيـا: دور المـرأة كحـزام ناقـل للقيـم والعـادات السـائدة مـن جيـل الى جيـل. قّـرر للمـرأة ان تكـون حاملـة فكـر وعقيـدة التيـار الشـعبوي. و انيطـت بهـا مسـؤولية ادامـة الاعـراف والتقاليـد الاجتماعيـة والاخـلاق. حيـث اوكلـت لهـا مسـؤولية تربيـة الاجيـال، اي نقـل القيـم والعـادات واخـلاق ألقـوى السـائدة والمسـيطرة وصاحبـة النفـوذ في المجتمـع الى ابنائهـا وبناتهـا. وبمـا ان الاسرة هـي الخليـة الاولى في المجتمـع، فـان النسـاء والامهـات تحديـدا سـينقلن تلـك القيـم الاجتماعيـة الى كل الخلايـا التـي يتكـون منهـا نسـيج المجتمـع، فتعـم الافـكار السـائدة في المجتمـع للاجيـال اللاحقـة عـبر النسـاء والامهـات. كلنـا يتذكـر الشـاعر حافـظ ابراهيـم (الأُمُّ مَدرَسَـةٌ إذا أَعدَدتَهـا أَعـدَدتَ شَـعباً طَيِّـبَ الأَعـراقِ) . اي جـرى تحميـل المـرأة مسـؤولية تجسـيد القيـم مثـل قيـم الـشرف والاخـلاق والعـادات والتقاليـد. لذلـك، لا تعـدم ان تجـد النسـاء متشربـات تمامـا ويعكسـن عـلى اتـم وجـه القيـم المرتبطـة بالذكوريـة والابويـة ومعـاداة المـرأة.

ثالثا: دورها في خدمة وحماية الوطن، وطن الرجال. جرى تشبيه ألمرأة والام بالارض. وانها تلد اجيالا وتنذرهم فداءا للوطن. من هنا، فان سياسة التيارات الشعبوية على اختلافها في عدم منح المرأة حق الخيار بالاجهاض ينبع من حاجة هذه الطبقة الى ولادة جيل محارب ومقاتل ومدافع عن الدولة، عن السلطة، او بكلمة اخرى عن الطبقة والسلطة الحاكمة. لذا فان امتناع المرأة عن الحمل او الولادة او الرغبة في الاجهاض تواجه بالرفض والاستنكار وعدم الدعم من قبل الدولة. اعتبرت المرأة هي الام والاخت والمناضلة من اجل الوطن. اي نسبة الى الوظائف التي اوكلت اليها في المجتمع لتقوم بها. لذلك جرى تمجيد المرأة التي تقوم باداء واجبات وطنية او قومية باعتبارها انجازات للمرأة، والحال ان المرأة جرى استخدامها من اجل تنفيذ اجندة الطبقة الحاكمة ورجالها. لقد شهدنا كيف جرى تمجيد دور النساء المقاتلات في حروب التحرير مثل المقاتلة الجزائرية جميلة بوحيرد، او تمجيد « الماجدة العراقية» في العراق نظرا لدورها في دعم حرب نظام صدام حسين، وبغض النظر عن دور المرأة في هذه الحروب الا انهن تعرضن لاحقا لهجمة مع انتهاء حروب التحرير او الحروب الاخرى.

اذن لم تكن مشاركة النساء في هذه الحروب لتحقيق حقوقهن هن، او مطالبهن هن، في خضم الصراع في هذه الحروب. ولما نزل حين تصغي الى هتافات النساء في ساحات الاعتصام في العراق في انتفاضة اكتوبر ٢٠١٩-٢٠٢٠ (نسوان وطلعّنه، ونساند اخوتنه) او « هاية بناتك يا وطن هاية- رفعن الراية» لم تردد النساء شعاراتهن ومطالبهن هن كنساء في خضم هذه الانتفاضة العظيمة، بل كونهن منفذات وعناصر مساعدة لاصحاب المطالب « الاصلين» وكأن دورهن هو داعم او لخدمة اما « الوطن» او « الاخوة». جرى غض النظر تماما عن مطالب النساء في هذه التظاهرات، او قلما جرى التطرق له من قبل النساء المتظاهرات انفسهن.

واذن ينظر للمرأة كعنصر ثانوي، وليس اساسي وهو دعم الرجل، مساعدته، مساندته، وليس باعتبارها هي اساسا انسانا، او جمعا، او جنسا بذاته، له قضاياه، ومطالبه، وتحديات تواجهه، و يحتاج الى ان يكون حرا ومتساويا مع الجنس الاخر. وهذا يعني في جوهره الابقاء على دور الرجل في السياسة كدور اولي، كما رأينا في الاقتصاد، وابقاء دور المرأة ثانويا ومساعدا في السياسة، كما رأينا في الاقتصاد ايضا. اي لا ينظر الى دور و دخول المرأة في ميدان السياسة كحقل وميدان لتغيير اوضاعها هي، لاهدافها هي، وتمتلك الاستقلالية التامة في كيفية العمل والتصرف والسلوك في هذا الميدان. لذلك اذا تمعنا حقوق النساء في التفكير الشعبوي الديني والقومي فاننا نرى: لناحية الحقوق الاقتصادية: في ظل هذا النظام الاقتصادي الرأسمالي النيولبرالي العالمي للعمل حيث تقل فرص العمل، يشتد التنافس فيها على هذه الفرص، تنعدم حقوق العمل والضمانات الاجتماعية، قلة الاجور، الطرد من العمل بدون اي حماية و تستلب حقوق المرأة فيه. تحصل النساء على اجور اقل من اجور الرجال لمزاولة نفس الاعمال. وهذا هي الفائدة التي يجنيها النظام الرأسمالي على اساس التفريق على اساس الجنس في العمل، حتى يدفع اجور اقل

للعاملين فقط لانهن «نساء». وفي احايين اخرى يعتبر دخل المرأة « دخل اضافي» « لمساعدة « رب الاسرة» او معيل الاسرة، اي انه دخل ثانوي رغم وجود الملايين من الاسر تعيلها نساء. من جهة اخرى، تخلي الدولة مسؤوليتها تجاه المواطن، من خصخصة الخدمات، مما يعني ان تدفع المرأة كلفا اضافية على الماء والكهرباء والصحة والتعليم والانترنت. لذلك ادت الاوضاع الاقتصادية في الغرب الى عزوف النساء عن الزواج، او عزوفهن عن الانجاب من اجل المحافظة على فرص العمل. اما في المجتمعات الشرقية والمحكومة بالقوانين الاسلامية فانه يصار الى اللجوء الى تزويج البنات والنساء، وتحويل الاسرة- اسرة الاب، او اسرة الزوج لاحقا- كمؤسسة لضمان معيشة ألفتاة وألمرأة، وذلك بنقل مسؤولية معيشتها من الاب والاخ الاكبر الى كاهل زوجها، في مجتمع يفتقد لفرص عمل ويفتقد ايضا لبرامج الرعاية والضمان الاجتماعي. من هنا تمثل النساء الأغلبية الساحقة من جيوش الفقراء والعاطلين من العمل والمستغَلين في هذه المجتمعات. في العراق تبلغ نسبة النساء العاملات النسبة الاقل في الشرق الاوسط، حيث لا تتجاوز ١٢٪. اما النساء في اوربا، فانهن يخشين بشكل مستمر من فقدان حقوقهن، فرص عملهن، ويفتقدن الشعور بالامان الاقتصادي والاجتماعي. من هنا، رفضت الكثير من نساء خروج بريطانيا من الاتحاد الاوربي، او «بريسكت « حيث تتعرض نساء المملكة المتحدة الى التهديد بفقدان الحقوق التي كانت قد التزمت بريطانيا بها نتيجة وجودها في الاتحاد الاوربي. حيث ان حقوق النساء في اوربا التي ثبتت، لم تعد ملزمة للمملكة المتحدة. واذن، في ظل هذه الانظمة الرأسمالية النيوليبرالية، سواء في الشرق او الغرب ، ادت الى انعدام الشعور بالامان الاقتصادي والاجتماعي، ومن اجل تدبر معيشتها تعيش المرأة في اجواء العنف والتحرش الجنسي وامتهان كرامتها.

لناحية الحقوق السياسية: هنالك تعامل انتهازي مع حقوق النساء السياسية من قبل الاحزاب والتيارات الشعبوية. في وقت الحروب، تجري الاستعانة بالنساء، حيث يستدعين الى القيام بادوار مختلفة من قتال، وطبابة، وتوفير طعام، وغسل ملابس، والخ. وما ان تنفض الحرب حتى تعاد النساء الى موقعهن الهامشي. تجربة النساء في اوربا في الحرب العالمية الاولى كان بالغ الاهمية، لكن لم يجري اعطائهن حق التصويت الا بعد نضال ضار وتضحيات كبيرة. تجربة المرأة في الجزائر حيث شاركت المرأة في حرب التحرير، الا انه ما ان انفضت الحرب، حتى اعيدت المرأة الى دورها الهامشي، وبقيت تعاني من الحرمان من حقوقها. بل صدر في الجزائر ذاتها قرار بمنع المرأة من السفر بدون موافقة ولي امرها عام ١٩٨١. في العراق شاركت النساء كقوة عمل، في الحرب العراقية- الايرانية، وجرى التغني ب» الماجدة العراقية» الا انهن اخرجن كفائض عن الحاجة حال انتهاء الحرب ومع عودة الرجال من جبهات القتال لميادين العمل في عام ١٩٨٨. بل الاكثر من هذا صدر قرار بمنعهن من السفر دون مرافقة ولي امرهن. اي جرى معاملتهن كاناس قاصرات لا يمتلكن الاهلية على القرار على انفسهن. اما الحاجة الى اصوات النساء للفوز بالانتخابات،، فهي شاهد اخر على التعامل الانتهازي مع المرأة. على سبيل المثال في الوقت الذي تعامل الاحزاب الاسلامية وفقا لقوانين الشريعة بانها مبتسرة الحقوق المدنية،

وهـي غـير قائمـة عـلى نفسـها، بـل الرجـل هـو صاحـب الامـر والنهـي عـلى المـرأة. ولكـن حـين يتعلـق الامـر بالانتخابـات يطالبـون باصـوات متسـاوية للنسـاء، فقـط للحصـول عـلى اصواتهـن لفـوز الاحـزاب لعضويـة البرلمـان.

الحقـوق الفرديـة والمدنيـة: الاحـزاب الشـعبوية اليمينيـة الدينيـة منهـا والقوميـة ، ونظـرا لفلسـفتها القائمـة عـلى ان دور المـرأة مقتـصر عـلى داخـل الاسرة، وان مهـام العـالم الخارجـي هـي مـن اختصـاص الرجـل فـان التركيـز عـلى موضـوع الرجولـة والرجوليـة اصبـح سـائدا. تعـزز الحـركات السياسـية اليمينيـة الشـعبوية مـن صـورة الرجـل القـوي، المسـؤول عـن « حمايـة والدفـاع عـن الوطـن» و»حمايـة النسـاء» ايضـا. والتـي هـي عـلى النقيـض مـن تقويـة النسـاء. هـذه الصـورة سـمحت الامـر بتصعيـد العنـف المنـزلي واسـتخدام العنـف مـن قبـل السـلطات ضـد النسـاء. ان الذكوريـة والرجوليـة هـي مـا يسـم احاديـث وخطابـات القـادة الشـعبيون مـن اسـيا الى الولايـات المتحـدة ومـن فرنسـا الى اسـتراليا. الامـر الـذي يـؤدي الى تكريـس وتعزيـز ثقافـة العنـف الجسـدي، والتحـرش الجنـسي ضـد البنـات والنسـاء، بـل وايضـا السـيطرة عـلى حـق التـصرف باجسـاد النسـاء، وتحديـد حريـة حركـة المـرأة، والتحكـم في لباسـها وبقيـة حقوقهـا المدنيـة والفرديـة. ولا نعـدم ان نجـد ان حتـى النسـاء لديهـن القناعـة بـان العنـف لـه مـا يـبرره لتأديـب النسـاء.١

تعتـبر قضيـة عـدم منـح حـق الاجهـاض احـد القضايـا الكـبرى التـي اتفـق عليهـا اليمـين الشـعبوي في امريـكا وفي اوربـا الشـمالية وفي دول اوربـا الشرقيـة وفي اسـيا. في وسـط ازمـة انخفـاض الانجـاب في هـذه البلـدان، هنالـك رفـض لحـق الخيـار في الاجهـاض مـن قبـل القـادة الشـعبويين. ان هـذه الحكومـات تريـد الاطمئنـان عـلى ان هنالـك ايـدي عاملـة تلـد، وتديـر عجـلات الانتـاج مـن اجـل تحقيـق الارباح، في الوقـت الـذي يعنـي الحمـل بالنسـبة لكثـير مـن النسـاء الطـرد مـن العمـل. في خضـم تناقـض الرأسـمالية هـذا، تتنصـل الدولـة ليـس عـن تقديـم العـون للنسـاء مـن اجـل التحكـم في الانجـاب، بـل وايضـا لا توفـر للنسـاء سـبل الوقايـة الحمـل. مـن هنـا اثـيرت الكثـير مـن الجـدالات في الغـرب حـول حـق الاجهـاض.

لذلـك، وفـق التفكـير الشـعبوي، لم يعـد حـق الانجـاب او عـدم الانجـاب قـرارا شـخصيا، بـل قـرار سـياسي تتدخـل بـه الحكومـات. ٢ ادارة ترامـب قلصـت مـن الدعـم لصحـة الانجـاب٣. ان منـع الانجـاب في الولايـات المتحـدة، يعنـي عـدم تمويـل اجـراءات الوقايـة مـن الحمـل. و تحويـل جـزء مـن تمويـل الوقايـة مـن الحمـل الى المنظمـات اليمينيـة الداعيـة الى «الامتنـاع عـن الممارسـة الجنسـية للحيلولـة دون حـدوث حمـل» بـدلا مـن ايجـاد وسـائل منـع الحمـل في العيـادات الصحيـة. في ايطاليـا بـدأت حملـة ضـد عـدم الانجـاب او التحكـم في الانجـاب. في اوربـا الشرقيـة وفي دراسـة قامـت بهـا منظمـة كفينـا تـل كفينـا اوردت العديـد مـن النـماذج التـي توضـح ان قضيـة الانجـاب اصبحـت قضيـة وطنيـة و ليسـت قضيـة شـخصية. حيـث «ان الوطـن يحتـاج الى اجيـال جديـدة.» في امريـكا اللاتينيـة قـال شـافيز « نسـاء فنزويـلا هـن روح المسـار الثـوري، لانهـن يلـدن الجيـل الجديـد في البلـد، لانهـن

زوجات»٤. ويتحدث عن دور المرأة في الامومة بانها « امومة ثورية» من اجل تعبئة النساء لدعم السلطة. يصف الرئيس الكوراتي عدم الانجاب من قبل نساء كرواتيا باعتباره «عمل عدائي للدولة». اما الرئيس الباكستاني عمران خان يقول ان «النسوية تفسد دور الامومة». ولهذا، تتعرض النساء المدافعات عن حق الخيار- اي حق الاجهاض- الى الاخطار والى العنف. تتعرض النسويات الى حملات الكراهية، وتهديدات عبر وسائل الاعلام الاجتماعي.

ان هذه السياسة والذهنية الشعبوية تفقد المرأة قدرتها على السيطرة وامتلاك قرارها على خياراتها ، وتحركاتها وعلى حرية جسدها. تتحول كل هذه الى قرارات ألاخرين. والاخر هو الدولة، السلطة، الفرد، الدين، العشيرة. كل هذه الهيئات لديها تصوراتها عن ماهية وكمية حقوق المرأة، ومساحة قدرتها على التحكم في جسدها. لذلك تفقد المرأة شعورها بالخصوصية والاستقلالية. بل تصبح هذه المفاهيم غريبة، وغير مألوفة. تلغي الشعبوية، كتحصيل حاصل، الفوارق بين الخاص والعام. حيث يذوب الخاص بما هو عام. لذلك لا يبقى الحيز الخاص للنساء. ان الدول المحكومة بالانظمة والقوانين الاسلامية تقدم افضل دليل على مدى حرمان المرأة من السيطرة والسيادة على قراراتها وعلى جسدها، مما ساوضحه في القسم التالي.

حقوق المرأة في الدول المحكومة بالقوانين والانظمة الشعبوية الاسلامية:

في الدول الناطقة بالعربية ظهرت الحركات الاسلامية منادية بالاسلام باعتباره «دين ودولة»، ويمتلك الاسلام السياسي تصور شامل وكامل عن وضع وحقوق المرأة. ان مجمل السياسات والقوانين التي مورست ضد النساء في الشرق الاوسط وشمال افريقيا، توضح مدى المعاملة الدونية والانتقاص من حقوق المرأة. ان رأس حربة الحركات الاسلامية موجهة الى المرأة وحقوقها. ابتداءا من ايران عام ١٩٧٩ بفرضها الحجاب الاجباري، معاقبة « التبرج»، الفصل بين الجنسين، تشريع زواج المتعة، تشريع زواج الاناث من الاطفال، والتي هي اجزاء من الحقوق «المقّرة « للنساء في الدول المحكومة بالقوانين والانظمة الاسلامية، وصولا الى افغانستان والسودان والجزائر في تسعينات القرن المنصرم، و الاردن ومصر والعراق والسودان والسعودية حيث حقوق المرأة، لا تحتاج الى شرح كثير.

لقد شهدت المنطقة برمتها مساع محمومة من اجل تغيير قوانين الاحوال الشخصية التي كانت قد شرعت في مراحل ثورات التحرر الوطني. جرى تقديم قانون الاحوال الشخصية في الجزائر في عام و١٩٨٤ و هو مخل بحقوق ومباديء مساواة المرأة. وبعد الاستنكار له، جرى تقديم مسودة اكثر رجعية من المسودة الاولى وجرى تمريره بالضد من مصلحة النساء. في العراق جرت عدة محاولات لتغيير قانون الاحوال الشخصية الذي صدر عام ١٩٥٩ الى قانون اسلامي شيعي في اعوام ٢٠٠٣، حين اقدم رئيس مجلس الحكم عبد العزيز الحكيم انذاك على محاولة احلال

الشريعة الاسلامية محل قانون الاحوال الشخصية، الا انه تم رفضه. في عام ٢٠٠٥ تم حشر تلك المواد التي رفضت عام ٢٠٠٣ بدستور ٢٠٠٥، وفي عام ٢٠١٤ كانت هنالك مساعي لفرض القانون الجعفري الذي دحر هو الاخر بفضل تظافر القوى النسوية والتحررية.
ما قامت به حركات اسلامية سنية مثل داعش، لا يحتاج الى الكثير من الشرح او التفصيل. لقد قتلوا النساء، او وباعوهن في سوق النخاسة، و استخدمت المرأة كوسيلة اشباع حاجة للمقاتلين فيما اطلق عليه بفتوى «جهاد النكاح» في آذار ٢٠١٣ ، و نسبت إلى الداعية السعودي محمد العريفي.٥
اما فيما يتعلق بملكية المرأة لجسدها وحقها في التصرف بهذا الملكية الخاصة بها، يضع الإسلاميون اطرا محددة وخاصة لحرية النساء في التصرف باجسادهن. فالحجاب يفرض على الفتيات وفي سن مبكر، للحيلولة دون «فتح شهية الرجال». حرية الحركة للمرأة مشروطة بموافقة الرجل، فعلى المرأة الاستئذان من الرجل اولا ونيل موافقته قبل الاقدام على اية خطوة من اجل نيل رضاه وموافقته. «الشرف والعفة، والطهارة» هي من المفاهيم التي تشبع بها اذهان الفتيات ومن سّن مبكرة، لـ» وقايتهن وتحصينهن» من أية احتمالية للتفكير مستقبلا باختيار شريك لهن خارج الاطر والقوانين الدينية. الحركات الدينية تجرّم العلاقة الجنسية خارج اطار الزواج الرسمي وتعتبره جريمة تعاقب عليها قوانين الشريعة الاسلامية باعتباره « زنا». وتعفي الحكومات المحكومة بالقوانين الدينية عن مرتكبي جرائم الاغتصاب اذا قرر الاخير الزواج من الضحية، دون توجيه عقوبة لهذه الجريمة، نابع من التصور بان المرأة او الفتاة بدون غشاء بكارة ستكون ناقصة القيمة، بحيث يكون زواج مغتصبها منها هو لترقيع هذه الشق، في «تسوية» بين المغتصب والمغتصبة. الفصل بين الجنسين و عدم الاختلاط، هو احد مباديء الحركات الاسلامية.

جرى استخدام موضوع النساء وحقوقهن من قبل اليمين الشعبوي في الغرب كما في الشرق. استخدمت التيارات اليمينية في الغرب موضوعة «العداء ضد المرأة» لدى الجماعات الاسلامية لتأليب المجتمعات الغربية ضد المهاجرين القادمين من الشرق الاوسط واسيا وشمال افريقيا، باعتبار ان هؤلاء اصحاب ثقافة مناهضة للمساواة ومعادية للمرأة. من جهتها تروّج التيارات الشعبوية الاسلامية في الشرق او في الجنوب بان اوربا تنتهك « كرامة المرأة» حيث يقوم الغرب « بتعرية» النساء واستخدامهن بشكل سلعي وان المجتمعات الغربية، هي بدون اخلاق، تتصف بالانحلال. اما المجتمعات الاسلامية فهي، من نفس وجهة النظر هذه، اكثر حفظا لكرامة المرأة لانه يقام بتحجيبها ومنع اختلاطها بالرجال. والحال، ان التيارات الشعبوية الاوربية الغربية والاسلامية الشرقية، ينطلقان وينهلان من نفس المصدر، الطبقي المحافظ على ثقافة وسياسات الطبقات الحاكمة وقوانينها ونظرتها المعادية لحقوق المرأة.
لقد واجهت النساء في مختلف انحاء العالم التيارات الشعبوية. لذلك في رسالة وجهتها نساء احتللن مواقع قيادية مختلفة في العالم المتقدم بان الشعبوية بتصوراتها المحافظة تقتطع حقوق

النساء، شيئا فشيئا. واجهت النساء في الولايات المتحدة سياسة ترامب المعادية للمرأة والداعية الى حرمان النساء من حق الاجهاض او الوقاية من الحمل. التظاهرات التي عملتها النساء في امريكا كانت اكبر ثلاث مرات من تظاهرة استلامه لمهامه كرئيس للولايات المتحدة. في كل مكان في العالم تواجه النسويات التيارات الشعبوية.

في العراق نظمت الشابات والطالبات و النساء تظاهرة مليونية نسوية ضد تغريدة مقتدى الصدر، كممثل للتيار الشعبوي الاسلامي الشيعي في العراق والتي اطلقها في يوم ٨ شباط داعيا فيها الى عدم الاختلاط في الخيام في ساحات الاعتصام في انتفاضة اكتوبر في العراق. اجابته الشابات بهتافات عالية انهن سيكوّنن مع المتظاهرين « روح وجسد». كان الشباب الرجال يوفرون للتظاهرة النسوية الحماية الامنية من اي اعتداء و بسلسلة طويلة امتدت على امتداد ساحة التحرير في بغداد كما وفي المحافظات الاخرى. في تلك التظاهرة رفضت النساء التقسيم الجندري في ساحات الاحتجاج او في خيام الاعتصام وعدم الاختلاط والفصل بين الجنسين، مساندات ومدعومات من قبل الرجال المتظاهرين.

واخيرا، نؤكد على ان سعي النساء لنيل حقوقهن يسير في علاقة عكسية مع الحركات الشعبوية الدينية والقومية. فكلما حققت النساء تقدما، بفعل نضالهن النسوي والتحرري، وبوجود و نضال القوى اليسارية والعلمانية التحررية، كلما تمكنت من دحر الحركات الشعبوية على اختلافها. ولذلك تستقبل النسويات السياسات الشعبوية بالرفض.٦ وبالعكس، فان ازدياد وتصاعد نفوذ التيارات الشعبوية سيؤدي الى تراجع حقوق المرأة. من هنا، تمتلك النساء المصلحة الاولى والاخيرة بالنضال ضد نفوذ الحركات والتيارات الشعبوية القائمة على « اننا كلنا في نفس القارب». والحقيقة هي ان هنالك في القارب من يقمع الاخر الذي معه « في نفس القارب»، انه متمايز عنه اقتصاديا، طبقيا، وانه يريد استغلال مسالة الجندر، لتحقيق غلبة للرجال على النساء في ظل هذا التمايز الطبقي ومحافظا وساعيا الى تخليد وتأبيد هذا التمايز الطبقي. ان من مصلحة النساء وحقوقهن ونضالهن انهاء كل تمايز طبقي اقتصادي بين البشر، والقضاء على الطبقة التي تريد الاستفادة واستغلال هذا الاختلاف الجنسي من اجل بقائها. ومن هنا، يصبح من الضروري للنساء الوقوف بوجه التيارات الشعبوية على اختلاف عقائدها وافكارها من اجل نيل حقوقهن في المساواة كاملة وغير منقوصة.

الشعبوية والعشائرية والفقهاء ..

بتول فاروق الحسون

نشر هذا النص في الأصل على موقع كتابات الصحفي، بتاريخ 3 أغسطس، 2019
بالعنوان نفسه، وقد أعيد نشر النص بإذن من الكاتبة.

هنـاك في ذلـك العـالم المتقـدم يتسـاءلون لمـاذا صعـدت " الشـعبوية "الى قيـادة الـدول الكـبرى ، لمـاذا نجـح اليمـين المتطـرف في اكتسـاح الانتخابـات في بلـدان اوربيـة عـدة ، وفي الولايـات المتحـدة الامريكيـة ؟

ماهـي الشـعبوية ؟ : هـي "نـوع مـن الخطـاب السـياسي الـذي يسـتخدم الديماغوجيـة وإثـارة عواطـف الجماهـير بالحجـاج الجماهـيري ، لتحييـد القـوى العكسـية. حيـث يعتمـد بعـض المسـؤولين عـلى الشـعبوية لكسـب تأييـد النـاس والمجتمعـات لمـا ينفذونـه أو يعلنونـه مـن السياسـات، وللحفـاظ عـلى نسـبة جماهيريـة معينـة تعطيهـم مصداقيـة وشرعيـة. و عكـس الشـعبوية هـو تقديـم المعلومـات ، الارقـام ، و البيانـات بمخاطبـة عقـل الناخـب لا عواطفـه ، لذلـك عـادة مـا يتـم وصـف الشـعبويين بأنهـم يتبعـون معـاداة الفكـر، أو يمارسـون الجهـل" ، والتمـردات الشـعبوية : هـي " ليسـت أكـثر مـن تشـنّج جلـف لناخبـين غـير متعلّمـين، سـيتعلّمون عـمّا قريـب خطـأ قراراتهـم".

هنـاك يمـين متطـرف يريـد اعـادة الاعتبـار للجنـس الابيـض، في مقابـل غـزو الاقليـات الاخـرى للعـالم الغـربي .

امـا هنـا في هـذا الجانـب مـن العـالم فنعـاني مـن العشـائرية التـي سـيطرت عـلى الشـارع ، بمـا يشـبه المليشـيات المسـلحة، والاختطـاف بقـوة السـلاح للشـارع ، مسـتغلة الانفـلات الامنـي وضعـف الدولـة ، وبـدأت العشـائر بنـشر اعرافهـا بالقـوة وسـط بقايـا لتحـضر مـدني متبـق في بعـض المـدن العراقيـة ، فمصطلحـات لم يكـن يعرفهـا ابـن المدينـة، صـارت مـن المفـردات اليوميـة التـي تسـمع في الشـارع

واماكـن العمـل (الكوامـة ، الحشـم ، والنهـوة ، والفصليـة ، والدكـة ووو) .

مـا معنـى سـيطرتها عـلى نتائـج الانتخابـات ، بحكـم تكتلهـا خلـف قيـادة نَسَـبية واحـدة ؟ هـذا يعنـي ان الجهلـة والبسـطاء فكريـا ،هـم الذيـن يعيـدون انتـاج التخلـف السـياسي ، وهـم مـن يسـعى لتخريـب مـا تبقـى مـن اشـكال الحضـارة الرافدينيـة العريقـة .

امـا الفقهـاء مـن الطبقـة السياسـية ، فبعضهـم ركـب الموجـة وصـار يخاطـب النـاس كـما لـو كان سياسـيا بحتـا، فصـار شـعبويا، يتملـق الجمهـور، و يتماهـى مـع عواطفهـم ، مبتعـدا عـن توجهـه الاصـلي وهـي دراسـة العلـوم الشرعيـة وابـداء الاراء العصريـة التـي هـي محـل ابتـلاء اغلـب النـاس في الاحـكام الفقهيـة ،والتـي تعتمـد عـلى الرصانـة العلميـة ، والمنهـج الموضوعـي للوصـول الى حقائـق الامـور .
وكـما وجـد مـن الفقهـاء مـن يخفـي احكامـا فقهيـة عـن العامـة خشـية الغوغـاء او هياجهـم عليـه وتكفيرهـم لـه ، مـما جعـل الشـعبويين والعشـائريين يصولـون في السـاحة وبـلا ادنى مراعـاة لحضـارة يقـال عنهـا انهـا اعـرق الحضـارات .

هل يحطم دعاة الجندر الاسرة وهل يدعون الى المثلية؟

نادية محمود

أطلقت في الآونة الأخيرة حملة واسعة لإدانة مفهوم الجندر. وجرى تفسير هذا المفهوم على انه سبب لتدمير قيم الاسرة، وانه يدعو للمثلية. هذه الادعاءات خالية تماما من الصحة، ولا تمت للحقيقة بأية صلة.

من الواضح كل حكومات ما بعد ٢٠٠٣، والتي تتكون من الأحزاب الإسلامية ذاتها استقبلت مصطلح الجندر دون اعتراض وفهمته بانه يقصد منح حقوقا للنساء، وتمكين النساء. وقعت هذه الحكومات العديد من الاتفاقيات، وكتبت العديد من الاستراتيجيات، ووضعت خطط وطنية لسنوات، وفي متن هذه الاتفاقيات والاستراتيجيات محور يؤكد على الجندر أي: إعطاء المرأة حقوقها، وتمكينها اقتصاديا وسياسيا (عبر إعطاء الكوتا في البرلمان). تشكلت وزارة للمرأة، ثم تشكلت مديرية لتمكين المرأة، وتأسست فروع في كل الدوائر الحكومية لتمكين المرأة، من اجل- او هكذا يفترض- من اجل القضاء على الفوارق في الحقوق بين النساء والرجال. الحكومة تعلم ماذا يعني الجندر، الأحزاب السياسية تعلم بذلك، المنظمات النسوية تعلم بذلك، المراجع الدينية، وهذا المفهوم لم يكن غائبا عن أحد

الا أن تقوم في شهر تموز حملة من قبل نفس الأحزاب، وبشكل فجائي ضد الجندر واعتباره «يحطم الاسرة، ويدمر القيم، ويدفع بالمجتمع نحو الانهيار؟ امر يحتاج الى التوقف الجدي والجاد عنده.

ولكن لنتمعن بمن وما الذي يحطم الاسرة؟

الاسرة التي يسود فيها العنف، والتي يقر فيها إعطاء الرجل حق تأديب المرأة، هو ما سيحطم الاسرة. ليست هنالك علاقة زوجية سليمة قائمة على ممارسة العنف. الذي يحطم الاسرة هو

تزويج القاصرات من الطفلات، وادخالهن الى أوضاع يتعرضن فيه للاغتصاب الجنسي باسم الزواج، هو ما يحطم الاسرة. حين يكون للرجل دخل شهري وراتب، والمرأة سجينة البيت تعمل من الصباح الباكر في العمل المنزلي والرعائي دون ان يكون لعملها أي قيمة او اعتبار، ودون ان تسمع كلمة شكرا، او عاشت يداك، بل تعامل بالعنف بمختلف اشكاله، هذا ما يحطم الاسرة. حين لا يكون هنالك قانون بإمكان المرأة مسلوبة الحقوق تستجير به وينصفها ويحقق لها العدالة، هو ما سيحطم الاسرة. حين يعطى للرجل حق الزواج بأكثر من زوجة واحدة، ما عساه ان يكون شعور الزوجة الأولى والثانية والثالثة، وهن يتنافسن على رجل واحد؟ هذا ما يحطم الاسرة. حين تقتل اخت من قبل اخوانها، حتى يستأثروا بالميراث، ويعلنون انهم قتلوها حماية لشرف العائلة، هو ما سيحطم الاسرة. حين يقبل القانون بخدعة « شرف الاسرة»، ويغض النظر عن المجرمين قتلة النساء، هذا ما سيحطم الاسرة. حين يقتل الأطفال من قبل ابائهم او زوجات ابائهم، مثل الطفل موسى والعشرات مثله، تتحطم العائلة.

قوانين الدولة في العراق قائمة على أساس منح الامتيازات للرجال على حساب النساء. وفي ظل هذه القوانين: نسبة الطلاق عالية حيث تسجيل في الدقيقة الواحدة ٨ حالات طلاق. وبلغت نسب الطلاق في عام ٢٠٢٢ فقط أكثر من ٣٧ الف حالة طلاق. نسبة العنف بازدياد، قتل النساء بازدياد. مع تعدد الزوجات، الان الرجل يقتل كلا زوجتيه وليس زوجة واحدة. المرأة لا تستطيع ان تذهب لزيارة عائلتها بدون أذن من الزوج، وكأنها سجينة المنزل، وتحتاج الى ترخيص للخروج منه. العائلة محطمة الان في ظل القوانين السائدة.

من يحطم الاسرة هم ليسوا دعاة الجندر، المطالبين بإنهاء العنف، والمطالبين بفرص عمل للنساء، والمطالبين والمطالبات بفرص متكافئة لكلا الجنسين، ليس هؤلاء من يحطم الاسرة. بل المعنفين، والمضطهدين، والذين يمارسون القوة والقتل وسرقة جهود النساء هؤلاء هم من يحطم الاسرة.

العدالة الجندرية والمساواة بين الجنسين لن تؤدي الى تحطيم الاسرة. فالذي يتحطم هو ممارسة القوة ضد المرأة. الذي يتحطم هو تفوق انسان على شريكه الانسان. الذي سيتحطم هو علاقة العنف والتسلط والهيمنة والتفوق للرجل. الذي سيتحطم هو تبعية المرأة للرجل وخضوعها له. الذي يتحطم هو المكان الدوني للمرأة، عبوديتها، واذلالها. هذا هو ما سيتحطم، ليحل محله علاقة قائمة على أساس المساواة، متوازنة وعادلة ومنصفة لكلا الطرفين من الزوجين.

إذا كان لدى الحكومة او أحزابها إعادة نظر بمسالة الجندر، او انهم تراجعوا عنها لاي سبب من الأسباب، بالنسبة لنا نحن النسويات، ليست لدينا إعادة نظر بالمصطلح ولا بالمفهوم ولا بالمطلب. نحن ندعو ونطالب ان يسود ألاسرة قيم إنسانية، عادلة، ومتساوية بين الأزواج، بين الرجال والنساء. على أساس الاحترام بين البشر، على أساس ان يكف الرجال أيديهم عن النساء والأطفال الأضعف منهم جسديا.

لم نفهم الجندر خطأ ابتداءاَ. اننا نعرف ما يعني وسنواصل العمل على إعادة التوازن في العلاقة بين الرجل والمرأة من اجل ان تكون علاقة متكافئة وقائمة على أساس المساواة.

هل دعاة الجندر يدعون الى المثلية؟

احـدى المسـائل التـي يدعـي بهـا المناهضـون لمفهـوم الجنـدر هـي ان دعـاة الجنـدر يدعـون الى المثليـة. مـرة أخـرى، كلام خاطـئ ولا صلـة لـه بالحقيقـة. لا يمكـن الدعـوة الى المثليـة كـما لا يمكـن دعـوة النـاس لان يكونـوا سـود البـشرة او حمـر البـشرة او بيـض البـشرة. لأنهـم يولـدون كذلـك. الأسـود يولـد اسـود، والاحمـر يولـد احمـر والأبيـض يولـد ابيـض، والمثـلي يولـد مثـلي. لـو دعونـا مـن المسـاء حتـى الصبـاح ان يتحـول الأسـود الى ابيـض او الأبيـض الى اسـود، لـن يسـتجاب لدعائنـا. وإذا اسـتخدمنا كل وسـائل التواصـل الاجتماعـي والرسـمي النـاس ليتحـول المغايريـن الى مثليـين، لـن يحـدث ذلـك. لان النـاس تولـد وهـي تحمـل في جيناتهـا لـون بشرتهـا، ولـون عينهـا، ولـون شـعرها، وطبيعتهـا الجنسـية كذلـك. الامـر كذلـك بالنسـبة للمثليـين، نحـن لا ندعـو للمثليـة. إذا عجبنـا الأسـود او لم يعجبنـا، إذا عجبنـا الأبيـض او لم يعجبنـا، وإذا عجبنـا المثـلي او لم يعجبنـا، البـشر يولـدون بهـذه الخصائـص. لـون جلـد الانسـان، ليـس قميصـا يختـاره، وليـس اخـلاق يختارهـا مثـل الكـرم او البخـل، الصـدق او الكـذب، الطيبـة والـشر. المسـالة ليـس لهـا علاقـة بخيـارات الانسـان. المثليـة ليسـت خيـارا، بـل جينـات تلـد مـع الانسـان، لا حكـم للإنسـان عليهـا، ولا دور لـه فيهـا. كـما لا يمكـن ان يتحكـم الانسـان بطـول قامتـه او قصرهـا.

ان لم نفهـم هـذه الحقيقـة العلميـة، يعنـي ذلـك، اننـا لا نريـد ان نفهـم. والحـال اننـا امـا ان نقبـل العلـم او نرفضـه. لا يمكـن لنـا قبـول إنجـازات العلـم الـذي مكننـا مـن اسـتخدام التكنولوجيـا، واللابتـوب، والموبايـل، والنـت، ووسـائل التواصـل الاجتماعـي، التـي كلهـا نتاجـات علميـة، ونرفـض حقيقـة الجينـات التـي يلـد عليهـا الانسـان، لأنهـا لا تتوافـق مـع عقيدتنـا. ليـس بوسـعنا ان نكـون انتقائيـين. هـذا مـا يقولـه علـم البايولوجيـا. والا سـيكون حالنـا حـال بعـض القبائـل الافريقيـة التـي تقتـل البـشر ذوي البـشرة الصهبـاء او حمـر الشـعر، لأنهـم يعتقـدون انهـم مسـكونين بالشـياطين ويجـب قتلهـم.

حول العنف ضد النساء

«سُعار مُموَّل».. عن رهام يعقوب والحرب على النساء في العراق

بلسم مصطفى

نشر هذا النص في الأصل على موقع جمار الصحفي، بتاريخ 20 آب 2023
بالعنوان نفسه، ويمكن العودة إلى المقال على الرابط التالي:
www.jummar.media/3990
وقد أعيد نشر النص بإذن من موقع جمار والكاتبة.

السلطات السياسية والدينية والعشائرية تبدو عازمة اليوم أكثر من أي وقتٍ مضى على «تكميم أفواه النساء». وبينما نستذكر اغتيال رِهام وسبي الإيزيديات على يد خصوم وأعداء لا يلتقون ولو ظاهرياً، إلا أنهم يشكلون وجهين لعملةٍ واحدة في حربهم على النساء وفي قمعهم للحريات المدنية والفردية.. عن رهامات جديدات هُنّ أكثر ما يخشاه الأضداد..

"آب اللهاب"، هكذا يصف العراقيون هذا الشهر كاستعارةٍ تصف لهيب شمسه الحارقة وحرارة الصيف التي تصل ذروتها خلال هذا الوقت من السنة. لكن آب العراقيين لهابٌ بتواريخ متشابكة مثلت أحداثاً مفصلية في تاريخ هذا البلد المنكوب: من غزو الكويت عام ١٩٩٠ -بعد أن ظن العراقيون أن نهاية الحرب الإيرانية العراقية التي يصدف أنها حدثت في الشهر نفسه من عام ١٩٨٨ كانت النسمة التي ستفتح للشتاء باباً-، مروراً بسيطرة تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" على سنجار عام ٢٠١٤ وما تلاه من سبي النساء الإيزيديات والإبادة الإيزيدية، وليس انتهاءً بسلسلة اغتيالات الناشطات والنشطاء في البصرة تحديداً إبان الفوضى الأمنية التي شهدتها المحافظة صيف عام ٢٠٢٠، وهي تتمة لسلسلة من الاغتيالات وأعمال الخطف والتغييب التي طالت مجموعة كبيرة من متظاهري تشرين وصحفيين ومحامين آخرين. فقبلها بشهرٍ واحد فقط، أُغتيل الباحث المتخصص في شؤون الجماعات الإرهابية والإسلامية هشام الهاشمي.

لهـبٌ تفـترق وتتقاطـع في أحداثهـا وأسـبابها ومآلاتهـا، لكـن هنـاك لهيباً ذا طابـعٍ جنـدري تقاطعـي -كلمـة جنـدري باتـت لهيباً مـن نـوعٍ خـاص- يتعلـق بالحـرب عـلى النسـاء: حـربٌ تتجـلى بأشـكالٍ وطـرق مختلفـة. فالإيزيديـات تـم سـبيهن عـلى يـد تنظيـم "داعـش" الإرهـابي بسـبب جنسـهن وديانتهـن، بعـد أن سـبى "داعـش" واسـتباح التركمانيـات والشـبك المنسـيات، وهـن منسـيات لهـذا السـبب: كونهـن نسـاء ومـا يجلبـه هـذا الجنـس البايولوجـي والتكويـن الاجتماعـي مـن ويـلات العيـب والعـار. وكذلـك فـإن اغتيـال الناشـطات لـه البعـد ذاتـه: إذ تتداخـل الدوافـع السياسـية مـع جنـس الناشـطات والطريقـة التـي يتـم مـن خلالهـا التحريـض عليهـن والتشـهير بهـن ومـا يـلي الاغتيـال أحيانـاً مـن معلومـاتٍ متضاربـة تصـل الى حـد تشـويه السـمعة أو -عـلى أقـل تقديـر- جعـل قضيـة الاغتيـال طـيّ النسـيان. فالعدالـة الغائبـة أصـلاً في العـراق تنـدر المطالبـة بهـا حـين تكـون الضحيـة امـرأة.

ولكـن خلافـاً لغيرهـا مـن الناشـطات المنخرطـات بشـكلٍ واضـح في النشـاط الاحتجاجـي السـياسي كالناشـطة لوديـا ريمـون، التـي نجـت هـي الأخـرى مـن محاولـة اغتيـال قبـل يومين فقـط مـن مقتـل خبـيرة التغذيـة واللياقـة رِهـام يعقـوبi واضطـرت عـلى إثرهـا أن تغـادر البـصرة لمـدة مـن الزمـن، فـإن الأخـيرة -وبحسـب شـهادات الكثـير- كانـت قـد انسـحبت نهائيـاً مـن أي نشـاط سـياسي بعـد مشـاركة بسـيطة في احتجاجـات البـصرة لعـام ٢٠١٨، فـكان وقـع نبـأ اغتيالهـا صاعقـاً لـكل مـن عرفهـا. فـأن يتـم اغتيـال أو التنكيـل بالناشـط السـياسي عـلى فظاعتـه أصبـح أمـراً معتـاداً تمارسـه حكومـات مـا بعـد ٢٠٠٣. أمـا رِهـام فلـم تكـن ناشـطة سياسـية، فلـماذا اغتيلـت؟ أحـاول الإجابـة عـن هـذا السـؤال مـن خـلال شـهادات لناشـطاتٍ بِصريّـات قابلتهـن كجـزء مـن بحثـي الأكاديمـي عـن النشـاط النسـوي وعلاقتـه بوسـائل التواصـل الاجتماعـي في العـراق ودول أخـرى. كل شـهادة تحمـل بـين طياتهـا رثـاء مـن نـوعٍ خـاص: فرِهـام لم تكـن بالنسـبة للكثـير مـن رفيقاتهـا الناشـطات أو القواعـد مـن النسـاء في مدينتهـا بشـكلٍ عـام شـخصية عاديـة، بـل كانـت اسـتثنائية بتأثيرهـا ودعمهـا وإلهامهـا وشـغفها اللامتناهـي. والأهـم مـن ذلـك تـؤشر هـذه الشـهادات مجتمعـة عـلى الخطـر اليومـي المحـدق بالنسـاء، إذ تظـل المـرأة الحلقـة الأضعـف والأوهـن في بيئـة يحكمهـا السـلاح والميليشـيا والعشـيرة والسـلطة الدينيـة: "الثالـوث القاتـل للنسـاء"، ومجتمـع يغلـب عليـه طابـع التسـلط الأبـوي والنزعـة الذكوريـة المسـتفحلة.

ترتبـط ذكـرى مقتـل رِهـام بفيديـو انتـشر انتشـاراً واسـعاً عـلى مواقـع التواصـل الاجتماعـي تظهـر فيـه ناشـطة شـجاعة تهتـف بالمحتجـين ويصـدح صوتهـا بأهزوجـة: "أنـا الحسـيني المِـن صـدك، إنـت منـو.. أنـا الـولائي للوطـن، إنـت منـو!" لا تـزال تلـك الأهزوجـة تُتـداول عـلى مواقـع التواصـل الاجتماعـي وتُنسـب لرِهـام. لكـن تاريـخ هـذا الفيديـو يعـود الى سـياق تظاهـرات تشريـن ومـا تلاهـا مـن احتجاجـات، ولم يكـن في البـصرة، وخـلال تلـك الفـترة كانـت رِهـام غائبـة عـن المشـهد الاحتجاجـي الواقعـي أو الإلكـتروني، وبحسـب إحـدى الناشـطات الـلاتي تحدثـت إليهـن، فـإن الفيديـو المقصـود يعـود لتظاهـرة في بغـداد.

فلماذا تم استهداف رِهام إذاً؟ عُرفت رِهام المولودة عام ١٩٩٠ بنشاطها الرياضي المكرس لدعم النساء بعد أن نالت شهادة البكالوريوس في التربية البدنية وعلوم الرياضة من جامعة البصرة في عام ٢٠١٣ وعملت كموظفة في لجنة الشباب والرياضة التابعة لمجلس المحافظة. تصف الكاتبة أماني الحسن في فصلٍ يسرد حياة الراحلة بأسلوب روائي على لسانها كيف أنها قررت ترك الوظيفة لتتبع شغفها في العمل الحر ضمن مجالها، فعملت بعدها مدربة في نادٍ رياضي ثم حصلت على شهادة الماجستير في التدريب الرياضي.[ii]

رغم كونها داعمة للمطالب الاحتجاجية إبان تظاهرات الماء المالح في البصرة عام ٢٠١٨، إلا أنها لم تكن ترغب في البداية أن تشارك بها حرصاً منها على أمن النساء، ولكن بعد إلحاحٍ منهن نظمت مسيرة نسائية بالتنسيق مع ريمون كما ذكرت لي. ويبدو أن حظها العاثر، وحظ رفيقتها ريمون أيضاً، قادها الى الظهور الإعلامي والحديث بشجاعةٍ عن مظالم مدينتها وأهلها. تسبب ظهورها الإعلامي في تصاعد حملة التشويه والتشهير ونشر صور تظهر فيها برفقة نشطاء وناشطات أخريات مع القنصل الأمريكي في المحافظة في "مناسبة يوم المرأة العالمي".[iii] تصف الحسن في فصلها أن المناسبة كانت "مدعومة حكومياً"، وهذا ما أكدته لي ريمون أيضاً: "كانت معنا نساء منتميات الى أحزاب حاكمة كحزب الفضيلة". ولكن ماكنة الإعلام الإيراني والحزبي والولائي لم ترحم رِهام بل استغلت تلك المناسبة، كما هو ديدنها، للتشهير بكل من شارك بها، وعلى رأسهم هي، واتهامهم بالتواطؤ والعمالة، ثأراً من الاحتجاجات وأعمال حرق القنصلية الإيرانية ومكاتب الأحزاب الولائية الهوى في المحافظة. وفي حالة رِهام، أشارت أيضاً الى دورها في التأثير على النساء. كانت تهماً جزافاً تزامنت مع تسجيل أسمائهم في قوائم عائدة للأمن الوطني كما في حال رِهام ومع لغة سردية عدائية تصاعدت إبان تظاهرات تشرين، ونعت المتظاهرين من خلالها بـ"أبناء أو بنات السفارات" و"الجوكرية". مفردات تحولت الى سلاحٍ فتك بالعديد منهم في وقتٍ كانوا يطالبون فيه بالمساءلة والعدالة. وفي حالة رِهام، حتى بعد أن تمكنت عائلتها بوساطاتٍ ما من رفع اسمها من تلك القائمة، إلا أن ذلك لم يُنجيها من القتل، كما لو أن الرسالة المقصود تمريرها أن كل من ذُكر اسمه أو اسمها في تلك القائمة هو مشروع اغتيال مؤجل، تقول لي صحفية كانت مقربة منها (ت.و).

مقاومة من نوع آخر

على الرغم من حملة التحريض ضدها والتهديدات التي تلقتها خلال عامي ٢٠١٩ و٢٠٢٠، إلا أن ذلك لم يثنِ رِهام عن مواصلة نشاطها الاجتماعي النسوي، وأنا هنا استخدم هذه الصفة كممارسة وسلوك لا كهوية أو فكر، إذ كان هذا همها الأول. فبحسب ريمون، لم يكن مصطلح "نسوية" شائعاً حينها، ولكنها كانت مؤمنة إيماناً كبيراً بقضايا المرأة وحقوقها. وعلى النقيض

مـن صورتهـا المرتبطـة بالاحتجاجـات في ذاكـرة الشـباب العراقـي، تتذكرهـا الناشـطات بطريقـة أخـرى. فوثقـت رِهـام علاقتهـا مـع نسـاء مدينتهـا التـي أحبتهـا حبـاً جـماً، نابعـاً مـن شـعورها بالانتـماء لهـا والفخـر بهويتهـا، مـن خـلال عملهـا الريـاضي ومبادرتهـا المبتكـرة في دعـوة النسـاء للمـشي في شـوارع البـصرة عـلى نحـوٍ غـير مألـوف سـابقاً فجمعـت البصريـات عـلى تنـوع خلفياتهـن الاجتماعيـة. وبهـذا الصـدد، تحـكي لي إحـدى الناشـطات البصريـات كيـف أن رِهـام "كانـت صديقـة لكثـيرٍ مـن صديقـاتي... حتـى والـدتي كانـت تحبهـا كثيراً...هـي لم تكـن نسـوية بقـدر كونهـا تسـعى لتوصيـل المـرأة لمكانـةٍ معينـة.. لعبـت رِهـام عـلى وتـرٍ حسـاس ألا وهـو نقـل المـرأة مـن الحيـز الخـاص الى العـام عـن طريـق المـشي والتحـرك في شـوارع البـصرة". كانـت لرِهـام "شـعبية كبـيرة بـين نسـاء البـصرة"، تضيـف الصحفيـة (ت.و).

تذكـر الحسـن في فصلهـا كيـف اسـتطاعت رِهـام بعـد سـنواتٍ مـن الشراكـة مـع شـخصٍ آخـر في أحـد النـوادي الرياضيـة أن تؤسـس أول صالـة رياضيـة نسـائية خاصـة بهـا مطلـع عـام ٢٠٢٠ وأن تحـول نشـاطها الى التدريـب عـن بعـد خـلال فـترة الوبـاء وحتـى قبـل أن تقـوم السـلطات بإجـراءات الحظـر حرصـاً منهـا عـلى سـلامة النسـاء أولاً ورغبـةً منهـا في الوصـول الى حبيسـات المنـازل قسـراً ثانيـاً وكانـت في الوقـت ذاتـه تُحـضر رسـالة الدكتـوراه في اختصاصهـا.

تخـبرني إحـدى الناشـطات والنسـاء الـلاتي كـن يتدربـن في النـادي أن رِهـام كانـت "قـدوة لنـا.. كانـت تجتمـع معنـا في الجيـم وتحدثنـا عـن الكثـير مـن الأمور...نحـن عرفناهـا كنسـوية (بأفعالهـا) لا كسياسـية". وبحسـب ريمـون، فإنهـا كرسـت نفسـها لتقديـم كل أنـواع الدعـم النفـسي والعاطفـي والمـادي للنسـاء اللـواتي يتدربـنّ معهـا في النـادي الريـاضي، الى جانـب محاولاتهـا الدؤوبـة في توعيتهـن بحقوقهـن في الحيـاة بالإضافـة الى حثهـن عـلى الاهتـمام بصحتهـن وأجسـادهن. كان النـادي عبـارة عـن "مملكتهـا" وهـي "القائـدة" والنسـاء المتدربـات "جيشـها النسـوي"، كـما تصـف الحسـن.iv

نفهـم مـن خـلال هـذه الشـهادات أن دور رِهـام الاجتماعـي وتأثيرهـا في محيطهـا النسـائي كان أهـم بكثـير مـن دورهـا السـياسي المقتضـب والمحـدود والآني. فعملهـا مـع النسـاء كان طموحهـا الأول واسـتطاعت أن تحقـق نجاحـات ملموسـة ربمـا عجـزت عـن تحقيقهـا منظـمات كاملـة. فهـي أبـت الا تتنـازل عـن مبادئهـا المتعلقـة بالاهتـمام بالنسـاء وكان لحضورهـا في حياتهـن وتجاربهـن اسـتمرارية لم ينجـح أي شيء في زعزعتهـا أو انقطاعهـا. ولـذا بـات إسـكات ذلـك الصـوت والى الأبـد حاجـة ماسـة للأحـزاب الحاكمـة وفصائلهـا. فرِهـام جسـدت النقيـض النوعـي لنمـوذج المـرأة الـذي سـعت أحـزاب مـا بعـد ٢٠٠٣ الى تشـكيله وقولبتـه وديمومتـه، فمثلـت مصـدر إزعـاج وتهديـداً حقيقيـاً لمـشروع تجهيـل المـرأة العراقيـة وتحويلهـا الى مجـرد تابـع للحـزب الحاكـم وتجنيدهـا لخدمـة أيديولوجياتـه المناهضـة لأفـكار المسـاواة والعدالـة الاجتماعيـة مـع خضوعهـا التـام للنظـام الأبـوي وقبولهـا بدونيتهـا بـل وإيمانهـا أنهـا الصـواب، فوجـب التخلـص منهـا- أي مـن رِهـام.

آبٌ لهّاب جديد

ونحن نستذكر الذكرى الثالثة لاغتيال رِهام، نعيش آباً لهاباً آخر إذ يتجلى هذا المشروع الآنف ذكره في أبهى صوره مع تصاعد الحملة الشرسة ضد مفهوم الجندر أو النوع الاجتماعي المعني بالأدوار والأنماط والسلوكيات الخاصة بالرجال والنساء الناتجة عن التنشئة الاجتماعية والتكوين الثقافي والتمييز الناجم عن تلك العلاقة الهرمية بينهما عن طريق الترجمة المُدلِّسة والمضللة لمعانيه وربطه بالبيدوفيليا، أي الاعتداء الجنسي على الأطفال، والممارسة الجنسية مع الحيوان، أو العلاقات المثلية، مع الخلط المضلل والمتعمد بين النوع الاجتماعي والهوية الجندرية، وهي مفهوم لم يدخل القاموس القانوني والاجتماعي العراقي بعد، ولن يكون ذلك حتى في المستقبل المنظور لانعدام المناخ المناسب لتوفير الحريات الفردية.v وبغض النظر عن الدوافع لإثارة هذه الحملة في هذا الوقت تحديداً، وهذا بحد ذاته موضوع يطول شرحه، إلا أن تلك الحملة لا تبدو وليدة اللحظة أو عشوائية فهي تحمل بصمة الإعلام الإيراني وتعود بجذورها الى سياق ما بعد تشرين، مستفيدةً من تحشيد القوى المتطرفة والمحافظة عالمياً ضد ما يُسمى بأيديوليوجية الجندر وتصويرها بأنها الخطر الذي يهدد قيم الأسرة والأطفال. وفي العراق، فإن عواقبها تمس النساء بشكل مباشر. فكانت الاستجابة الحكومية سريعة كسرعة البرق، إذ سارعت جهات مؤسساتية في بغداد وعدد من المحافظات، كمجالس المحافظات ونقابة الأطباء ووزارة التعليم العالي وهيئة الإعلام والاتصالات وديوان الوقف الشيعي، الى إصدار أوامر إدارية ليس فقط بحظر استخدام مفردة الجندر أو النوع الاجتماعي، بل بتبديل أسماء وحدات تمكين المرأة الى "شعب خاصة بالأسرة والتنمية المجتمعية"، كما أشارت كتب مسربة عبر الإنترنت، رغم أن تلك الوحدات كان وجودها شكلياً في المقام الأول.vi

وغصت وسائل التواصل الاجتماعي بعشرات المقاطع المصورة والمنشورات التي تهاجم النسوية وقانون العنف الأسري باعتبارهما تهديداً للقيم الدينية والاجتماعية المقدسة. فيما يبث عدد من المعممين والرواديد أو منشدي الأناشيد الدينية الخاصة مستثمرين في مناسبة شهر محرم خطاباً تحريضياً علنياً مستعيراً اللغة التي شيطنت متظاهري ومتظاهرات تشرين نفسها، فاسُتبدلت مفردة "جوكرية" بـ"جنادرية" و"أبناء وبنات السفارات" بـ"أبناء وبنات الجنادر"، وجُيشت الجيوش الإلكترونية في كل مكان للتشهير والطعن بالناشطات وبكل من تجرأ على توضيح المفهوم.

إن وقوف هذه الأحزاب علناً ضد مشروع قانون مناهضة العنف الأسري على ما يعتريه من خللٍ كبير ونقاط ضعف كثيرة لهو دليلٌ دامغٌ على رغبتها في أن يستمر تعنيف النساء والأطفال، وهي تغذيه من جانبها بلغةٍ عدائية وخطابٍ عنيف. حملات ممنهجة من الواضح أنها ضُخت

لها أموال كان من المفترض أن تنفق لتوفير حياة كريمة للمواطنين.

وظّفت الأحزاب الإسلامية الحاكمة وحشدت النساء الإسلامويات للمشاركة في هذا السُعار والتعنيف السردي فليس أقسى وأَمَرَّ من منظر امرأة تهتف ضد قانون العنف الأسري الذي من المفترض أن يحميها ويحمي أطفالها أو ضد المساواة التي من المفترض أن تنتشلها من موقعها الدوني وتحيل العلاقة الهرمية بينها وبين الرجل الى علاقة أفقية.[vii] هذا المشهد بالذات يستحضر حكاية الأَمَة أو الخادمة لمؤلفتها الكندية مارجريت أتوود ورؤيتها المستقبلية الديستوبية لوضع النساء في الغرب بعد أن يعاود النظام الأبوي فرض سيطرته بالكامل نتيجة صعود القوى المتطرفة والمحافظة ويقبض على النساء وكافة الفئات المهمشة الأخرى. فيما تتحقق بعض تفاصيل هذه الديستوبيا في كل بقاع العالم اليوم، فإنها ليست بالأمر الجديد على دولة كالعراق فالواقع مليء بما هو أفظع، ويزداد سوءاً يوماً بعد يوم. خصوصاً وأن السياق العام والبيئة التي مكنت الحراكات النسوية والحقوقية في الدول الغربية تختلف اختلافاً جذرياً عن سياق الدول ذات الأغلبية العربية والإسلامية ومن ضمنها العراق. فإن ردة الفعل العنيفة أو "الباكلاش – Backlash" بالإنجليزية التي تواجه بها تلك الحراكات لتحاول تقويض مكتسباتها والعودة الى نقطة في الماضي البعيد حيث كان النظام الأبوي مسيطراً بشكل كلي تحدث في بيئة محمية ببنية تحتية من مؤسساتٍ رصينة ودساتير وقوانين قابلة الى التطوير، وبالتالي فإن تبعاتها مختلفة عن عواقبها في دول لا تزال محكومة بهذا النظام. فلعراق لا يزال يعيش في تلك النقطة البعيدة وضمن هذا السياق الزماني والمكاني تناضل النساء؛ ومن تخرج عن الصورة التي رُسمت لها أو تحاول التفكير خارج نطاق الصندوق يتم وصمها بالعهر، فتُقتل معنوياً قبل قتلها مادياً، وكأننا نعيش في زمانٍ يشبه العصور الوسطى المظلمة، حيث كانت الكنائس تلاحق وتطارد النساء المفكرات، وتنصب لهن المحاكم بعد وصمهن بالساحرات المشعوذات، ليتم إعدامهن وحرقهن من بعدها. بدل وصم الساحرة، تُوصم المرأة المخالفة لما هو سائد في سياقنا بـ"العاهرة"، وهكذا يُحكم عليها بالموت حتى لو كانت محظوظة ونجت بجسدها. تُخبرني ناشطة بصرية أنها لا تخشى الموت بقدر خشيتها من تشويه سمعتها بعده.

فالسلطات السياسية والدينية والعشائرية تبدو عازمة اليوم أكثر من أي وقتٍ مضى على "تكميم أفواه النساء" كما تصف الصحفية (ت.و). وبينما نستذكر اغتيال رِهام وسبي الإيزيديات على يد خصوم وأعداء لا يلتقون ولو ظاهرياً، إلا أنهم يشكلون وجهين لعملةٍ واحدة في حربهم على النساء وفي قمعهم للحريات المدنية والفردية.

إن وجود رهاماتٍ أخريات أو ميلاد جديدات هو أكثر ما يخشاه هؤلاء الأضداد

١- تذكر الكاتبة أماني الحسن في فصلها الروائي «الياء التي قتلت صاحبتها» والمكرس لحياة الراحلة بالإعتماد على شهادات من عائلتها أن رِهام كانت تفضل كتابة إسمها بتلك الطريقة

بـدل ريهـام.

٢- أمـاني الحسـن، «اليـاء التـي قتلـت صاحبتهـا»، رائحـة الفلفـل: تحليـل وتأريـخ وسِـير لانتفاضـات العـراق. تحريـر عمـر الجفّـال، الطبعـة الأولى. بغـداد: دار الرافديـن. ٢٠٢٢

٣- المصدر السابق، ص ٧٧.

٤- المصدر السابق، ص ٧٨.

٥- بالتزامـن مـع هـذه الحملـة، أنهـى البرلمـان العراقـي خـلال هـذا الشـهر القـراءة الأولى لمقـترح التعديـل الأول لقانـون مكافحـة البغـاء، رقـم ٨ لسـنة ١٩٨٨، جـاء في المـادة السادسـة منهـا «يعاقـب بالإعـدام أو السـجن المؤبـد كل مـن أقـام علاقـة شـذوذ جنـسي». وفي مـادة أخـرى ورد التـالي: «السـجن والغرامـة عـلى كل عمليـة تغيـير جنـس، أو اسـتخدام دواء يـؤدي إلى التخنّـث».

٦- هنـاك دعـوات لإلغـاء هـذه الوحـدات نهائيـاً وإلغـاء وحـدات النـوع الإجتماعـي في بعـض مجالـس المحافظات.

٧- إنظر أيضا تصريح د. بشرى الزويني مستشارة رئيس الوزراء لشوؤن المرأة.

«لستَ غليظاً مع النساء؟! إذن رجولتك محل شك»

أماني الحسن

نشر هذا النص في الأصل على موقع جمار الصحفي، بتاريخ 14 تشرين الثاني 2022
بالعنوان نفسه، ويمكن العودة إلى المقال على الرابط التالي:
www.jummar.media/2427
وقد أعيد نشر النص بإذن من موقع جمار والكاتبة.

«مخنـث» و«طـلي» و«ليـس برجـل».. يضطـر رجـال إلى مواجهـة هـذه الأوصـاف والشـتائم لأنهـم فقـط قـرّروا عـدم العيـش كعالـة عـلى نسـائهم، وطالبـوا أيضـاً بحقوقهـن في مجالسـهم..
يعيـش مسـلم الشـوكي السـكينة والرضـا عـن النفـس بعدمـا عـاش وزوجتـه حيـاة طبيعيـة تقـوم عـلى المحبّـة والاحـترام.

لكن الآخرين، وبينهم والده، لم يتركوه

لقـد لاحقـوه بألقـاب يطلقهـا المجتمـع المحافـظ، مثـل مجتمـع مدينتـه واسـط في جنـوب العـراق، عـلى الرجـل الـذي يعامـل زوجتـه بلطـف وحنـو ويسـاعدها في الصغـيرة والكبـيرة.

"خـروف"، "مخنـث" "ليـس برجـل"، قيلـت هـذه الكلـمات مـن وراء الشـوكي، وشـاهدها تتبـدى في نظـرات النـاس ومواقفهـم منـه.

"كنـت أفتـح لهـا البـاب وأمسـك حقيبتهـا وأخفـف عنهـا أي حمـل ودائمـاً أسـير معهـا جنبـاً إلى جنـب.. لكـن هـذه السـلوكيات البسـيطة والعاديـة تُعتـبر شـاذة في نظرهم".
يقـول الشـوكي إن السـائد في مجتمعـه هـو معاملـة النسـاء بإسـاءة وفوقيـة، ومـن مظاهـر الرجولـة أن يسـير الشـخص أمـام زوجتـه ويرمـي أحـمال التسـوق عليهـا.

عندما يفتح الشاب الواسطي باب السيارة لزوجته، يرمقه والده بنظرة تبدو عليها الحسرة.

"كأنه يقول لنفسه إنني لم أنجب رجلاً كاملاً يعامل زوجته بخشونة وقوّة. ربما شعر أبي بالندم لأنه أنجبني".
في المجتمع الواسطي، وشأنه في ذلك شأن مجتمعات مدن عراقية أخرى، رُسمت علاقة الرجل بزوجته على هيئة حرب يجب أن يفوز فيها أحد الطرفين، المرأة أو زوجها.

إن استطاع الزوج إهانة زوجته وتركها تتحمل أعباء كل شيء وحدها وامتنع عن مسك يدها في الشارع، فهي امارات على رجولته ودليل على أنه المسيطر.
وكلما ضاق الخناق على المرأة ولم تنبس ببنت شفة فإنها ستكون بنظر الطرف الآخر، امرأة محترمة وزوجة صالحة في قاموس "الرجولة" هناك.

ولا يعرّف هذا القاموس الخروف بأنه ذلك الحيوان الذي يسير على ٤ قوائم. بل الخروف أو "الطلي (باللهجة العامية العراقية)" هو الرجل المنقاد لزوجته والذي يستمع لآرائها ويأخذ بها.

وفق هذا الواقع، يجب على المرأة أن لا يكون لها رأي فضلاً عن إقناع الرجل به.

ولو خالفت هذه "القاعدة" وكان لها كيان وآراء مستقلة، فلن يعد بعلها في عين المجتمع سوى "طلي" تتحكم به زوجته.

يحترم زوجته؟ إذن هو مسحور!

يعتقد بعضهم، في محافظات عراقية عديدة، أن التفاهم وتبادل الاحترام في العلاقات الزوجية ضرب من المستحيل.
فإذا "ضُبط" رجلاً يحب زوجته ويمنحها مساحة كافية من الحرية، سيقال إنه ضحية فعلة طرفيها زوجته و"أم عباس"، والأخيرة كنية تطلق على ساحرة مُتخيلة قادرة على فعل المعجزات، مثل احترام الرجل لزوجته.\
وسيعامل هكذا رجل بصفته "مسحوراً"، وستُكره زوجته بين الأقارب وقد يخشى الرجال على أنفسهم منها ويسعون لإبعادها عن نسائهم لئلا تدلهن على الطريق لـ"أم عباس".

"المخنّث" أو "قواد"!
في معاجم اللغة العربية، المخنّث هو المدلل على صورة الرجال والنساء.

بيد أن هذه الكلمة تقال للرجل الذي يحترم زوجته ويدللها ويفعل الأشياء الواجبة عليها، مثل حمل الطفل أو تغسيله أو مساعدة الزوجة في العمل وتنظيف البيت.

بعبارة أخرى، فإن المخنّث هو الشخص الذي لا يعيش عالة على زوجته أو أهله؛ أو هو الرجل الذي يقوم بواجباته تجاه نفسه ومن معه.
لكن مصطلح "كواد -قواد"، هو الأكثر إيلاماً، وقد سمعه حيدر من والدته بعد أن وافق على طلب أخته بأن تشغل وظيفة في شركة خاصّة ينتهي دوامها عند غروب الشمس.

كان رد الوالدة صادم و"جارح" بالنسبة لحيدر.

كانت هذه الأم قد اضطرت إلى ترك الدراسة، ومنعها زوجها من العمل، وتعرّضت لمرات عدة للتعنيف من قبله. رغم ذلك، فإنها لم تكن تريد لابنتها ان تستقل مادياً، وأن تخوض الحياة من دون سلطة ذكورية توجهها، وتحدد مصيرها.

"كان كلاماً ذكورياً خارجا من فم تعلَّم الصمت لسنوات امام رجال العائلة"، قال حيدر.

وهناك نساء كثيرات، ومن طبقات مختلفة، يتحدثن بكلام يبدو للوهلة الأولى وكأنه صادر من رجل عاش في زمان غابر، لكنهن في الحقيقة لسن سوى نساء تشبعن بالتربية الذكورية، واندمجن معها حتى أصبحت جزءا منهن.

كيف تنقذ نفسك؟!

لم يتزوج أحمد بعد، وهو مسؤول عن شقيقاته ويريد أن "يدللهن". لكن كيف السبيل لذلك في مجتمع واسط؟

وجد فكرة تحميه

"في داخل المنطقة أنا ابن عشيرة ومن عائلة معروفة، ولا أريد أن أكون حديثاً تتداوله الألسن. لذا آخذ شقيقاتي في سفرات خاصة أو إلى خارج المحافظة، وهناك أمنحهن حرية ارتداء ما يحلو لهن من ملابس أو في التصرف".

صحيح أنه يرى المسؤولية مرهقة وشاقة. بيد أن هذا الاتفاق مع شقيقاته أكسبه احترامهن.

"رغم عدم رغبتي في الاستماع لأسرارهن، إلّا أنهن يشاركنني كل أفكارهن ولا يترددن في ذلك".

هكـذا نجـح أحمـد في حفـظ شـخصيته واسـمه، كـما يعـبّر، مثلـما نجـح في خلـق مسـاحة ثقـة مـع شـقيقاته "اللـواتي لم يخـب ظنـي بهـن".
هنـا، في هـذه المجتمعـات، تجـد النسـاء مـدركات لمطالـب المجتمـع وضغوطاتـه وهـن قـادرات بذكائهـن عـلى وضـع خطـة تحمـي الطرفـين، الرجـل والمـرأة، مـن نظـرة المجتمـع في حـال أعطـين الثقـة الكافيـة لصنـع هـذه الشراكـة في الوجـود.
غـير أن رجـالاً كثيريـن يطغـى عليهـم الشـعور بالفوقيـة وقدرتهـم عـلى إحسـان التـصرف واختيـار نمـط الحيـاة المناسـب للنسـاء دون الرجـوع لهـن ولـو للاسـتماع.

دفاع مستمر

لـدى عـلي زويـد، وهـو ناشـط في مجـال حقـوق النسـاء، تفسـيرات عـدّة للهجـمات المتكـرّرة عـلى الرجـال الذيـن يسـاندون النسـاء، ويتعاضـدون معهـن للمطالبـة والحصـول عـلى حقوقهـن.

"المؤكد إن كل أو غالبية الهجمات تأتي من ذكور يحملون أفكاراً عنصرية تجاه النساء".

يربـط زويـد الدفـاع عـن حقـوق المـرأة بالقضايـا العامّـة الأخـرى، ويعتقـد أن قضيّـة النسـاء لا يجـب أن تكـون محصـورة في نضالاتهـن، "يتجاهـل هـؤلاء (العنصريـون) مفهـوم القضايـا العامـة وهـي المحـرك لأغلـب مـا يـدور ويطـرح مـن نقاشـات سـواء في الفضـاءات الالكترونيـة أو العامـة".

يسـتطرد زويـد بـشرح وجهـة نظـره أكـثر "القضيـة العامـة لا تخـص الفئـة صاحبـة القضيـة، لأن ضررهـا يشـمل الجميـع".
ويطـرح مُقاربـة "مـن يتـضرر مثـلا مـن أزمـة الميـاه؟ ليـس المزارعـون وحدهـم، بـل نقـص المحاصيـل تشـمل تبعاتـه كل المواطنـين... وكذلـك قضيـة حقـوق النسـاء قضيـة عامـة لا تقتـصر تبعاتهـا عـلى النسـاء".
وليـشرح أكـثر للرجـال، يمـضي قائـلاً: "الـكل يتأثـر بنقـص اليـد العاملـة مـن حرمـان النسـاء مـن العمـل، والرجـال بالـذات يتـضررون مـن تحمـل الاعبـاء بسـبب عـدم تمكـين النسـاء، والرجـال يتأثـرون مـن تعـرض عائلاتهـم للتحـرش أو عـدم وجـود زخـم نسـوي في الأماكـن العامـة بسـبب حرمـان النسـاء مـن حريـة الخـروج"..
لذلـك، فـإن زويـد لا يـودّ التراجـع أبـداً عـن الدفـاع عـن حقـوق المـرأة، "مـن يهاجـم الرجـال المدافعين عـن النسـاء يغيـب عنـه الحـس الإنسـاني (..) وإن حقـوق النسـاء سـتؤخذ مـن الذكـور ومـن مجالـس الذكـور أنفسـهم ومـن الأماكـن التـي تحـرم مـن دخولهـا النسـاء، وهـذه مهمـة لا يقـدر عليهـا سـوى

الرجـال المسـاندين للنسـاء“..

العيش بسلام

أحمـد ومسـلم يعيشـان، حسـب قولهـما، بسـلام لأنهـما شـعرا بـأن حيـاة عادلـة للجميـع يمكنهـا أن تكـون أسـهل عـلى الـكل أيضـاً.
توفيـت زوجـة مسـلم، لكنـه يعيـش باسـتقرار نفـسي، ولا ينفـك يتذكرهـا كبطلـة لـ“أجمـل قصـة حب“ عاشها.

العنف الطبي على اجساد النساء

جوان ميرزا

الـذي جعلنـي أتوجـه لكتابـة هـذه المقالـة، عـدة أسـباب في مقدمتهـا، كـوني طبيبـة والأمـر الآخـر كوني امـرأة ولـدت ونشـأت في مجتمـع شرقـي ذي عـادات وموروثـات بطريركيـة ذكوريـة. تمـارس السـلطة والهيمنـة والعنـف ضـد المـرأة، والتسـلط والتحكـم بجسـدها بـكل انـواع الاسـتبداد، هـذه الهيمنـة نراهـا عـلي اجسـاد النسـاء بشـتى الوسـائل والطـرق. نراهـا في علاقاتهـا الاجتماعيـة في قراراتهـا في الـزواج او الطـلاق او الانجـاب ،في العمـل بالمسـاومة عـلى جسـدها مقابـل الحصـول عـلى الوظيفـة او التـدرج الوظيفـي، نراهـا في الشـارع، أو في أي مـكان آخـر يُمـارس ضدهـا التسـلط والتحكـم وفقـا لمعايـير ومقاييـس ذكوريـة. الرقابـة عليهـا في خطواتهـا في الحركـة والمـشي وملبسـها ونوعيـة ولـون القـماش الـذي يغطيهـا، حتـى تقاسـيم وتعابـير وجههـا وحركـة عينيهـا ونظراتهـا، حتـى الحقيبـة التـي في يداهـا، كل هـذه تحـت سـلطة الرقابـة المجتمعيـة الذكوريـة .

العنـف الطبـي يُمـارس عـلى اجسـاد النسـاء بأشـكال مختلفـة، في المؤسسـات الصحيـة التـي مـن المفـروض ان تكـون مؤسسـات خدميـة لأجـل حمايـة جسـد الانسـان مـن الألم، ومعانـاة التوعـك الصحـي. أحـد أشـكال العنـف الطبـي الـذي يُمـارس عـلى اجسـاد النسـاء هـي العمليـات القيصريـة، والتـي هـي حسـب تقاريـر منظمـة الصحـة العالميـة بـأن الـضرورة لإجـراء الـولادات القيصريـة لا تتجـاوز اكـثر مـن ١٥٪ مـن الـولادات لكـن هنـاك دراسـات واحصائيـات كشـفت، إن نسـبه العمليـات القيصريـة تتجـاوز إلى اكـثر مـن ٦٠٪ مـن الـولادات في المستشـفيات الخاصـة وحـوالي ٤٠٪ مـن الولادات في المستشـفيات العامـة. هـذه الـولادات حسـب تقاريـر منظمـة الصحـة العالميـة غالبـاً يكـون ليـس لهـا مـبرر طبـي حيـث يقـرر الطبيـب اجـراء العمليـة القيصريـة لسـببين الاول الربـح المـادي حيـث ان تكاليـف العمليـات القيصريـة هـي اضعـاف الـولادة الطبيعيـة، والسـبب الثـاني لتأمـين المزيـد مـن الوقـت، حيـث يوفـر الطبيـب وقتـاً اضافيـاً مـن كل عمليـة قيصريـة، لـكي يأخـذ عـدد اكـبر مـن المـرضى في عياداتـه الخاصـة.

شـكل آخـر مـن العنـف الطبـي كشـف العذريـة حيـث تخضـع النسـاء للوصايـة الأبويـة مـن المجتمـع عـلى اجسـادهن بشـكل مهـين، ويتـم ترسـيخ هـذه الوصايـة والهيمنـة الأبويـة عليهـن بإخضـاع النسـاء

لهذه الممارسات المهينة على يد الاطباء حيث يستخدم الاطباء خبرتهم لدعم هذه الوصاية على اجساد النساء لأجل الربح وكسب الشهرة وتلبية رغبات ذكور العائلة ومعظم الاحيان تتم هذه الانتهاكات اللامبرر لها علميا وطبيا دون اخذ موافقة النساء.

تقول منظمة الصحة العالمية WHO في تقريرها لأكتوبر لعام ٢٠١٨ إن لا أساساً علمياً أو طبياً لـ«اختبار العذرية»، لافتةً إلى أنه «لا يوجد فحصٌ يمكن أن يثبت أن فتياتٍ أو نساءَ كن يمارسن الجنس من قبل».

تعتبر المنظمةُ أن اختبارَ «العذرية» ينتهك حقوقَ الإنسان والمرأة الأساسية، وينزع منها حقَّ التمتع بصحتها دون أضرارٍ جسديةٍ ونفسية، لما يحمله الاختبارُ من «ألم وإهانة، وصدمة لها»، واعتبرت المنظمةُ أنه «من غير الأخلاقي أن يقومَ الطبيب أو من ينوبه بإجراءَ اختبار العذرية، وحتى في حالات التعرض للاغتصاب حيث ان اختبارَ العذرية» بالرغم من شأنه ممكن مُساعدةُ الفتيات المغتصبات للحصول على «توثيقٍ» للحادثة، لكن المنظمةَ لفتت في تقريرها إلى أن قيامَ الاختبار على هؤلاء الفتيات، يضاعفُ آلامَهن، ويدفعهن لاسترجاع مشهدِ الاغتصاب من جديد، ما يؤدي إلى «إعادةِ الصدمة وإعادة الإيذاء»، مُحذرةً من إجرائه على أية حال واللجوء الى طرق اخرى لإثبات واقعة جريمة الاغتصاب.

جسد المرأة ليست ملكها؛ حتى في وعكتها الصحية عندما تذهب النساء الى الاطباء، فالطبيب لا يتكلم معها ويهملها تماما ويخاطب الزوج او الاب او الاخ الابن الذي في صحبتها، أي المخاطبة والحديث يكون مع الذكور ممن هم في رفقة المريضة وهم الذين يقررون نوع وكمية وكيفية العلاج اما المريضة لأنها امرأة ليس لها رأي ولا قرار. هذه في الحالات العادية أما في العيادات النسائية المرأة هي وحدها من تتحمل آثار وسائل منع الانجاب من حبوب او كبسولة تحت الجلد او حقن في العضلة مرة كل ثلاث اشهر او لولب داخل الرحم، وكل هذه الوسائل من موانع الحمل قد يناسب امرأة ولا يناسب اخرى، وقد يسبب مضاعفات جانبية عليها، من خلل في انزيمات الكبد وزياده الوزن وحصول تجلطات في الاوردة والشرايين، وهناك ابحاث تشير بأن موانع الحمل قد يكون لها علاقة بالسرطانات كسرطان الثدي والرحم او المبايض. جسد المرأة يتحمل مسؤولية الانجاب والولادة وكذلك نفس الجسد يتحمل مسؤولية عدم الانجاب حيث تخضع لاختبار وسائل الانجاب الى ان تجد وسيلة مناسبة لها ولجسدها. إن كانت لا تناسبهم هذه الاختبارات عليها ان تجرب وتختبر كل الوسائل بكل مضاعفاتها وغالبا ما يكون الرجل بعيدا عن كل هذه المشقات ومسؤولية موانع الحمل.

الرجل عليه المشاركة في مسؤولية منع الحمل وذلك باستعمال واقي ذكري كوندوم وغالبا معظم الرجال يرفضون ذلك ظناً منهم إنه يقلل المتعة السريرية، وهذا اعتقاد خاطئ تماما، وممكن ايضا أن يعمل الرجل عملية فاسو كتومي اي ربط قناة الحيامن وهذا شائع جدا في بلدان اوروبا وامريكا وهي طريقة آمنة جدا للرجال كوسيلة منع حمل نهائي وهذه الطريقة لا تؤثر على حياتهم الجنسية اطلاقا، ولكن للأسف لقلة الثقافة الصحية والصحة الجنسية، الرجل

العـربي لا يقبـل النقـاش في هـذا الموضـوع نهائيـا وهـو مرفـوض عنـده تمامـا وكأن الذكـورة والرجولـة مرتبطـة بقنـاة الحيامـن وهـذا مـن خـلال تجربتـي وأثنـاء عمـلي لاحظـت ذلـك.

مـا أريـد الإشـارة إليـه هنـا، هـو مـن حـق النسـاء الخيـار والقـرار بالإنجـاب او الامتنـاع عنـه لا سـلطة لأحـد عـلى اجسـاد النسـاء غـير انفسـهن .

حـق الاجهـاض وحـق الامتنـاع عـن الانجـاب هـو حـق مـن حقـوق المـرأة ولا مسـاومة عليـه، المـرأة هـي صاحبـة القـرار الأول والأخـير عـلى جسـدها، هـي التـي تتحمل أشـهر ومشـاق الحمـل ومضاعفاته وآلام الـولادة وكذلـك ألم الاجهـاض و معانـاة فـترة الرضاعـة الليلـة وصـبر الأمومـة، وهـي الوحيـدة التـي لهـا الكلمـة الأخـيرة في الانجـاب او الامتنـاع عنـه. السـلطة عـلى أجسـاد النسـاء مرفوضـة تحـت أي مسـميات سـواءً أكانـت دينيـة أو عرفيـة او مجتمعيـة.

«تغليف من الرأس إلى القدم».. الرقباء والرقيبات في «بيت العيال»

ريم عبد

نشر هذا النص في الأصل على موقع جمار الصحفي، بتاريخ 10 آب 2023
بالعنوان نفسه، ويمكن العودة إلى المقال على الرابط التالي:
www.jummar.media/3934
وقد أعيد نشر النص بإذن من موقع جمار والكاتبة.

تجبر البنات في بيت العيال على ارتداء ملابس لا يجدنها مريحة، فمثلاً، يُمنعن من ملابس «ربع» و«نصف الكم» أو ثوب طوله «ثلاثة أرباع» أو البيجاما، ويفرض عليهن ارتداء أثواب طويلة وعريضة سميكة وتحتها بطانة أو قطعة داخلية طويلة (آتك) وبدي بأكمام.. إذاً، كيف تعيش النساء تحت أعين رقباء ورقيبات في درجات حرارة خانقة؟

"أويلي يصير الصيف علينا جهنم آني والبنات، نلبس بهلحجاب والدشاديش الثخينة والأتكات. وما راضين علينا. العمة تصيح منا وتخوزر (استرن ارواحجن)، ورجلي والحمويين منا يصيحون".

تشرح أم زهراء (٣٧ سنة، معلمة من ميسان)، معاناتها بالسكن في "بيت العيال")١(وهو نوع السكن الشائع في العراق، حيث تسكن العوائل الممتدة في بيوت تتراوح مساحتها بين ٥٠م٢ إلى٢٥٠م٢، وأحياناً تتكون من طابقين أو أكثر.

"حجي نسوان".. نساء يُروِّحن عن آلام الصيف

تعيش النساء عادة في بيوت العيال في غرف صغيرة مع أطفالهن في الطابق العلوي، فتصبح

تلك الغرف كالأفران عند انقطاع الكهرباء، أو تذبذبها، فلا تعمل أجهزة التكييف ولا المبردات.

هرباً من الحر، ينزلن إلى الطابق الأرضي، الذي يكون عادةً أقلّ حرارة من الطوابق العلوية. ولكن، لمغادرة غرفهن إلى المساحة المشتركة مع "العيال"، يتوجّب عليهن الالتزام بالحجاب الكامل الذي يشعرهن بالتقييد، فلا يحصلن على راحة ولا استرخاء ولا التمتع، ولو بنسمة برودة صغيرة، خوفاً من أن يراهن رجال البيت بدونه.

مو بس حجاب.. معاصم وجواريب وستريجات

تشكو أم زهراء الحر اللاهب والضيق وهي ترتدي الحجاب الكامل(٢)، "إنّظف ونكنس ونغسل ونوكف بالمطبخ.. ننطبخ وية الطبخ.. نستوي بالصيف. لازم ولا شعرة تطلع منا ولا شوية من رجلينا وادينا. مادام إحنه بره غرفنا نكون احنا مكمطين حتى لا يشوفونا الزلم بالبيت".

تعيش أم زهراء مع سلفاتها الثلاثة. ويفرض شرعاً عليهن وبناتهن الالتزام بملابس سميكة وطويلة وحجاب. فالفتيات اللاتي ولدن ويعشن في بيوت العيال، إذ ما بلغن عمر تسع سنوات وجب عليهن الالتزام به، إذ يغطونهن بالحجاب الكامل من أقاربهن (غير المحارم) الساكنات معهم.

وجنات (٢٣ سنة، طالبة صيدلة) إحدى أولئك الفتيات اللاتي، "لبست الحجاب بعمر ١٠ سنوات مو بس بره البيت، حتى بالبيت وأمي اشترتلي ملابس عريضة وطويلة وصاية. ألبسهن من اطلع وهم بالبيت كدام ولد عمامي. ما جان عندي غرفة. جنت لو أكعد بغرفة امي وابوي لو افتر بالبيت. حجابي جان لازك براسي، حتى أنام بيه، وأنزعه بس من اسبح، وبالصيف اموت حر و راسي يعرق وشعري يعطن وبسببه شعري صار خفيف مهلس".

نادراً ما تحصل الفتاة وحدها أو مع أخواتها على غرفة خاصة في بيت الأسرة. فكيف حال اللاتي يعشن في "بيت العيال". يضيق الوقت والمكان بالفتيات وينهكن، وبالكاد يجدن مكاناً ليجلسن أو يسترخين أو يدرسن فيه.

وتحكي سجى (٢٥ عاماً، من البصرة) التي لم يمر على زواجها عدة أشهر كيف تعيش في بيت العيال، فهي تسكن غرفة في الطابق العلوي بمساحة ١٦م٢. لا تستطيع البقاء في غرفتها أغلب الوقت لأن "عيالها" يطلبون منها الخروج باستمرار من أجل خدمتهم، وعليه ترتدي سجى الحجاب الكامل وتقول إنها عندما تستعجل بالنزول أو تملّ من كثرة تغيير الملابس من مريحة إلى ملابس مستورة خانقة، فعلى السرعة ترتدي فوق ملابسها الطبيعية إسدال الصلاة أو

صايـة(٣) بـل حتـى عندمـا تذهـب للحـمام تلتـزم بتلـك الأغطيـة.

فتقـول "مـو بـس حجـاب، حتـى معاصـم وجواريـب وسـتريجات نلبسـهن تحـت الدشـاديش لمـا ننظـف ونغسـل البيـت والفـراش بالطرمـة، حتـى مـا يشـوفون حموينـا واولادهـم ادينـا ورجلينـا لأن حـرام".

بنات وأمهات وجدات وسلفات.. مراقبات ورقيبات

تشـعر سـجى وسـلفاتها بالضيـق الشـديد والحـرارة بسـبب تلـك الألبسـة والأغطيـة التـي تسـبب الاختنـاق والحكـة واحيانـاً الطفـح الجلـدي. ولكـن الأزواج وأمهـم وأولادهـم يراقبـون التزامهـن، وإذا مـا تهـاونَّ أو خالفـن يحذرونهـن ويعاقبونهـن بالصيـاح والتهديـد والـضرب.

ليـس الرجـال فقـط، مـن يراقبـون لباسـهن في البيـت، بـل السـلفات يفعلـن ذلـك فيـما بينهـن، إذ أنهن يخشـين أن ينظـر أزواجهـن إلى زوجـات إخوتهـم. كذلـك يشـعرن بأنـه إذا مـا قـصّرت إحداهـن في الالتـزام باللبـاس المفـترض، فقـد يكـون لديهـا نيـة لإغـراء أحـد أزواجهـن (حماهـا). لذلـك ينهرنهـا أو يلجـأن إلى زوجهـا مـن أجـل أن يؤدبهـا لضـمان عـدم تكـرار إهمالهـا أو تقصيرهـا في الحجـاب الكامـل. وهـو مـا حصـل مـع سـجى التـي قالـت سـاخرة "سـلفاتي يغـارن عـلى ازواجهـن ويدققـن بحجـابي ولبـسي المسـتور بالبيـت أكـثر مـن المفتشـات بالزيـارة".

أغلب الأسر العراقية الآن تفرض الحجاب الكامل على النساء أمام كل الأقارب من غير المحارم.

لم يكـن الأمـر هكـذا قبـل ٢٠ عامـاً عـلى الأقـل، وربمـا كان موجـوداً ولكـن غـير شـائع. فقـد تغـيّر الحـال بعـد الأسـلمة الثانيـة(٤) بعـد عـام ٢٠٠٣، إذ صـارت التوجيهـات والضوابـط حـول النسـاء تنـشر مـن المنابـر في الحـوزات والجوامـع والحسـينيات النسـائية والرجاليـة، وفي الأعـوام الأخـيرة عـبر مواقـع التواصـل الاجتماعـي.

أتذكـر أني حـضرت ليلـة الحجـة (ليلـة العـاشر) مـن محـرم عـام ٢٠١٤، كانـت الملايـة تقـدم للنسـاء محـاضرة عـن الحجـاب الكامـل وتحذرهـن مـن إثـم الانكشـاف حتـى عـلى الولـد الصغـير، حتـى أمـام ابـن العـم والخـال والأحـماء والأصهـار وبقيـة الأقـارب، وعـلى إثـره وجـب علينـا أيضـاً ارتـداء الجـوارب السـوداء أمامهـم، ومـن ترتـدي جـوارب شـفافة "لحميـة" سـوف تـؤذي الإمـام المهـدي لأن سـهما سـيخترق قلبـه. "سـوف تؤذيـن أمـام زمانـك!!". قالـت "تحمـلي تلبسـيهن بالصيـف حتـى لـو بشـهر آب اللهـاب، لأن راح يكـون أجـرك أكـبر".
يحـرض رجـال الديـن و المراجـع عـلى تقييـد ملابـس النسـاء في البيـوت بهـدف السـتر والتحجـب.

ويشكل هذا على أغلبهن ضغطا نفسيا وجسديا، فوصفت أم زهراء حالتها "بالابتلاء" لان ليس لها في ذلك حيلة، فهي تشعر مع سلفاتها بالخوف من التقصير في أداء فريضة ارتداء الحجاب الكامل حتى لو كان دون قصد منهن لأن أغلب هؤلاء النساء المعذبات مؤمنات، وأيضاً الخوف من عقاب الأزواج وغضب "العمة" (والدة الزوج)، فتقول: "نتحمل نار الدنيا، الحجاب والثخين(٥) ويه العيال بالصيف، ولا نار الآخرة".
أن تعاليم الدين وتحريض رجاله وتعامل العوائل تنبهنا إلى أمر مهم يرتبط بتعامل المجتمع مع حالات العنف الجنسي ضد النساء. فمن الشائع حينما تتعرض النساء للمضايقة والتحرش في الأماكن العامة، يُلقى اللوم دوما عليهن، "بسبب ملابسهن".
لكن وجدت أن الأمر ذاته يحصل مع النساء اللاتي يتعرضن إلى العنف الجنسي في البيت، خصوصاً بعد أن كُشف الستار عن حالات اغتصاب وتحرش المحارم والأقارب.

وفي النظام الأبوي العائلي، يعتبر شائعاً اعتبار المرأة مصدرا للإغواء ومسببا للفساد. فتلام الزوجة حينما يتحرش بها حماها أو ابنه. وتلام الفتاة حينما يتحرش بها أحد رجال العائلة (أخوها، أبوها، جدها، خالها، أو عمها، وأولادهما) لكونها لم تلتزم بلباس مستور أو حجاب كامل في البيت لهذا فهي تعد خاطئة وقد أغرتهم. ويتعدّى الأمر إلى لومهن وانتقادهن على طريقة جلوسهن وحركاتهن التي ربما فتنتهم.

الاستقلالية ليست بالحسبان!

كل ما تحلم به أم زهراء هو أن يخرج بها زوجها من بيت أهله إلى بيت مستقل لتستريح وترتدي ما يلائم حر الصيف دون أن تغطي جميع جسدها. لكن زوجها لا يرغب بالخروج رغم أن باستطاعته إيجار أو شراء بيت يناسبهم.
من الشائع في العراق أن يتزوج الرجال ويسكنون مع زوجاتهم في بيوت أهلهم. أبرز الأسباب لذلك هو الوضع المادي الذي يمنعهم من شراء أو تأجير منازل منفصلة، فيقضون السنوات معهم وتختلف مدة السكن حسب الرجال وأهاليهم.

ولكن هناك أيضاً العادة العائلية والعشائرية التي تفرض على الأبناء وزوجاتهم البقاء في بيوت أهاليهم مع زوجاتهم.
فغالباً لا يجد أولئك الرجال مشكلة لأنهم يرون أن طبيعة السكن الاستغلالية تلك، ستخفف عليهم تحمل المسؤولية الكاملة وتجنبهم رهاب الاستقلال الذين يكونون غير مستعدين له بسبب التنشئة الأبوية المهيمنة التي تركز على التبعية العائلية، دون حساب لكون زوجاتهم يفقدن استقلاليتهن وراحتهن في بيوت العيال.

"ما يرضى يطلع، ما يفارك أهله، بعده ما مفطوم من حليب امه"، تحاول أم زهراء تفسير

السـبب وراء امتنـاع زوجهـا عـن الاسـتقلال في بيـت خـاص.

هل يرتحن في بيوت أسرهن؟

اسـتطاعت جنـات أن تتحـرر مـن تغطيـة شـعرها في بيـت العيـال بعـد عـشر سـنوات بعـد أن اشـترى والدهـا بيتـاً لهـم. والمحـزن في الأمـر هـو أنهـا لم تحصـل حتـى الآن ولـو عـلى غرفـة مشـتركة مـع أخواتهـا الأصغـر.
بيـد أن تقييداً مـن نـوع آخـر يفـرض عـلى الفتيـات الـلاتي يسـكن في بيـت أسرهـن (وليـس في بيـوت العيـال)، حيـث يفـرض تقييـد عـلى نـوع الملابـس البيتيـة، فتجـبر البنـات عـلى ارتـداء ملابـس لا يجدنهـا مريحـة في الصيـف مـن أجـل أن يكـن مسـتورات. مثـلاً، يمنعـن مـن ملابـس "ربـع" و"نصـف الكـم" أو ثـوب طولـه "ثلاثـة أربـاع" أو البيجامـا، ويفـرض عليهـن ارتـداء أثـواب طويلـة وعريضـة سـميكة وتحتهـا بطانـة أو قطعـة داخليـة طويلـة (آتـك) وبـدي بأكـمام.

"مـا اكـدر البـس الـلي بنفـسي بالبيـت، لان أبـوي وإخـواني يشـوفوني، لان عيـب. هيـج أمـي تكـولي مـن اول مـا بلغـت. وابـوي نفـس أمـي مـن يشـوفني لابسـه شي مـو عـلى مرامـه يكـولي نزعـي ملابـس السـاقطات، وضربنـي كـم مـرة"، قالـت شـهد (١٦ عامـاً)، وهـي طالبـة ثانويـة.

أخـذ إخـوة شـهد يحاسـبونها كـما والدهـا ويغضبـون ويتجـرؤون عـلى ضربهـا حينـما يرونهـا بملابـس بيتيـة غـير مقبولـة عليهـم. وتكمـل شـهد: "سـمعت أمـي وابـوي يحجـون عليـه يكولـون تسـتاهل هـي متعمـدة هيـج تلبـس الظاهـر تسـوي إغـراءات".

قدرتهن على العقارب

كان ولا يـزال شـائعاً النـوم فـوق السـطح نظـراً لعـدم توفـر الكهربـاء وبسـبب الوضـع المـادي السـيئ لتلـك الأسر والعوائـل. لكـن في السـنوات الاخـيرة مـع ارتفـاع السـعار الإسـلامي بعـزل وتحجيـب النسـاء أصبحـت هـذه العـادة لا تشـمل النسـاء في بيـوت العيـال إلا لـو توفـر شرط العـزل. وهـو أن يقسـم السـطح إلى أسر تعزلهـم عـن بعـض حواجـز مـن المـلاءات المعلقـة عـلى الحبـال والمثبتـة مـن الأسـفل بالطابـوق. وبخـلاف ذلـك يجـدر بالسـلفات وبناتهـن البالغـات النـوم داخـل البيـت. ويكـون الوضـع صعبـاً عليهـن، خصوصـاً إذ كانـت البيـوت غـير ذات تهويـة أو كانـت قديمـة أو مـن البلـوك وأجـزاء مـن الصفيـح، حيـث تخـرج عليهـن الحـشرات والعقـارب في داخـل البيـت. فعليهـن قتـل العقـرب ومـن ثـم حرقـه في مكانـه حتـى تشـم رائحتـه بقيـة العقـارب المختبئـة فتخـاف الخـروج(٦).

إلى أين إذن تذهب النساء في الصيف؟
جميع الأسماء في المقال مستعارة

١- العيال (أَهْلُ بَيْتِ الرَّجُلِ): عائلة الرجل الممتدة، حيث يعيش الأجداد والأعمام وزوجاتهم وأبنائهم والعمات وأبنائهن إذ كن أرامل أو مطلقات وأقارب آخرين في بيت واحد.
٢- يُقصد بالحجاب الكامل غطاء الرأس والجوارب والمعاصم والملابس السميكة والعباية (الصاية) وكل ما يغطي المرأة.
٣- الصاية: تختلف عن عباية الرأس وتشبه قليلا العباية الخليجية.
٤- الاسلمة الثانية: التي قامت بها الاحزاب الاسلامية والعتبات بعد الاحتلال الامريكي والتي مازلت مستمرة الى الان. وقبلها كانت الاسلمة الاولى التي قام بها صدام حسين والتي تمثلت بالحملة الايمانية في التسعينات.
٥- الضخين: السميك
٦- عادة قديمة مازلت الجنوبيات الفقيرات يقمن بها.

«إحنا اِنربي قبل ما إنعلّم».. عن ضحايا منظومة العنف التربويّ

ان إ.م .بلدي

نشر هذا النص في الأصل على موقع جمار الصحفي، بتاريخ 05 تشرين الأول 2023
بالعنوان نفسه، ويمكن العودة إلى المقال على الرابط التالي:
www.jummar.media/4260
وقد أعيد نشر النص بإذن من موقع جمار والكاتبة.

تضبط المنظومة التعليمية العراقية المجتمع عوضاً عن تركيزها على إشاعة المعرفة.. ففي الأوّل الابتدائي، كُنتُ أسمع كل يوم خميس جملة مدير مدرستنا كل صباح، «أحنا هنا عدنا التربية قبل التعليم»، ثم ينهال علينا بالاحتقار والازدراء والإهانات والشتائم.. عن ضحايا منظومة العنف التربويّ في العراق.

أطفال معذبون، مُربّطون، عليهم كدمات، لديهم جروح. يبكون ويصرخون، يطلبون النجدة، هؤلاء وأكثر يظهرون بشكل عشوائي داخل دوامة تقليب "الريلز Reels" على تطبيق إنستغرام.

بعض هذا العنف يأتي بدوافع الشرّ، مثل مقتل الطفل موسى على يدّ زوجة أبيه، ومقتل الطفل حسين بعد أن ضرب المعلم رأسه عام ٢٠١٨، وبعض العنف يُستعمل كأداة إخضاع وتعذيب؛ والنوعان شائعان.

عُنف منتشر

يتعرّض ٤ من أصل ٥ أطفال للعنف المنزلي في العراق، بحسب إحصائية صادرة عن الجهاز

المركزي للإحصاء عام ٢٠١٨، بينما لا توجد إحصائية تخصّ العنف التربوي، وخاصة الذي يحصل في المدارس، على الرغم من شيوعه.

يتّخذ العنف على الأطفال، شكلاً انفعالياً، والحال نفسها تنطبق على فئات أخرى مثل النساء ومجتمع الميم عين أو بعض الأقليات، حيث تعيش في أجواء الإكراه والقسر والخضوع، والعلاقات العامودية بين الآمر والمأمور، الكبير والصغير، والقوي والضعيف.

والحال هذه، تشيع بين الأسر العربية، والعراقية خاصة، سلطة أبوية صارمة، تعتمد قهر الأبناء أسلوباً في التربية. تتمثل الأسرة في مبدأ الطاعة، إذ يجب على الأصغر أو الأدنى مرتبة طاعة الأكبر منه، لتتشكّل علاقة عامودية بين الآباء والأبناء بالإكراه، يُستخدم فيها التسلط والعنف واستعمال القوة والقهر.

يفرض الآباء على أبنائهم أنماطاً وسلوكيات مثل التحكم في حركتهم وانفعالاتهم، وعدم السماح لهم بالاعتراض أو إبداء الرأي. ليتعلم الطفل من خلال هذه الممارسات كبح نفسه تجاه سلطة الأب، لتنتهي التنشئة بإخضاع الفرد/ الطفل بشعوره بالهزيمة، بعد أن بدأت رحلته بالترهيب.

من العائلة إلى المؤسسات الاجتماعية

يُمارس الأبوان العنف لإخضاع الأطفال والأبناء للأفكار السائدة التي يُسائلونها، وهو ما يخدم المؤسسات الاجتماعية التي تلبي احتياجات الأسرة بدورها، فتقوم الأنظمة التربوية بتكريس سلطوية النظام الأبوي الذي يضمن بقاءها في السلطة من خلال التعليم أو الأنشطة التي تُمارس داخل المؤسسة التربوية.

البداية في العقاب السلطوي: الضرب، الركل، حلق الرأس، إلى حملات التحجيب القسرية، والتي افتضحت عند اعتماد المدارس على الدراسة عن بعد لنصف الأسبوع، والنصف الآخر حضورياً. ظهرت طالبات كثيرات بلا حجاب على شاشات الحواسيب، بينما أُجبرن على ارتدائه في المدرسة.

تضبط المنظومة التعليمية العراقية المجتمع، عوضاً عن تركيزها على إشاعة المعرفة.

ففي الأوّل الابتدائي، وكل خميس، كُنتُ أسمع جملة مدير مدرستنا كل صباح، "أحنا هنا عدنا التربية قبل التعليم"، ثم ينهال علينا بالاحتقار والازدراء والإهانات والشتائم.

يُحمّل مسؤولون عراقيون الطلبة مسؤولية ارتفاع العنف ضدّهم، لأنّهم "يقومون بتصرّفات غير

مقبولة، كعدم جلب الكتب إلى المدرسة، وإهمالهم دروسهم لانشغالهم بالألعاب الالكترونية أو بمواقع التواصل الاجتماعي التي أخذت جلّ وقتهم"، وفق تعبير عضو مجلس محافظة سابق.

إعادة إنتاج العنف

الحال هذه، تعيد الأنظمة التربوية إنتاج السلطة الأبوية، بإعادة إنشاء علاقات القوة والسيطرة والخضوع. بمعنى أن المدرسة تقوم بالحفاظ على نسق العلاقات بين المعلمين وتلاميذهم داخل المدرسة مثل علاقة الآباء والأبناء داخل الأسرة، لتقوم بذلك بتجسيد صورة حيّة لنسق العلاقات الاجتماعية بين القاهر والمقهور.

"إحدى فقرات نظام المدارس الابتدائية رقم ٣٠ لسنة ١٩٧٨ منعت العنف بجميع أنواعه، لكن بسبب الأمور التي دخلت على المجتمع في السنوات الاخيرة كالإنترنت وإهمال بعض أولياء الأمور لأبنائهم، حصلت بعض السلوكيات الخاطئة والتي أثرت في المدرسة بشكل أو آخر"، تشرح مديرة مديرية التعليم العام في وزارة التربية العنف وتشابكه بين العائلة والأنظمة التربوية.

سلطة المنظمة الابوية

بالسلطة التي تمنحها لهم المنظومة الأبوية، يسمح المعلمون لأنفسهم باستعمال أساليب العنف التي سبق وأن مورست داخل الأسرة، وأحياناً الإيغال فيها. فالعنف لا يعيد إنتاج نفسه سهواً، بل هو طريقة لبناء العلاقة التقليدية بين المعلم والطالب، وهو أيضاً الطريقة التقليدية للتدريس، والمُمارسة في أغلب مدارس العراق الحكومية منها والخاصة.

يقوم التعليم في العراق، غالباً، على التلقين والحفظ وتكرار ما حُفظ، فتتحول العملية التدريسية إلى عملية تلقٍ وتخزين دون وعي بالمعنى، ومن خلال طريقة التدريس التقليدية، المعتمدة على التلقين والإصغاء، تحافظ المنظومة على استعمال العنف.

"طبك مرض منو أنتَ، شمدريني أني بيك؟" الفيديو الشهير والذي تحول إلى ميمز لاحقاً لمحمد السيد محسن الكاتب والإعلامي، خلال رصده لعمليات الفساد التي طالت المناهج التعليمية ضمن الفساد الموجود في وزارة التربية وجاء هذا الرد الاستخفافي على مسألة لحاصل الضرب الديكارتي في كتاب الرياضيات للصف الثاني الابتدائي عام ٢٠١٧. وفي رسالةٍ كانت موجّهة من معلم إلى وزارة التربية عرضت في البرنامج، تساءل "كيف لكم أن تضعوا لأطفال بعمر الثماني سنوات ألغازاً يصعب على بعض الكبار حلها؟".

بعدها بعامين، وعلى الهواء، فشل أمير عبد المجيد، مديرٌ عام في مناهج التربية، في التوصل إلى حل مسألة حاصل الضرب الديكارتي، وقال إن الكبار صعب عليها فهمها، لكن الطلاب يمكنهم فهمها.

مثل هذه المواد، تحتاج إلى حفظ وتلقين، ولكنها تبقى صعبة، فيجري فرضها بأساليب عقابية.

تمييز في المدرسة

عام ٢٠٢٢، تعرض ع.م (١٢ عاماً) للتنكيل من المدرسين، والضرب حتّى كسر العظم من أحد الطلبة، لكنه، رغم ذلك، لم يحصل على مُساعدة تذكر.

هاجرت عائلة ع.م من الأهوار إلى بغداد، لتواجه فصولاً من التمييز بسبب خلفيّتهم الريفية، ليكونوا حلقة ضعيفة، في حلقات المجتمع متفاوتة القوة.

"مرات يحاولون ينقلون أو يفصلون أطفال من خلفيات مهاجرة على المدينة، أو من خلفيات اقتصادية مهمشة"، يروي ر.م الأخ الأكبر، (٢٢ عاماً)، ما توصّل إليه بعد أن تعرّض شقيقه للتمييز والإهمال.

"جم مرة يضربوه المعلمين.. ومرة طالب كسر ايده..".

حاول، ر.م الإبلاغ عن الضرب والشتائم والإهانات التي يتلقاها شقيقه من المعلمين، "على جم مرة انه اروحن احاجي الإدارة ما يفيد".

تعرّض ع.م للضرب على يد أحد زملائه، وكسرت يده عندما اشتد العنف عليه، لكن المدرسة لم تقم بأي إجراء، حتى بعد أن اشتكى أهله لمرات متكررة.

"المعلمين يطكون (يضربون) من واحد موزين بالدرس أو يحجي أو يرسب الخ.. و(يضربون) وعلى أتفه الأسباب".
لا توجد إحصائية واضحة ودقيقة لدى وزارة التربية بما يخص موضوع العنف بجميع أشكاله داخل المدارس، بحسب كريم السيد، المتحدث باسم وزارة التربية.

"قد لا تكون هناك إحصائيات واضحة ودقيقة بهذا الجانب، لكن كميات اللجان التي تُشكل هي بالمئات في المديريات العامة للتربية وفي الوزارة تتعلق بموضوعة العنف تحديداً"، قال

السـيد.

"بالنهايـة تكـون التوصيـات والمقترحـات الخاصـة بهـذه اللجـان هـي ضرورة إبعـاد المدرسـة عـن العنـف واتخـاذ مـا يمكـن اتخـاذه لإبعـاد العنـف مـن خـلال المرشـد التربـوي أو مـن خـلال إدارة المدرسـة".

عنف العائلة داخل المدرسة

يـضرب الآبـاء أبناءهـم أيضـاً لأتفـه الأسـباب، وقـد شـاهدت غ.ر وهـي مدرسـة لغـة انجليزيـة في إعداديـة للبنـات في بابـل عـام ٢٠١٦ عنـف الأهـل عـلى الابـن، والـذي يحملـه معـه إلى المدرسـة، ليظهـر في دروسـه وعلاقـات بمدرسـيه وزملائـه.

أخذ لون إحدى طالبتها يتغيّر إلى الأصفر، وأخذت تُكثِر في شرودها، ودرجاتها صارت تتراجع.

"لم يحتـج منـي الأمـر أكـثر مـن سـؤال واحـد عـن أسـباب تدهـور مسـتواها العلمـي لأعـرف أن والدتها تقـوم بضربهـا كلـما قـصرت في واجبـات المنـزل مـن طبـخ وتنظيـف، وأن أيـام الوالـدة ومزاجهـا السـيئ مسـتمرة حتـى أنهـا بـدأت في اقتـلاع شـعرها كنـوع مـن العقـاب الجسـدي كي تتذكـر أن تقـوم بواجبـات المنـزل بشـكل جيـد".

بعـد حديثهـا إلى الطالبـة، حولـتِ المُدَرِّسـة الفتـاة المعنفـة إلى المرشـدة النفسـية. "رغـم علمـي أن المدرسـة لـن تقـوم بـأي شيء فـلا قانـون يحمـي تلـك المسـكينة مـن ضرب الأهـل، ولا مجتمـع يمكـن لـه أن يعـي مخاطـر هـذا النـوع مـن التعامـل".

لم تأخـذ المدرسـة أي أجـراء "لأن ماكـو قانـون" بحسـب تعبـير غ.ر لكنهـا علمـت لاحقـاً مـن الفتـاة ذاتهـا أنهـا أنهـت دراسـتها الجامعيـة بعـد أن اكتشـف والدهـا تعنيـف أمهـا وأخوتهـا لهـا وأخذهـا للعيـش عنـده.

يؤكـد كريـم السـيد أن "إدارة المدرسـة ملزمـة بأخـذ إجـراءات للحـد مـن العنـف". يشـمل ذلـك إذا كان العنـف مـن الطلبـة تجـاه المعلمـين والعكـس، ومـن أسر الطلبـة تجـاه أبنائهـم أو بـين الطلبـة أنفسـهم، وفي حـال تعـرض طفـل للعنـف مـن عائلتـه فـإن "الإدارة المدرسـية لديهـا صلاحيـات كثـيرة في هـذا الجانـب، يمكـن الاتصـال بالقـوات الأمنيـة، وبالإمـكان الاتصـال بأقـرب مركـز شرطـة".

ووفـق السـيّد، فـإن الـوزارة لديهـا برامـج مـع منظـمات دوليـة وجهـات مثـل وزارة الداخليـة والشرطـة

المجتمعية لإقامة دورات وورش تحدّ من العنف.

لكن أحداثاً عدة في الأعوام الأخيرة أثبتت أن المدارس لا تعمل على مراقبة حالة الطلبة، والطفل موسى، الذي قتل على يد زوجة والده، كان ضحيّة العنف الشائع. فقد ذهب موسى إلى المدرسة وآثار التعذيب واضحة على وجهه وجسده، إلا أن أحداً لم يتحرّك لإنقاذه.

وقد أظهرت دراسة لأستاذة في جامعة المستنصرية لفهم العنف، وشملت ٣٢٠ طفلاً ما بين الفئات العمرية ٨-١٦، أن نحو ٢٢٥ من هؤلاء الأطفال شاهدوا عنفاً في الشارع، وتعرض نحو نصفهم إلى العنف داخل المدرسة، كما تعرض نحو ثلثهم إلى العنف المنزلي.

وبحسب الدراسة، فإن اسباب العنف هي نتاج المشكلات العائلية، الخلافات بين الأقارب، والحالة المادية للأسرة، والعقاب التأديبي، كما أن العنف لم يقتصر على الأطفال من ذويهم فقط، فقد شارك أصدقاء العائلة وأقاربها في استخدامه.

الحال هذه، تتوسع دورة العنف لتصبح حالة من القهر الاجتماعي، وتنتشر في أغلب مفاصل الدورة اليومية لحياة الناس. إذ يفرغ الأفراد شحنات الغضب على الأفراد الأقل قوة منهم، وغالباً ما يقع الأطفال أو الأبناء والزوجات ضحايا لهذا العنف، بمعنى أن القهر التربوي الممارس على أفراد العائلة أو الأضعف، يعود بدرجة كبيرة إلى القهر الاجتماعي السائد، وأن هذه الاضطرابات النفسية العامة التي يعاني منها أرباب الأسر تتحول تدريجياً إلى إرهاب تربوي ناتج من ضغط اجتماعي، اقتصادي عام وأدوار اجتماعية ساهمت بشكل أو بآخر بزيادة الضغط الناتج من تحويل المسؤولية على فرد واحد في الأسرة.

قانون مناهضة العنف الأسري: رحلة خذلان المُعنفات والمعنفين في العراق

بان ليلى

نشر هذا النص في الأصل على موقع جمار الصحفي، بتاريخ 11 أيار 2023
بالعنوان نفسه، ويمكن العودة إلى المقال على الرابط التالي:
www.jummar.media/3436
وقد أعيد نشر النص بإذن من موقع جمار والكاتبة.

مـشروع قانـون مناهضـة العنـف الأسري بشـكله الحـالي لا يمكـن أن يكـون رادعـاً لعنـف مسـنود اجتماعيـاً ودينيـاً وسـلطة عشـائرية فـوق القانـون.. رحلـة تعطيـل قانـون ينقـذ المعنفـات والمعنفـين ويحفـظ الأرواح، لكنـه يُجابـه بمعارضـة شـديدة وبعـدم نقـاش واسـع...

يسـجّل العـالم مقتـل خمـس نسـاء كل سـاعة عـلى يـد أحـد أفـراد العائلـة، بحسـب الأمـم المتحـدة. ولا توجـد إحصائيـات دقيقـة تخـصّ العنـف الجسـدي والنفـسي الـذي تتعـرّض لـه النسـاء والأطفـال وأحيانـاً حتّـى الرجـال في العـراق، رغـم تناقـل وسـائل لعـدّة أحـداث يوميـاً تخـص هـذه الظاهـرة.

لكـن، وحتّـى مـع ارتفـاع أعـداد المعنفّـات والمعنفـين أُسريـاً، فـإن لا قانـون يضمـن حمايـة هـؤلاء، بـل أحيانـاً يقـف القانـون ضدّهـم، ويبيـح لمعنّفيهـم الاسـتمرار في إيذائهـم جسـدياً ونفسـياً.

عنف بأشكال عدّة

يأخـذ العنـف في العـراق، اجتماعيـاً وقانونيـاً، أشـكالاً عـدّة، وتُفـرّغ الأفعـال الوحشـية مـن أذاهـا. يُسـمِّي المجتمـع فِعـل العنـف "تأديبـاً"، أو هـو فِعـلٌ مـؤداه الـردع، أو الذهـاب أبعـد إلى إجبـار المُعنَّـف عـلى عـدم تكـرار فعلتـه أو فكرتـه -التـي هـي حـقّ لـه- نتيجـة للعنـف الـذي تلقـاه.

وفّرت منصات التواصل الاجتماعي مجالاً يُمكِنُ للنساء من خلاله طلب المساعدة، أو إقامة حملات للحصول على حقوقهن. وهكذا، بدأت قضايا العُنف تظهر إلى السطح، بعد أن كانت حبيسة جدران المنازل.
كما باتت هذه المنصات مساحة للمعنفات لنقل معاناتهن، وتحوّل قضايا العنف ضد النساء من خلال التفاعل معها وإدانتها إلى قضية رأي عام بعد أن كانت تعتبر جزءاً من أسرار العائلة الواجب عدم مشاركتها مع الآخرين. ونتيجة هذا الضغط الشعبي، إضافة الى تقدّم الوعي بشكل ملحوظ، ظهر تغيّر في نظر المجتمع إلى العنف المنزلي.

صار ملاحظاً من التفاعل مع الحملات المناهضة للعنف ضد المرأة، أن مصطلحي "تأديب" أو "تربية" لم يعودا مقبولين مثلما كانا من قبل لوصف فعل العنف الواقع على الأفراد.

بيد أنه وعلى الرغم من تحوّل قطاع اجتماعي واسع مناهض للعنف، إلا أنه لا أساس قانوني يمكن من خلاله حماية المُعنّفة وتوفير المتطلبّات الأساسية لها للخروج من الصدمات النفسيّة والجسديّة التي تعانيها.

تقف المعنّفة وحيدة ومخذولة، وأحياناً مُدانة رغم أنها ضحيّة.

ومع ذلك، يبقى الإيمان بالعنف كفعل تأديبي جزءاً من ثقافة اجتماعية سائدة، ويزيد إباحته قانوناً، من استخدامه. فالقوانين في العراق، ما خلا إقليم كردستان، لا تحمي من يتعرضون العنف للأسري.
على سبيل المثال، تُبيح المادة ٤١ من قانون العقوبات العراقي للعام ١٩٦٩ تأديب الزوج لزوجته، وتأديب الآباء والمعلمين ومن في حكمهم القصر، عرفاً أو قانوناً، بحدود ما هو مقرر شرعاً.
وتعكس المادة ٤٠٩١ هذا التماهي بين القانون والثقافة التي تبيح للرجل أن يقتل زوجته أو ابنته أو أن يسبب لها عاهة مستديمة، نتيجة لما يُدعى بالذود عن الشرف.

يمنح القضاء لمرتكبي هذه الجرائم أحكاماً مُخففّة مسبقاً.

"العنف الصامت الذي يمارس ضد النساء والفتيات والأطفال خلف أبواب بيوت الأُسر العراقية يمثل أقسى انتهاكات حقوق الإنسان في العراق"، قال رحيم العكيلي، القاضي ورئيس هيئة النزاهة السابق.

مجتمع يتحرّك

واقـع الحـال، يُحسـب للمجتمـع المـدني العراقـي تنبّهـه إلى غيـاب قانـون مناهضـة العنـف الأسري مُبكـراً، إذ دفعـت بعـض المنظـمات المهتمـة بقضايـا العنـف ضـد المـرأة بكتابـة مـا يسـمى مسّـودة "قانـون مناهضـة العنـف الأسري"، وهـي مبـادرة تعـود إلى عـام ٢٠١٠.

ثـم قامـت رئاسـة الجمهوريـة بالعمـل عـلى مسـودة للقانـون عـام ٢٠١٧ مُهملـةً مسـودة المنظـمات المدنيّـة، وشـاركت الأخـيرة في النقاشـات الأوليـة عـلى مسـودة الرئاسـة، عـلى أمـل أن تمـرر. وأرسـلته عـام ٢٠١٩ إلى البرلمـان.
منظـمات المجتمـع المـدني، التـي داعـت طويـلاً بإقـرار القانـون وتطوّعـت لكتابتـه، أبـدت ليونـة عـلى التغيـرات. "كمنظـمات لم تكـن لدينـا مشـكلة طالمـا هنـاك قانـون أفضـل مـن أن نبقـى بـلا قانـون"، حسـب الناشـطة النسـوية هنـاء حمـود.
في عـام ٢٠٢٠ شرعـت الحكومـة بالعمـل عـلى مسـودة جديـدة مـن القانـون، واسـتمرت عمليّـة كتابتهـا بعـد تشـكيل اللجنـة الوطنيـة لقانـون مناهضـة العنـف، واحتـوت عـلى ضمانـات كثـيرة للمعنفـات والمعنفـين، لأنهـا تركـزت عـلى تأهيـل ووقايـة وملاحقـة مرتكبـي الجـرم.
عملـت حمـود رئيسـة لمنظمـة النجـدة الشـعبية، وهـي أحـد أعضـاء اللجنـة الوطنيـة لكتابـة قانـون مناهضـة العنـف الأسري.

"حرصنا على وجود أساسيات حول هذه المسودة وأهمها ملاحقة الجناة وتوفير الملاذ الآمن".

تعـد هـذه المسـودة الأقـوى لأنهـا خرجـت مـن جهـة متنفـذة وبنـاء عـلى طلـب وزارات عـدة، مثـل العـدل والعمـل والداخليـة. لقـد طالبـت هـذه الـوزارات بإقـرار القانـون لأنهـا عـلى تمـاس مـع مشـاكل العنـف الاسري، لكنهـا بـلا غطـاء قانـوني لتقديـم المسـاعدة. كـما أن هنـاك دوائـر يـكاد وجودهـا أن يكـون معدومـاً، لأنهـا ترتبـط بالأسـاس بإقـرار قانـون مناهضـة العنـف الأسري.

في وزارة الداخليـة، هنـاك دائـرة تُسـمّى بـ"حمايـة الأسرة والطفـل"، وجودهـا وتنظيمهـا قائـم عـلى تشريـع القانـون.
"أصبحـت هنالـك مسـودتان مـن جهتـين تنفيذيتـين"، تقـول حمـود، إضافـة إلى المسـودّة التـي وضعتها المنظـمات المدنية.
تنازلـت منظـمات المجتمـع المـدني عـن مسـوّدتها، وفكّـرت بدمـج مسـودّتي رئاسـة الجمهوريـة ورئاسـة الـوزراء في مسـودة قانـون واحـد ليُقـر في البرلمـان.

بقيت المُسوّدات في كل دورة برلمانية تنتظر القراءة، لكنها لم تحظ باهتمام النوّاب.

عـام ٢٠١٩ طرحـت مسـوّدة قانـون مناهضـة العنـف الأسري للنقـاش، بيـد أن انشـغال الحكومـة والبرلمـان والشـارع العراقـي بتظاهـرات تشريـن الأوّل، ركـن المسـودة مـرة أخـرى.

وسرعـان مـا أعـاد حـرق مـلاك حيـدر الزبيـدي عـلى يـد زوجهـا في نيسـان عـام ٢٠٢٠، أعـاد الحديـث عـلى مواقـع التواصـل الاجتماعـي إلى ضرورة إقـرار قانـون الحمايـة مـن العنـف الأسري.

الحكومـة بدورهـا سـارعت إلى المسـودة التـي كتبتهـا وأرسـلتها الى البرلمـان لقراءتـه، لكنهـا جوبهـت بمعارضـة مـن الأحـزاب الشـيعية بذريعـة مخالفـة بعـض بنودهـا للـشرع والعـرف الاجتماعـي السـائد وأهمهـا:

لأن القانون يلغي حق التأديب كما مبين في المادة ٤١.
أن تصبح المشاكل العائلية "الخاصة" عامة ممكن أن يتدخل فيها القانون.
كـون الدسـتور العراقـي مسـتمداً مـن الشريعـة، وأن هنـاك بعـض المـواد القانونيـة تتعـارض مـع الدسـتور، وبالتـالي تتعـارض مـع الشريعـة.
قانون غربي وأجندات خارجية لتدمير الأسر العراقية.
في كانـون الثـاني مـن العـام الحـالي، جـرى الحديـث عـن إقـرار القانـون، وعـادت الاعتراضـات نفسـها، ونـسي مـرّة جديـدة.

لا يبـدو مُسـتغرباً، والحـال هـذه، أن ترفـض هـذه الأحـزاب (عـلى رأسـها حزبـا الدعـوة والفضيلـة) قانونـاً يُمكنـه الحـدّ مـن العنـف الأسري.. لأنهـا ببسـاطة تحـاول منـذ أعـوام إقـرار قانـون يجيـز تزويـج الفتيـات بعمـر التاسـعة، ويقيِّـد المـرأة في مسـائل المـيراث والطـلاق وغيرهـا، كـما أنـه يهـوّن مـن إجـراءات تعـدد الزوجـات للرجـل.

هل القانون فعلاً يناهض العنف الأسري في العراق؟

بالنسـبة للسـاعين إلى إقـرار قانـون لمناهضـة العنـف الأسري، كانـت مسـودتا رئاسـة الجمهوريـة والـوزراء بمثابـة الأمـل لإيقـاف موجـات تعنيـف وقتـل النسـاء والأطفـال وبعـض الرجـال.

لكن هل تردّع المسّودتان وتحدان من العنف المُتصاعد؟ هل حظيتا بنقاش اجتماعي موسّع؟

وطالما أن القانون لم يقرّ بعد، فإن فتح الحوار بشأن إقراره ضرورة مُلحة.

في العراق، تعدّ عملية تعديل قانون أصعب حتّى من إقراره.

بتعبير رحيم العكيلي، القاضي السابق والداعم للحقوق المدنيّة، فإن مسودتي مشروع قانون مناهضة أو مكافحة العنف الاسري "أقل من الطموح".
"ليست بمستوى حجم الظلم الذي يمثله العنف المسلط على النساء والأطفال".

المسودتان، وفق العكيلي، لم تتضمنا تجريماً للعنف الأسري كجريمة عامة تشمل عددا كبيرا جداً من الممارسات والأفعال التي تنتهك حقوق النساء والاطفال كبشر، بل اكتفتا بإيراد الجرائم المنصوص عليها في قانون العقوبات.

هذا يعني، إن مسودتي القانون لا تضيفان أيٌّ أفعال جديدة مرتبطة بالعنف الأُسري سوى ما جرمه المشرع العراقي في قانون العقوبات لعام ١٩٦٩.

تتضمن المسوّدتان أيضاً إشكالاً أساسياً في التعريفات واللجوء إلى المفاهيم الفضفاضة في القانون، والتي تجعل من السهل التلاعب بالمفاهيم والتحايل على القانون لإنقاذ المُعنِّف.
فعلى عكس قوانين بلدان المنطقة أو دول العالم التي أخذت تُفصِّل العنف بالأمثلة، كما تفصل حقوق أفراد العائلة رجالاً ونساءً، فإن لا مادة قانونية في المسودتين العراقيتين تناظر العنف كفكرة تأديبية، ولا في ما يخص فكرة الملكية الخاصة التي يؤمن بها بعض الرجال تجاه الأطفال والنساء، كما لا توجد أي مادة أو إشارة إلى الحق العام للمُعنَّف. ولم يتطرق القانون للاعتداء الجنسي الذي يمارس من قبل أحد أفراد العائلة، ولا يأتي على ذكر التلاعب القانوني في ما يخص زواج القاصرات.
تناسى القانون كذلك واحدة من أكبر مشكلات العنف الأسري العالقة التي تعرف باسم "غسل العار"، والتي يمنح القانون العراقي عقوبات مخففة لمرتكبيها، الأمر الذي يشجع على استشرائها.

ترك "غسل العار" فتيات كثيرات قتيلات على يد أحد أو مجموعة من رجال العائلة.

يسجل العراق مقتل أكثر من ١٥٠ فتاة وامرأة سنوياً بـ"داعي الشرف"، وما يُعرف بـ"تلال المخطئات" في الناصرية واحدة من الأدلة العينية على الجرائم ضد النساء.

تترك أجساد النساء بعد قتلهن للذئاب والكلاب السائبة.

لكن القانون أيضاً، لم تخلُ مسوّدته التي أرسلتها الحكومة من الإيجابيات، فمجرد وجود كلمة "عنف أسري" تعد سابقة في القانون العراقي الذي لا يعترف أو يحاسب على العنف الذي يأتي من الأسرة إلا في حالات استثنائية، أو باستعمال العنف الذي يؤدي إلى العوق أو الموت.

تقـع مسـوّدة القانـون أيضـاً عـلى أحّـد الجـروح العميقـة للنسـاء، وذلـك بعـدم وجـود دور حكوميـة لإيـواء المُعنَّفـات، ومنـع المنظـمات المدنيّـة مـن إنشـاء دور خاصّـة. تلـزم المسـوّدة الجهـات التنفيذيـة بتوفـير دور إيـواء للمعنفـات / المعنفـين، وهـذه سـابقة أخـرى أيضـاً يمكـن حدوثهـا العـراق. مـع ذلـك تخلـو هـذه المـادة مـن التفاصيـل أو آليـات إيـواء النسـاء، أو مـن يشـترك في العمـل فيهـا مـن مؤسسـات صحيـة وقانونيـة وبرامـج الدعـم النفـسي.

القانون للتقويم..

واحـدة مـن أدوار القوانـين المتقدمـة هـي تقويـم السـلوكيات التـي تنتهـك حقـوق الإنسـان؛ فالقانـون يمكـن أن يتحـول إلى سـلوكٍ بمـرور الوقـت. والعنـف في العـالم مـا كان ليتراجـع لـولا تقويـم القوانـين للمجتمعـات.

كلما غاب القانون أو ضعف، كلما زاد وضع الفئات المستضعفة سوءاً.

ومـشروع قانـون مناهضـة العنـف الأسري بشـكله الحـالي، لا يمكـن أن يكـون رادعـاً لعنـف مسـنود اجتماعيـاً ودينيـاً، وسـلطة عشـائرية فـوق القانـون.

وبطبيعـة الحـال، لا يمكـن رفـض القانـون، ولكـن هـي دعـوة لتعديلـه وتقويمـه بمـا يتناسـب مـع حجـم "العنـف" الآخـذ بالتفـشّي، ويجـب النظـر إلى المسـودة، بـأي حـال، مـن زاويـة القضيـة وليـس مـن زاويـة الإنجـاز.

«يحسبون عليَّه الهوا»: أمهات مُعاقبات بين دوائر الدولة والمحاكم

زينب المشاط

نشر هذا النص في الأصل على موقع جمار الصحفي، بتاريخ04 آذار 2024
بالعنوان نفسه، ويمكن العودة إلى المقال على الرابط التالي:
www.jummar.media/5033
وقد أعيد نشر النص بإذن من موقع جمار والكاتبة.

أمهـات يتنازلـن عـن حقوقهـن، في سـبيل اسـتعادة حريتهـن، لكنهـن يواجهـن وأطفالهـن التمييـز والتعقيـد والابتـزاز.. عندمـا ذهبـت سُـها وسـهير وأصيـل وشـهد إلى دوائـر الدولـة والمحاكـم..

"طلقنـي بعـد أن اعتـبرت ناشـز، لأني مـا رحـت لبيـت الطاعـة وفـق قـرار المحكمـة، وفي ٢٠٢١ تجـردت عـن كل حقوقـي، ونشـزوني وطلقنـي غيـابي"، تقـول سـها فاضـل (٣١ عامـاً) مـن بابـل، وهـي أم لثـلاث فتيـات.

خـسرت سـها حقوقهـا كافـة، لكنهـا لم تتنـازل عـن حقـوق بناتهـا الثـلاث، اللـواتي تضمـن لهـن المـادة ٥٩ مـن قانـون الأحـوال الشـخصية للعـام ١٩٩٥ نفقتهـن لغايـة زواجهـن، أو عندمـا يبـدأن العمـل وكسـب المـال.

حكمـت المحكمـة بواجـب دفـع طليـق سـها نفقـة بقيمـة ١٢٠ ألـف دينـار لـكل بنـت، بحكـم أن زوجهـا "كاسـب"، لترتفـع بعـد سـنتين إلى ١٥٠ ألـف لـكل بنـت، حيـث تـزداد النفقـة كل عـام وفقـاً للتغيّرات الاقتصاديـة وارتفـاع الأسـعار، وتكـون قيمـة الزيـادة خاضعـة لتقييـم الخبـير القضـائي. يحـدد

الأخير قيمة النفقة بموجب الوضع المعيشي للأب إذا كان كاسباً، ووفق قيمة راتبه إذا كان موظفاً حكومياً، كما تؤخذ بعين الاعتبار الظروف التي تعيش فيها الحاضنة.

يعد المحامي محمد جمعة، الخبير القضائي "مشكلة بحدّ ذاته"، ويعطي مثلا في أن يكون راتب الأب مليون دينار عراقي، عندها ممكن أن يحكم الخبير القضائي في محكمة الكرخ نفقة للأم بقيمة ٣٠٠ ألف دينار، فيما سيحكم خبير قضائي في محكمة أخرى، مثل محكمة بغداد الجديدة، بنفقة ١٠٠ ألف دينار عراقي من هذه المليون؛ ما يعني أن قيمة النفقة تصبح "خاضعة لمزاج الخبير القضائي وليس لحاجة المرأة لها".

كيف يهرب الرجل من النفقة؟

"آخر قطعة ذهب عندي بعتها بـ٢٠٢١.. حتى ابني لا يحتاج شي.. وحتى الآن ما أعرف شي عن أبوه".

تقول سهير التي تطلقت عام ٢٠١٩ باتفاق بموجبه يدفع والد طفلها مئة دولار شهرياً، والتي كانت كافية لتغطي كل نفقاته.
أما نفقتها هي فسقطت عنها بعد الطلاق، وفقاً للمادة ٢٣ من قانون الأحوال الشخصية العراقي رقم ١٨٨ لعام ١٩٥٩، "النص في هذه المادة يقول تجب النفقة للزوجة على الزوج من حين العقد الصحيح، والعقد الصحيح يعني عقد الزواج، وفي حال ألغي العقد أي وقع الطلاق، ألغيت النفقة" يقول جمعة.

لكن سهير أصرت على الحفاظ على حقوق ابنها.. "ما اريد ابني باجر يلومني لأن تنازلت عن حقوقه، وكذا مرة قلت لأبوه ما أريد عين ابني تشبح على أكل أو لعبة أو مدرسة وما أكدر أوفرها أله".
بعد مضي عام على طلاقها، ومع بدء جائحة "كورونا" وغلق الكثير من المؤسسات التجارية، اضطرت سهير وطليقها لترك عملهما، ما دفع بالأخير إلى إعلامها بإنه لا يستطيع توفير المئة دولار للطفل. رفضت سهير التنازل عن حق طفلها، ولا تندم على أنها ضغطت على زوجها لتحصيل نفقة ابنها رغم الظروف.

وعلى الرغم من عودة الأب لعمله بعد مدة، إلا أنه أصبح يُماطل بدفع نفقة ابنه، "صار ينطيني الـ١٠٠$ كل شهرين أو ثلاثة، ولأن هو بمحافظة أخرى، يرسلها عبر أكثر من مكتب صيرفة، بحيث تضيع على الكراوي".

عندما كان طليق سهير يسكن في المحافظة التي تسكن فيها نفسها، كان ضغط أهلها عليه يضمن لها أن تحصّل على مصاريف ابنها، أما اليوم وعلى الرغم من أنها تعلم أن طليقها متواجد في إحدى المحافظات العراقية، فهي لا تستطيع إثبات ذلك، "أني أصلا ما أعرف هو وين، حتى الدعاوى الي أرفعها، والتبليغات، ما أعرف وين أرسلها لأن ماكو عنوان".

لا المرأة ولا المحكمة تعرفان العنوان لإرسال التبليغات أو رصده.

عدم معرفة مكانه، بالإضافة لكونه يعمل "كاسباً" في القطاع الخاص، يعني أن سهير لا يمكنها أيضاً الحجز على جزء من راتبه بحكم من المحكمة، إذا كان الزوج موظفاً حكومياً، أو الحجز على ممتلكاته في حال امتناعه عن دفع النفقة، وفقاً للمادة ٨٢ من قانون التنفيذ العراقي رقم ٤٥ لعام ١٩٨٠.
محنة سهير باتت شائعة كما يؤكد المحامي محمد جمعة، "إذا لم يكن الرجل موظفا حكومياً، وليس لديه أموال يتم الحجز عليها مثل سيارة أو أملاك مثل قطعة أرض أو غيرها وهذا يحدث في أغلب دعاوى النفقة، هنا بسهولة يختفي عن الأنظار ويتملص عن دفع النفقة".

وحتى لو عُرف مكان تواجد الطليق، فهذا لا يضمن أن تحصّل النفقة.

ففي حال تخلف الرجل عن دفع النفقة، يصدر حكم إحضار جبري بحقه بحسب المادة ٢٢ من قانون التنفيذ العراقي رقم ٤٥ لعام ١٩٨٠، لكن وكما يفسر جمعة المادة "الإحضار الجبري ما يسوي شي، يكدر الرجل يبقى كاعد بالبيت، يروحون الشرطة يدكون الباب عليه، ويطلع أبوه يكلهم ما موجود يديرون وجهم ويرجعون، لأن القانون يمنعهم من الدخول إلى البيت وإحضاره".
وتوضح المادة ٢٢ المذكورة أن المدين يحضر جبرياً فقط عند مشاهدته بشكل مباشر من قبل الجهة المحضرة، أي يجب ألا يكون داخل منزله أو عمله، ويوضح المحامي محمد جمعة موضوع الاحضار بأن أمر احضار جبري، او أمر قبض، يصدر عن محكمة جزائية، ولذلك فلا يجوز أن تقوم الجهة المحضرة -اي القوات الأمنية- بالتفتيش عن المدين.

وفي حال كان أمر القبض صادراً عن محاكم التحريات (التي تتحرى عن الشخص المذنب أو المجرم) هنا من حق القوة المحضرة (أي القوات الأمنية) الدخول إلى منزل المدين والتفتيش عليه واحضاره من عمله أو منزله، لكن أمر الاحضار الناتج عن محاكم التنفيذ هو أمر إحضار جزائي، ولهذا فإن أصول المحكمات تمنع من الدخول الى منزل المدين أو التفتيش عنه في عمله، وعلى القوات الأمنية أن تحضره حين تشاهده أمامها فقط، وهذه بروتوكولات تنفيذ القانون. وتعاقب المادة ٤٣ من قانون التنفيذ بالسجن لغاية أربعة أشهر، المدين لتخلفه عن تسديد

دينـه، "لكـن بعـد مـضي الـ٤ أشـهر رح يخـرج المديـن، حتـى وإن لم يسـدد المبلـغ للدائـن"، يقـول الداينـي.
وهنـا قـد تلجـأ الأم المطلقـة إلى قانـون العقوبـات رقـم ١١١ لعـام ١٩٦٩، إذ تعاقـب المـادة ٣٨٤ مـن قانـون العقوبـات الرجـل المتخلـف عـن دفـع النفقـة بالسـجن لمـدة سـنة.

لكن للقضاء حكماً آخر بهذه المادة!

وللقضـاء وجهتـان في هـذه المـادة، بحسـب خـبراء القانـون الذيـن اسـتعنا بهـم في هـذا التحقيـق، أمـا أن يحكـم بالسـجن لمـدة عـام مـع إيقـاف التنفيـذ وهـذا أمـر غريـب، أو يحكـم عـلى الرجـل بالسـجن لمـدة أربعـة أشـهر فقـط، ويشـير خـبراء القانـون أن هنـاك تعنتـاً مـن بعـض الرجـال في دفـع النفقـة، وهـم يفضلـون أن يسـجنوا لـ٤ أشـهر عـلى أن يدفعـوا النفقـة.

ويجـد الخـبراء القانونيـون، أن أبـرز المشـكلات التـي تواجههـا النسـاء بعـد الطـلاق في كيفيـة الحصـول عـلى حقوقهـن أو حقـوق أطفالهـن تكمـن بالتشريعـات، "عدنـا قوانـين مترهلـة وقديمـة، وإلا شـنو رجـل يفلـت مـن النفقـة بشـكل سـهل إذا مـا كان موظـف حكومـي وماعنـده أمـوال ينحجـز عليهـا!" يقـول المحامـي محمـد جمعـة، "هنـاك عنـاد كبـير في أمـور الطـلاق، أحيانـا يصـل الموضـوع بـأن يقـول الرجـل لمحامـي طليقتـه أدفعلـك رشـوة ٥ ملايـين وكـون بصفـي، وهالـشي صايـر".

التنفيذ.. إذلال ومماطلة

"لمـا قررنـا نتطلـق، وخصصنـا مبلـغ لنفقـة الطفـل بالاتفـاق، كان كل هـذا حتـى مـا ندخـل محاكـم، ونتخلـص مـن إذلالهـا ومعانـاة دوائـر التنفيـذ"، تقـول سـهير.

فعمليـة تحصيـل النفقـة قـد تأخـذ شـهرين أو ثلاثـة، مـا يعنـي أن المـرأة المعتمـدة عـلى نفقـة في مصاريـف أبنائهـا، تبقـى بـدون نفقـة شـهرين أو ثلاثـة بسـبب الإجـراءات الرتيبـة بالدوائـر الحكوميـة والمخاطبـات بـين الدوائـر، يقـول جمعـة.
خرجـت سـهير مـن تجربـة زواج صعـب، لتدخـل صراعـاً جديـداً كأم مطلقـة تقاتـل لنيـل حقـوق ابنهـا، "رفعـت دعـوى النفقـة بعـد فـترة، وحصلـت قـرار بذلـك، أجـه المحكمـة وقـال أني عاطـل، فحكمـوا أن يعطـي للطفـل ١٠٠ الـف دينـار عراقـي، وإلي كحاضنـة ٢٠ ألـف كل شـهر، قلـت لا بـأس أدفعهـا أجـور حضانـة".

لكـن طليـق سـهير رفـض أن يكـون الدفـع في دائـرة التنفيـذ، ليتمكـن مـن التملّـص منـه " قـال إذا الدفـع بالتنفيـذ مـا ادفـع".

حين رفعت سهير دعوى قضائية للحصول على نفقة طفلها من طليقها، طالبت القضاء أن يكون دفع النفقة في دوائر التنفيذ، إذ من حق الدائن أن يحدد مكان دفع مستحقاته المالية المأخوذة من المدين، واختارت سهير أن يكون الدفع في دوائر التنفيذ حتى لا يتملص طليقها عن الدفع، وبدأت رحلة سهير في دوائر التنفيذ منذ ١١ شهراً، "ما أحجيلج على الوضع بدائرة التنفيذ الوسخ.. والدمار".

ودائرة التنفيذ هي إحدى دوائر وزارة العدل، وهي دوائر عدة منتشرة في جميع المحافظات العراقية، مهمتها تطبيق أحكام قانون التنفيذ رقم (٤٥) ١٩٨٠، الهادف لصيانة حقوق الدولة والمواطنين من خلال تنفيذ الأحكام الصادرة عن المحاكم، واحترام القانون وسيادته، خاصة تلك الأحكام التي تخص تسديد الديون، أو أحكام النفقة، أو دفع المؤخر وغيرها، ووضع ضوابط لكل من الدائن (صاحب الدين) والمدين (الشخص المطلوب للدين) وترتيب تفاصيل التسديد المالي بينهما حتى لا يتخلف الأخير عن تسديد المال للأول. وتعمل هذه الدوائر تحت اشراف وإدارة وزارة العدل العراقية.

دوائر التنفيذ البالغ عددها ١٣٤ دائرة، متوزعة في عموم العراق، ١٣ منها في بغداد، والأخرى تتوزع على المحافظات، باستثناء إقليم كردستان.

اقترنت دوائر التنفيذ لدى سهير ونساء كثر في محافظات مختلفة بالإهمال والإذلال والمماطلة بالإجراءات الحكومية الروتينية. ويصف المحامي جمعة حال المرأة في دوائر التنفيذ البطيئة بأنها "مذلة للمرأة في الواقع، وكأنها تستجدي حقوقها من هناك".

"مكابلة دوائر التنفيذ وكاعدة.. التنفيذ يشهد عليه".. تقول سها التي مضى على حالها هذا أربع سنوات منذ إصدار حكم النفقة لأطفالها، إذ لا يلتزم طليقها بدفع النفقة في المواعيد المحددة. "طليقي ما يدفع بالشهر الأول ويوصله تبليغ، وما يدفع بالشهر الثاني ويوصله تبليغ، وقبل وصول التبليغ الثالث وحتى لا يتوقف بمركز الشرطة يدفعلي، وآني على هالحال كل ٣ أو ٤ أشهر أحصل مبلغ النفقة" تقول سها.

طليق سها يقوم بذلك لأنه يعرف أن لمدير التنفيذ الحق بإصدار تبليغ بإحضار المدين (الطليق) إحضاراً جبرياً بسبب تخلفه عن دفع دينه، ويعطيه مهلة سبعة أيام بعد إصدار التبليغ، ثم يتم استقدامه وفقاً للمادة ٢٢ من قانون التنفيذ.

وحين ينتهي عذاب النساء بسبب مماطلة الرجل، تبدأ مماطلة نظام دوائر التنفيذ والمصارف.

"حالياً زوجي موظف، وراتبه يصدر كل ٢٨ بالشهر، وأني بعد ٣ أسابيع أو أكثر من نزول الراتب يلا أستلمه، ومن أسألهم بالتنفيذ يقولون التأخير من المصرف"، تقول سها. ذلك على الرغم من انتظام الدفع بدوائر التنفيذ عندما تحول إلى نظام إلكتروني، للتخفيف عن المراجعين أعباء

الزحام والإجراءات الروتينية والإضبارات، بحسب مدير إعلام وزارة العدل مراد مهدي؛ إلا أن هذا لم يُنهِ المشكلات التي تواجهها النساء هناك.

ويعزو مهدي هذا التأخير في دفع المستحقات إلى الدائن (المرأة في هذه الحال) إلى مواعيد إرسال المبالغ من الوزارات والمؤسسات التي يعمل بها المدين إلى المصارف التابعة لها بطاقات الدفع الألكتروني، رغم تأكيد دائرة التنفيذ على ضرورة إرسال المبالغ بوقت سريع كل شهر.

ويذكر العديد من الخبراء القانونيين، من بينهم المحامي علي الدايني لـ"جمار" أن "مشاكل دوائر التنفيذ وبطء إجراءاتها تعود لقلة عدد كوادرها، فعلى سبيل المثال دائرة تنفيذ بغداد الجديدة التي تشمل رقعة جغرافية كبيرة، يُراجعها آلاف من المواطنين، لا يتجاوز عدد موظفيها الـ٥ أو٦ موظفين، متسائلاً كيف سيتمكن هذا العدد القليل من الموظفين من تمرير آلاف المعاملات!

ويجيب مدير إعلام وزارة العدل مراد مهدي على ذلك، بأن توقف التعيينات في العشر سنوات الأخيرة، وإحالة بعض الموظفين إلى التقاعد بسبب إكمالهم السن القانوني، أدى إلى قلة الكوادر في جميع مؤسسات الدولة، مع زيادة عدد المراجعين، لكن مديرية التنفيذ خصصت خطوطا ساخنة، من ضمنها موقعنا على فيسبوك لاستقبال شكاوى المواطنين كافة.
وأقر مجلس الوزراء، الإستراتيجية الوطنية للمرأة العراقية، في آذار العام الماضي لتعزيز دور المرأة في الدولة العراقية، وكانت تصب بهدفين رئيسيين أولهما تعزيز وتمكين دور المرأة في الحكومة العراقية، والثاني تحسين أوضاع النساء وظروفهن في دوائر الدولة، وتعد هذه الإستراتيجية فاعلة منذ عام ٢٠٢٣ وحتى ٢٠٣٠، لكن لاتزال أوضاع النساء على ما هي عليه في دوائر ومؤسسات الدولة.

وليس هناك بيانات واضحة تمتلكها وزارة العدل، أو مديريات التنفيذ تخص عدد النساء المطلقات اللاتي يراجعن هذه الدوائر لأخذ حقوقهن بعد الطلاق، بحسب ما أكده مراد مهدي لجمار.
لا تنتهِي مشاكل دوائر التنفيذ عند المماطلة والبطء والإهمال، بل يتفاجأ المراجعون بإغلاق الدوائر أبوابها، كما حدث في عام ٢٠٢١، حينما أغلقت دائرة تنفيذ مدينة الصدر أبوابها لأربعة أشهر بسبب وجود رطوبة على جدران غرفة الموظفين. حينها بدأت النساء تصطف في طوابير تنتظر منذ الخامسة فجراً عسى أن تفتح الدائرة أبوابها. تكرر هذا الغلق في دائرة تنفيذ الزهور في منطقة الحسينة على أطراف بغداد ممتداً لحوالي أسبوعين قبل شهرين تقريباً، لأغراض الجرد كما ذكرت اللافتة التي علقت على باب الدائرة.

إقامة جبرية

"سويت حفلة لصديقاتي بالبيت" تقول سهير، بمناسبة حصول ابنها على الهوية، وهي التي عانت على مدى عامين حتى استخرجت أوراقاً ثبوتية لطفلها، بعد عناد طويل من طليقها.

عمل القضاء العراقي منذ عام ٢٠٠٥ بعرف قضائي، كما يقول المحامي محمد جمعة، منح الحاضنة الحق بإقامة دعوى إثبات حضانة واستخراج أوراق ثبوتية لطفلها كتسهيل لها في دوائر الدولة، مستثنياً إصدار جواز السفر، وذلك بموجب المادة ٤ من قانون الجوازات رقم ٣٢ لعام ٢٠١٥. يمنع إصدار جواز سفر لمن كان أقل من ١٨ سنة، إلا بحضور الولي أو الوصي، وإذا كان الأب على قيد الحياة فهو الولي، وإذا توفي ستكون الوصاية من حق الأم بالدرجة الأولى.

كما لا يُجرّم القضاء فعل سلب الأوراق الثبوتية الخاصة بالطفل من قبل والده، يقول جمعة "بالرغم من أن المادة ٢٩٩ من قانون العقوبات، تضع سنتين كأقصى عقوبة على جريمة استعمال شخص لمحرر صادر لغيره (أي أن يستعمل أحدهم أوراقاً ثبوتية ليست له بل لشخص آخر، سواء قام بأخذها أو استعمالها).

لكن القضاء يعتبر أن أخذ الأب لمستمسكات أولاده أمر طبيعي، حتى لو كانوا في حضانة الأم!. إذ يذكر خبراء القانون الذين استعنا بهم في هذا التحقيق، أن القضاء يعتبر الأب مسؤولا عن أبنائه، لهذا فهو حين يأخذ أوراقهم الثبوتية، أو يستولي عليها فهو ليس سارقاً لها، كونه هو المسؤول عنهم.
معركة الطلاق استنزفت أصيل، فتخلت عن جميع حقوقها لكنها اختارت ابنها مقابل ذلك. كانت قد نزحت مع ابنها وعائلتها من الموصل إلى بغداد عام ٢٠١٤ عقب احتلال تنظيم الدولة الإسلامية نينوى. وفي الوقت الذي أسست نفسها "من الصفر"، شعرت أنها "محبوسة بالبلد وما أكدر أسافر وية أهلي لا لأغراض علاج، ولا لأغراض سياحة، ولا حتى للعمل لأن ابني بدون جواز سفر".

هاجر طليق أصيل إلى أمريكا، من دون أن تعرف محل إقامته ودون إصدار جواز للطفل "لأن يتخيل رح احرمه الوصول لأبنه".

الحلول التي طُرحت أمام أصيل هي إما أن تدعي أن ابنها يعاني من أمراض عقلية، أو أن تجلب تقريراً طبياً يثبت أنه مريض لتستحصل له جواز سفر، ولكنها رفضت لأنها لم تتحمل فكرى ادعاء المرض لابنها ولا أن تتحايل على القانون، كما قالت.
حاولت أصيل الحصول على وصاية على أبنها، لكن بموجب قانون رعاية القاصرين رقم ٧٨ لعام ١٩٨٠، فإن القانون يرفض ذلك إلا بحالة وفاة الأب، "أو في حالة تعارض مصلحة الطفل

مـع وليّـه، مثـلاً كان الطفـل يعـاني اضطرابـا نفسـيا، وهـو مضطـر للسـفر ووليـه يرفـض، هنـا تمنـح الوصايـة لـلأم لكـن يجـب أن يعـرض إلى لجنـة تثبـت أنـه معتـل نفسـياً" وفقـا للمادتـين ٣٦ و٣٧ مـن القانـون، يقـول جمعـة.

ظلـت اصيـل تحـاول ذلـك حتـى تظاهـرات تشريـن ٢٠١٩ حـين طالهـا تهديـد بـات يشـكل خطـراً حقيقيـاً عـلى حياتهـا، مـا اضطرهـا وقتهـا السـفر إلى تركيـا عنـد والديهـا اللذيـن سـبقاها إلى هنـاك، وتركـت الطفـل ذا التسـع سـنوات عنـد أهـل طليقهـا.. "انهاريـت في تلـك الفـترة، بعـد أشـهر قليلـة رجعـت الأبنـي، قلـت الهـم أرجـع لابنـي أقلهـا امـوت عنـده".
بعـد سـبع سـنواتٍ مـن الطـلاق، حصلـت أصيـل عـلى جـواز سـفر لأبنهـا، وبتدخـل مـن أسرة طليقهـا بعـد أن لمسـوا أن التهديـدات التـي طالتهـا جديـة، فأقنعـوا ابنهـم بـأن يكتـب لهـا توكيـلاً لاسـتحصال الجـواز.

الآباء يعاقبون الأمهات المطلقات... بالقانون

يمـارس الرجـال -وخاصـة الآبـاء منهـم- بعـد الطـلاق ضغوطـات عـدة لاسـتفزاز طليقاتهـم، مسـتغلين بذلـك الأبنـاء، بـدءاً مـن سـلب الأوراق الثبوتيـة للطفـل، أو التعنـت بإصـدار أوراق السـفر إلى دعـاوى المشـاهدة، التـي يرفعهـا الأبـاء لمشـاهدة أبنائهـم، إمـا في المحكمـة، أو في مـكانٍ يتفـق عليـه الطرفـين للمشـاهدة. فمـن حـق الأب، وفقـا للـمادة ٥٧ مـن قانـون الاحـوال الشـخصية، "النظـر في شـؤون المحضـون وتربيتـه وتعليمـه حتـى يتـم العـاشرة مـن عمـره، وهـو مـا يقـول المحاميـان زينـب جـواد ومحمـد جمعـة إن القضـاء فـسر أن مشـاهدة الاب للطفـل مـرة كل اسـبوع، لمـدة ٦ سـاعات في كل مـرة.
هـذا مـا حـدث مـع سـها حينـما رفـع طليقهـا دعـوى لمشـاهدة بناتـه، ولكنـه تخلـف عـن الحضـور في الأشـهر الأربعـة الأخـيرة.

تذهـب سـها وبناتهـا أسـبوعيا إلى موقـع المشـاهدة الـذي حددتـه محكمـة الأحـوال الشـخصية في بابـل، لتشـاهد الفتيـات والدهـنّ، لكنـه لا يـأتي.

"لو تشوفين مكان المشاهدة، يرجع الطفل منه متأزم نفسياً، تخم مكسر ومكان مهدم".

حاولـت سـها ألا تصطحـب بناتهـا لمشـاهدة والدهـم، فهـو لا يـأتي عـلى أيّ حـال، لكنـه رفـع دعـوى قضائيـة ضدهـا حكمـت عـلى أساسـها بالسـجن لمـدة ٦ أشـهر، فدفعـت الكفالـة، وصـارت تذهـب كل أسـبوع في الموعـد المحـدد "أروح أبقـى انتظـرة كل أسـبوع أني وبناتـه سـاعة ونـص، مـا يجـي ونرجـع".

تُعاقب الحاضنة، إذا تخلفت عن إحضار المحضون في الموعد المخصص للمشاهدة، بالسجن لغاية ستة أشهر، وبغرامة لاتزيد عن مئة الف دينار عراقي، أو بإحدى هاتين العقوبتين، وفقاً للمادة ٢٣٨ من قانون العقوبات العراقي.

"القانون صمت ولم يضع أي عقوبة للأب إذا لم يحضر لأكثر من مرة في موعد مشاهدة المحضون، لكنه فرض عقوبة فقط على الحاضنة، إذا تخلفت عن إحضار المحضون لموعد المشاهدة." يقول المحامي علي الدايني "المفروض هناك تشريعات جديدة تضع عقوبة تأديبية للأب المتخلف عن حضور موعد مشاهدة طفله، لأن هذا التخلف هو تلاعب بالقانون"، يؤكد الدايني "نحن كمحامين نشير دائما وبشكل فردي لضرورة تشريع قوانين جديدة، أو تعديل القوانين القديمة، لكن مبادراتنا غير كافية، الأمر بحاجة إلى مشرع وهو بيد مجلس الوزراء ومجلس النواب".

الأمهات المطلقات.. متهمات دائماً

سجل العراق حوالي ٧ آلاف حالة طلاق، خلال كانون الثاني من عام ٢٠٢٤ فقط، بحسب مجلس القضاء الأعلى، وأعلن المجلس في آب ٢٠٢٣، أن حوالي ٢٣٥ حالة طلاق تقع في اليوم الواحد، لكن لا وجود لإحصائيات واضحة عمّا إذا كانت المطلقة أماً أو لا، كما ذكر مدير إعلام وزارة العدل مراد مهدي لـ جمّار "نحن لا نملك إحصائيات واضحة لعدد النساء المطلقات اللاتي يُراجعن دوائر التنفيذ".
ولم يضع مجلس القضاء الأعلى أرقاماً تصف أنواع وأشكال الدعاوى القضائية التي تواجهها النساء أو ترفعها ضد الرجال بعد الطلاق، سواء تلك التي تخص نفقة الأولاد، أو حجة الوصايا، أو إثبات الحضانة، وغيرها.

حتى حق السكن، والذي عدّه المحامون من القضايا المعقدة جداً، إذ يقول المحامي محمد جمعة "لشدّة تعقيد هذا الحق لم ترفني خلال ٢٠٢٣ سوى ٤ دعاوى، رفعتها نساء للمطالبة بحقهن بالسكن".
ويضمن قانون السكن رقم ٧٧ لعام ١٩٨٣، للمطلقة حق العيش في سكن الزوجية لمدة ٣ سنوات بعد وقوع الطلاق، إذا كان باب سكنها قبل الطلاق منفصلاً، "اي لا تكون قبل الطلاق ساكنة مع أهل زوجها، ويكون لها باب شقة أو بيت، أو مشتمل منفصل، وليس جزءا من منزل، أما إذا كانت ساكنه مع أهله، وليس لديها باب مستقل، فيسقط حق السكن عنها بعد الطلاق".
يذكر المحامي محمد العكيلي.
وفي حال لم تطالب الزوجة بحقها في السكن أثناء المرافعة بدعوى الطلاق، وتم الطلاق، فسيسقط حقها في السكن كما يذكر العكيلي، "لأن القاضي لن يعطي قراراً بالسكن من تلقاء نفسه، إلا إذا طالبت به المرأة".

تكتشف المرأة المطلقة أنها مهملة، ومعاقبة، وأنها متهمة دائماً بعيون المجتمع، تكون خطواتها محسوبة، وقد يظنها الكثيرون أنها "سلعة سهلة".

تقول شهد، وهي أم مطلقة لطفلين، "رحت أطلع شهادة جنسية لبنتي، أجاني ضابط بالجنسية؛ كلي أني اسهلج الموضوع بس انطيني رقمج وأني احجزلج السرة، وأني فعلا انطيته رقمي، لكنه بلش يرسل مسجات يطلب أن اطلع وياه ونتغدة سوة".
حتى داخل المنزل المطلقة معاقبة، ومتهمة من قبل أسرتها "إذا اطلع أو اطب كله بحساب، أهلي يحسبون عليه الهوى الي اشمه، ومن افتح حلكي يكولون انتِ مطلقة لا تسويلنا فضايح" تقول شهد لجمار.

تعرضت سهير هي الأخرى لنوع من التحرش من قبل كاتب العدل، حين ذهبت لاستخراج أوراق ثبوتية لطفلها "كاتب العدل نفسه، نظرة عينه كانت تقول: انتِ مطلقة، حرة الآن ومتاحة، وكأنه يقول لي أنت عاهرة، نظرته وجعتلي روحي".

لم تكن نظرات تحرش فقط، تلك التي أشارت لها سهير، بل هنالك عتاب وعقاب وحسرة، وشفقة "توصلت بعد طلاقي أن تجربة الطلاق والأمومة معاً تستحق أن تسمى بـ"عقاب الأمومة" أنت تعاقبين بأمومتج لأن تطلقتي، كل النظرات تفسر بأنه يا حريمة اطلقتي وانت أم لهذا الطفل".

لا أحد يرى الأسباب التي تجبر النساء على الطلاق، وما دفعهن لهذا الخيار "اني انفصلت عن رجل تعبت منه ووصلت لمرحلة فقدان روحي، وتحسسي للعالم وجدت نفسي أصرخ على طفل صغير لهذا أخترت الطلاق؛ لأني ما أريد أن اكون أم بهذا الشكل".

التشريعات القديمة وطرق تنفيذها التقليدية والرتيبة، تعدّ المشكلة الأكبر التي تواجه النساء المطلقات اليوم، وخاصة الأمهات منهن. التهاون في تطبيق القرارات القضائية من قبل الجهات المنفذة، وعدم تشريع عقوبات رادعة للمخالفين من الرجال، فضلاً عن التحايل والتلاعب بالقانون من قبل الكثير من الرجال، يجعل النساء يدفعن الثمن بعد الطلاق، ويحرم العديد من الأطفال حقوقهم.

ومع ذلك.. يناضلن من أجل عائلتهن

وعلى الرغم من ذلك، لاتزال الكثير من الأمهات المطلقات يصارعن المحيط، والمجتمع، والطليق، والترهلات القانونية، والحكومية، للحصول على حقوق أطفالهن، وحقوقهن.

سـها مثـلاً، تكمـل دراسـتها اليـوم في مجـال القانـون "أريـد أصـير محاميـة بعـد كل إلي مريـت بي، حتـى آخـذ حقـي"، وتعمـل موظفـة في شركـة سـياحة، فضـلا عـن عملهـا سـائقة "خطـوط جامعـة"، لتوفـر لفتياتهـا الثـلاث العيـش الكريـم، بسـبب تأخـر النفقـة.

أمـا سـهير التـي تجـد صعوبـة بإيجـاد عمـل، فـترى أن طليقهـا يمتحنهـا بكرامتهـا بمنعـه النفقـة عـن طفلـه، مـا يجعلهـا بحاجـة ماسـة إلى المـال لسـدّ احتياجـات طفلهـا وتقـول "إذا ابـو أبنـي اسـتمر بعـدم دفـع النفقـة للطفـل رح اضطـر أن أخـلي ابنـي يـدرس مـن البيـت" سـهير لا تريـد تسـجيل ابنهـا في مدرسـة حكوميـة، وتفضـل تسـجيله في مدرسـة اهليـة، لكـن والـد الطفـل لا يدفـع للطفـل نفقتـه، لذلـك تفكـر بإيجـاد حيلـة قانونيـة تجعـل الطفـل يـدرس مـن منزلـه والذهـاب إلى المدرسـة الحكوميـة فقـط في اوقـات الامتحـان النهـائي والنصـف سـنوي.
وتعيـش أصيـل نهايـة سـعيدة مـع طفلهـا الـذي ناضلـت مـن أجـل أن تكـون معـه، وظفـرت بذلـك لتقاسـمه قصـص نجاحاتهـا.

لكـن هنـاك آلاف الأمهـات المطلقـات يعانـين، بحثـاً عـن حقـوق أولادهـن، بـين دوائـر الدولـة، والمحاكـم، خاضعـات لقسـوة المجتمـع.

أنجزت هذه المادة بإشراف سوسن زايدة

الشخصي هو سياسي – حول الحب والنسوية

نادية محمود

بمناسبة الحديث عن عيد الحب، لا بد من تناول موضوعة الحب والمرأة. حيث الهدف من تناول هذا الموضوع هو تحديد «أي نوع من النساء او البشر نريد أن نكون؟ واي من الحقوق نريد ان ننال؟» تركز هذه المقالة على حقوق المرأة حيث ان المرأة والرجل لا يدخلان علاقة متكافئة ومتساوية وعادلة حين يدخلان في علاقة حب. هذا اللا تكافؤ واللا مساواة، كحال اي لامساواة اخرى، يجب التصدي له. ونحن نغتنم هذه المناسبة « عيد الحب» للحديث عنه.

من اين جاءت اللامساواة في علاقة وفي مشاعر يفترض ان تكون مشاعر انسانية رائعة وانسانية بين اثنين وبمحض اختيارهما؟ ان منبع هذا التفاوت، هو الحقوق التي منحها المجتمع للرجل مقارنة بالمرأة. وحيث ان الشخصين، الرجل والمرأة حين يدخلان في علاقة عاطفية، هي ليست بمعزل عن الواقع الاجتماعي والثقافي والاخلاقي والسياسي والاقتصادي الذي يعيشان فيه، فمن المؤكد ان علاقتهما تتأثر بهذا الواقع، بل الواقع هو الذي يرسم ملامح وحدود هذه العلاقة، وحقوق كل طرف في هذه العلاقة.

حين يدخل الرجل علاقة حب، يفتخر بها، يتباهى، يعلنها، وليس هنالك من يعترض. اما حين تدخل المرأة والشابة في علاقة عاطفية، فلا يمكنها التصرف مثل شريكها او حبيبها. فهنالك سلسلة من اشكال التخويف، والتجريم، والتذنيب التي تعيشها المرأة. لأنه ببساطة قرّر للمرأة ان لا تحب. واذا اتيح لها الحديث عن الحب فيكون مسموحا لها، ان سمح لها، في سياق انها ستنشأ اسرة، وستربي اطفال.

المرأة ممنوع عليها الحب، بل وتعاقب بشدة عليه، للحد الذي يوصل العقوبة للقتل. وليس قليل عدد النساء اللواتي قتلن بسبب الشك بان لديهن علاقات حب.

مـن اجـل تغيـير هـذه العلاقـة غـير المتوازنـة وغـير المتكافئـة في العلاقـات العاطفيـة. نظـام كامـل لا بـد مـن تغيـيره: النظـام السـياسي، القوانـين، الحقـوق الاقتصاديـة، الاخـلاق، الثقافـة. تغيـير عـلى صعيـد الدولـة وعـلى صعيـد المجتمـع، مـن اجـل التمتـع بعلاقـة متسـاوية ومتكافئـة بـين حبيبـين.

وهـذا هـو عملنـا كناشـطات نسـويات، كدعـاة مسـاواة، مسـاواة كاملـة وتامـة وغـير مشروطـة، بـين الرجـل والمـرأة. يجـب فصـل الديـن عـن الدولـة وانشـاء دولـة علمانيـة. يجـب الغـاء القوانـين التـي تقـر بقوامـة الرجـل، وبحـق الرجـل بتأديـب المـرأة. القوانـين التـي تسـمح للرجـل ان يعـدد الزوجـات، القوانـين التـي تخفـف مـن عقوبـة الجرائـم المرتكبـة باسـم» الدفـاع عـن الـشرف» هـذا الكـم مـن القوانـين يجـب ان تتغـير. وهـذه معركـة شرسـة، ولكـن الانتصـار فيهـا ليـس مسـتحيل.

المسـار الثـاني، وهـو؛ نحـن نواصـل النضـال مـن اجـل تغيـير هـذه القوانـين، ونواصـل النضـال مـن اجـل ان تحصـل النسـاء عـلى حقـوق اقتصاديـة واجتماعيـة متسـاوية مـع الرجـل، ماهـي مسـؤولية الرجـل او الشـاب؟ ومـا هـي مسـؤولية المـرأة او الشـابة

الشـاب المعـاصر مطلـوب منـه ومسـؤول عـن اكتسـاب اخـلاق انسـانية جديـدة محـل الاخـلاق التـي تعززهـا الدولـة والتقاليـد والديـن والاعـراف. ان يعّلـم نفسـه عـلى عـادات وثقافـة جديـدة. ان يحـرر نفسـه مـن قيـم « الرجولـة» وان يغـرز محلهـا قيـم الانسـان، والقيـم الانسـانية. يجـب ان « يتنـازل» عـن الحقـوق التـي منحـه اياهـا القانـون، مـن اجـل اقامـة علاقـة عاطفيـة متكافئـة وصحيـة وعادلـة. يجـب ان يحـرر الشـاب والرجـل نفسـه مـن « هـذه الحقـوق». لأنهـا حقـوق قائمـة عـلى اسـاس تمايـزي وتمييـزي بـين البـشر. يحتـاج الشـاب والرجـل ان يعمـل « ثـورة» عـلى هـذه الاخـلاق التـي ورثهـا، ولا يعمـل عـلى تكريسـها. لكـن الرجـال والشـباب لا يتخندقـوا كلهـم في خنـدق واحـد، فبعضهـم شـباب قـرر أن «يسـتمتع» بحقوقـه، وان يبقـى في خنـدق الرجعيـة، وشـباب اخـر قـرر لنفسـها ان يكـون في خنـدق المدنيـة، والتقـدم والمسـاواة والعدالـة. الشـباب والرجـال في هـذا الخنـدق عليهـم سـلخ الاخـلاق الرجعيـة واللامسـاواتية كـم سـلوكهم.

مـع قـول مـا تقـدم، الرجـل ليـس هـو المسـؤول الوحيـد عـن رسـم شـكل وحـدود وحقـوق الطرفـين في العلاقـة العاطفيـة. المـرأة والشـابة مسـؤولة ايضـا. مسـؤولة عـن خلـق علاقـة قائمـة عـلى اسـاس المسـاواة. النسـاء والشـابات اللـواتي يسـعين بـكل الطـرق الى ارضـاء محبيهـن بمـا في ذلـك التنـازل عـن حقوقهـن، والقبـول بالخضـوع لقـرارات « الحبيـب» القبـول بهيمنـة وب» قوامتـه» عليهـن، انمـا يصنعـن اسـيادا لهـن في هـذه العلاقـة.. النسـاء والشـابات اللـواتي قـررن ان يكونـن متسـاويات مـع الرجـل، يجـب ان يرفعـن مـن درجـة حساسـيتهن للهيمنـة الذكوريـة وان لا يسـمحن بهـا باسـم الحـب، وباسـم ارضـاء الحبيـب. اي ان يدافعـن عـن اسـتقلاليتهن في العلاقـة، ان لا يقبلـن الخضـوع للتوجيهـات وللأوامـر عـن بعـد!

فالنضال من اجل تغيير القوانين «من فوق» يجب ان يترافق معه نضال يومي « في الاسفل» من اجل وضع منطق المساواة موضع التنفيذ. بدون هذا السعي المتواصل من اجل اثبات وتحقيق المساواة، لا يمكن ان « تثوّر» العلاقات بين الجنسين. نحن بحاجة الى ثورة في هذه العلاقات. العلاقات القائمة هي علاقات قمعية، مخيفة، مرعبة، استعلائية، مهيمنة، ولا تملك المرأة والشابة امامها الا ان تقبل بها صاغرة. ولكن هذا حاله حال اية قضية اخرى. الناس تتظاهر من اجل فرص عمل، تتظاهر ضد الفساد، وضد المحاصصة، وضد سلسلة من المطالب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. النضال من اجل نيل حقوق متساوية في الحب، هو امتداد لهذا الصراع الاجتماعي الاكبر، بل الصراع الاجتماعي الاكبر يعبر عن نفسه في داخل العلاقة العاطفية. لذا، يتوجب النضال في هذه الجبهة العاطفية ايضا. من اجل خلق علاقة عاطفية انسانية صحية وعادلة. لقد كان في غاية الاهمية ان تقوم منظمة امان للنساء بتنظيم ندوة بهذا الخصوص، نتمنى ان يكون عملا اوليا لفتح الحوار والنقاش حول هذا الموضوع: المساواة في الحب.

بين الجهل المقدس ..... والفكر الحر

جوان ميرزا

فيـا أيتهـا الاسـتاذة في علـم النفـس، التـي تدافعـين عـن الـزواج المبكـر سـترةً للبنـات وتستشـهدين لزوجـات الرسـول كـنَّ في التاسـعة او نسـاء ذاك الوقـت لم يكـن لديهـن اي مخاطـر صحيـة ونفسـية كيـف عرفـتِ، إنهـنّ كُـنّ بصحـة جيـدة ولم تكـن لديهـن مشـاكل وانـتِ لاتملكـين اي دليـل عـل كلامـك غـير احاديـث العنعنـة ولا يوجـد لديـك اثبـات علمـي اركيلولوجـي او مخطوطـة جداريـة عـلى استشـهادك بالتاريـخ الدينـي .

هـل تعليمـين يـا اسـتاذة علـم النفـس بـان هنـاك دراسـات توصّلـت إلى أنّ آثـار حمـل المراهقـات وولادتهـنّ قـد تمتـدّ للمواليـد الأطفـال وأجيـال لاحقـة في العائلـة. فبالمقارنـة مـع أقرانهـم ممّـن وُلـدوا لأمّهـاتٍ في عمـرٍ أكـبر، فـإنّ الطفـل الـذي وُلـد أثنـاء فـترة مراهقـة أمّـه قـد يكـون عرضـةً لخطـر الـولادة قبـل الأوان، ومواجهـة العديـد مـن الصعوبـات في اكتسـاب المهـارات المعرفيـة الأساسـية مثـل الإلمـام باللغـة والقـراءة والكتابـة والتحكّـم بالـذات، إضافـةً لضعـف الأداء العـامّ في المدرسـة.

وفقًـا لدراسـة جديـدة، فمـن انجبـت في سـنّ المراهقـة يعـدّ عاملًا لتوقّـع فيـما إذا كان الطفـل سـيُظهر ضعفًـا في أدائـه المـدرسيّ والتعليمـيّ .
الغريـب في الموضـوع إن الشـيخ مـع مداخلـة الرجـل الريفـي مـع اسـتاذة علـم النفـس الجامعـة كانـوا عـلى خـط واحـد، تيـم ذكـوري سـام لدرجـة القـيء

في النهايـة المتحدثـة اشـارت الى ضرورة فصـل الديـن عـن الدولـة وضرورة حمايـة الشراكـة الحقيقيـة في الـزواج بـين الشـابات والشـباب بقوانـين علمانيـة حقوقيـة تحفـظ كرامـة الرجـل والمـرأة عـلى

حدٍ سواء بإلغاء مادة التأديب من القانون والغاء الزواج خارج المحاكم وتجريم قتل النساء وأشارت بكلامها الى تلال المخطئات المتواجدة في جنوب العراق التي تدفن فيها جثث النساء التي تقتل من قبل ذويهن، ردت الأستاذة الجامعية عل كلام المتحدثة واضع الف خط تحت كلمة الاستاذة بان هؤلاء النساء يستحققن القتل لأنهن قتلن من اجل غسل العار ..... اعتقد وجود استاذة مثلك في هكذا ندوة لديك مكانة وتأخذين راتب ومستحقات من الدولة ولديك مجاميع طلابية وجمهور هو العار بعينه !!!وجودك بأفكارك المسمومة الداع ش ي ة محصنة بالدين والعادات والتقاليد هو العار بعينه خطابك بالتحريض على قتل النساء واستباحة اجسادهن وقمع الحريات وتبرير بيدوفيليا بالاستشهاد بحديث يحث عل سن الزواج للفتاة في الثامنة !!!وتزويج القاصرات هو العار. المفروض تعاقبين أنتِ وأمثالكِ على كلامك وعلى كل حرف من مداخلاتك المسمومة بل يجب شطب اسمك من مهنة التدريس اولا ثم ملاحقتك قانونيا للتحريض عل القتل والكراهية والدفاع عن البيدوفيليا والمغتصب وكل النصوص التي تحث على اهانه المرأة وتبرير البيدوفيليا .

نحن يا استاذة علم النفس، ان كنت لا تدرين بما يحدث حولك في العالم، نعيش في زمن وصلت البشرية فيها الى قمة التطور والحداثة بالعلوم والتكنولوجيا، التي جنابك حاليا مستفيدة من احدى وسائل وتقنيات العلم والحداثة وهي (كوكل ميت) في الندوة .

امثالك انتِ والشيخ وكل الاستاذة الذكوريين المتواجدين في الندوة مصيرهم إلى مزبلة التاريخ. في زمن تساوت البشرية كلها بالرغم من اختلافات نوعها الاجتماعي والجنسي، البشرية وصلت الى ارقى مراحلها في امتناع ملايين البشر بل مليارات على هذا الكوكب عن قتل الحيوانات الاستغناء عن اكل اللحوم والمنتجات الحيوانية، وتقييد الانجاب والاستعانة عنه بالتبني للأطفال المتشردين من الحروب. والكوارث الطبيعية. البشرية وصلت بالعلم الى التلقيح الذاتي للبويضة بتطويرها في داخل المختبرات، اي سيصبح قريبا بأننا لا نحتاج الى حيوانات منوية من الرجل من أجل التكاثر، وجنابك ما زلتِ تعيشين انتِ ومن معك في زمن الخيول والجواري والعبيد والطبابة بشرب بول البعير وأكل ثلاث تمرات ،،،،،، عجلة الزمن تسير الى الامام مهما حاولتم إعادتها إلى الوراء، البشرية تتطلع الى الحرية المساواة والرفاه للجميع دون قوامة وسلطة أحد على آخر.

حول الشرطة المجتمعية

"الشرطة المجتمعية" في العراق.. أو "التوعية" و"التمكين" في خدمة العنف البنيوي ضد النساء

أماني الحسن

نشر هذا النص في الأصل على موقع حيز الصحفي، بتاريخ 21 سبتمبر 2023
بالعنوان نفسه، وقد أعيد نشر النص بإذن من موقع حيز والكاتبة.

العنف ضد النساء مُتضَمَّن في مؤسسات الدول في العالم العربي، تدعمه القوانين والتشريعات والممارسات اليومية للقائمين على الأجهزة الرسمية، إلا أن العراق يتسم بميزة خاصة بعض الشيء عن بقية دول المنطقة، وهو ارتباطه بعدد من المنظمات الدولية، التي تقدّم الدعم المادي، مقابل التزام الدولة بعدد من الاتفاقات العالمية حول حقوق الإنسان عامة، وحقوق النساء بوجه خاص. هكذا نشأت أجهزة في الدولة العراقية، مهمتها نظريا حماية النساء من العنف ضدهن، وعلى رأسها "الشرطة المجتمعية"، التي "لا تتوقف مهامها عند حدود القضية ذاتها، بل تتعمّق فيها لمستوى التواصل مع الأسر، بغية تفكيك الأسباب، وضمان عدم تكرارها"، بحسب ما تؤكد وكالة الأنباء العراقية.

في حقيقة الأمر، كل تلك الشعارات والعبارات المنمّقة لا يوجد لها أي صدى في واقع النساء العراقيات، وهو ما تدلّل عليه ردات الفعل الحكومية تجاه كل قضايا قتل النساء، حتى تلك التي أخذت حيزا من الرأي العام، فلم تتخذ ضد مرتكبيها أي إجراءات متناسبة مع فداحة الفعل. كما حدث في حالات طيبة العلي، ونورزان الشمري، وملاك الزبيدي، وهن فتيات

عراقيات قتلن بأبشع الطرق.

ربما كان الأمر أكثر ترسّخا مما يظن كثيرون، فهو "ثقافة"، تنتجها وترسخها قوانين ومؤسسات الدولة العراقية المعاصرة، ولا يمكن لـ"الشرطة المجتمعية" إلا أن تكون جانبا من تلك القوانين والمؤسسات، فهي توجد وتنشط ضمن بنية واضحة المعالم، يمكن اعتبارها المنتج الأول للعنف الممنهج ضد النساء، حتى لو قدّمت نفسها بصيغة "تمكينيّة" أو "توعوية"، يمكن أن تلقى صدى لدى المنظمات الدولية.

فكيف تعمل "الشرطة المجتمعية" على ترسيخ معادلات وهرميات القمع والتمييز في المجتمع العراقي؟ ولماذا أصبح نقدها، بل والتخلّص منها، مهمة سياسية وثقافية لا يمكن تأجيلها؟

"طبابة الخير": ثقافة تسليم النساء لقتلتهن

حينما تفكر امرأة بتقديم شكوى ضد معنفيها في العراق ، فإنها ستتجه نحو "الشرطة المجتمعية"، أو تتم إحالتها إليها، وهذه المؤسسة تشكّلت في وزارة الداخلية العراقية عام ٢٠٠٨، وكانت في البدء شعبة من شعبها، ثم تحوّلت إلى قسم يرتبط بوكالة الوزارة لشؤون الشرطة في ٢٠١٦، إلى أن تم ربطها بمكتب وزير الداخلية-دائرة العلاقات والإعلام عام ٢٠١٩. وقد حصلت على دعم كبير، سواء من الوزارة، أو من المنظمات الدولية، خصوصا "منظّمة الهجرة الدولية".

هدف المؤسسة كان تخفيف الضغط على المحاكم ومراكز الشرطة، وهي مؤسسة "مساندة"، أي أنها لا تمتلك صلاحيات تؤهلها لفعل شيء، وتكتفي بحملات "التوعية"، والمشاركة في الندوات، وتلقّي الشكاوى، والقيام ببعض المشاريع، مثل "طبابة الخير"، وهو مصطلح يطلق في العرف العراقي على الطرف، الذي يتدخّل لحل نزاع بين جهتين، وكأن تلك "الشرطة" منظمة غير حكومية، من تلك التي بات يمتلئ بها العالم العربي، دون فعالية تذكر، إلا رفع التقارير للممولين.

تعمل "الشرطة المجتمعية" على "إصلاح" العلاقة بين الفتاة ومعنّفها، دون اللجوء إلى أي تحرك قانوني، سوى توقيع تعهّد بعدم المساس بالمُعنّفة، وطبعا هذا التعهّد لا قيمة له في حماية النساء. ولا تكتفي "الشرطة المجتمعية" بـ"طبابة الخير"، بل إنها أيضا تعيد الهاربات إلى عوائلهن، وبعضهن فقدن حياتهن، بعد عودتهن.

وبهذا يمكن اعتبار تلك "الشرطة" مؤسسة "مساندة" بالفعل، ولكن مساندة للعنف المجتمعي، تحت حجة مراعاة الثقافة الاجتماعية، والعادات العراقية.

يؤمن كثير من العاملين/العاملات في هذه المؤسسة بأن النساء اختلف سلوكهن بسبب الإنترنت، وقد تغيّرن وتجرّأن على عوائلهن، ويرون أن مهمتهم العمل من أجل حفظ الاستقرار داخل المجتمع، وحمايته من الأفكار الخارجية، وبالتالي فيمكن اعتبارها مؤسسة شديدة المحافظة.

في العام الماضي عملت كاتبة هذه السطور مع "الشرطة المجتمعية" على برامج مشتركة، لصالح مؤسسة عراقية، وكانت شاهدة على بعض القضايا. ففي اللقاء الأول مع ضبّاط ذلك الجهاز، تحدّثت إحدى الضبّاط، وهي المرأة المسؤولة عن استقبال حالات العنف المنزلي، عن خبرتها في هذا المجال، وأشارت، دون تردد، إلى أن "بعض النساء يستحققن الضرب"، ثم أردفت أن "النساء الآن لا يتحملن، فبمجرد ضربة خفيفة، سيشتكين ضد أزوجهن".
ما يثير الدهشة أكثر هو طريقة وصول تلك الضابط، بأفكارها العنيفة ضد النساء، لمنصبها، إلا أن العجب زال، بعد أن علمنا، من العقيد المسؤول عنها، طرق اختيار النساء، اللواتي يجب أن يعملن في هذا القسم، ومنها "أن يكن قليلات الأنوثة، وجههن خالٍ من المكياج أو الفلر، شكلهن متحفّظ، لا يتزيّنن، ويجب ألاّ يلفت وجههن النظر، وأن يكن على خلق عالٍ، ومتديّنات". وهذا بالطبع يحلينا إلى المشكلة الأكبر، وهي سيطرة المعايير الذكورية المحافظة في المؤسسات العامة، وعدم ترفيع أية امرأة لا تتناسب أفكارها مع تلك المعايير، ما يعيد إنتاج الهيمنة نفسها، لكن بوجوه نسائية.
ربما لهذا السبب، و رغم تجاوز النساء العراقيات "الكوتا" المخصصة لهن في الانتخابات النيابية الأخيرة، لم نجد نوابا إناثا يطالبن بحقوق النساء، لأنهن ببساطة تابعات لأجندات أحزابهن الذكورية، التي لم تكن سترشحهن إلى المقاعد النيابية، لولا "التزامهن" الكامل بمعايير تلك الأحزاب، وأغلبها من أحزاب الإسلام السياسي.

بهذا الشكل، تصبح مؤسسة "الشرطة المجتمعية"، بهيكليتها الذكورية، عقبة في طريق النساء للحصول على أبسط حقوقهن، أي حق الحياة، خلقت وزارة الداخلية العراقية عبرها طريقا فرعيا، يؤدي بالنساء للعودة إلى معنفيهن، دون أن يصلن إلى مراكز الشرطة أو المحاكم، رغم أن وصولهن لا يعني بالضرورة حمايتهن أو الحصول على حقوقهن.

ولكن لماذا يتم خلق تلك العقبات بين النساء والقانون، أو بين النساء والقضاء؟ وما فوائدها للدولة؟

العنف البنيوي: لماذا يمكن اعتبار الدولة "مجرم الشرف" الأول؟

تعتبر سياسات الدولة العراقية ذكورية بامتياز، إذ تعمل مؤسساتها، القانونية والتعليمية

والإعلامية، على ضمان معادلات معيّنة من القوة والهيمنة داخل المجتمع العراقي، وقمع فئات بعينها، لا يتناسب وجودها ونشاطها مع تصوّر الدولة المحافظ عن المجتمع، وهذا ما يتضح في تبنّي قضايا القتل تحت مسمى "الشرف"؛ أو العنف تحت مسمى "التأديب"؛ والبيدوفيليا في التهاون مع زواج القاصرات؛ كذلك في مرونة الدولة مع الأعراف العشائرية، المسيطرة على وضع النساء العام. في الواقع لا تهتم السلطات العراقية بسلامة النساء، مهما ازداد عدد الضحايا، ولا تشكّل أي قضية بالنسبة لها، مهما كانت فداحتها، دافعا للتحرّك باتجاه فعل حازم.

في القضية الأشهر، منذ بدء العام الحالي ٢٠٢٣، وهي قضية اليوتيوبر طيبة العلي، التي قُتلت على يد والدها، حَكَم القضاء على الأب بالسجن لمدة ستة أشهر فقط، لأنه "قتل دون سبق إصرار وترصد"، بحسب المحكمة، وسيخرج من سجنه ربما في بداية شهر تشرين الأول/أكتوبر المقبل، على اعتبار أن الحكم صدر في شهر نيسان/أبريل الماضي.

لقد تم التعامل مع قضية المغدورة طيبة العلي بتهاون، رغم أنها قضية رأي عام، إلا أن حياتها، وحياة النساء عموما، لا تغيّر شيئا في معادلات الدولة، ولا تحرّك فيها ساكنا، إلا في حال قيام النساء بالتصدّي لقرارات الحكومة، والتظاهر ضدها، وعندها ستعتمد الدولة، بأحهزتها الرسمية وغير الرسمية، آليات تحويل المعارك السياسيّة والأيديولوجيّة إلى معارك أخلاقية، تُتهم فيها النسويات بالعهر، حتى يتم ضمان صمتهن. ومن المعروف أن النساء لا يمكنهن أن يقاومن في ميدان "الشرف"، لأنه ميدان ذكوري، مهمته وصم النساء أساسا، وأي معركة فيه خاسرة سلفا.

ربما توقّع الدولة العراقية اتفاقيات دولية، تخصّ حماية المرأة، وأيضا تعقد اجتماعات، تدعو فيها إلى المساواة، إلا أن هذا لا يعدو كونه نوعا من "العلاقات العامة" على المستوى الدولي، في بلد يطالب دوما بـ"المساعدات". حتى رجل الدين الشيعي عمار الحكيم، الذي يتحدث أحيانا عن حقوق النساء، بأسلوب محافظ طبعا، فقد وُصم بأنه "أبو الإيجات"، أي الرجل المهتم بالنساء فوق سن الثلاثين، فقط لأن هناك نساء يحضرن مؤتمراته.

إلا أن هذا لا يعني أن الدولة العراقية تهمل قضايا النساء تماما، بل تتحوّل تلك القضايا إلى مسائل كبرى، قد تهدد "الأمن القومي"، عندما تمسّ ما تراه الدولة "المقدسات" و"الاستقرار الاجتماعي"، مثل مسائل الطلاق، وتجريم العنف الأسري، والمثلية الجنسية، وحرية النساء في اختيار شركائهن.

بهذا المعنى فإن الشرطة المجتمعية ليست مؤسسة لنصرة حقوق النساء، ولا حتى لحمايتهن من العنف والقتل، وإنما جهازا رديفا، يقوم بنوع من الوساطة، لإبقاء النساء ضمن الأطر الاجتماعية التي تدعمها الدولة، قبل أن تتفاقم الحالة، ويصبح تدخّل أجهزة الشرطة والقضاء

ضروريا. وبذلك يمكن اعتبارها جهازا أيديولوجيا، يكمل عمل الأجهزة العنفيّة للدولة، ليس فقط بالقمع الفيزيائي المباشر للنساء، وإنما أيضا بترسيخ أدوارهن الجندرية الدونية، التي تؤمّن استقرار النظام المتهالك.

تسييس الألم: حرية العراق تمرّ بتحرّر نسائه

الأوجاع التي تعيشها النساء العراقيات لم تعد عادية، ورغم ذلك فهي غير مرئية، لا للدولة المتديّنة، ولا لليبراليها المتواجدين على كراسي مجلس النواب. ورغم أن النساء استطعن شغل مساحات واسعة من الأعمال الاحتجاجية ضد السلطة، في انتفاضة تشرين العراقية عام ٢٠١٩ وغيرها، وانتخبن نوابا "مستقلين" أو مرتبطين بالانتفاضة، إلا أن هؤلاء النواب لم يهتموا بالحديث عن القضايا النسائية، لذا باتت الحاجة الآن، أكثر من أي وقت آخر، لوضع قضايا النساء في الصدارة السياسية، وتفكيك الخطابات السياسية العراقية، في السلطة والمعارضة، من منظور نسوي.

هكذا فإن مواجهة أجهزة، مثل "الشرطة المجتمعية"، أمر شديد الأهمية، أولا لكسر الحاجز، الذي نصبته الدولة العراقية بين النساء وأجهزة القانون؛ وثانيا لفضح "الثقافة" المعادية للنساء، في الأجهزة الرسمية؛ وثالثا لحماية النساء من إعادتهن إلى قتلتهن، تحت دعاوى "طبابة الخير" وغيرها.

عندما تصبح المواجهة مباشرة، بين النساء ومؤسسات إنفاذ القانون، يمكن إعادة طرح الانتهاكات، بوصفها قضايا رأي عام، وخرقا مباشرا لحقوق المواطنين، بما يخالف الدستور العراقي، والمعاهدات الدولية، التي وقّعت عليها السلطات العراقية، ولن تعود بعدها قضايا خفية، تحلّها "الشرطة المجتمعية" بصمت، أو عبر "التوعية".

ولهذا فإن أهمية نقد ممارسات تلك "الشرطة" لا تقتصر على إنصاف النساء اللواتي يلجأن إليها، من دون جدوى، وإنما إعادة تسييس القضايا النسائية، لتصبح على رأس أولويات الحيّز العام في البلد، ولعل هذا من أهم أساليب مواجهة النظام الطائفي القمعي، الحاكم في العراق منذ سنوات طويلة، ففي بلد يمكن أن تقتل نساؤه بكل بساطة، وبدون عواقب، ستترسخ بالتأكيد كل هرميات القمع والإقصاء والتخلّف، وسيصبح العنف المنفلت ممارسة اعتيادية، ومترسّخة في البنية الأساسية للنظام القائم. وبالتالي فإن تحرر النساء هو تحرير للعراق بأكمله، من كل تلك "الثقافة"، التي تجعله من أكثر دول المنطقة دموية.

الشرطة المجتمعية في العراق... يد القانون التي لا تحمي الضحية

طيبة علي

نشر هذا النص في الأصل على موقع رصيف22 الصحفي، بتاريخ 25 مايو 2023
بالعنوان نفسه، وقد أعيد نشر النص بإذن من موقع رصيف 22 والكاتبة.

تقول «ف.أ.»، التي تعمل معلمةً في الكرادة في بغداد، إن «أخاها كاد أن ينهي حياتها خنقاً وآثار يديه لا تزال على عنقها، إثر مجادلة كلامية بسبب طريقة ارتدائها الحجاب». اتصلت مراراً بالشرطة المجتمعية لتبلغهم عن تعرضها لسوء المعاملة، وبأنها لا تحتمل أن ترى أخاها أمامها بعد اليوم جراء التعنيف الذي تتعرض له، وقد تلقت الرد أخيراً بهذه الطريقة: «إحنا صائمين منو إله خلك إلج؟» (نحن صائمون ولسنا في وارد الاستماع إلى شكواك).

تصاعدت وتيرة العنف ضد النساء في العراق بشكل كبير منذ فترة جائحة كورونا، وتزايدت في العام الأخير. ضجت مواقع التواصل الاجتماعي بصور وفيديوهات مرفقة بكمّ هائل من الغضب وبتعليقات تعبّر عن امتعاض البعض ورفضهم للسلوكيات العدائية والعنف الأسري الحاصل في حقهن، واللافت حين تتبع هذا الواقع، أنه عندما تتوجه أنظار الإعلام نحو موضوعٍ ما، تتذكر السلطات على حياء أن تتحرّى حوله وتتابعه.

يكمن دور الشرطة المجتمعية في العراق، والتي شرعت وزارة الداخلية العراقية في تشكيلها في عام ٢٠٠٨، في حل المشكلات الاجتماعية ودعم الأسرة، وحماية حقوق الإنسان والشرائح الضعيفة والأقليات، وعُدّت حينها خطوةً على طريق دعم المرأة ومساعدتها، وهو ما حصل في كثير من الحالات، إلا أن الواقع المعيش يشي بأن كثيرات من النساء ما زلن يعشن ظروفاً مأساويةً.

دور الشرطة ويد القانون

تتداول النساء العراقيات في ما بينهن صور التعذيب والإرهاق النفسي الواضح عليهن، كرسائل محملة بالأسى، واللعنات، لمشاركة معاناتهن، وطلباً للنجدة، على أمل أن يحصلن على القليل من المواساة أو المساعدة، وهو طموح ليس مقدوراً عليه دائماً كتعويضٍ عن التقصير الحاصل من الجهات المسؤولة عن حمايتهن كمواطنات من الدرجة الأولى.

اتصلت «ف.أ» مراراً بالشرطة المجتمعية لتبلغهم عن تعرضها لسوء المعاملة، وبأنها لا تحتمل أن ترى أخاها أمامها جراء التعنيف الذي تتعرض له، فأتاها الرد: «إحنا صائمين منو إله خلك إلج؟»
في هذا السياق، تقول مسؤولة الرصد الإلكتروني في الشرطة المجتمعية في محافظة النجف، أسماء الطالقاني، إن «دور الشرطة المجتمعية هو حل المشكلات بطريقة ودّية وتوعوية من دون الاضطرار إلى اللجوء إلى مراكز الشرطة أو القضاء، وذلك من أجل تخفيف الزخم الحاصل بسبب البلاغات التي تتسلمها الشرطة بشكل يومي ومستمر، ونتعامل مع المتقدم بالبلاغ بشكل مباشر فور تلقيها المعلومات اللازمة».

وتتحدث عن المعوقات التي تواجههم وتحدّ من عملهم، وأبرزها طبيعة المجتمع العراقي، العشائري، وعقلية الأهالي الصعبة، وهذا ما يتطلب منهم «التواصل معهم لأيام، فقط من أجل محاولة إقناعهم بالعزوف عن إيذاء الفتاة الهاربة أو قتلها على سبيل المثال».

وحصلت الكثير من الحالات التي قامت فيها الشرطة المجتمعية بإرجاع الفتيات إلى ذويهن كما حصل مع طيبة العلي، التي تواصلت الشرطة المجتمعية وشرطة الديوانية مع ذويها بشكل شخصي بعدما أبلغتهم الأخيرة بأنها ستُقتل على يد عائلتها، وقامت الجهات المعنية بإلزام العائلة بالتوقيع على تعهد بعدم التعرض لها. وقد تدخلت جهات عشائرية أيضاً في محاولة لتهدئة الوضع، ولكن انتهت القضية بمقتل طيبة خنقاً بعد ثلاثة أيام، في ٢ شباط/ فبراير الماضي.

بحسب الطالقاني، «نحن لدينا صلاحيات محدودة وعندما نواجه حالات ترفض العودة، نقوم بتسليمها إلى القضاء وتحال بعدها إلى دور الإيواء الموجودة في المحافظة. أما أن نقوم نحن بأخذ فتيات معنّفات رغماً عن أهلنّ، فلا يمكننا ذلك لأنه لا يوجد لدينا في القانون ما يتوافق مع مثل هذه الخطوة».

وتضيف: «مهمتنا أن نحتوي القضية وأن نحول دون أن تتفاقم، وأن نقدّم إرشادات إلى الأهل حول الدعم النفسي وكيفية التعامل مع ضحايا العنف الأسري والابتزاز، بحدود الصلاحيات المتاحة لنا فقط، ثم نقوم بمتابعة الحالة بأساليبنا الخاصة ونحن جادّون في عملنا، لكن لا يوجد عمل لا يخلو من المشكلات والضغوط. وربما قد تحصل هناك إخفاقات صغيرة، إلا أنه لا يجب على النساء أن يمتنعن عن التقدم بالبلاغ أو الاتصال بنا».

الأسى نهايته الموت

لن تكون هنالك حقوق كاملة لفرد ما من دون أن يعي احتياجه إلى هذا الحق بنفسه ومن دون أن تركز المؤسسات الحكومية على إعطاء هذا الحق، والأمان الاجتماعي لا يمكن أن يتوفر لضحية تعيش خائفةً في منزلها أكثر من عيشها خائفةً من الغرباء في الشوارع. يمكن للمرأة تلقّي الصفعات والركلات لكن لا يمكنها أن تتصل أو تتقدم بشكوى باحثةً عن منفذٍ لها، فالاحتمالات هنا ضئيلة وغير آمنة كونها منوطةً بصلاحيات معينة وشروط، فالطاعة والصمت يشكلان ضرورةً قصوى للنساء للبقاء على قيد الحياة؛ هكذا بنى هذا المجتمع أسواره حول المرأة، وجعلها مع الوقت، عاجزةً تماماً.

وأشارت دراسة عن العنف ضد المرأة في العراق، نُشرت في موقع هيئة الأمم المتحدة للمرأة، إلى أن غياب قانون رادع لحماية النساء والفتيات من العنف الأسري، وضعف مؤسسات إنفاذ القانون، وانتشار السلاح خارج نطاق الدولة، كُلها أسباب أدت الى تفاقم ممارسات العنف ضد النساء والفتيات.

وفي الدراسة القضائية نفسها، وجد الاستقصاء أن قرارات المحاكم قد تتهاون في بعض العقوبات المفروضة على مرتكبي جرائم العنف الأسري، وأن أغلب هذه الدعاوى تنتهي بالصلح».

تقول «م.أ.»، وهي مدرّسة في جامعة البصرة، إنها اتصلت على الخط المخصص للشرطة المجتمعية مرات عدة بعد سماعها صراخ جارتها، وتلقت الرد التالي: «شنو إحنا ما عدنا غيرج؟»، ثم أُغلق الخط. بعد يومين وفي المنطقة نفسها في محافظة البصرة، عُلّقت لافتة تنعى «ح.ع.»، جارتها التي تبلغ من العمر عشرين عاماً والتي كانت تقابلها عند رجوعها من الجامعة عن طريق الصدفة أحياناً. لم يتكلم أحد عن موتها ولم نعلم السبب».

تقول «م.أ.»، وهي مدرّسة في جامعة البصرة، إنها اتصلت بالشرطة المجتمعية مرات عدة بعد سماعها صراخ جارتها، وتلقت الرد التالي: «شنو إحنا ما عدنا غيرج؟». بعد يومين عُلّقت لافتة تنعى «ح.ع.»، جارتها.

«ظروف الموت هنا غامضة، لكن ملامح الموت هي واحدة على وجوه النساء. وفي بعض الأحيان عندما تحاول امرأة أن تتقدم ببلاغ عن أبٍ أو أخٍ مُعنِّف، قد تُقابَل بنصح ديني ووعظ، وكأن الشرطة المجتمعية أصبحت شرطة آداب»؛ هذا ما تقوله «ع.ج.»، ذات الثلاثة والعشرين عاماً، وهي طالبة في كلية الآداب في بغداد، وهي تشرح كيف أنها تقدمت للإبلاغ عن تهديد والدها

بقتلها، وانتهى بلاغها بهذه العبارات: «كلام ساعة عصبية لا تخافي هذي المشكلات تصير بين الأهل».

من جهتها، قدّمت نورهان، التي تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً وما تزال طالبةً في إحدى ثانويات بغداد، معلومات وصوراً لنا، خزّنتها في السنوات الماضية عن محاولة اعتداء عليها من قبل أخيها الصغير، وكانت تردد: «هو وحش مو أخ»، وأرفقتها بالحديث عن محاولات عدة للإبلاغ ولكنها كانت تتراجع عند رفع السماعة، إذ إنها في كل مرة كانت تريد فيها أن تتكلم عما حصل كانت تخاف ثم تتراجع، مثلها مثل أي فتاة ترى أحوال النساء وتسمع عن مصائرهن في مواجهة الجاني أو مواجهة الموت.

تنتهي شهادة نور بمزاج من النوع الذي قد لا يفارق ذاكرتك: «لو حدث لي شيء، أنت خذي حقي ولا تسكتي»، على افتراض أن استرداد الحق بعد الموت سيأتي بنتيجة. وإن استردت الفتاة حقها، فهل ستسترد حياتها بعده؟

صون الحقوق... ولكن

تقول مديرة الشؤون النسوية في الشرطة المجتمعية في بغداد بسمة الزيدي، إن «أداء الشرطة المجتمعية ومهامها هي مهام إنسانية تهدف إلى صون حقوق الإنسان وتعزيز السلم الأهلي وفق الصلاحيات المنوطة بها».

تروي أنه خلال عملها في الشعبة النسوية، صادفت قصص نجاح كثيرةً لنساء معنّفات وهاربات، إلا أن «هنالك بعض القضايا التي تحتاج إلى أيام أو أشهر لكي تُحلّ بشكل جذري، فنحن نحاول أن نوصل إلى الناس أن الحلول التي تقدّمها الشرطة المجتمعية هي حلول ودية وتصالحية وأن أساس عملنا يرتكز على مبدأ العدالة التصالحية بين الأطراف وليس الدخول في نزاع وتأجيج الوضع».

أما بخصوص البلاغات والمناشدات التي ترِد عبر الخط الساخن، فتقول: «نقوم نحن بدورنا بالاستجابة إلى البلاغ بشكل فوري، وإذا كانت القضية تحتاج إلى توجه إلى مؤسسة أخرى نقوم أيضاً بإرشاد المبلغ أو توجيهه إلى القضاء بحدود معرفتنا ولدينا مفارز ودوريات تعمل بشكل يومي ومنتظم من أجل أن تحدّ من حالات الهرب والانتحار التي سرت بين النساء والمراهقات في الآونة الأخيرة، ونشجع على ثقافة الإبلاغ عن حالات العنف واثقين بأننا سنقدّم كل ما في وسعنا».

نحن نعلم بأن اللوم في جميع الأحوال سيقع على عاتقنا، بينما التلكؤ والعجز الحقيقي ليسا في منظومتنا ولا في استجابة الشرطة، إنما في المنظومة الحكومية التي ما زالت تراجع مسودات القوانين من دون أن تقرّ واحدةً منها

وفي محادثة مع الباحثة العراقية جنان الجابري، ركزت على ذكر الأساسيات، وهي أننا عندما نسمي شيئاً بأنه حق لشخص فنحن نعني أنه على المجتمع حمايته في امتلاك حقه، سواء بقوة القانون أو بالتربية والتعليم، فما بالنا تعجز الجهات المعنية عن تقديم المعونة بشكل

كامـل بسـبب عـدم وجـود قوانـين منصفـة تسـاعدهم عـلى أداء هـذه المهـام؟ فعندمـا يتعلـق الموضـوع بامـرأة معنَّفـة أو هاربـة تأخذهـا الجهـات التـي التجـأت إليهـا وتقدّمهـا إلى ذويهـا كـما حـدث خـلال الشـهر المـاضي -حسـب مـا نُـشر في الفضائيـات- حـين أعـادت الشرطـة المجتمعيـة أربـع فتيـات معنَّفـات إلى منازلهـن خشـية الملاحقـة العشـائرية بعـد توقيـع الأهـالي عـلى تعهـدات خطيـة بعـدم المسـاس بهـنّ، بغـض النظـر عـن العواقـب التـي قـد تواجههـا المـرأة الهاربـة عنـد عودتهـا. فـإلى مـن سـتتوجه النسـاء حينهـا؟ ومـا هـي البدائـل؟

الخوف الحاضر دائماً

تذكـر الشرطـة المجتمعيـة أنهـا تراقـب هـذه الحـالات عنـد إرجاعهـن، لكـن هنالـك تحفظـات بسـبب سريـة العمـل ولا يُسـمح بمشـاركة تفاصيـل هـذه العمليـات مـن دون موافقـة الأهـل، مـع التطـرق أيضـاً إلى أخلاقيـات العمـل التـي تتطلـب منهـم اعتـماد منهجيـة معيّنـة تـكاد تكـون مخفيـةً عـن أعـين العامـة، فعـلى سـبيل المثـال، طرحنـا سـؤالاً عـلى عيّنـة مـن الشـباب العاملـين في المجـال الطبـي عـن حـالات الانتحـار أو التعنيـف التـي تصـل إلى المستشـفيات، ومـا هـي الإجـراءات التـي يقومـون بهـا بدورهـم، فـكان الـرد بشـكل جماعـي: «الفتيـات اللـواتي حاولـن الانتحـار أغلبهـن يرفضـن وجـود الأهـل معهـن في الغرفـة في المستشـفى، ويكتفـين بالـصراخ والبـكاء أحيانـاً، والمعنّفـات غالبـاً يكـون الشـخص المسـبب لهـنّ بهـذا الأذى هـو المرافـق لهـنّ، لذلـك نكتفـي بمعالجتهـن، أمـا التبليـغ فـلا يقدّم ولا يؤخـر لأننـا نتـضرر والمريضـة تتـضرر أكـثر ومـن الممكـن أن تُحـرم حتـى مـن الإنقـاذ».

وقالـت إحـدى الممرضـات إنهـا حاولـت ذات مـرة أن تكتـب بلاغـاً عـن حالـة امـرأة متزوجـة ومعنّفـة بشـكل دمـوي ومخيـف؛ كدمـات زرقـاء عـلى الوجـه وكسـور في الفـك، لكنهـا لم تكمـل البـلاغ بسـبب خوفهـا مـن المسـاءلة القانونيـة، ولأنهـا تنتهـك خصوصيـة المريضـة».
وبعـد حديـث طويـل مـع أحـد المتلقّـين للبلاغـات، صرح بأنـه «يوجـد مـا يسـمى بالبلاغـات الفارغـة التـي تأخـذ حيـزاً مـن عمـل الشرطـة في حـين أنهـا لا تسـتحقه، ويُطلـب منـا فـرز هـذه البلاغـات لـكي يتسـنى لنـا العمـل عـلى المهـام الملحـة، فهنالـك بلاغـات عندمـا نعـاود الاتصـال بأصحابهـا تكـون أجهزتهـم مغلقـةً أو مشـغولةً، فـما يسـعنا أن نفعـل حينهـا؟».
ويضيـف: «نحـن نعلـم بـأن اللـوم في جميـع الأحـوال سـيقع عـلى عاتقنـا، بينـما التلكـؤ والعجـز الحقيقـي ليسـا في منظومتنـا ولا في اسـتجابة الشرطـة، إنمـا في المنظومـة الحكوميـة التـي مـا زالـت تراجـع مسـودات القوانـين مـن دون أن تقـرّ واحـدةً منهـا لـكي نتقـدّم في عملنـا».

هـي سرديـات لا تنتهـي عـن الوقائـع التـي تعايشـها النسـاء في كل جـزء مـن البـلاد، ومنهـا مـا يُـدوّن في مذكـرات ومنهـا مـا يُرسـل كوصيـة عـن طريـق المـزاح. ومـا زال الواقـع كـما هـو بـين شـهادات الضحايـا وبـين حديـث العاملـين في المؤسسـات الأمنيـة والحكوميـة. فكيـف يمكننـا أن ننـال حقوقنـا ونحـدّ مـن هـذه الحـالات مـن دون أن ننتظـر اسـتجابةً مـن مكالمـة قـد تنتهـي حياتنـا عنـد انتهائهـا، أو قـد نخفـق في إكمالهـا حتـى؟

كيف «لا تنجو» النساء في العراق؟!

ان إ.م .بلدي

نشر هذا النص في الأصل على موقع جمار الصحفي، بتاريخ 13 شباط 2023
بالعنوان نفسه، ويمكن العودة إلى المقال على الرابط التالي:
www.jummar.media/2885
وقد أعيد نشر النص بإذن من موقع جمار والكاتبة.

في أكثر من حادثة قامت الشرطة المجتمعية بإعادة النساء المُعنّفات والهاربات من عائلاتهّن إلى نقطة الصفر بعد أن هربنّ للنجاة بحياتهنّ عن طريق توقيع الجناة لتعهّد بعدم تعنيفهن مرة أخرى. لا يخلو شهر إلا وتنشر الشرطة المجتمعية عن مثل هذه الحالات. بيد أن الضحية ما أن تصبح في منزل مُعنِّفيها حتى تختفي أخبارها.. هكذا لا «تنجو النساء» في العراق!

نشرت الناجية آية الموسوي في كانون الثاني ٢٠٢٣ على خاصية الستوري حديثاً لها مع امرأة أخرى طلبت منها أن تدلها على أماكن تستطيع فيها الشكوى ضد ذويها الذين يعنفونها. بيد أن الموسوي لم تشجعها على رفع شكوى ضدهم لأنهم سيهربون من العقاب بدفع كفالة مالية بعد قضاء بضع ليالٍ في السجن.. "أنا آخر مرة انذبحت لأن اشتكيت"، تصف الموسوي ما حدث معها بعد خروج معنفها من السجن. رأينا كلنا تلك الصور المرعبة للكدمات الزرق التي علت وجه الموسوي ورقبتها الممزقة بآلة حادة، وهي التي شكلت قضيتها رأيا عاما حتى تم إخراجها إلى بر الأمان في عام ٢٠٢٢.

مجرد سؤال امرأة معنفة لامرأة معنفة أخرى عن عنوان تحتمي فيه في العراق من عنف ذويها، وخاصة في زمن المعلومات المتاحة على الانترنت، يؤكد مدى ضعف الدولة في حماية المرأة؛ مع العلم أن جهاز "الشرطة المجتمعية" الذي تم إنشاؤه بعد ٢٠٠٣، من المفترض أن يكون عنواناً مركزياً لهؤلاء النساء. يعرّف موقع وزارة الداخلية "الأهداف العامة" للشرطة

المجتمعيـة بخمـس نقـاط، أهمهـا "دعـم الاسرة وحمايـة حقـوق الشرائـح الضعيفـة والأقليـات".

يُلاحـظ مـن الفيديوهـات التـي تروجهـا الشرطـة المجتمعيـة، والتـي نراهـا تعمـل كـما الدولـة العراقيـة بموجـب ثقافـة "الترنـد"، كـما قضيـة الموسـوي المذكـورة سـابقاً والتـي وصلـت إلى الشرطـة المجتمعيـة بعـد تفعيـل عـدد كبـير مـن "الهاشـتاغ" عـلى مواقـع التواصـل الاجتماعـي ومسـاهمة الحسـابات والشـخصيات النسـوية البـارزة في نـشر قضيـة الموسـوي، علـماً بـأن الضحيـة ممثلـة مـن قبـل محاميـة.

لكـن المُضمـر في عمـل الشرطـة المجتمعيـة، هـو دورهـا في إدامـة النظـام الأبـوي، وحمايـة شـكل الأسرة القائمـة عـلى الأبويـة والذكوريـة.. والنسـاء أكـثر مـن يعرفـن ذلـك.

"الله وكيلج كلشي ما سوولي لا تشتكين ولا شي"، حذّرت الموسوي محدثتها.

"إعادة" البنات أم حمايتهن؟

في بيـان نشرتـه الشرطـة المجتمعيـة أواخـر عـام ٢٠٢٢ وضّحـت فيـه جهـود "شـعبتي التنسـيق العشـائري والشـؤون النسـوية التابعتـين لقسـم الشرطـة المجتمعيـة في دائـرة العلاقـات والإعـلام" في اعـادة فتـاة تبلـغ ١٤ عامـاً بعـد هروبهـا مـن ذويهـا لمـدة ١٥ يومـاً بسـبب تعرضهـا للعنـف. وأكـد البيـان أن الشرطـة المجتمعيـة سـتكون لهـا زيـارات دوريـة للفتـاة للتأكـد مـن عـدم تعرضهـا للتعنيـف.

هـل إذن باتـت مهمـة الشرطـة المجتمعيـة هـي "إعـادة البنـات" المعنفـات وليـس حمايتهـن مـن العنـف؟ وكيـف تضمـن لهـن عـدم تعرضهـن للعنـف، أو حتـى القتـل، في الفـترة التـي لا تزورهـا فيهـا؟

في أكـثر مـن حادثـة قامـت الشرطـة المجتمعيـة بإعـادة النسـاء المعَنّفـات والهاربـات مـن عائلاتهّـن الى نقطـة الصفـر بعـد أن هربـن للنجـاة بحياتهـنّ عـن طريـق توقيـع تعهـد بعـدم تعنيفهّـن مـرة أخـرى. لا يخلـو شـهر إلا وتنـشر الشرطـة المجتمعيـة عـن مثـل هـذه الحـالات. بيـد أنـه مـا أن تصبـح الضحيـة في منـزل مُعنِفيهـا حتـى تختفـي أخبارهـا.

تعتمـد الشرطـة المجتمعيـة آليـة أخـذ التواقيـع مـن المعنفـين كضـمان لعـدم تعرضهـم للنسـاء مـرة أخـرى، إلا أن تلـك التواقيـع لا تمثـل عائقـاً أمامهـم لتكـرار عمليـة التعنيـف والإسـاءة النفسـية وحتـى القتـل، وذلـك لأن سـلطة القانـون لمواجهـة العنـف ضـد النسـاء هـي ضعيفـة أصـلاً.

أكـد لنـا أحـد العاملـين في منظمـة مجتمـع مـدني معنيـة بحمايـة النسـاء مـن العنـف اثنـاء متابعتـه الشـخصية لحالـة فتاتـين مـن الناصريـة عـام ٢٠٢٠ أن الشرطـة المجتمعيـة أعـادت الفتاتـين الهاربتـين

مـن التعنيـف بعـد أخـذ توقيـع ولاة الأمـر بعـدم التعـرض لهـن، مـا هـي إلا فـترة وجيـزة وتـم قتلهـن. في حـين يؤكـد حسـاب عـلى فيسـبوك يدعـى "الناصريـة نيـوز" خـبر مقتـل فتاتـين غـربي الناصريـة رميـاً بالرصـاص، إلا أن مصـادر دائـرة صحـة ذي قـار أكـدت أن الفتاتـين قتلتـا "غسـلاً للعـار" في ١٦ أيـار ٢٠٢٠.

إن مـا تغفـل عنـه الشرطـة المجتمعيـة، أو تغـض النظـر عنـه هـو أن خـروج المـرأة أو الفتـاة العراقيـة مـن بيتهـا كان فعـلاً اضطراريـاً في المقـام الأول، والـذي يحـدث بعـد ضغـط هائـل وانعـدام الأمـان مـن أقـرب دائـرة منهـا، هـي الأم والأب والأخـوة والأخـوات، بحيـث تتحـول الأم في بعـض الأحيـان إلى شريكـة في التعنيـف أو غـير قـادرة عـلى منعـه لأنهـا تكـون هـي نفسـها معنَّفـة أصـلا!

الخـروج بحـد ذاتـه يكـسِر ويكـسِّر مـا تبقـى مـن صـورة البيـت المزعـزع أصـلاً.. ويعطـي لمعنفـي هـؤلاء النسـاء والفتيـات الحجـة بـأن مجـرد خروجهـا يثبـت الحاجـة إلى العنـف منـذ البدايـة.. يثبـت عقوقهـا والحاجـة إلى تأديبهـا ولـو بإنهـاء حياتهـا. العـودة إذاً، بهـذا المنطـق، لا يمكنهـا أن تجـبّر الكسـور بـل تـأتي عليهـا بالكامـل.

طيبة العلي.. قصة قتل معلن

قصـة طيبـة العـلي تؤكـد أن العـودة ليسـت ممكنـة للنسـاء الهاربـات مـن العنـف الأسري. عـادت طيبـة مـن تركيـا إلى العـراق لأجـل خليجـي ٢٥، حيـث كانـت هاربـة قبلهـا مـن أب معنـف وأخ مُغتصِـب. نـشرت المغـدورة فيديوهـات عـدة عـلى حسـابها الرسـمي وهـي تتجـول في مناطـق وشـوارع العـراق وهـي تحمـل علـم العـراق بلهفـة. قبـل أن تقـوم بنـشر فيديـو وهـي تبـكي وتطلـب مـن كل شـخص يملـك السـلطة للتدخـل وحمايتهـا مـن التهديـدات بالقتـل التـي أصبحـت تنهمـر عليهـا فـور دخولهـا العـراق. تحدثـت المغـدورة بحرقـة عـن حبهـا للعـراق وهـي تقـول "انـا ابنتكـم". كان أملهـا الوحيـد اسـتعطاف السـلطة، لكـن هـذه الأخـيرة نفسـها هـي أبويـة ذكوريـة ولا تعـرف أن تعامـل بناتهـا إلا بالمعاقبـة.. حـدّ الإعـدام!

حالمـا عـادت طيبـة بـدأت العائلـة والمجتمـع بأركانـه المختلفـة ومـن عـلى شـتى المنصـات بالتحريـض عـلى أنهـا "عاقـة وتسـتحق التأديـب". نـشر حسـاب "أبـو الأصفـر" تسـجيلا صوتيـا ذكـر أن عائلـة المغـدورة قامـت بنـشره لدقائـق بعـد مقتـل طيبـة، ثـم سرعـان مـا حذفتـه. أرادت العائلـة مـن خلالـه "إثبـات عكـس مـا تنـشره ابنتهـم" عـن حبهـا لبلادهـا، مـن خـلال التركيـز عـلى أن طيبـة ذكـرت "رخـص العراقيـين" وأنهـا قـد "باعـت العـراق". حاولـت العائلـة أن تـبرئ نفسـها أمـام الـرأي العـام وتحويـل طيبـة إلى شـخصية كارهـة للعراقيـين، خصوصـاً لكونهـا كانـت مؤثـرة في احتجاجـات تشريـن ٢٠١٩، التـي سـاهمت في إخـراج طيبـة وآخريـن مـن دوائـر العنـف، علـماً بـأن تهديـدات المليشـيات للمشـاركين في تشريـن باتـت ورقـة حاسـمة لنيـل هـؤلاء فرصـا لمغـادرة العـراق بطريقـة أكـثر أمنـاً

مـن خـوض تجربـة التهريـب.
ليسـت فقـط العائلـة ضالعـة في ذلـك، وإنمـا نـشر حسـاب "أبـو الأصفـر" للفيديـو بعـد حذفـه بحـد ذاتـه، هـو ليـس مـن بـاب التوثيـق كـما يدعـي في التبريـرات المعتـادة كلـما نـشر عـن مؤثر أو شـخصية مشـهورة، إنمـا مـا ذلـك إلا مـن بـاب الأبويـة الذكوريـة لتوجيـه العنـف عـلى الضحيـة ومحاولـة خلـق تبريـر للجـاني ولتخفيـف الضغـط الاجتماعـي الناجـم عـن جريمـة التعنيف/القتـل. ذلـك مـن خـلال تصويـر طيبـة "المؤمنـة والمؤيـدة" لتشريـن، التـي كان شـعارها حـب العـراق، عـلى أنهـا كارهـة للعراق والعراقيـن والتركيـز بشـكل كبـير عـلى هـذه النقطـة، هـو لتحريـك عاطفـة العراقيـن وحثهـم لتغيـير آرائهـم حـول الضحيـة.

ولتثبيـت "عقـوق" طيبـة أكـثر، لم ينـشر "أبـو الأصفـر" التسـجيلات الأخـرى التـي تتحـدث فيهـا باكيـة عـن توجـه والدتهـا -والتـي يشـاع أن طيبـة عـادت للعـراق باسـتدراج منهـا- إلى الناطـق الرسـمي باسـم وزارة الداخليـة سـعد معـن، لتخـبره أن ابنتهـا "ضلّـت عـن الطريـق وتذهـب للسـكر حتـى الخامسـة صباحـاً" – التسـجيل نفسـه الـذي تدافـع فيـه طيبـة عـن نفسـها ولا تعـترض فيـه عـن إجـراء فحـص لإثبـات عـدم وجـود الكحـول في دمهـا.

لم يكـن هـروب المغـدورة طيبـة مجـرد هـروب مـن عائلـة مُعنِّفـة. فقـد نـشر حسـاب عـلى انسـتغرام يدعـى "IRAQI WOMAN RIGHTS" وهـو حسـاب مختـص بنـشر معانـاة النسـاء المعنفـات، تسـجيلات صوتيـة للمغـدورة مـع شـخص آخـر كانـت قـد وضعتهـا طيبـة بيـد أصدقـاء لهـا كأمانـة تخـرج بعـد مقتلهـا الـذي كانـت متأكـدة منـه. التسـجيلات تحتـوي عـلى صراخ لرجـل (يرجـح أنـه والدهـا) والـذي يعـترض عـلى خروجهـا مـن العـراق وذهابهـا إلى تركيـا، بينـما تقـول لـه طيبـة إنـه يعـرف لمـاذا خرجـت مـن العـراق ولا تريـد البقـاء فيـه.. بينـما يحـاول الآخـر جعـل مـا حـدث طبيعيـاً لـترد المغـدورة مسـتهزئة "أي هـي سـهلة.. اخـوي ينـام فـوكاي"، والـذي تؤكـد فيـه أنهـا تعرضـت لتحـرش جنـسي مـن شـقيقها.

وفي تسـجيل آخـر لطيبـة، نـشره الحسـاب ذاتـه وهـي تخـبر أحـداً عـن وصـول حالتهـا إلى سـعد معـن، وأن الأخـير سـيلتقي بالمغـدورة التـي أكـدت انهـا سـتقوم بإرسـال كل التهديـدات التـي تلقتهـا إليـه. ويؤكـد لنـا هـذا أن وزارة الداخليـة والتـي تمثـل الدولـة بدورهـا، قـد فشـلت في حمايتهـا بكونهـا مواطنـة عراقيـة قبـل كونهـا امـرأة، وهـي التـي كانـت عـلى قـدر مـن الشـهرة واسـتطاعت أن توصـل صوتهـا إلى العـالم. وهـذا مـا يجعلنـا نقـف أمـام سـؤال: مـا هـو مصـير النسـاء المحتجـزات في بيوتهـن وممنوعـات مـن التواصـل مـع العـالم الخارجـي؟

أتحمي السلطة النساء أم تحمي نفسها؟

ورود اسم وزارة الداخلية في قضية طيبة، سواء كعنوان لأم تبرر تأديب ابنتها أو كابنة تبحث عن عراق يحميها، يؤكد أن السلطة تعرف أن آلية الهروب وإعادة هؤلاء النساء، تعني في الأغلبية الساحقة أمراً واحداً: قتل المرأة. لم تكن طيبة أول وآخر النساء التي تم تجاهلها كضحية وكقتيلة أو تجاهل قاتليها، إذ أصبحت قضايا خمس نساء على الأقل في العام الماضي محط رأي عام: قتلن للأسباب المتعلقة بالعار والشرف ذاتها ولا يزال القتلة أحراراً.

بعد مقتل طيبة في ١ شباط ٢٠٢٣ سرعان ما بدأت تظهر شهادات مختلفة، حول كيفية تعامل المتحكمين بالسلطة مع قضايا النساء حصراً وهو ما يحدث بعد كل جريمة قتل او تعنيف تطال النساء.

نشرت النسوية والكاتبة العراقية ماسة الرمادي على حسابها في انستغرام شهادة لمحامية من الأنبار اخفيَ اسمها على خاصية "الستوري"، عن إشادة قاض بفعل رجل أقام دعوى مطاوعة أو ما يطلق عليه "بيت الطاعة" على زوجته القاصر. وشهادة أخرى يبرر فيها قاض لامرأة معنفة لجأت إليه هرباً من القتل، أن سكان الأنبار متفتحون ومتفهمون ولن يفعلوا شيئا ضدها.

في الوقت ذاته، تعالت الأصوات التي تبرر للسلطة في الحكومة وفي البيت نهجها الدامي. في ٦ تشرين الثاني ٢٠٢٢ نشر مرتضى هشام الذهبي، وهو نجل هشام الذهبي الملقب بـ"أبو الأيتام"، والذي بنى بيتاً أسماه "الحلم" لاستقبال الأيتام والمشردين، على حسابه في فيسبوك فيديو بتقنية الريلز وهو يتحدث عما أطلق عليه "الظاهرة"، وقصده هروب النساء من منازل عائلاتهن.

تحدث الذهبي وهو يلعب دور المصلح الاجتماعي بأسلوب متعالٍ، رغم أنه ادعى أنه يعطي نصيحة، عن حالات لا يستطيع تصويرها عن نساء هاربات يطلبن المساعدة من عائلات تعنفهن.

وذكر الذهبي، وهو ما يحاول جعله تبريراً لما سيقول بعدها، "يومياً أو بين يوم ويوم تجينا (أي تجيء إلى منزل "الحلم") حالة بنية هاربة مع حبيبها، أهلها كاتليها، تريد تنتحر وكومة مشاكل"، قبل أن يعترف أن "بابا هشام"، بالتنسيق مع الشرطة المجتمعية، يقومون بإعادة هؤلاء النساء اللواتي يطلبن المساعدة منهم.

برر الذهبي، بقصد أو غيره، أن هؤلاء النساء يستحققن ما يحدث معهن عن طريق لمس الجانب الذكوري لدى الفرد العراقي بجعل المرأة مُخالفة للأعراف والتقاليد العراقية، وهربت مع شخص غريب. ولم يعطِ نجل الذهبي أي اهتمام لا بحرية النساء ولا لكون العنف الأسري

هـو السـبب وراء هروبهـن ولا بحالتهـن النفسـية؛ علـماً أن والـده يكـرر في كل فيديـو يظهـر فيـه تقريبـاً أهميـة الاهتـمام بالصحـة النفسـية للأطفـال.
ملامسـة الجانـب الذكـوري ليـس فعـلاً غريبـاً عـلى المؤثريـن والمؤثـرات العراقيـن بنوعيهـم الاجتماعـي والسـياسي. إذ تمثـل السـلطة الابويـة ديمومـة السـلطة الحاكمـة، فبـزوال المنظومـة الابويـة والسـلطوية لـن يبقـى أي متنفـس للسـلطة وبقائهـا في الحكـم. وهـو مـا فعلتـه السـلطة في محاولتهـا عـدم تمريـر مـشروع قانـون حمايـة الطفـل والـذي يتيـح للطفـل أحقيـة رفـع شـكوى قضائيـة ضـد أسرتـه واعـترض نـواب عـدة عـلى تمريـر القانـون بكونـه يفـكك الاسرة العراقيـة. في الوقـت الـذي اتخـذ شـكل الأسرة الابـوي العنـف كأسـلوب للتربيـة. وأيضـا بعـدم تمريـر قانـون العنـف الاسري تحـت قبـة البرلمـان لأسـباب دينيـة وأخـرى متعلقـة بالعـرف والتقاليـد. وهـو القانـون الـذي كان بإمكانـه حمايـة طيبـة والنسـاء الاخريـات مـن القتـل، إلا أن القانـون سـيحد مـن سـلطة الذكـر وهـو مـا لا يخـدم السـلطوية في بقائهـا. في حـين ركـز البرلمـان عـلى المـادة ٥٧ مـن قانـون الأحـوال الشـخصية ومحاولـة تعديلـه تحـت ذريعـة أن القانـون يظلـم الأب.

لا مهـربَ مـن حقيقـة بقـاء العنـف عـلى النسـاء سـلوكاً تتـم ممارسـته بشـكل طبيعـي ويُشـجّع مـن الدولـة ذاتهـا. تمـارس الدولـة دور الأب وتشـيد بـه وتعـزز اسـتخدامه بمـا يتـماشى مـع الهرميـة الأبويـة الذكوريـة، ليـس فقـط لتبريـر وجودهـا وبقائهـا في السـلطة، إنمـا لإيمانهـا بواجـب ممارسـة هـذا الـدور الـذي لا يتـم تطبيقـه عـلى النسـاء فقـط، إنمـا عـلى الذكـور غـير الخاضعـين لسـلطة وأفـكار المجتمـع، وأيضـاً عـلى أفـراد مجتمعـات الميـم عـين. قتـل امـرأة فقـط لأنهـا امـرأة يعتـبر سـلوكاً طبيعيـاً داخـل الهرميـة الأبويـة ولا يحتـاج لمـبرر أيضـاً، إلا أن المـبررات التـي يتـم وضعهـا عـادةً مثـل الـشرف والعـادات والتقاليـد، ليسـت إلا جـزءاً مـن إرضـاء الذكوريـة المتسـلطة تجـاه فعـل القتـل.

حول النساء والعمل

النساء وفقر الوقت

بتول فاروق

لانملك، نحن النساء، وقتا كافياً للأهتمام بالأمور الإبداعية ، فالوقت مكرس للأعمال المتوقع منا عملها ، فالاعمال الرعائية داخل الأسرة تأخذ الوقت كله و الطاقة كلها ، كوننا تحت الطلب ، لابد ان نؤدي ادواراً متعددة وكثيرة وبالغة الجهد لانها روتينية في بعضها وغير روتينية ايضا ، وهناك من تكره هذا العمل الروتيني الممل والمثقِل والمجهد نفسيا، لأنه يهدر وقتها تماما . فقر المرأة المادي والفكري ليس إلا نتيجة حتمية لهذه الأدوار القسرية المتعددة التي تُطالب بها طيلة حياتها، ويتوقع منها أن تقوم بها ، لأنها وصمت كأعمال نسوية إنثوية ، بينما هي ليست كذلك، هي أعمال نسوية لانها مجانية بلا أجر ، فالرجل يمكن ان يعمل في مطعم ما لثمان ساعات مثلا ، ويحصل على الأجر فلا يقال له أنت تعمل بمجال نسوي أو إنثوي . الأجر وعدمه هو من يجعل هذا العمل نسويا أو رجاليا، فكل عمل تقوم به النساء سيكون مجانيا، ويصبح واجبا عليها، وسمة من سمات أنوثتها، بينما عمل أخيها الرجل ذاته سيكون مأجورا وبأوقات محددة ومعروفة سلفا.

فقر الوقت يؤدي الى الفقر المادي والإبداعي

كانت (مريم) وهي الان أستاذة جامعية من ألمع الطلاب والطالبات في دفعتها، وكان من المتوقع لها أن تكون مفكرة واعدة ، لما لها من حدة الذكاء النقدي واكتشاف الخفايا النظرية في اي موضوع تقرأه ، كانت تجيد التحليل والتركيب ، لتخرج بنتائج غير مطروقة، تقول انها الآن مجرد استاذة تؤدي الأدوار النمطية للأستاذ الجامعي المكلف بأعباء أدارية كثيرة ، مع قلة الأهتمام بالبحوث الإبداعية التي تحتاج الى التفرغ الكامل من العمل الرسمي والعمل المنزلي ، قالت أن اكثر مايستغرق وقتها هو العمل المنزلي الذي يجب أن تؤديه كأية إمرأة أمية أو غير دارسة دراسة عليا أو لاتملك شغفا بالقراءة والإطلاع والكتابة ، أو اي رجل عادي يمكنه المساهمة

ولو بنصف العمل في البيت .
إن أشد مايؤلمها ويجعلها غير مرتاحة نفسيا - كما تقول - أنها لاتملك الوقت الكافي لتقوم بالكتابة الإبداعية وكتابة البحوث الروتينية المطلوبة ، فهي تشعر بالعجز والشعور بالحزن النفسي، لانها لاتستطيع ان تدّخر وقتا كافيا لهذه الاعمال المحببة لها، كما أنها تأسف على حالها لما صارت اليه من حالة مفروضة عليها، بالرغم من أنها قد أخذت احتياطات كثيرة لتكون بمكان يحترم إبداعها وعملها المفضل لها .
الشعور بعدم الرضا عن حياتها وواقعها يجعلها أحيانا تمر بفترات من الحزن والكآبة ، تقول ، كان من الممكن ان أنجز الكثير، فهناك أفكار جاهزة في دماغي وتحتاج فقط لإنزالها على الورق، ومن ثم إعادة صياغتها لتقدم للنشر ، لكن هذا غير موجود في الغالب.
أما (فضاء) في بداياتها كانت أديبة واعدة ، تكتب وتخفي أوراقها لأن الديكتاتورية التي كانت في العراق لم تسمح لأحد بالظهور، فالخوف كان هو السائد . كانت تقرأ كثيرا منذ الطفولة وشبابها المبكر ، ثم وجدت نفسها بعد ان رزقت باربعة أبناء أنها قد غادرت ساحتها الأدبية والثقافية قسرا، وأن ظلت تكتب بين فترة وأخرى، وتنشر هنا وهناك، ومازالت تقرأ يوميا، وأكثر فرد في أسرتها،الا أنها لم تحقق طموحها في إكمال دراستها العليا كما تطمح، ولم تبرز إبداعها كما تريد،فهذه الأمور صارت بالنسبة اليها من الترف البالغ ، فصعوبة الحياة جعلتها تعمل داخل البيت في أعمال بيتية لزيادة دخلها، ولتحقق إستقلالا اقتصاديا مناسبا لها ولإسرتها ، بالإضافة الى أعمال المنزل الرعائية المتراكمة والتي تنجزها في العادة بمفردها .
أما (سحر) فكانت تدير الأسرة بمفردها، وهي باحثة جادة في مجال تخصصها أكملت الدراسات العليا بعد ان درست الأعدادية دراسة خارجية، بعد زواجها المبكر وهي بسن صغيرة ، ومن ثم الكلية بعد سقوط نظام صدام ، وفتح كليات أهلية متعددة في العراق ،ومن ثم الدراسات العليا بصعوبة بالغة ، بذلت جهودا جبارة لفعل ذلك ، وجدت نفسها مع زوج إتكالي منذ زواجها المبكر، يتركها ليذهب الى عمله في العاصمة ، وحتى حين يتواجد في البيت « لايكلف نفسه عناء رفع كأس الماء ليجلبه لنفسه فضلا عن إعطاء الماء لي وأنا مريضة» كما تقول . كانت تكتب في اثناء غيابه، وتجد الوقت المناسب لذلك جزئيا فهي المكلفة بتمشية الحياة اليومية للأسرة ، «حتى بتحريك الأثاث الثقيل بمفردي داخل البيت» لانها لاتتوقع من زوجها أن يساعدها في ذلك مطلقا.

لماذا كل ذلك ؟

العمل الرعائي واجب مقدس تفرضه البيئة الأبوية قسرا على المرأة مهما بلغ مستواها الفكري أوالعلمي، جُعل دور المرأة الأول أن تقوم بالأدوار الرعائية كلها داخل الأسرة بمفردها أو بمساعدة بناتها الصغار، دون تذمر أو شكوى أو حق الرفض لهذا العمل الروتيني الذي لا ينتهي وبدون حق طلب المساعدة أو المشاركة من رب الأسرة أو ذكورها، وبدون أي إمتياز مقابل عملها هذا ،

فهو عمل غير مقدر ماليا أو إقتصاديا، ولا يمنحها إمتيازات داخل أسرتها .
في العالم كله، عادة ماتقوم النساء بأدوار رعائية كاملة ، يجعلهن يفتقرن ماليا ويعشن الفقر والحرمان لان المرأة تؤدي أعمالا غير مأجورة تأخذ جل وقتها فلا يجعلها بعد ذلك تجد وقتا كافيا للعمل المدفوع الأجر أو أي عمل فني تحبه .
الأشد مرارة هو أن تجد المرأة المبدعة ذاتها مكبلة بكل هذه القيود الى درجة بالغة وهي تبحث عن الحرية في كتاباتها أو فنها أو ابداعها أو مجالها البحثي . أنها مرارة بالغة كما تقول الكاتبة (مريم) أن اجد نفسي غير قادرة على فعل شيء لها، لقد حاربت طويلا لكي اكمل دراستي وانشر كتابين أو ثلاثة ، لكن الأفكار مازالت موجودة في دماغي تدور، تريد أن تخرج فلا تجد متسعا من الوقت لفعل ذلك .
الإبداع يحتاج الى وقت حر وطويل ومفتوح وهذا مالاتملكه النساء في عالمنا العربي والإسلامي ، لذا تضيع عقول كثيرة كانت قد أثبتت قدرتها العقلية العالية في الدراسة والنجاح بمعدلات عالية ، لنجدها قد طمرت في واجبات روتينية داخل البيت يمكن ان يؤديها أي أمي أو أمية .
لذا أن تخلف النساء وتخلف المجتمع هو صناعة مجتمعية يراد منها التسهيل على جنس واحد حياته وتصعيبها على الجنس الآخر، وتكريسه لحماية مصالح الطرف الآخر .
العملية مسألة صراع القوى ، والقوي مجتمعيا هو من يفرض قوانينه بعيدا عن مسألة الحق والباطل ومسألة العدالة والدين .
بل أن القوي استخدم كل هذه الأمور ليرسم لنفسه حقوقا اضافية لاحق له فيها . وهاهي دورة حياة النساء (السيزيفية) مستمرة ومنذ القدم ، لأن القوة مازالت عند طرف واحد سيّر الحياة بطريقته التي تناسبه ، ولذا لابد للنساء من أن ترفع أصواتهن للمطالبة بتغيير الواقع الإجتماعي والقانوني لصالح توازن القوى في المجتمع ،ليحقق عدالة أسمى تتناسب مع الإنسانية المنشودة .

«استقيلي وارجعي وره الولادة».. المحرومات من إجازة الحمل والأمومة

أبرار المير طه

نشر هذا النص في الأصل على موقع جمار الصحفي، بتاريخ 28 كانون الأول 2023
بالعنوان نفسه، ويمكن العودة إلى المقال على الرابط التالي:
www.jummar.media/4724
وقد أعيد نشر النص بإذن من موقع جمار والكاتبة.

«انتِ ما راح تكونين فعالة بالشغل فالأفضل ترتاحين»، لم تفهم إيمان المغزى من كلمات المدير في بادئ الأمر، واعتقدت أنه متعاطف معها خاصة بسبب التعب المصاحب للفترة الأولى من الحمل الذي بدأت تشعره به، لكنه أوضح لها بأنه يريد منها تقديم استقالتها والعودة للعمل بعد الولادة.. عن عاملات محرومات من إجازة الحمل والأمومة.

حين دخلت مرام (٣٣ عاماً) التي تعمل في إحدى الجامعات العراقية في الشهر التاسع للحمل قبل خمس سنوات، سعت كغيرها من الموظفات للحصول على إجازة ما قبل الوضع مدتها ٢١ يوماً حسب قانون الخدمة المدنية، لكنها سرعان ما اصطدمت بواقع تمييزي يحرمها من حق الحصول عليها بسبب تشغيلها بصفة أجر يومي.

مشاقّ الحصول على إجازة الوضع والأمومة للمرأة العراقية العاملة تصعّب حياة المعيّنات بصفة أجر يومي وحياة أطفالهن، ولكنها لا تقتصر عليهن فحسب، إذ تصارع المرأة العراقية العاملة سواء في القطاع العام أو الخاص لتحصل على حقها وحق طفلها بإجازة وضع وأمومة

مدفوعتين، فتواجه العديدات الطرد من العمل وإنهاء الخدمات عند وصولهن للأشهر الأخيرة من الحمل، فيما اضطرت أخريات، كيلا يواجهن هذا المصير، للعودة إلى العمل بعد مدة قصيرة جداً من ولادتهن.

العاملات في المؤقت

معاناة كبيرة تواجهها العاملات بأنماط عمل مؤقتة في القطاع الحكومي، وخصوصاً الأجر اليومي، وهو نمط من التشغيل الحكومي غير خاضع لضوابط التعيين الحكومي المعتمدة، مثل موافقة رئاسة الوزراء والوزارة المعنية على التعيين، وإنما يقتصر التشغيل على موافقة المدراء العامين في الوزارات. وهذا النمط من التشغيل لا تُضمن بموجبه حقوقٌ عديدة، مثل البطالة والضمان الاجتماعي وإجازات الوضع، أسوة بالملاك الدائم.

علماً بأن قانون الخدمة المدنية رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٠ المعدل الساري في القطاع الحكومي، يمنح العاملة الحامل إجازة حمل وولادة قبل الوضع وبعده أمدها اثنان وسبعون يوماً براتب تام، وفقاً للمادة ٤٣ (٦)، إلا أن هذه القوانين لا تُطبق على العاملات بأجر يومي بالمؤسسات ذاتها، الأمر الذي يخلق تمييزا صريحا ضد هذه الفئات.

وهكذا اكتشفت مرام، والتي تعاني من مشاكل صحية تعقد من عملية الولادة وتتوجب إجراء عملية قيصرية، عندما سعت لتحصيل إجازة، بأنها محرومة ليس فقط من إجازة ما قبل الوضع، بل من إجازة الأمومة كذلك، وأنها ليست مشمولة بكافة الحقوق التي تتمتع بها قريناتها الموظفات في الدائرة ذاتها.

بدلاً من فترة الراحة والتحضر للولادة، قضت مرام الأيام السابقة للولادة بالبحث عن حلّ.

"رحت حجيت وية رئيس القسم وشرحتله وضعي وكتله انا مريضة وراح اسوي عملية قيصرية وشرحتله وضعي الصحي بالكامل، لكنه رد عليّ بأسلوب جداً مستفز.. إي سويها وداومي ثاني يوم شكو بيها.. وكتها طلعت من عنده والدمعة بعيني"، تقول.

أمام هذا الاستخفاف بصحتها، قرّرت مرام مقابلة رئيس الجامعة الذي تعاطف معها وقرر منحها إجازة مرضية مدتها ٢١ يوماً فقط وبدون مستحقات مالية. وحتى تستثمر هذه المدة القصيرة، اضطرت للاستمرار في العمل حتى يوم واحد قبل موعد الولادة التي تمت بعملية قيصرية.

وبانقضاء هذه الفترة القصيرة نسبياً لامرأة قد وضعت مولودها للتوّ، وبعملية قيصرية، عادت مرام إلى عملها مثقلة بأوجاع جسدية ونفسية.

"كان ألماً لا ينسى، الجو بارد وجروح العملية لم تشف بعد بشكل كامل حين انتهت الإجازة، لم أكن أستطيع المشي كثيراً وغير مهيأة للعودة إلى العمل.. حالتي النفسية لم أكن أحسد عليها، فالشعور بالألم عند اضطراري لترك طفلي الذي لم يتجاوز عمره العشرين يوماً كل صباح عند والدتي يقطع روحي.. رافقه إحساس بتأنيب الضمير والتقصير".

لا يختلف كثيراً حال العاملات بأجر يومي في وزارة النفط عنه في التعليم العالي، فحتى عندما حاول مجلس الوزراء تنظيم هذه الصفة من التشغيل في الأعوام الأخيرة بالوزارة، مثلاً عن طريق أمر رئاسة الوزراء المرقم ١٩٢ في ٢٠٢١ لضمان حقوق العاملين، لم تلتفت الوزارة لحال الأمهات المعينات فيها، من بينهن أفراح (٢٧ عاماً) وهي مهندسة كهرباء في إحدى الشركات التابعة لوزارة النفط، والتي كانت في نهاية الشهر الثامن من حملها حين بدأت العمل في الشركة.

حين وصلت منتصف الشهر التاسع من حملها زادت معاناة أفراح التي كانت لا تملك وفق قرار التشغيل هذا إجازة اعتيادية ولا إجازات ما قبل الوضع، تقول "كنت كل يوم اخذه اجازة يكصونه مني وصلت مرحله على وشك الولادة وانه ما عندي إجازة أبد لا قبل الوضع ولا بعد الوضع".

مع ولادة أفراح لطفلها، صدر قرار من الشركة يعطي للأمهات إجازة أمومة ثلاثة أشهر فقط بدون راتب وبدون احتساب مدة الإجازة خدمة فعلية، لكن سرعان ما صدر بعده بأيام قرار وزاري آخر يلغي القرار القديم ويعتبر الثلاثة أشهر هذه محسوبة الراتب والخدمة.

ولكن لم تكد أفراح تفرح بالخبر حتى اكتشفت أنها غير مشمولة بالقرار الأخير بحجة أن ولادتها كانت قبل القرار بأيام، ولم تسعفها الاعتراضات العديدة التي طالبت فيها بالإنصاف دون أن تلقى أي ردّ.

قصة أفراح، لم تكن الوحيدة من نوعها في الوزارة، إذ رصدنا قصص عدد من العاملات في مختلف الشركات التابعة للوزارة ووزارات أخرى لاقين مصيرا مشابها باختلاف سياقات القصص، من بينهن صديقة أفراح، والتي عادت للعمل بعد أسبوع واحد من ولادتها لطفلها بعملية قيصرية.

في القطاع الخاص.. إما حامل أو عاملة

أمـا العامـلات في القطـاع الخـاص فتحتكـم إجازاتهـن لقانـون العمـل العراقـي رقـم (٣٧) لسـنة ٢٠١٥، وتحـدد وفـق المـادة ٨٧ بمـدة لا تقـل عـن أربعـة عـشر أسـبوعاً في السـنة بأجـر كامـل.

بيـد أن ضعـف الرقابـة عـلى تطبيـق قانـون العمـل في القطـاع الخـاص، يسـفر عـن عـدم أمـان وظيفـي إضـافي للنسـاء، أحـد ملامحـه التعامـل مـع العامـلات الحوامـل اللـواتي تتنصـل الـشركات عـن منحهـن حقهـن بإجـازة الأمومـة بأسـاليب مختلفـة، منهـا إنهـاء خدمـات العامـلات الحوامـل أو الضغـط عليهـن لتقديم اسـتقالاتهن.

نـور (٢٤ عامـاً)، وهـي خريجـة إدارة واقتصـاد تـروي كيـف تغـيّرت معاملـة المديريـن معهـا تمامـاً بمجـرد وصولهـا للشـهر الخامـس مـن الحمـل.

وتضيـف نـور، التـي عملـت لأكـثر مـن سـنتين كمحاسـبة في إحـدى شركات المقـاولات، "أصبحـت أُحاسَـب عـلى أمـور لم أكـن أُحاسـب عليهـا سـابقاً، كالتأخـير لدقائـق مثـلاً، واتهامـات دائمـة بالتقصـير، بدايـةً لم اكـترث للأمـر وحاولـت التأقلـم معـه وبرّرتـه بحرصهـم عـلى عملهـم ولأني أيضـاً كنـت أحـب عمـلي ولا أريـد خسـارته".

وتكمـل "بالشـهر السـادس ازدادت المحاسـبة والجـو المشـحون وازداد الـكلام مـن قبيـل انتـي قـل تركيـزج بسـبب الحمـل.. تتأخريـن بسـبب الحمـل.. وكأن كل امـر يحـدث سـببه الحمـل حتـى بالأمـور الطبيعيـة والتـي لم يكونـوا يحاسـبون عليهـا قبـلاً.. كأنمـا يتصيـدون في المـي العكـرة".

شـعرت نـور أنهـا "تجـازى" لكونهـا حامـلا، وأثـرت "الحـرب النفسـية" كـما وصفتهـا عليهـا، فاضطـرت لـترك العمـل بعـد الضغـط النفـسي الـذي تعرضـت لـه، خصوصـاً عندمـا بـات الضغـط يؤثـر عـلى صحتهـا في الأشـهر الخامسـة والسادسـة للحمـل حيـث كانـت تعـود إلى البيـت باكيـة ومتعبـة نفسـياً.

"الـشركات تعمـل جاهـدة عـلى تطفيـش الموظفـة الحامـل، ليـس في الأشـهر الأخـيرة للحمـل فحسـب، إنمـا يبـدأون بهـذا الأمـر فـور علمهـم بأنهـا حامـل"، لخصـت نـور.

تنظـر شركات القطـاع الخـاص للنسـاء الحوامـل كأعبـاء ماليـة غـير ملزمـين بتسـديدها لذلـك تلجـأ لإنهـاء خدمـات العامـلات الحوامـل لديهـا أو إجبارهـن عـلى تقديـم اسـتقالة تحـت الضغـط، الأمـر الـذي اختبرتـه ايمـان (٢٤ عامـاً) أيضـاً، والتـي كانـت تعمـل في إحـدى شركات المـواد الغذائيـة، حيـث

اضطـرت لتقديـم اسـتقالتها في الاشـهر الأولى مـن حملهـا.

"انـتِ مـا راح تكونـين فعالـة بالشـغل فالأفضـل ترتاحـين"، لم تفهـم إيمـان المغـزى مـن كلـمات المديـر في بـادئ الأمـر، واعتقـدت أنـه متعاطـف معهـا خاصـة بسـبب التعـب المصاحـب للفـترة الأولى مـن الحمـل الـذي بـدأت تشـعره بـه، لكنـه أوضـح لهـا بأنـه يريـد منهـا تقديـم اسـتقالتها والعـودة للعمـل بعـد الـولادة.

وفعـلاً قدمـت إيمـان اسـتقالتها وتركـت العمـل ولكـن لم تحصـل عـلى مسـتحقاتها الماليـة للشـهر الأخـير في العمـل.

ما العمل؟
القطاع الخاص لا يرغب بالمرأة المتزوجة أصلاً ولا يعينونها.

هـذا مـا أكدتـه انتصـار جبـار، عضـو المكتـب التنفيـذي للاتحـاد العـام لنقابـات عـمال العـراق، حيـث أن "جـزءاً مـن المشـاكل التـي تواجهنـا، هـي أن المـرأة العاملـة التـي تعـود إلى الوظيفـة بعـد إجـازة الوضـع تُفاجـأ بإنهـاء خدماتهـا أو بتغيـير مـكان عملهـا، والـذي يعـد مخالفـة صريحـة لقانـون العمـل والاتفاقـات الدوليـة.. ولكـن غالبـاً لا تعـرف المـرأة كيـف تتـصرف وإلى مـن تشـتكي، فيهـدر حقهـا".

يفاقـم ذلـك عـدم انضـمام فئـة كبـيرة مـن العـمال، وخاصـة النسـاء، في القطـاع الخـاص تحديـداً لنقابـات تضمـن لهـن حقوقهـن وتسـاعدهن عـلى تقديـم شـكاوى في حـال تعرضهـن لحيـف، إمـا لتخوفهـم مـن الانضـمام لنقابـة وإمـا لقلـة المعرفـة؛ بيـد أن الانتـماء إلى نقابـة ليـس شرطـاً لـكي يقـدم العامـل شـكوى ضـد مخالفـات أربـاب العمـل.

ولكن كثراً أيضاً لا يعرفون آلية تقديم الشكاوى.

"اعـرف اكـو قوانـين عمـل بالقطـاع الخـاص لكـن مـا ماشـية عدنـا، وحتـى لـو قـررتي تشـتكين عليهـم فويـن تشـتكين، وحتـى بعقـد العمـل مـا ذاكريـن انتـي الـج اجـازة امومـة يعنـي راح تكـون قضيـة خسرانـة"، تقـول نـور.

كـما أن قانـون العمـل العراقـي، والـذي يعـد أحـد القوانـين المتقدمـة بالمنطقـة، غـير مفعـل تقريبـاً عـلى أرض الواقـع ولم يبـذل مجهـود في تسـليط الضـوء عليـه إعلاميـاً، لـذا بقـي جـزء كبـير مـن العاملـين جاهلـين بحقوقهـم القانونيـة، وخاصـة النسـاء، أردفـت جبـار.

وفي هـذا الشـأن، يؤكـد المحامـي والخبـير القانـوني محمـد جمعـة أن المشـكلة ليسـت بقانـون العمـل الـذي يحـوي مـواد تنصـف المـرأة، لكـن المشـكلة تكمـن بعـدم التـزام أصحـاب الـشركات ببنـوده، ذلـك لأن غرامـة الإخـلال بالقانـون تقـدر بخمسـمائة ألـف دينـار وهـي قليلـة ولا تـردع المشـغلين.

إلى ذلـك كلـه، يُضـاف غيـاب آليـة تفتيـش ورقابـة ناجعـة حكوميـة، حيـث تعلـل وزارة العمـل والشـؤون الاجتماعيـة المخولـة بإدارتهـا بنقـص كـوادر التفتيـش، وهـو أمـر أكـده تقريـر صـادر عـن منظمـة العمـل الدولـة ووكالات دوليـة أخـرى بعنـوان "تشـخيص الاقتصـاد غـير المنظـم في العـراق" عام ٢٠٢١، والذي بين أنـه منـذ العـام ٢٠١٨ تـم توظيـف ٢٣١ مفتـش عمـل فـي العـراق، بينمـا فـي إقليـم كردسـتان العـراق فقـد كان هنـاك ٢١ مفتشـاً فقط! علاوة على تقارير عن سـوء الإدارة داخـل قسـم تفتيـش العمـل.

يؤكـد جمعـة ضرورة تفعيـل الـدور الرقـابي لأن الكثـير مـن النسـاء العامـلات ينقصهـن الوعـي والثقافـة القانونيـة الكافيـة للذهـاب إلى المحكمـة والمطالبـة بحقوقهـن. إضافـة إلى التكلفـة الماديـة والقيـود الاجتماعيـة التـي قـد تحـدّ مـن قدرتهـن عـلى ذلـك.
لا تقتـصر مسـألة التمييـز تجـاه المـرأة الحامـل عـلى مسـائل إجـازات الوضـع والأمومـة، بـل تعتـبر تفرعـاً عـن صـورة ومكانـة المـرأة في المخيـال العراقـي الأبـوي الـذي يخـترق عـالم العمـل أيضـاً، حيـث يُنظـر إلى الموظفـات عـلى أنهـن غـير جديـرات بالعمـل ويزاحمـن الرجـال عـلى وظائفهـم، بـل وأن مكانهـن الحقيقـي هـو المنـزل والتربيـة فقـط لمجـرد خروجهـن لإجـازة الوضـع والأمومـة!

لا تنقـضِ التجربـة باندمـال جـروح عمليـات الـولادة وكـبر الرضـع، بـل تبقـى آثـار الصدمـة ترافـق الأمهـات العامـلات، فيـما يحاولـن أن يحافظـن عـلى عملهـن بـل والتطـور فيـه رغـم كل المعوقـات المجتمعـة كنسـاء وزوجـات وأمهـات وعامـلات.

العاملات أونلاين.. عن «الربح الصعب» في العراق

ريم عبد

نشر هذا النص في الأصل على موقع جمار الصحفي، بتاريخ07 كانون الأول 2023
بالعنوان نفسه، ويمكن العودة إلى المقال على الرابط التالي:
www.jummar.media/4569
وقد أعيد نشر النص بإذن من موقع جمار والكاتبة.

أسباب مختلفة قادت هدى وميار وفاطمة وسعاد وغفران إلى إيجاد مساحة للعمل «أونلاين»، ينتجن ويتاجرن بمواد متفرقة، ويواجهن مشكلات تتشابه أحياناً، وتشتد في أحيان أخرى.. لكن كيف يصلن إلى «الربح الصعب»؟

تخصّصت هدى في دراستها الجامعية في علم الاجتماع، بيد أن شغفها بعلم الجريمة وعلم النفس وولعها بروايات أجاثا كريستي، قادها إلى كتابة ثماني قضايا جريمة وتصميم ملفات تحاكي السجلات الجنائية من معلومات عن المقتول والمشتبه بهم إلى بصمات أصابع وأدلة أخرى تجذب الأشخاص المهتمين بحل الألغاز ولعب أدوار المحققين، بهدف عرضها كلعبة للبيع من خلال حساب مشروعها على انستغرام.

بدأت هدى مشروعها برأسمال قدره ١٠٠ دولار وعرضت اللعبة للبيع بسعر ١٠ آلاف دينار، وأقبل المهتمون بمثل هذه الألعاب على شرائها منها، حتى بلغت المبيعات في أحد الأسابيع ٧٠٠ نسخة بأرباح صافية وصلت إلى ٣ آلاف دولار. ومنذ افتتاحها للمشروع وحتى الوقت الحالي، تمكنت من بيع ٥٠ ألف نسخة من اللعبة، إلى جانب البوسترات والملصقات والقرطاسية، وتنفيذ طلبات طباعة الصور على المواد والأدوات.

نموذج لقضية كتبتها وصممتها هدى. المصدر – حساب المشروع على السوشيال ميديا
أما ميار وهي طالبة في الصف السادس الإعدادي، فقد أنشأت مشروعها لبيع الملابس المستعملة (البالة) عبر الإنترنت نهاية عام ٢٠٢٢، حيث رأت أن بعض الشرائح المجتمعية تميل إلى شراء ملابس البالة لأن سعرها رخيص ولكونها مميزة. بدأت ميار المشروع برأسمال قدره ٣٥ ألف دينار، فيما تقول إن الربح الذي تحققه يمكّنها من تلبية احتياجاتها الشخصية وسدّ مصروفها اليومي.

في الوقت الذي تعاني النساء من انعدام فرص العمل في القطاع العام والخاص، حيث وصل معدل بطالة النساء في العراق عام ٢٠٢١ إلى ٢٨,٢ بالمئة، وهو ضعف معدل بطالة الذكور الذي بلغ ١٤,٧ بالمئة. وغالباً ما تعيش النساء العراقيات في مناطق تفتقر إلى الأعمال المتاحة والمناسبة، حيث يواجهن عراقيل كثيرة في سوق العمل، منها طول ساعات الدوام وغياب الحقوق وانعدام الأمان الوظيفي وتدني الأجور؛ وحتى حين تتوفر مثل هذه الأعمال، تعرقلهن القيود العائلية عن مزاولتها.

لتجاوز هذه التحديات تتجه بعض النساء إلى العمل أونلاين، حيث يبعن منتجات وخدمات عبر الإنترنت بوساطة منصات التواصل الاجتماعي والمتاجر الإلكترونية، وهذه الأعمال تختلف أرباحها وفائدتها حسب أنماطها. وتتنوع من خدماتية مثل إدارة صفحات المتاجر الإلكترونية والعمل كمندوبات عبر الإنترنت وتقديم وخدمات الدعم والاستشارة النفسية، إلى تقديم دروس خصوصية وتدريبات اللياقة والرياضة، ومجالات أخرى مثل الصحافة والترجمة وكتابة المحتوى، بالإضافة إلى التجارة ببضائع معينة مثل الملابس والإكسسوارات ومواد العناية والتجميل والكتب والقرطاسية والهدايا والأدوات المنزلية.

وعلى الرغم من تأمينه لاستقلالية ما للكثيرات، فإن هذا المجال لا يخلو من عقبات وتحديات سواء للنساء العاملات من خلال الانترنت، أو لمجتمع المستهلكين لخدماتهن ومنتجاتهن. كما أن هناك أعمالاً مثيرة للجدل لأسباب مختلفة، منها كتابة البحوث والتقارير وعمل الخيرة والاستخارة والأعمال القرآنية والعرافة، وبيع جلسات العلاج بما يعرف بـ"علم الطاقة" وتقديم الجنس أونلاين، إلى جانب بيع منتجات دون أن تخضع لرقابة وفحص لضمان السلامة، مثل تحضير وبيع الطعام أونلاين؛ مع العلم أن قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لسنة ١٩٨١ يُدرج تعليمات واضحة بشأن الحاجة لاستصدار إجازة عمل صحية للعاملة في البيت من الجهات الصحية المختصة.

العمل أونلاين.. تخطيط وترويج ثم ربح

مثل أي مشروع تجاري، يحتاج العمل أونلاين دراسةً وتخطيطاً كما وضحت لنا بعض النساء اللاتي يعملن عبر الإنترنت، بدءاً من فهم سلوك المستهلكين والعملاء إلى وضع رأسمال مناسب، يليه البحث الدقيق والشامل عن موردين للمواد والبضائع، وهي تعاملات تشوبها تحديات شبيهة بأي تجارة.

تقول سعاد، وهي صاحبة صفحة لبيع المنتجات التجميلية الطبيعية، إنها بدأت بالحصول على المواد الأولية لصنع منتجاتها من العشابين والعطارين، ولكن مع تطور ونجاح مشروعها أصبحت بحاجة إلى مواد وزيوت أصلية لا تتوافر محلياً فذهبت إلى استيرادها من بريطانيا ومصر. أما ميار فتحصل على بضاعتها من موردي أربيل، وتتجنب التعامل مع تجار بغداد الذين يأتون ببضاعة بالة سيئة من أربيل ثم يبيعونها بأسعار غالية في مناطق متعددة، منها باب الشيخ والكفاح.

كون العالم الافتراضي فضاء للبيع والشراء، فالحاجة لخطة تسويق كاملة تعد من مقومات العمل أونلاين الأساسية. تبدأ بإنشاء حسابات على جميع المنصات واختيار اسم مميز وتصميم "لوغو" فريد، وتصوير ونشر المنتجات والبضائع عبر هذه الحسابات لعرضها مع مواصفاتها وخصائصها وأسعارها، وتوضيح سياسات الاسترجاع والاستبدال والتوصيل والدفع وغيرها، ونشر محتوى يوضح الخدمات بأسلوب واضح وجذاب.

بعد ذلك، يأتي دور الترويج، والذي يمكن أن يبدأ بمشاركة صفحات المشروع مع الأصدقاء والمعارف، ليشاركوها بدورهم على حساباتهم لزيادة عدد المتابعين. اتباع هذه الطريقة مكّن ميار من الحصول على ٣٠٠ متابع في أول يوم من إنشاء حساب مشروعها.

تعتمد أخريات الترويج عن طريق إعلانات مموّلة والتواصل مع فتيات مؤثرات يتابعهن الآلاف بمقابل مالي أو من خلال تقديم المنتجات والبضائع لهن كهدايا؛ وترويج هؤلاء المؤثرات لبضائع غيرهن من النساء يعتبر بدوره أحد أنشطة العمل عبر الإنترنت.

إذن فبالإضافة إلى التعاطي مع الجانب التجاري، فالجانب التسويقي يتطلب وقتاً وجهداً من النساء، إذن من المهم أن يكون نشر الريلز والستوريات والمنشورات بصورة مرتبة ومنظمة. كما ينبغي التفاعل بشكل مستمر مع استفسارات المتابعين والعملاء والاستجابة السريعة لطلباتهم، والتعامل معهم بلباقة واحترام والسعي لتحقيق رضاهم ومساعدتهم. كما تعمل الفتيات على تغليف الطلبات بأغلفة مناسبة ومرتبة مصحوبة ببطاقة أو ورقة تعريفية تحمل اسم المشروع واللوغو. إلى جانب ذلك، هناك حاجة لتعزيز مستمر لعمليات التعلم والتطوير لضمان مواكبة

التغيرات في عمليات العرض والطلب، مثلاً عن طريق متابعة المنافسين.

وعندما تزداد المبيعات ويتمكن المشروع من تحقيق نجاح، تذهب النساء إلى تقديم عروض وتخفيضات مناسبة وهدايا، كما ينشرن شهادات ومراجعات من العملاء والزبائن، لأن ذلك سيعزز من مستوى الثقة والشفافية، ويسهم في الحفاظ على التواصل المستدام والاعتزاز بالعملاء، تقول بعض ممن قابلناهن.

يعني كل هذا، وأنه خلافاً للاعتقاد السائد بأن العمل أونلاين "مرن وسهل"، فإنه لا يمكن النساء دائماً من تحقيق التوازن بين الحياة العملية والأعمال الرعائية لأن طبيعة الأعمال وظروف النساء تختلف. فسعاد تعمل بجد ليلاً ونهاراً لكيلا تشعر بالتقصير ما يضع عبئاً مزدوجاً عليها، وغالباً ما تسهر لإكمال الكميات والطلبات، فيما يساعدها زوجها في تجهيز الطلبات أحياناً.

كما يمكن للعمل أونلاين أن يؤثر على التعليم، وهذا ما حصل مع ميار، إذ أثرت الالتزامات المتعلقة بمشروعها على تراجع مستواها الدراسي.

أما قصة غفران فتظهر تأثيرها على الصحة كذلك

حصلت غفران حديثاً على بكالوريوس في التربية وهي من ذوي الاحتياجات الخاصة وتستخدم الكرسي المتحرك لذلك لا تستطيع العمل خارج المنزل. لكن منذ السابعة عشرة طورت غفران هواية انتاج تصاميم و"لوغوات" لتحولها لاحقاً إلى مصدر دخل عبر الإنترنت عندما احتاجت لمصاريف في الجامعة. واليوم، وبتأمينها مبالغ شهرية تتراوح بين ١٥٠-٤٠٠ ألف دينار، تمكنت من أن تستقل مالياً وأن يلبي عملها تقريباً معظم متطلباتها من الأكل والملبس والمكملات الغذائية والدواء والحاجات الشخصية.

لكن هذا يرافقه ثمن صحي باهظ إذا يسبب العمل لها الإجهاد لكونها تعاني من ضمور العضلات ما يؤدي إلى تدهور حالتها الصحية. إلا أنها مضطرة للعمل، قالت لنا، وذلك لكون معونة الرعاية تبلغ ١٢٥ ألف دينار فقط ولا تكفي علاجها أصلاً.

صعوبات التوصيل والزبائن.. ومحرم

يتأثر عمل النساء أونلاين بالكثير من العوامل المتعلقة بمحيطها والجهات التي تتعامل معها، من موردين إلى زبائن، ما يجعل دخلها غير مستقر وغير ثابت، بل وتكون عرضة للخسارة مراراً.

تعد خدمة توصيل البضائع التي تباع أونلاين أساس عملهن واستمراره، لذلك فمن الضروري التعامل مع شركة توصيل مناسبة والتحقق من سياساتها وأسعارها، وضمان جودة خدمتها وسرعة توصيلها وحفاظها على سلامة الطلبات.

بيد أن النساء العاملات أونلاين يواجهن كثيراً من العقبات في هذا الجانب.

فسعاد كانت تجاربها مع شركات التوصيل سيئة، فقد روت لنا كيف تسببت في تلف الطلبات وكسر علب الكريمات، ما سبب لها خسائر بحوالي ٣ ملايين دينار.

كما يؤثر المكان الذي تسكن فيه صاحبة المشروع على إمكانية توصيل الطلبات إلى مندوب التوصيل، مثلما حصل مع سهى التي تسكن بالقرب من الإمام الهادي في سامراء، وهي منطقة محجوزة أمنياً، يتطلب الدخول إليها تصريحاً. ما يضطر النساء في حالات مختلفة أو مشابهة للجوء إلى أقربائهن من الرجال للتوصيل، فكان أخوة سهى يقومون بنقل البضاعة إلى خارج المنطقة لتسليمها للمندوب، ولكن في معظم الأحيان كانوا يتذمرون ويتكاسلون عن توصيلها إليه ما أسفر في النهاية عن فشل مشروعها.

كما أن هناك التحدي المتعلق بمعاملة الزبائن ممن يلغون الطلبات أو يرفضون استلامها عند وصول المندوب، فضلاً عن حالات النصب والطلبات الوهمية والمقالب الخبيثة التي تتعرض لها العاملات أونلاين.

تقول فاطمة أنه في حالة رفض استلام الطلب أو إلغائه من قبل الزبون، تتعرض لخسارة تشمل أجرة التوصيل فضلاً عن تكلفة المواد والجهد والوقت الذي استثمرته في الكيك والمأكولات المطهوة حسب الطلب، والتي لا تستطيع الاحتفاظ بها وإعادة بيعها من جديد.

أما هدى، فتعاني من المشكلة ذاتها، لاسيما عندما يتعلق الأمر بالطلبات التي تتضمن صوراً مطبوعة على أكواب أو خشب وفقا لرغبة الزبون، إذ لن تكون قادرة على إعادة بيعها. إلا أن ميار تقول إن شركة التوصيل التي تتعامل معها لا تحسب عليها أجرة التوصيل عند عدم استلام الزبون للطلب وفقاً للاتفاق المبرم.

غفران تواجه مشكلة مع العملاء أو الزبائن الذين لا يلتزمون بالدفع بعد تصميم اللوغوات لهم. ولكنها كغيرها من العاملات أونلاين، ليس بإمكانها الطلب من الزبائن الدفع مقدماً لأنهم سيرفضون، إذ أن هذه الثقافة غير موجودة في العراق حيث يتخوف الناس من الدفع مقدماً بسبب عدم توفر نظام دفع إلكتروني سهل ومتاح، وأيضاً بسبب انعدام ثقة العميل

أو الزبـون بجـودة البضاعـة أو الخدمـة، أو بسـبب تجـارب شرائيـة سـابقة سـيئة تعـرض فيهـا للغـش.

لكـن في الغالـب، إذا كانـت الطلبيـة كبـيرة، يؤخـذ عربـون مقدمـاً بشـكل رصيـد أو تحويـل مـالي عـبر خدمـة "زيـن كاش" الماليـة.

إلى جانـب ذلـك كلـه، فالتقاليـد الاجتماعيـة والدينيـة يمكـن أن تؤثـر عـلى الإيـرادات. فميـار تقـول إنها تواجـه تراجعـاً في المبيعـات في شـهري محـرم وصفـر، فـلا يتبـارك النـاس بالـشراء خلالهـما لأنهـما أشـهر منحوسـة. كـما أن ضعـف وقطـع الإنترنـت والأعيـاد والمناسـبات الدينيـة وقطـع الطـرق والظـروف الجويـة، مثـل موجـات الغبـار، تؤثـر عـلى عمليـات البيـع وتوصيـل الطلبـات. عـلاوة عـلى كل هـذا فـإن هنـاك انعـدام الأمـان وتكـرار السرقـة، حيـث تعرضـت الزيـوت التـي أوصـت عليهـا سـعاد للسرقة مـرات عـدة في السـيطرات، ويصـل سـعر اللـتر الواحـد منهـا إلى ٦٠٠ ألـف دينـار.
ومثـل غالبيـة العراقيـات المسـتخدمات لشـبكات التواصـل الاجتماعـي، يطـال العامـلات أونلايـن التنمـر الإلكـتروني والتحـرش والابتـزاز والإزعاجـات والسـخرية ومحـاولات التشـهير وتشـويه السـمعة، وحتـى التهديـد والمنافسـة غـير النزيهـة والإيـذاء.

تقـول هـدى إن الزبـون إذا نـشر عـلى وسـائل التواصـل الاجتماعـي حـل لغـز القضيـة التـي اشـتراها، فإنهـا قـد تتكبـد خسـائر تصـل إلى ١٠ آلاف دولار، لذلـك تضيـف مـع كل قضيـة بطاقـة تحمـل الحقـوق والتعهّـد. وقـد حصـل فعـلاً أن نـشر أحـد الزبائـن الحـل عـلى وسـائل التواصـل الاجتماعـي فقدمـت شـكوى ضـده في المحكمـة جـرّت إجـراءات صعبـة ومتعبـة لكنهـا أثمـرت بـأن أقـرت المحكمـة تغريمـه، فـلا يتجـرأ زبائنهـا عـلى نـشر الحلـول خوفـاً مـن التبعـات. لكـن هنـاك أيضـاً جهـات تجاريـة سرقـت أفـكار هـدى وقلدتهـا بصـورة تعتـبر انتهـاكاً لحقـوق الملكيـة الفكريـة، لكـن ضعـف الإجـراءات القانونيـة وتطبيقهـا صعّـب عليهـا تقديـم شـكوى للحصـول عـلى تعويـض أو حـق.

حـول وجـود الضمانـات القانونيـة للعمـل أونلايـن وحمايـة حقـوق البائعـات والمشـترين، هنـاك عـدة قوانـين تنظـم التواصـل والمعامـلات التجاريـة عـبر الإنترنـت، مثـل قانـون التوقيـع الالكـتروني والمعامـلات الالكترونيـة رقـم ٧٨ لسـنة ٢٠١٢. إلى جانـب ذلـك فهنـاك قانـون حمايـة المسـتهلك رقـم (١) للعـام ٢٠١٠، الـذي يضمـن المعامـلات التجاريـة حتـى وأن كانـت عـبر الانترنـت كـما يضمـن حقـوق البائـع، كـما أشـار الخبـير القانـوني عـلاء السـيلاوي، وإن كانـت هـذه القوانـين تحتـاج إلى بعـض النصـوص التـي تواكـب التطـور الجـاري في هـذا المجـال.

صعوبات حتى وهن في البيت..

أُرغِمَـت فاطمـة، وهـي أم لثلاثـة أطفـال، عـلى تـرك المدرسـة والـزواج في سـن السادسـة عـشرة بنـاءً

على رغبة أهلها. وبعد سنوات من التعنيف المستمر من زوجها وعناء الحصول على الطلاق تعيش الآن مع أطفالها في منزل أهلها الذين لم يدعموها مادياً ولا معنوياً، ولم يوفروا لها الحماية، بل ضيقوا الخناق عليها. رفض طليقها دفع النفقة لأبنائه، وحتى لا يضطر للقيام بهذا، هددها بأنه سيأخذ الأطفال منها بالترهيب العشائري وبالتلاعب القانوني. وبفضل إصرارها وجهودها، وبعد محاولات عديدة، صارت تطبخ وتبيع المأكولات مثل الكبة والمعجنات والحلويات وغيرها عبر الإنترنت بحدود مدينتها. تقول فاطمة إن الربح مكّنها من تلبية بعض احتياجات أبنائها الضرورية.

تثابر النساء العاملات عبر الإنترنت رغم التحديات، مثل الحصول على موافقة العائلة من أجل العمل، والتفاوض معهم، والبحث عن سبل لتجاوز القيود والعوائق التي يفرضونها عليهن، وتقليل حدة استغلالهم لهن. ففاطمة تقول إن أخاها بالكاد وافق على مشروعها ولم يسمح لها بالتعامل مع شركة توصيل. بدلاً من ذلك، وعدها بأنه سيوصل الطلبات بأجرته، ولكنه لم يلتزم، وكان هدفه عرقلة وإفشال مشروعها. ولكنها نجحت في إقناع أخوتها الآخرين بالسماح لها بالتعامل مع زوج صديقتها وجارهم لتوصيل الطلبات.

وفاطمة ليست الوحيدة التي تواجه هذا التحدي، إذ تعاني ميار من القيود على خروجها للذهاب للموردين وشركات التوصيل. كما أن القيود العائلية التي تفرض على تعاملات النساء مع العالم الخارجي وتقلبات أمزجتهم تسهم في عرقلة استمرارية ونجاح مشاريعهن، مثل تأخير وصول الطلبات للزبائن بحيث لن يكونوا راضين ولن يرغبوا بالطلب منهن مرة أخرى. ويشاركنا محمود كزبون تجربة شرائه من صاحبة عمل أونلاين لبيع الصابون، فيقول إن شقيقها وزوج أختها هما اللذان يوصلان الطلبات من أجل أن يستفيدوا. وعندما لا يتواجدون، تتأخر الطلبات عدة أيام، ما دفعه إلى القرار بعدم الطلب منها مجدداً.

ولا تقتصر هذه المضايقات على العائلة المباشرة، بل تمتد إلى دائرة الأقارب الأوسع أيضاً. فقد وجدت غفران نفسها عرضة لتدخلات أقاربها الذين يشككون دائماً في شرعية عملها عبر الإنترنت ويتساءلون دوماً عن طبيعة عملها الحقيقية التي تحقق لها هذا الدخل وهي جالسة في البيت، الأمر الذي يثير حفيظة عائلتها.

تشعر النساء بالقلق والخوف من أقاربهن ومراقبتهم لهن، ومحاولاتهم التحريض والتأثير على أهاليهن بدافع الغيرة والتسلط من أجل إجبارهن على التخلي عن أعمالهن. فميار، أسوة بغفران، تخشى أن أقرابها قد يؤثرون على عائلتها ويجبرونها على إغلاق مشروعها.

تفتقد معظم النساء لمساحة مخصصة لهن للعمل في المنزل. تقول غفران إن مكان عملها هو سريرها، بطول متر وربع، في غرفة مشتركة مع أختها وأمها. وتعمل في الضجة فلا يحترم أفراد عائلتها خصوصيتها أو حاجتها إلى هدوء وتركيز لإنجاز عملها، ما اضطرها لوضع سماعات الأذن وتشغيل الموسيقى ما أثر على سمعها وسبب لها الصداع المستمر. أما فاطمة التي تعيش مع أطفالها وأختها ووالدتها في غرفة واحدة، فلم تجد مكاناً تخصصه لعملها داخل منزل العائلة. كانت في البداية تستخدم مطبخ أهلها لكنهم كانوا يضايقونها حتى لا تستخدم أدوات المطبخ والثلاجة، ولكنها تمكنت من تجاوز ذلك بعد فترة بشرائها طباخاً وثلاجة وقنينة غاز، لكن لا تزال بحاجة إلى مطبخ خاص بها. كما أن التضييق يطال حتى رزقهن.

فسواء كانت النساء عميلات أم بائعات، يستخدم معظمهن أرقام هواتف بأسماء الرجال في عوائلهن، وليس لديهن حسابات زين كاش خاصة بهن، مثل غفران التي تُحول أتعابها المالية إلى حساب زين كاش الخاص بوالدها. لا يسمح الأهل لها بعمل حساب خاص بها بحجة أنه سيترتب عليها شخصياً الخروج لاستلام المبالغ، وهذا الأمر سيكون صعباً عليها كونها تستخدم كرسي عجلات. لكن في الحقيقة، تقول، أنهم يصرون على استلام المبالغ فقط ليراقبوا مصدر دخلها ومعرفة مقداره والسيطرة عليه.

أبعد من الأونلاين.. آمال للمستقبل

بعد كل هذه الجهود والمحاولات المحفوفة بالمصاعب، تمكنت نساء كثيرات ممن حققن نجاحاً وربحاً في عالم العمل أونلاين من التفكير باستثمار نجاحاتهن في تحسين حياتهن وحياة أسرهن.

فهدى قد أكسبتها القضايا التي تبيعها ما يكفي للسفر والتقدم للدراسة خارج العراق.. وما زالت تحصل على أرباح بيع القضايا التي صممتها وكتبتها. كان ذلك بعدما فتحت مكتبة للقرطاسية والهدايا في كرفان في بغداد ثم باعته لأحد أصدقائها فيما تزال تساعده عن بعد.. هي الآن تعمل على كتابة وتصميم المزيد من القضايا لكي تبيعها من خلال الانترنيت ومن خلال مكتبة الكرفان.

أما ميار فتفكر بتوسعة مشروعها ليكون محل بالة معروفاً في أحد الأسواق الشعبية لتجمع المال وتحقق أحلاماً عديدة منها التخصص في الإخراج السينمائي.

وفاطمة التي تعيش اليوم بيومه حالمة بالحصول على مطبخ خاص لتعد وجبات أكثر بخصوصية ودون مضايقة، تتمنى شراء بيت "تجاوز"(١) بجوار أهلها، بعد أن سدّ عملها احتياجات أطفالها، ولكن أيضاً.. تتمنى فاطمة الرجوع للدراسة.

طموح ومصاعب وأحلام تعيشها العراقيات عبر عملهن أونلاين بحثاً عن استقلالية وأمان اقتصادي واجتماعي في واقع بلد يشكلن نصفه فيما يعشن على هامشه.

«الكل يمتلك حقاً بالأطفال إلا الأم».. عن أرامل يحاولن حضانة أطفالهن

نشوى نعيم

نشر هذا النص في الأصل على موقع جمار الصحفي، بتاريخ 18 كانون الثاني 2024
بالعنوان نفسه، ويمكن العودة إلى المقال على الرابط التالي:
www.jummar.media/4839
وقد أعيد نشر النص بإذن من موقع جمار والكاتبة.

بعد وفاة الزوج، قد لا يرين أطفالهن أو يقبلن العيش في «بيوت العيال» أو يتمّ التحكم بهن.. قصص أرامل فقدن أو كدن أن يفقدن أبناءهن وبناتهن بعد أن اكتشفن أن الأهل والعشيرة ورجال الدين لهم الحق بأطفالهن أكثر منهن.

لولا التعنيف وسوء المعاملة، لم تكن نغم لتفارق أبناءها وتعيش بعيدة عنهم لا تشاركهم أفراحهم ولا تساندهم في المصاعب.

فقدت نغم (٤٩ عاماً) زوجها عام ٢٠٠٩ في إثر مرض ألمّ به، ومنذ ذلك الحين دخلت في صراع على الأبناء مع أهل الزوج.

لم يكن أهل زوجها مرحبين ببقائها معهم في منزلهم، وفي الوقت ذاته أرادوا الاحتفاظ بالأبناء، فراحوا يخططون لحمل نغم على المغادرة من دون أبنائها.

وكانت خطتهم تتمحور حول إساءة معاملتها وضربها وشتمها لأتفه الأسباب، لكي تكره حياتها معهم وتتنازل عن كل شيء من أجل الخلاص. وقد نجحت الخطة بالفعل.

قررت نغم العودة إلى بيت أهلها تاركة أبناءها في عهدة بيت جدهم لأبيهم.

ومن أسباب اضطرارها إلى اتخاذ هذا القرار هو أن الأبناء طلبوا بأنفسهم مغادرتها وبقاءهم في بيت جدهم، لشعورهم بالسأم الشديد من المشكلات والمشاجرات اليومية.

كان عمر أكبر أبنائها في ذلك الحين ١٦ عاماً، وله شقيقان وشقيقة يصغرونه بسنوات قليلة.
وهناك سبب آخر أجبرها على تجرع مرارة القرار يتعلق بالوضع المعيشي لأهلها، فهم يسكنون بيتاً صغيراً ولا يسعهم تحمل نفقتها ونفقة الأبناء. بينما يتمتع أهل زوجها بإمكانيات أعلى بكثير.

في المحصلة، هي لا تملك مالاً تدفعه أجوراً للمحامين، وأهلها رفضوا استقبالها مع أبنائها لضيق الحال، والأبناء اختاروا البقاء في بيت جدهم. كل ذلك منعها من اللجوء إلى القضاء للحصول على حضانة الأبناء. وكان زوجها يمتلك أموالاً وعقارات وسيارات، لكنها لم تحصل على أي شيء منها. فبعد انتقالها إلى بيت أهلها، طلب أهله منها التوقيع على تنازل عن كل تركته.

"أخبروني بأنهم يريدون شراء أملاك جديدة بدلاً من القديمة، وإعادتي للعيش معهم قرب أبنائي" تقول نغم لـ"جمّار".

انطلت الحيلة عليها ووقّعت على التنازل أمام كاتب العدل، ولم تقبض بعد ذلك سوى على الريح. ولما لجأت إلى محام أبلغها بأنها لم تعد تملك حقاً في أي شيء من تركة زوجها بعد توقيعها على التنازل.

لم تجد الراحة التي تنشدها في بيت أهلها، فاستأجرت بيتاً صغيراً وانتقلت للعيش فيه بمفردها.

تحصل حالياً على راتب من شبكة الرعاية الاجتماعية يبلغ ١٢٣ ألف دينار شهرياً (نحو ٨٠ دولاراً)، وهو مبلغ زهيد لا يكفي لسد أبسط الاحتياجات.

"حرّ صيف العراق الذي لا يتحمله أحد، أنا أتحمله، لأنني لا أستطيع الاشتراك في مولدة أهلية" تقول لنا.

لم تر أبناءها منذ سنتين، حتى أن ولدها البكر عُقد قرانه وهي لا تدري، وابنتها أرغمت على

الـزواج في سـن ١٥ عاماً وهـي غـير راضيـة، ولكـن لا تقـوى عـلى فعـل شيء.

أحلاهما مر

فقـدت أزهـار (٣٣ عاماً) زوجهـا في حـادث سـير عـام ٢٠٢٠، بعـد إنجابهـا ثلاثـة أطفـال منـه كان عمـر أكبرهـم في ذلـك الوقـت تسـع سـنوات.
بقيـت سـاكنة في بيـت أهـل زوجهـا مـع أطفالهـا، لكنهـا لم تكـن مرتاحـة بسـبب وجـود أحمائهـا المتزوجـين والعـزّاب، وضغـوط أهلهـا عليهـا النابعـة مـن أن عاداتهـم لا تسـمح بهـذا الوضـع.

ولم تمـر أشـهر عـلى وفـاة زوجهـا حتـى بـدأ الضغـط مـن أهلـه عليهـا لتزويجهـا بأحـد إخوتـه. ل رفضـت ذلـك لأنهـا كانـت تشـعر بأنـه أحـد أشـقائها.

اقترحـوا أن يكـون الـزواج عـلى الـورق فقـط مـن أجـل بقائهـا مـع الأطفـال بينهـم، لكنهـا أصرت عـلى الرفـض لأنهـا لا تريـد العيـش في وضـع كهـذا.

بعـد ذلـك هددهـا والـد زوجهـا بأخـذ الأطفـال عنـوة، وانقسـمت العائلـة بـين مؤيـد ومعـارض. وكان الجـد متمسـكاً بموقفـه بداعـي أنـه لا يريـد إلقـاء أحفـاده في كنـف رجـل غريـب إذا قـررت الأم الـزواج. بـوفي نهايـة المطـاف أُخـذ الأطفـال منهـا وطُـردت مـن بيـت أهـل زوجهـا، عـلى الرغـم مـن أن عمـر أصغرهـم كان ثـلاث سـنوات فقـط.

"بقي الأطفال مدة طويلة في بيت جدهم وأنا محرومة منهم"، تقول لـ"جمّار".

ومن شدة القلق والحزن أصيبت بجلطة دماغية ما زالت تعاني من آثارها حتى الآن.
وبعـد تدخـل عشـائري، وافـق الجـد عـلى إعـادة أطفالهـا إليهـا شريطـة عودتهـم إليـه إذا قـررت يومـاً الـزواج. وحتـى بعـد عـودة أطفالهـا إليهـا، مـا زال أهـل زوجهـا يتحكمـون بحياتهـا وهـي سـاكنة في بيـت أهلهـا. يعارضـون مثـلاً إكمالهـا الدراسـة أو العمـل بذريعـة حرصهـم عـلى تفرغهـا لتربيـة أطفـال ابنهـم الراحـل، وحتـى سـفرها مـع أطفالهـا غـير مسـموح بـه مـن قبلهـم إلا بموافقـة الجـد.

واسـتناداً إلى روايتهـا، يـوصي الجـد حفيـده بتفتيـش هاتـف أمـه ومعرفـة مـع مـن تتحـدث، في محاولـة منـه لإثبـات أنهـا سـيئة السـمعة حتـى يأخـذ الأطفـال منهـا مـرة أخـرى.

تـدرك أزهـار أن القانـون لا يمنـح جدهـا حـق التـصرف بهـذه الطريقـة، لكنهـا تـدرك في المقابـل أن الاتفاقـات العشـائرية تكـون أقـوى مـن القانـون أحيانـاً، لـذا لم تلجـأ إلى حلـول قضائيـة بعـد تحويـل الموضـوع إلى عشـائري.

زيجة الندم

بعـد زواج دام سـت سـنوات وأثمـر طفلـة وطفـلاً، فقـدت ميسـون زوجهـا. عمـر ابنتهـا الآن أربـع سـنوات وابنهـا سـنة ونصـف السـنة.

انتقلـت بعـد وفـاة زوجهـا للعيـش في بيـت أهلهـا، فأخـذ أهـل الـزوج يضغطـون عليهـا لإقناعهـا بالـزواج مـن أحـد أشـقائه.

حاولـوا إقناعهـا بـأن الـزواج منـه سـيضمن احتفاظهـا بالطفلـين اللذيـن سـيأخذونهما منهـا إذا ارتبطـت برجـل آخر.

وخيّروهـا بـين اثنـين مـن الأشـقاء أحدهـما متـزوج ولديـه أطفـال والآخـر أرمـل يكبرهـا بعشريـن سـنة ولديـه ثلاثـة أبنـاء.

كان عمرها ١٩ سنة آنذاك.
وخشية فقدانها طفليها، وافقت ميسون على الزواج من الأرمل.

لم تكـن تعـرف في ذلـك الحـين شـيئاً عـن الدعـاوى القضائيـة وإمكانيـة احتفاظهـا بالطفلـين بأمـر مـن المحكمـة مـن دون القبـول بخيـار الـزواج مـن شـقيق زوجهـا الراحـل.
كـما أنهـا فكـرت في أنـه قـد يكـون أبـاً جيـداً لهـما. واسـتطاعت تقبـل فكـرة الـزواج منـه لأنـه يسـكن في محافظـة واسـط ولم يكـن يزورهـم كثـيراً. لكنهـا لم تعـش سـعيدة في هـذا الـزواج.

"لو كنت في نضجي الحالي لما قبلت بهذه الزيجة" تقول لـ"جمّار".

ومـا زالـت حتـى الآن تشـعر بالنـدم عـلى قرارهـا لأنهـا لم تعـش سـعيدة بزواجهـا مـن شـقيق زوجهـا المتـوفى، إذ أن أبنـاءه لم يتقبلوهـا في بيـت أبيهـم، مـا أدى إلى سـيطرة مشـاعر الغـيرة عـلى أجـواء العائلـة، إضافـة إلى معاناتهـا مـن فـارق العمـر.

البيت الممنوع

مـا زالـت إيمـان (٣٨ عامـاً) تعيـش في بيـت أهـل زوجهـا بمدينـة السـماوة مركـز محافظـة المثنـى، عـلى الرغـم مـن وفاتـه عـام ٢٠٢٠، لتتمكـن مـن الاحتفـاظ ببناتهـا الثـلاث.
عندمـا تـوفي زوجهـا، قـال لهـا أهلـه إنهـا لا تملـك حـق السـكن مـع بناتهـا في بيـت منفصـل لعـدم

وجـود رجـل معهـا. وهـي تمتلـك بيتـاً بالفعـل لكنهـا لم تنتقـل إليـه.
رضيـت عـلى مضـض بالبقـاء في بيـت أهـل زوجهـا -وهـو ابـن عمتهـا- بعـد حصـول اتفـاق بينهـم وبـين أهلهـا بهـذا الشـأن.

"أعـرف أنـه لا يحـق لهـم قانونيـاً أخـذ بنـاتي منـي إذا انتقلـت للسـكن في بيتـي الخـاص، لكـن هنـاك تقاليـد وأعرافـاً، ولم أشـأ معارضـة رغبـة أعـمام بنـاتي في بقائنـا معهـم" تقـول لـ"جـمّار".

تتسـلم حاليـاً راتبـاً مـن دائـرة الرعايـة الاجتماعيـة مقـداره ٣٢٠ ألـف دينـار شـهرياً، وهـو مبلـغ لا يسـد احتياجاتهـا واحتياجـات بناتهـا الطالبـات في المـدارس، فعملـت بالخياطـة لتحصـل عـلى مـردود إضـافي.

أعراف تحكم

تقول الحقوقية بشرى العبيدي إن هناك شروطاً عدة يجب توافرها في الحاضنة.
"والـشروط هـي أن تكـون "عاقلـة وأمينـة وقـادرة عـلى رعايـة المحضـون وصونـه والعنايـة بـه وألا تكـون سـيئة السـمعة.

وإذا لم تتوافـر هـذه الـشروط أو بعضهـا في الأم، تقـرر المحكمـة إحالـة الحضانـة لمـن تـراه مناسـباً مـن أقـرب الأقربـاء.

لكن العبيدي تقر بأن القضاء ينحاز أحياناً إلى العرف الاجتماعي.

وتشـير إلى أن الحضانـة تُحسـم عشـائرياً لصالـح أهـل الـزوج المتـوفى، ولـكي تحتفـظ الأرملـة بأطفالهـا تُجـبر عـلى عـدم الـزواج، أو الـزواج مـن أحـد إخـوة الـزوج.

"هـذا فيـه كثـير مـن الإذلال والإهانـة للأرملـة التـي قـد تمتنـع عـن الـزواج وفـاءً لزوجهـا، لكـن العـرف لا يراعـي ذلـك" تقـول العبيـدي لـ"جمّار".

وتعـزو العبيـدي أسـباب عـدم تقديـم شـكوى مـن قبـل الأرامـل اللـواتي يتعرضـن لضغـوط في هـذا الشـأن، إلى الكلفـة الماليـة للقضايـا وخشـية معظـم النسـاء مـن دخـول مراكـز الشرطـة.

وتعـود الحقوقيـة إلى التأكيـد عـلى أن الوصايـة تُمنـح كاملـة لـلأم الأرملـة في القانـون العراقـي، وليـس مـن حـق أحـد أن يفـرض شـيئاً مخالفـاً للقانـون، لكـن مـا يجـري مـن فـرض شروط وضغـوط عـلى الأرامـل ليحتفظـن بأبنائهـن نابـع مـن الأعـراف والتقاليـد.

العشيرة قبل القضاء

في العرف العشائري، تكون الأرملة هي الأحق بحضانة أطفالها إذا لم تكن تنوي الزواج، بحسب نافع كزار أحد شيوخ العشائر.

أما إذا قررت الزواج -والكلام ما زال لكزار- فإن الحضانة تنتقل إلى الجد من جهة الأب أو الأعمام، وفقاً لقاعدة عشائرية "ترفض تربية الأحفاد في كنف رجل غريب ولاسيما إذا كان من عشيرة أخرى".
ويضيف كزار أن هناك زيجات كثيرة ناجحة بين الأرامل وأشقاء أزواجهن المتوفين، لكنه يشدد على أن مثل هكذا زيجة يجب ألّا تتم بإجبار النساء أو استغلالهن.
ويشير إلى أن العشيرة تحترم القرار القضائي إذا اشتكت الأرملة وحصلت على حق قانوني بالحضانة تحت كل الظروف، لكنه يستدرك بأن معظم الناس يلجؤون إلى الحل العشائري في هذه الحالات.

"في المحاكم لا تحل الأمور بسهولة، بينما العشائر تحل المشكلة في جلسة واحدة، وإذا حصل اتفاق عشائري فمن المستحيل نقضه والذهاب إلى المحاكم" يقول كزار لـ"جمّار".

ويدلي عاجل كاظم الزيادي، شيخ عشيرة، برأي مشابه لرأي كزار في أحقية الجد أو الجدة من جهة الأب المتوفى في حضانة أطفاله.

يقول الزيادي "لا يمكن لأهل الزوجة الأرملة ولا لزوجها الجديد إذا تزوجت الاحتفاظ بحضانة الأطفال".

ويكون التشدد أعلى تجاه الإناث، ففي المجتمع العشائري تعد الطفلة "عرضاً" ويجب أن تكبر على تقاليد وعادات أهل الزوج وعشيرته.
وإذا قررت الأرملة الزواج من رجل آخر، يتاح لها مقابلة أطفالها مرة واحدة أسبوعياً أو شهرياً إذا كانت أعمارهم فوق خمس سنوات، أما إذا كانوا أصغر فالمجتمع العشائري يراعي أحياناً أن يبقوا عند الأم، بحسب الزيادي.
ويرى أن العرف يشكل أهمية حتى عند القضاة، "فهم يقولون في بعض القضايا حلوها عشائرياً أفضل" ولا يفضلون أن يكون الحل القانوني أولاً.

ويتابع الزيادي "حتى إذا أصدر القاضي قراراً يبقى التدخل العشائري أقوى".

ماذا يقول الدين؟

للشريعة الدينية تفاصيل أخرى بشأن حضانة الأطفال أيتام الأب.

يقول علي الشريفي، رجل دين، إن الشرع ينص على انتقال الوصاية إلى الجد من طرف الأب عند وفاة الأخير، أما إذا كان الجد متوفى فتنتقل إلى الحاكم الشرعي، الذي هو المرجع الأعلم، وهو يحدد من هو الوصي، مبينا أن الوصاية تتعلق بالتحكم بالأموال والممتلكات، أما الحضانة شرعياً فتنتقل إلى الأم حتى وإن اعترض الجد، وسواء تزوجت أم لا.
ويلفت الشريفي إلى أن المجتمع العراقي تحكمه الأعراف وليس الدين، كما أنه يتهم بعض رجال الدين بمحاباة الأعراف على حساب الشريعة وإصدار أحكام خاطئة لإرضاء المجتمع.

محاميات للأرامل

يبقى أصل المشكلة، بحسب الحقوقية منى جعفر مسؤولة منظمة تدريب وتطوير الأرامل في بغداد، متعلقاً بسطوة العشيرة.

وتقول جعفر لـ"جمّار" إن الأرملة حتى لو لجأت إلى الشرطة فإنها تحيل الموضوع إلى شخص معتمد في عشيرتها.

ويعود سبب ذلك أحياناً إلى عدم تثبيت الزواج في المحاكم، وبالتالي انعدام وجود أوراق قانونية تثبت عائدية الأطفال.
وتضيف جعفر أن لدى منظمتها محاميات يتولين التمثيل القانوني للأرامل في دوائر الدولة من أجل إثبات حضانة الأطفال واستخراج رواتب الرعاية الاجتماعية.

أماني نغم
لم تعد نغم تملك سوى الأماني بأن تتغير حياتها نحو الأفضل، وتغيّر طباع أولادها تجاهها، حيث أصبحوا لا يرغبون بزيارتها أو الاتصال بها كلما طال بقاؤهم في بيت جدهم، لأن ذلك يتسبب لهم بسوء معاملة وعنف من قبل أعمامهم.

كما تتمنى أن تسكن في بيت لائق وتحصل على فرصة عمل وتجتمع بأبنائها الذين لا تلقي اللوم عليهم، "فالحياة جعلتهم يتركون أمهم حتى يعيشوا بسلام".

ملف بيانات
تحالف أمان النسوي

رسالة مفتوحة الى قناة الشرقية

حول المقابلة التي اجريت مع النساء المحكومات بالاعدام، ما لم يجر الحديث عنه في تلك المقابلات!

بثت قناة الشرقية في هذه الأيام من شهر ايار / ٢٠٢٤ مقابلات اجراها السيد علي الخالدي مع نساء محكومات بعقوبة الاعدام. حيث قال السيد الخالدي مغتبطا، بانه تمكن بعد جهد جهيد من إجراء مقابلات مع هؤلاء النسوة، وأنه تم توفير الاجراءات الامنية له لإجراء المقابلات، حيث نظمت بعضها من خلف الحواجز لحمايته من "وحشية" أولئك النسوة، اللواتي كن بالتاكيد عزلاوات من السلاح، ومحاطات بالحرس من كل حدب وصوب، بل هن اساسا في السجن وخلف القضبان. الا انه تمتع بالحماية لاجراء هذه المقابلات، -مقارنة بمقابلات اخرى أجراها السيد الخالدي لم يوضع السجناء، الذين تمت مقابلتهم، على سبيل المثال في سجن الحوت، ومن ضمنهم المتهمين بجرائم قتل ومحكومون بالاعدام خلف اية اسوار – بل كان لقاءا وديا ، لتكاد تشعر معه أن المقابلات ليست مع محكومين بالاعدام بل مع " نزلاء" كما أطلق احد موظفي السجن عليهم.

لم يتحول السيد الخالدي الى ضابط تحقيق ليحقق معهم عن جرائمهم في سجن الحوت. بل سالهم عن ظروف السجن، والنشاطات والفعاليات التي يقومون بها، وكيف يقضون أوقات فراغهم، وفي اي وقت يصحون من النوم. الا أنه لعب مع السجينات المحكومات بالاعدام، دور ضابط تحقيق ليسأل عن كيف ولماذا قامت المجرمات بجرائمهن؟ ووجه أسئلته: كيف تقتل أم أطفالها، وكيف قتلت أم اطفالها من أجل عشيقها، وأية أسم عليه أن يستخدم لتسمية أحدى السجينات(هل يجب أن يسميها أم طبر)، ويسأل أخرى، عن سبب أرتباطها برجل آخر، وهي متزوجة. لم يسال أي واحدة منهن عن ظروف السجن، فيما اذا كانت تحققت العدالة في إصدار الحكم عليها، فيما اذا كانت هنالك أي جوانب تم الأخذ بها من أجل تخفيف الحكم، لم

يسال أي واحدة، كيف تنام، وكيف تصحو، بل هذا النوع من الاسئلة يبدو ترفا لامرأة متهمة بالقتل ومحكومة بالموت. هذا، ناهيك عن أن السيد الخالدي لم يسأل عن وضع السجون، عن نظافتها، وعن ازدحامها، وعن حاجات النساء كنساء، والتي يجب ان تتوفر في سجون صممت للرجال أصلا.

الا ان السؤال الذي نريد طرحه هنا: ما هي الرسالة التي سعى السيد الخالدي وبرنامجه وقناة الشرقية لايصالها للجمهور؟

تكاد تجمع إجابات النساء المحكومات بالاعدام، والتي أعمارهن لا تتجاوز العشرينات، على تزويجهن وهن في سن الطفولة(١٢ سنة)، وأنهن ولدن في أسر فقيرة، ولم يحظين بأي فرص للتعليم، وسعت اسرهن للتخلص من مسؤوليتهن المادية بتزويجهن من رجال متزوجين من كبار السن، ليكونّ هن الزوجة الثانية أو الثالثة، تحدثن عن أنهن قمن بقتل الرجال الذين قاموا بتعنيفهن، والتحرش بهن في أسرهن، وأنهن قمن بهذا دفاعا عن النفس.

كما اتضح في اعترافات السجينات، لم يبقى للنساء سبيلا للخلاص من أوضاعهن المزرية وانه لم يعد يشكل بالنسبة لهن فارقا الحياة او الموت. فالمرأة التي تواطئت بقتِل أطفالها، كانت تريد ان تموت معهم، حيث لا حياة لها معهم او بدونهم. كان مثيرا للاستغراب ان يسأل السيد الخالدي إمرأة محكومة بالإعدام عن علاقتها بعشيقها، وكيف يمكن أن تكون على علاقة وهي المرأة المتزوجة؟ وكأن الخيانة الزوجية أمر جلل اذا ما قامت به النساء فقط ، والتي نالت عقوبة السجن لخمس سنوات عليه ، مضافا لحكم الإعدام. كم رجل تم سجنه لخمس سنوات لانه قام بالخيانة الزوجية؟ لا يمكن ذكر أية امثلة، لان القانون متحيز، وتمييزي، وغير عادل، ومزدوج الاخلاق ومزدوج المعايير. فللنساء قانون ،وللرجال قانون اخر! وليس الجميع متساوون امام القانون. والقانون لا يوفر الحماية للجميع بدون تمييز. وعقوبات الإعدام والقتل والسجن تجري بطرق تمييزية ضد المرأة.

لنؤكد قبل المضي في الكلام، بأننا ضد عقوبة الاعدام جملة وتفصيلا. لكن النساء يواجهن التمييز القانوني ضدهن حتى في تطبيق عقوبة الإعدام. فالجرائم التي تنال النساء عقوبة الاعدام عليها، لا يتلقى الرجل مقابلها نفس الحكم. الرجل الذي يقتل إمرأة، يكفي له ان يلصق تهمة انه قام بها دفاعا عن الشرف، لتقلص عقوبته الى أشهر قليلة في السجن، كما حدث في جريمة مقتل طيبة العلي. ان العقوبة لا تطبق على أساس نوع الجريمة، بل على نوع جنس الشخص الذي أرتكب الجريمة، فالجريمة التي ترتكبها امرأة يختلف عقابها عن تلك التي أرتكبها رجل. فمن تكون المرأة لتصادر حياة احد؟ أو كيف يمكن للمرأة ان تخون؟ أو اية جريمة أخرى، يرتكبها الرجل لكنه لا يقاضى عليها، كما تقاضى المرأة.

في الوقت الذي ينال الرجل تخفيفا للحكم على جريمة قتله للنساء حين يبرر جريمته بالدفاع عن "الشرف" ، لا تؤخذ أية عوامل مخففة لاعدام النساء مثل العنف الأسري الذي يستمر لسنوات وتعيش المرأة معاناته، والاغتصاب الزوجي، والتحرش من قبل الرجال في الأسرة او المقربين للاسرة. حيث ان جرائم القتل التي قامت بها النساء، كانت ضد رجال في الاسرة، وليسوا خارج المنزل.

تؤكد التقارير الصادرة عن احكام الاعدام بحق النساء في العراق بان بعض النساء لم يحظين بمحاميات او محامين، ولم يعطى الوقت الكافي للتحقيق في حقيقة ارتكابهن للجرائم. على سبيل المثال تمت محاكمة واصدار الحكم بحق ١٤ متهمة، في غضون ساعتين فقط، ولم تنل الواحدة منهن محاكمة تجاوزت العشر دقائق من الوقت(يمكن الاطلاع على مواد الجلسة ال ٧٤ المنعقدة من قبل اللجنة لمتابعة إيفاء العراق بانهاء كل أشكال التمييز الجنسي ضد النساء والصادرة باللغة الانكليزية في تشرين الثاني من عام ٢٠١٩). في الكثير من حالات الاعدام لم يجر إطلاع المحاميات على أوراق المحكومات بوقت كافٍ، بل بعض المحامين والمحاميات تمكنوا من الحصول على هذه الاوراق، فقط قبل بضع دقائق من إجراء المحاكمات. هذا، ناهيك عن أعمال التعذيب بمختلف الأشكال الذي تتعرض له النساء لإنتزاع " إعترافات" منهن بارتكابهن الجريمة. من إستخدام الفلقة في مراكز التوقيف والسجون، الى التعليق، الى الصعق بالكهرباء.

كل الاحصائيات، ليس في العراق فحسب، بل في العديد من بلدان العالم، تشير الى أن العنف المنزلي والدفاع عن النفس هو السبب الاول لقيام النساء بقتل الرجال. أنها ظاهرة عالمية ولا تقتصر على العراق فقط. يعتبر العراق واحدا من ثلاثة بلدان هي الاكبر عددا في إعدام النساء بعد الصين وايران. الصين تعدم سنويا من النساء ما يعادل ١-١٥٪ من عدد الاعدامات، ايران اعدمت ٣٨ امرأة ، يليها العراق، كاحد البلدان التي اعدمت اكبر عدد من النساء حيث بلغت ١٧ امرأة خلال الاعوام العشر الاخيرة، اي بمعدل ٢,٥٪ من حجم الاعدامات للنساء، والتي سبقت فيها العربية السعودية .

يبقى سؤالنا الأخير الموجه الى قناة الشرقية هو لمصلحة من تم اعداد هذه الحلقة؟ واية رسالة حمل الى المجتمع؟

أن قناة الشرقية قناة مرئية على نطاق واسع، والرسالة التي يحملها هذا البرنامج بقصد أو بدون قصد هو تصعيد مشاعر العداء ضد النساء، واتهامهن بالوحشية والقساوة، في أوضاع حالية تتعرض فيها النساء أساسا الى القتل والاحكام بالسجن وبشكل جائر،ناهيك عن العنف اليومي المنظم ضدها، والمسنود من الدولة والقانون. أن هذا البرنامج ومحتواه يسكب المزيد من الزيت على نار المشاعر المعادية للنساء. فالنساء متهمات غالبا ، وهن دائما الضحايا حتى

حين ترتكب الجرائم ضدهن. فالتحرش بالنساء سببه النساء، والعنف الممارس ضد النساء دعته ضرورة تأديب النساء. وهذه الحلقة من البرنامج، تصب بهذا الاتجاه.

ان واقع النساء المحكومات بالاعدام يدمي القلب، وكان على السيد الخالدي ان يبحث في عدالة ومجرى تلك المحاكمات، وفي حقانية القوانين ومدى عدالتها، والبؤس الذي تعيشه النساء اللواتي ارتكبن جرائمهن، ونؤكد للسيد الخالدي، ومن خلفه من معدي البرنامج ، ان هنالك الكثيرات يحلمن بطرق الخلاص من بعض الرجال في أسرهن. خاصة مع عدم وجود قانون يجرم العنف الأسري، ولا توجد مؤسسات توفر الحماية للمرأة في حال تعرضها للعنف، بل دائما ما يجري لوم الضحية ،وانها السبب في تلقيها للعنف بالمقام الأول، بل أن القانون يقر وينص على حق الرجل في " تأديبها" بغض النظر عن مدى تحليه باية آداب أساسا!

يجب القضاء على الارضية التي تدفع النساء للقتل، حتى نحضى بمجتمع آمن وسليم. ونؤكد، أن عقوبة الاعدام، لم تردع اية امرأة، حين تعدم كل السبل، من ان تقوم بحكم جزعها وانعدام السبل امامها، الى القتل، دفاعا عن النفس، ضد العنف وضد الاغتصاب.

في الختام، نضم صوتنا الى كل الأصوات الداعية الى إلغاء عقوبة الاعدام، للنساء وللرجال على السواء. على القانون ان يوفر الحماية والأمان للنساء، وان يقر قانون يجرم العنف المرتكب بحق النساء في المقام الأول، وان يوفر الفرص الاقتصادية التي لا تضطر النساء للعيش مع رجل يعرضها للعنف كل يوم، لان لا فرص لديها للخروج من اوضاعها الظالمة، يجب ان يفرض التعليم الالزامي على الاقل للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة على الاسر لتعليم بناتهن. يجب ان تقوم الدولة بجملة سياسات وبرامج قبل ان توجه عقوبة الإعدام لامرأة.

الجمعية العامة لتنمية المرأة
تحالف امان النسوي

بيان بمناسبة يوم الاول من ايار- يوم العمال والعاملات العالمي ٢٠٢٤

حقوق وفرص متساوية في العمل للنساء

تواجه النساء وبشكل يومي ومستمر، وبشكل مؤلم ومخجل ومكشوف شتى انواع التمييز الجنسي ضدهن، يجري تفضيل الرجال عليهن في العمل، قبل كل شيء، ولا توجد فرص للعمل متساوية مع الرجال. ويعتبرون عمل النساء عمل جانبي، واضافي وقابل للاستغناء عنه في كل لحظة. ١٣ بالمئة من نساء العراق يستطعن الحصول على فرصة عمل حسب احصائيات المنظمات الدولية.

واذا ما حصلت المرأة على فرصة عمل، فإنها تعاني من التمييز متعدد الاشكال ضدها. لا تتمتع النساء بأجور متساوية، فقد بلغت نسبة الفوارق بالأجور ما يعادل ١٨,٥٪ وحسب احصائيات المنظمات الدولية. فهي لا تمنح فرص متساوية في الحصول على التدريب وتطوير مهارات، وغالبا ما توفر هذه الفرص للرجال ولا توفر للمرأة. مما يسمح للرجال بالتطور المهني، ولا تحصل النساء على نفس الفرص، وما يترتب على ذلك من الحصول على اجور او امتيازات افضل.

تعاني النساء ليس من التمييز في الاجور وفي الفرص بل ايضا تتعرض لمختلف الضغوطات من قبيل التحرش، وتقليل الشأن، وحرمانهن من حقوق بسيطة في العمل، كالتمتع بوجود مرافق صحية خاصة بالنساء.

تحرم النساء العاملات من التمتع بإجازات الامومة وخاصة في القطاع الخاص، وفي الغالب ما يجري الاستغناء عن خدمات النساء ما ان يصلن الى مرحلة الحمل والانجاب. لا تتوافر حضانات الاطفال ورياض الاطفال مما يرفع الضغط والعبء على النساء من اجل ان يتمكن من المشاركة في العمل كما يفعل الرجل. يفرض عليهن العمل وبدون عقود توضح فيها حقوق المرأة العاملة، طول ساعات العمل، واستغلال جهودها الى اقصى الحدود.

تتعرض النساء الباحثات عن عمل وبشكل غير مسبوق الى المساومات على بيع جسدهن وبيع قوة عملهن في آن واحد، من اجل الحصول على فرصة عمل في ظاهرة اصبحت شائعة وجريمة منظمة لا يمكن السكوت عنها، ويجب فضحها بكل الاشكال.

يفرض على النساء العاملات اعباء العمل الرعائي، فرغم مشاركة النساء في العمل، الا انه قلما يجري مشاركتهن ورفع اعباء العمل الرعائي عنهن.
اما النساء الباحثات عن فرص عمل، فهن يواجهن معارضة أسرّهن بالعمل خارج المنزل او العمل في القطاع الخاص، تُبررُ الأسر اعتراضها على عمل المرأة بـ " عدم حاجتها الى العمل او المال"، او من اجل "حمايتها" مما قد يتعرضن له في العمل او الطريق الى العمل. ان هذه العوائق دون عمل المرأة تؤدي في نهاية المطاف الى ابقائها تحت رحمة "ولي نعمتها". مما يضع النساء في اوضاع الفقر والعوز، والحاجة الى مد ايديهن الى افراد اسرتهن.
تقع النساء غير القادرات على الحصول على عمل مدفوع الاجر فريسة العمل الرعائي الذي يقضي على شبابهن وقوتهن وفتوتهن وهن يمارسن العمل المنزلي الروتيني اليومي الممل دون ان يكون هنالك اي اعتراف بقيمة هذا العمل الذي يبذلنه، ودون ان يكون هنالك اجور عليه. علما ان العمل الرعائي عمل أساسي، معتبر وله قيمة لا تقل بأية درجة عن عمل الرجل. إنه عمل اساسي لصنع وادامة الحياة، وتوفير مستلزمات الامان الاقتصادي للمرأة ولأسرتها وللمجتمع بصورة أعم.
تتعاضد التقاليد الرجعية والابوية والذكورية في المنزل مع التقاليد المناهضة لحقوق المرأة في أماكن العمل، تدعمها قوانين الدولة، والثقافة الاجتماعية السائدة المتحيزة للرجل على حساب المرأة، من اجل وضع المرأة في مكان دوني مقارنة بالرجل في ميدان العمل مدفوع الاجر وغير مدفوع الاجر.

في الاول من ايار هذا العام ونحن ننضم الى عمال وعاملات العراق والعالم اجمع، قررنا اسماع صوتنا ومطالبنا بـ:
١- توفير فرص متساوية للعمل للنساء كما للرجال وانهاء التمييز الجنسي المجحف بحق النساء.
٢- التصدي للتقاليد المجحفة بحق النساء العاملات، ومعاملة المرأة العاملة على قدم المساواة مع الرجل العامل، وعلى مختلف المستويات الوظيفية في داخل اماكن العمل.
٣- توفير كل السبل والتسهيلات التي تساعد المرأة على القيام بعملها، من حضانات اطفال، ومرافق صحية، ومكاتب، ومواصلات آمنة، توفر بيئة مناسبة للعمل للنساء.
٤- توفير الامن والامان والكرامة للنساء العاملات والباحثات عن العمل، وتجريم كل تحرش او مساومة على جسد المرأة ومعاقبة القانون له.
٥- احترام حق المرأة بالعمل وعدم التدخل من قبل اي شخص مهما كانت صلته بالمرأة بقرار المرأة في عملها وتحت أية ذريعة كانت.
٦- توفير فرص عمل لكل العاطلات عن العمل، او توفير ضمان بطالة لهن وحتى حصولهن على فرص عمل.
٧- انهاء تعبير النساء هن ربات بيوت، النساء هن عاطلات عن العمل. العمل المنزلي والرعاية بأفراد الاسرة هي مسؤولية الرجل كما هي مسؤولية المرأة. المساواة في العمل المنزلي بين المرأة

والرجل.
٨- اجـازات أمومـة للنسـاء العامـلات مـع راتـب كامـل لمـدة سـنة في حالـة الـولادة بالإضافـة الى الاجـازات المرضيـة مدفوعـة الراتـب وبشـكل كامـل. اقـرار اجـازة الابـوة مـن اجـل مشـاركة الرجـل العامـل للمـرأة في شـؤون رعايـة المواليـد الجـدد.
٩- أعـادة كل النسـاء اللـواتي تـم الاسـتغناء عـن خدماتهـن أثنـاء جائحـة كورونـا واللـواتي كـنَ في اجـازات أمومـة، بحجـة تقليـص عـدد العامـلات والعاملـين.
نتطلـع في هـذا اليـوم، الى اتحـاد النسـاء النسـويات والنسـويين، واتحـاد المنظـمات النسـوية مـن اجـل الدفـاع عـن حقـوق النسـاء العامـلات والعاطـلات عـن العمـل في العـراق.

تحالف امان النسوي ٣٠نيسان ٢٠٢٤

التحرش بطالبات الجامعة جريمة يجب أن يحاسب عليها القانون وبقوة!

جريمـة التحـرش الجنـسي بطالبـات الجامعـات مـن قبـل مـن يفـترض بهـم أن يكونـوا أسـتاذتهن ومعلميهـن ، وممـن يفـترض أن يكـون لديهـم أخـلاق مهنيـة عاليـة، هـو عـار ليـس عـلى جبـين المؤسسـة التعليميـة لوحدهـا، بـل عـلى نظـام المحاصصـة السياسـية الـذي أتـاح لشـخوص رثـة تفتقـر الى أيـة مؤهـلات النزاهـة الأخلاقيـة والمهنيـة لتتبـوأ مواقـع في مؤسسـات الدولـة، لتـمارس انحطاطهـا الأخلاقـي عـلى فتيـات وطالبـات وموظفـات لا يمتلكـن حـولا ولا قـوة.
إنهـا جريمـة تقـوم عـلى إسـتغلال النفـوذ والسـلطة والرجولـة باقـذر أشـكالها مـن قبـل أسـاتذة جامعيـين عـلى طالبـات، فـرض عليهـن مجتمعيـا وأسريـا وتعليميـا أن يلتزمـن الصمـت تجـاه الانتهـاكات والجرائـم التـي ترتكـب ضدهـن لعلمهـن ويقينهـن أنـه ليـس هنالـك قانونـا عـادلا، ولا عدالـة اجتماعيـة تنصفهـن، بـل سـيواجهن بالادانـة الاجتماعيـة عـلى جرائـم ارتكبهـا غيرهـن.

أن جرائـم التحـرش الجنـسي بالطالبـات هـو طعنـة لنضـال النسـاء الـذي بـدأ منـذ اكـثر مـن ١٠٠ عـام مـن اجـل الحصـول عـلى حـق التعليـم، والـذي ذاقـت الفتيـات و النسـاء مـن اجـل التمتـع بـه مختلـف أشـكال العـذاب، ليـأتي أشـخاص لا يتمتعـون بأيـة ميـزات النزاهـة الاخلاقيـة والمهنيـة ليضيقـوا عليهـن وعـلى فرصهـن في التعلـم باجـواء سـليمة وآمنـة.

انـه جريمـة بحـق الأسر والعوائـل العراقيـة التـي تبـذل المـال والوقـت والجهـد مـن أجـل تعليـم بناتهـن وأبناءهـم مـن اجـل ان يصلـوا الى اعـلى المراحـل الدراسـية، ليـأتي هـؤلاء المجرمـون المتحرشـون ليسـيئوا وينتهكـوا حرمـة هـؤلاء الطالبـات وكرامتهـن.
ومـع كل هـذا، تنـص مـواد القانـون العراقـي رقـم ١١١ الصـادر ١٩٦٩ في مادتـه رقـم ٤٠٠ وبشـكل مخـزي عـلى معاقبـة المجرمـين بعقوبـة حبـس لا تزيـد عـلى سـنة وبغرامـة لا تزيـد عـلى مائـة دينـار أو باحـدى هاتيـن العقوبتيـن. امـا المـواد ٣٩٦ و ٣٩٧ فهـي تنـص عـلى عقوبـات بالسـجن تصـل لعـشر

سـنوات، اذا كان المعتـدى عليـه/ا اقـل مـن سـن الثامنـة عـشر!!

يتظافر رجال الدين وينادون عبر الجوامع ب" الستر" على مرتكبي هذه الجرائم.

التسـتر عـلى الجريمـة، وعـدم فضحهـا، وعـدم إنصـاف الضحيـة، لهـي مشـاركة إجتماعيـة كاملـة وتامـة في الجريمـة!

في دول العـالم المتقـدم التـي ينظـر اليهـا وكأنهـا "تفتقـر" الى الاخـلاق " يعتـبر اقامـة علاقـة بـين أسـتاذ جامعـي وطالبـة جامعيـة جريمـة ويعاقـب عليهـا القانـون. يعتـبر إقامـة علاقـة عاطفيـة مـن قبـل طبيـب مـع مريضـة يعالجهـا جريمـة، حيـث أن علاقـة القـوة تعمـل لصالـح الأسـتاذ والدكتـور وليـس لصالـح الطالبـة والمريضـة.

إن وقـوف العائـلات وبقـوة مـع بناتهـن الطالبـات هـو جـزء لا يتجـزأ مـن مسـاعي الأسرة مـن أجـل إيصـال بناتهـن وبحريـة كاملـة وباحـترام تـام الى أعـلى المراحـل التعليميـة، وهـو قـوة رادعـة لـكل مـن تسـول لـه نفسـه إيـذاء بناتهـن.
كذلـك، مسـاعي الطالبـات الشـابات وغيرهـن ممـن يتعرضـن الى التحـرش الجنـسي لفضـح هـذه الجرائـم هـو عمـل أخلاقـي عظيـم، لا يجـب التحـرج منـه، أو التنـازل عنـه، أو غـض النظـر عنـه، مـن أجـل كبـح ومعاقبـة المجرمـين باسـتخدام قـوة الادانـة الإجتماعيـة والرفـض االإجتماعـي لهـذه الأعـمال، والسـعي للضغـط بـكل السـبل مـن أجـل وضـع قوانـين صارمـة تجـاه هـذه الممارسـات لحماية النسـاء.

وتتحمـل الدولـة المسـؤولية الأولى والأخـيرة عـن تأمـين القوانـين الرادعـة للمجرمـين والمنصفـة لحقـوق الضحايا.
يجـب تغيـير القوانـين، وتنفيذهـا، ومعاقبـة كل مـن تسـول لـه نفسـه ايـذاء امـرأة لـه سـلطة عليهـا بفعـل موقعـه الحكومـي.

تحالف أمان النسوي

٢٠٢٤-٣-٢٣

منع النساء من المشاركة في ماراثون البصرة وصمة عار على جبين حكومتها

تـم منـع نسـاء وشـابات البـصرة مـن المشـاركة في الماراثـون الـذي نظـم يـوم الجمعـة المـاضي في ٩ مـن شـهر شـباط الجـاري(٢٠٢٤). أصـدرت الحكومـة المحليـة في البـصرة ممثلـة بمحافظهـا اهـذا الموقـف بـدون ان ينـدى جبينهـم خجـلا مـن هـذا التمييـز الجنـسي الصـارخ، والمعاملـة الدونيـة للنسـاء، والانحيـاز الـذي لا مـبرر لـه للرجـال عـلى حسـاب النسـاء.

انـه نمـوذج اخـر، جديـد ومقيـت عـلى مـا نقولـه عـلى التمييـز الجنـسي ضـد النسـاء الـذي يمـارس بشـكل منظـم ضـد النسـاء، واعطـاء مكانـة عليـا ومتفوقـة للرجـال. اي كانـت الاسـباب التـي اسـتندت اليهـا محافظـة البـصرة في اصـدار موقفهـا عشـية بـدء الماراثـون، فهـي تدلـل عـلى وقوفهـا الى جانـب القـوى الرجعيـة المعاديـة للمسـاواة بـين النسـاء والرجـال.

اذا كان جمـع مـن رجـال ديـن، او مـن عنصريـين، او قـوى رجعيـة معاديـة لمبـادىء المسـاواة ترفـض مشـاركة النسـاء الرياضيـة بحجـة انهـا تـسيء للاعـراف والتقاليـد وقيـم الاسرة في العـراق. نقـول لهـم: كفـي كذبـا ونفاقـا وريـاء بالدفـاع عـن " الاسرة" في العـراق. الا يـؤدي انتشـار الفقـر في مدينـة مـن اغنـى مـدن العـالم، وانتشـار الامـراض، والتلـوث البيئـي، وتلـوث الهـواء والمـاء بفعـل دخـان ومخلفـات انتـاج النفـط، وانتشـار الامـراض، الى تحطـم اسـتقرار وسـلامة العائلـة، ان كنتـم حريصـون عليهـا؟ مؤكـد لـن تحطـم نشـاطات رياضيـة صحيـة امنـة ايـة قيـم نبيلـة وانسـانية بـل بالعكـس انمـا تعمـل عـلى تكريسـها، بمـا تنـشره مـن رسـالة سـلام واحـترام بـين الجنسـين.

ان منـع الانـاث مـن المشـاركة بالماراثـون يعنـي ان اضطهـاد المـرأة، وقمعهـا وحجرهـا في المنـازل ليـس شـأنا عائليـا، ولا هـي هيمنـة ذكوريـة داخـل المنـزل، بـل هـي هيمنـة وسـيطرة ذكوريـة عـلى الانـاث مـن قبـل المؤسسـات الحكوميـة الرسـمية، والمؤسسـات الدينيـة غـير الرسـمية، التـي تعمـل معـا مـن اجـل منـع النسـاء مـن الاختـلاط ومـن المشـاركة في حـدث ريـاضي في هـذه المدينـة.

لقـد تـم تنظيـم مختلـف الماراثونـات في العـراق، ولم تشـتكي الاسر العراقيـة مـن اي خـدش لقيمهـا، بـل تبـارت النسـاء والرجـال بـروح رياضيـة عاليـة. وتـم انهـاء تلـك الماراثونـات في مختلـف مـدن العـراق،

الا ان الادارة الجديدة، بعد انتخابات مجلس المحافظة، تريد تدشين عهدها بابعاد واقصاء النساء عن الدخول في النشاطات الاجتماعية العامة.

ان هذه هي القوى الرجعية المناهضة للمرأة ولحقوقها، التي ترفض مشاركة النساء في النشاطات الرياضية، عملت على استعباد المرأة وبشكل منظم من خلال السماح بتعدد الزوجات و تزويج الطفلات القاصرات والذي يعني اغتصاب الطفلات، والتي حرمت النساء من ابسط حقوقهن الانسانية والمدنية، و وقفت محافظة البصرة، ومحافظها، موقفا مساندا لهذه القوى المعادية لحقوق المرأة. ولم يكن المحافظ الا شريك ومنفذ لاولئك الذي وجهو له التهديدات" بان لهم موقف اخر لو تمت مشاركة النساء" وركع صاغرا امامهم، ومنفذا لارادتهم.

لن يتمكن لا لمحافظ البصرة، ولا الرجال الذي هددوا بالويل والثبور اذا ماشاركت النساء في الماراثون، فرض هذه القيم على مدينة عرفت بمدنيتها، وبتحضرها ومنذ مئات السنين. فكان لنساء البصرة دورا في الرياضة والمسرح وكل الفنون والاداب. ان حجر النساء ومنع الاختلاط بين الجنسين هي مواقف أكل عليها الدهر وشرب. وهي معادية لكل القيم الانسانية والمدنية والمساواتية والمتحضرة.

كان على الرجال المشاركين ان يتخذوا موقفا اكثر صلابة، وان يدافعوا عن زميلاتهم اللواتي منعن من المشاركة، وان يقوموا بالاضراب والرفض، كان عليهم ان يرفعوا شعار" لا ماراثون بدون مشاركة النساء"!

يجب الاستيقاظ والتنبه الى مساعي هذه القوى المعادية لحقوق ألنساء والتي تسعى دائما وابدا الى ترك النساء قابعات في منازلهن، ليقمن بخدمتهم وكأنهن عبيد لهم.

لقد تم استخدام التهديد والوعيد في دولة تفتقر الى ادنى شروط الامان، وانفلات السلاح، وعدم وجود قوانين، لتمرير ارادتهم على نساء ورجال البصرة الذين تطلعوا الى مشاركة رياضة كما حدث في بقية المحافظات، في السنوات القليلة المنصرمة.

ليسقط العنف والسلاح والتهديد، نعم من اجل مجتمع امن وحر يتمتع فيه الجميع بكامل الحقوق، وبدون اية تفرقة، لا في الرياضة، ولا في اي نشاط اجتماعي اخر.

تحالف امان النسوي

٢٠٢٤-٢-١٢

عودة حزب البعث من جديد في العراق بغطاء "ديني" !

قامت عدد من الحكومات المحلية في وسط وجنوب العراق باستدعاء عدد من الناشطات النسويات لتوقيعهن على تعهدات خطية بعدم استخدام كلمات مثل " جندر" ،" لانها تخالف الآداب العامة ،وتهدد الدولة، وتحرض على الجنس الآخر" كما ورد في نصوص التعهدات.
جاءت حملة جمع التعهدات بعد أن قامت الحكومات المحلية وعدد من الجهات المؤتلفة معها، ومنذ شهر تموز ٢٠٢٣ بمنع وتجريم استخدام كلمة " جندر" حيث قامت بحملة لتوقيع الناشطات النسويات على تعهدات بعدم استخدام المفردة، والا عرضن أنفسهن الى عواقب وخيمة.
أن اسلوب التوقيع على " تعهد" هو إتباع لنفس أسلوب نظام حزب البعث البائد، ولكن بغطاء "ديني "هذه المرة، ضد المنظمات النسوية وغير النسوية من أحزاب كان يفترض أنها أحزاب معارضة لأساليب حزب البعث. ولكن ها نحن نرى أن التاريخ يعيد نفسه !
فما هو المراد وما هو الغرض من قيام هذه الحكومات من إتباع هذه السياسة ضد المواطنات والمواطنين الذين يمارسون ما يفترض انه حق دستوري أُقر منذ عام ٢٠٠٥. اي قبل أكثر من عقد ونصف! وهو حق التعبير، وحق ممارسة العمل المدني؟
إن هذه الهجمة التي تسعى لتشويه وشيطنة إستخدام هذا المصطلح و حرفه عن المعنى الحقيقي له، و الذي يعني اختلاف الأدوار المجتمعية بين الرجال والنساء واختلاف حقوقهم وفقا لجنسهم من ذكور واناث"، هي هجمة على المنظمات النسوية التي تسعى الى تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة الحقوقية ومتعددة الاشكال بين الرجال والنساء، وهي تشكل هجمة على الباحثات والباحثين العلميين في علم الإجتماع ممن يسعون الى دراسة آثار اختلاف الأدوار الجندرية على النساء والرجال والمجتمع بشكل عام.
اننا نرفض كل ادعاءات الحكومات المحلية بان كلمة الجندر تهدد أمن الدولة والمجتمع، في الوقت الذي تركت فيه جرائم الفساد، والسرقات، والإتجار بالمخدرات والبشر، والسلاح المنفلت،

وانتشار جرائم خطيرة تهدد حياة الناس بدون حسيب او رقيب.
بهذا البيان نرد على إدعاءات الحكومات المحلية ب:
اولا: الدفاع عن مبدأ العدالة الاجتماعية والمساواة بين البشر يمثل اسمى القيم الاخلاقية. فليس من الآداب والاخلاق مناصرة التمييز والتفرقة بين البشر أيا كانت الأسس التي يبنى عليها هذا التمييز. أن قيم العدالة الاجتماعية والمساواة بين البشر هي قيم عالمية، وتاريخية، لم نخترعها اليوم، بل دافعت عنها البشرية منذ زمن أكلة لحوم البشر والإتجار بالعبيد وسبي النساء وتقسيم النساء الى حرة وأمة. أن كل تمييز بين البشر، هو في حقيقته أمر غير أخلاقي على الإطلاق وليس فيه نفحة من الآداب. الأخلاق تعني، أن لا يهيمن إنسان على آخر، ويقوم بقمعه، بحجة "جنسه"!
ثانيا: نحن نريد فرصا متساوية، في العمل والتعليم، والحقوق المدنية بين بني وبنات البشر، فلماذا يشكل مطلب المساواة تهديدا للدولة؟ ان لم تكن الدولة والحكومات المحلية قد وضعت نفسها في خندق المعادين للمساواة والعدالة الاجتماعية، ليس هنالك ما يهدد الدولة في هذا المطلب بشي. بالأمس أعطت النساء -كما الرجال -أصواتهن، وبشكل متساوٍ، في انتخابات مجالس المحافظات. فكيف يكون صوتنا متساويا مع الرجال حين يتعلق الامر بالانتخابات، ونصبح بعدها اكثر دونية، واقل من الرجل في بقية الحقوق الأخرى؟ لا تستوي الامور هكذا. يجب أن تكون حقوقنا متساوية في كل شيء، ولا نقبل الاستخدام الانتهازي لكلمة مساواة، متى ما تتوافق مع أهدافكم.
ثالثا: الدفاع عن المساواة والعدالة الجندرية يعني تحقيق الأحترام والمساواة للجميع، بدون تفريق على أساس جنس البشر. فكيف حرفت هذه الحكومات ولوت عنق هذا المصطلح عن معناه الحقيقي، وحولته الى هجوم " على الجنس الآخر" في الوقت الذي ندعو فيه الى المساواة والعدالة الاجتماعية بين الجنسين؟ نحن نرفض إعطاء إمتيازات لاي جنس على حساب الجنس الآخر. وهنالك فرق شاسع بين التحريض على الجنس " الاخر" وبين الدعوة الى العدالة والمساواة بين الجنسين. لا يوجد أي مبرر بايولوجي او فسلجي او عضوي في الانسان، يضع جنسا في مكانة أعلى من الجنس الاخر : ذكورا كانوا أم إناثا.
رابعا واخيرا: أن زمن إخضاع النساء وقمعهن ومعاملتهن بدونية، على أساس جنسهن، او نوعهن البشري، او جندرهن هو أمر قد وصل نهايته، ولا نقبل به. لقد انتهى وولى زمن اللامساواة واللاعدالة بين البشر.
و كل اساليب الترهيب والتخويف بحق الناشطات النسويات والمنظمات النسوية، مرفوضة، ولا يمكنها إعادة عقارب الساعة الى الوراء.
تحالف امان النسوي

٨ شباط ٢٠٢٤

حرب إسرائيلية جديدة ضد الشعب الفلسطيني

شرعت اسرائيل بشن حرب دموية جديدة شاملة، اثر قيام تنظيم حماس بشن هجمة ثلاثية الجبهات في السابع من اكتوبر، ادى الى مقتل ضحايا من الجانب الاسرائيلي.

الا ان هذا الهجوم جاء لاسرائيل وكأنه "فرصة من السماء" لتبدأ حملة لابادة الشعب الفلسطيني وبكل الطرق الوحشية حيث حولت المدن الى ركام بقصفها المتواصل. وتم قتل لحد اللحظة ما يقارب الـ ٣ الاف فلسطيني، وجرح ما يزيد على ال ١٠ الاف، وتم تهجير ٧٠٠ الف فلسطيني من نساء واطفال وحوامل وشيوخ وشباب. ليس معلوما ما هو مصير المرضى العاجزين عن التحرك في المستشفيات، وحتى الموتى لم يدفنوا بكرامة. و تم ايقاف و قطع المساعدات الانسانية ومنع وصولها الى الشعب المحاصر، واغلقت المعابر عن وصول الادوية للمحتاجين، تم قطع الماء والكهرباء لمئات الالاف في القطاع.

ان ما قامت به حماس في يوم ٧ اكتوبر، مرغ الالة العسكرية الاسرائيلية وقدراتها الاستخبارية في الوحل. ورغم سقوط الضحايا من المدنيين الاسرائيليين، الذين لا صلة لهم بسياسات دولة اسرائيل. الا انه تجري معاقبة الشعب الفلسطيني في غزة برمته، عقابا دمويا على ما قامت به حماس. فلم يؤخذ اكثر من مليون انسان رهينة لـ "انهاء حماس" كما تقول اسرائيل، بل اصبحوا اهدافا عسكرية للالة الحربية الاسرائيلية، بجريرة ماقامت به حماس.

وفق اي قانون او منطق، يدفع ملايين الناس ثمنا لقرار لم يتخذوه، ولم تتم استشارتهم به، لتتم معاقبتهم جماعيا عليه؟ كما جرت معاقبة الشعب العراقي بسنين من الحروب والحصار على جرم لم يقترفوه حين قام نظام صدام حسين باحتلال الكويت!

بغض النظر عن من شرع بالهجوم هذه المرة، فان اسرائيل هي المسؤول المباشر عن بقاء واستمرار هذا المسلسل الدموي، وذلك بسبب حروبها، واعمال الابادة، وتعنتها وعدم رضوخها

لعشرات القرارات الدولية لحل الصراع الفلسطيني الاسرائيلي، ورفضها المستمر لكل مبادرات و مساعي السلام.

ان هذه ليست حرب الدفاع عن النفس، بل حرب من اجل تركيع شعب ينازع لسبعة عقود من اجل ان يعيش على ارضه بسلام.

حيث هنالك احتلال يرتكب مجازر من كل شكل ونوع وقتل وعدوان واستيطان، لابد ان تكون هنالك وجود مقاومة لهذا الاحتلال. لقد سعى الفلسطينيون وبكل الاشكال من المقاومة المسلحة الى نضال اطفال الحجارة، الى المفاوضات من اجل ان يعيشوا بسلام وبحدود مناطق ١٩٦٧. الا ان اسرائيل تستمر بتوسيع استيطانها وبشكل يومي. ان شعب فلسطين يعيش حالة حرب مستمرة منذ سبع عقود، تتخللها فترات هدنة بين الحين والاخر، بسبب سياسات اسرائيل.

لانهاء هذه البربرية والوحشية بحق الشعب الفلسطيني، نضم صوتنا الى صوت كل القوى التحررية والانسانية والتي تتظاهر اليوم في شتى عواصم المنطقة والعالم من اجل ايقاف الحرب، وفتح المعابر الحدودية من اجل ايصال المساعدات غذائية وطبية وانسانية، وحماية حياة المدنيين وعدم تعريضهم لاية اخطار. والاعتراف الكامل من اسرائيل واحترام حقوق الشعب الفلسطيني في اقامة دولته بشكل حر و مستقل.

تحالف امان النسوي
١٧ أكتوبر ٢٠٢٣

بيان تحالف أمان النسوي حول اعتقالات مقدمي المحتوى الهابط !

رغم تدهور الاوضاع في العراق وعلى كافة المستويات من تعليم وثقافة وصحة وفرص معيشة وتدهور بيئي ومناخي، إلا أن الحكومة لا تنفك عن أصدار قوانين قيل أنها تصب في الصالح العام وتقي الأسرة من الانحلال الأخلاقي. والحال ان القوانين في العراق تصب في تمزيق الاسرة في العراق من نواحي عديدة، من بينها قبولها بممارسة العنف الاسري، تسرب الأطفال من المدارس والتسول في الشوارع وغيره. ب

هذه القوانين الجديدة، حول السيطرة على " المحتوى الهابط" تكون الحكومة قد خطت خطوة جديدة وزيدت الخناق على الجميع، ساعية الى خلق إداة قهرية جديدة تهدف إلى تكميم الأفواه والسيطرة على المحتوى الإلكتروني تحت ذريعة (الاساءة إلى الذوق العام). علما ان الانظمة الذكورية والاسلامية السياسية التي تحارب منذ القدم أي وسيلة معارضة للتعبير ستقوم بإستغلال هذا القانون لصالحها الخاص الان وفي المستقبل. يمكن الآن لأي فرد يمتلك حساب في منصة إلكترونية أن يعاقب بالحبس ويجرم بتهم مختلفة دون تحديد ضوابط او معايير لصناعة المحتوى الجيد والابتعاد عن المحتوى الهابط او السيء كما يشاع عنه، مما يجعلنا نتسائل كـ مجموعات وافراد من الناشطين عن الاخلاقيات التي اتبعتها الانظمة للمضي بأصدار هذا القانون وعلى ماذا استندت لتقرر من ذا الذي يمتلك محتوى سيء وجيد؟الصياغة القانونية لمثل هكذا قرار يخل بالديموقراطية التي يتحدثوا عنها في الدولة العراقية ويتعارض مع الدستور العراقي الذي كفل حرية الرأي والتعبير.

علما أنه لا يعتبر جرما قيام افراد بنشر محتوى يطرح من خلاله عقلياتهم وافكارهم حتى وأن كانت رجعية. الا ان قيام الدولة بملاحقتهم بشكل شخصي وتصويرهم خلف القضبان يدل على أن هذا القرار إنما هو حملة ممنهجة يقف خلفها بحزم احزاب السلطة والقضاء اللذان

قـد تهاونـا مـع قتلـة النسـاء وجرائـم الـشرف وعمليـات اختطـاف الناشـطين والتـي افلـت مرتكبوهـا مـن العقـاب، الا انهـم يلاحقـون " صنـاع المحتـوى الهابط".مـا الغايـة مـن فـرض الرقابـة الإلكترونيـة عـلى صنـاع المحتـوى" الهابـط" بينـما يفتقـر المواطـن إلى أبسـط مقومـات الحيـاة؟ أن شـيوع المحتـوى الهابـط يعكـس ضحالـة التعليـم، وتـردي الثقافـة، وانعـدام الفـرص التـي يطـور فيهـا الانسـان ثقافتـه مـن فنـون ومسـارح وادب. لـذا، فـان الحـد مـن شـيوع المحتـوى الهابـط لا يتـم بسـن قوانـين مبهمـة وفتـح السـبل للتبليـغ عـن الفئـات الاخـرى بتهـم عشـوائية وجعـل القضـاء سـاحة للتصفيـات بـين الكارهـين والمتعصبـين.

فعـلى مـر العصـور وبجميـع الـدول المتحـضرة لم نسـمع بوجـود قوانـين تحـد مـن التفاهـة والسـخرية ويعاقـب مرتكبوهـا بالتشـهير والحبـس بشـكل مبـاشر دون محاكمـة او تبليـغ.ذات القوانـين التـي صـادرت حريـات وحقـوق اصحـاب المحتـوى الهابـط سـتنقلب ضـد مؤيديهـا وتسـلب منهـم جميـع مـا قـد سـاهموا بالدفـاع عنـه ولـن تتوفـر لهـم مسـاحة أمنـة للحديـث عـن ذلـك حينها.هـذا مـا يحـدث عندمـا تتسـلم الجهـات الحاكمـة العصـا فهـي سـتضرب بهـا القطيـع كُلـه إلى أن تقتـاده الى حيـث تبتغـي دون أي اعـتراض. ونكـون بذلـك قـد اسـتبدلنا نظـام ديكتاتـوري بنظـام ديكتاتـوري اخـر وقـد مضينـا خطـوة نحـو صنـع أداة قمعيـة تـضرب بمطرقتهـا بشـكل قانـوني عـلى اعنـاق الشـعب كافـة دون أي حسـيب.مع الغـاء قوانـين وإجـراءات معاقبـة ذوي وصنـاع المحتـوى الهابـط.

تحالف أمان النسوي

٢٠٢٣-٢-١١

الشخصي هو سياسي ! حول فرض العباءة والحجاب!

نشرت وسائل التواصل الاجتماعي في الأيام الأخيرة صورا من النجف وكربلاء بل وحتى في برطلة في الموصل! فيديوهات على منصات التواصل تظهر صور عباءات طالبات جامعة الكوفة وهي مرمية على الأرض. نشرت اخبار أخرى عن حضور أعضاء وعضوات برلمان مهرجانات لفرض الحجاب على الطفلات باسم سن التكليف الشرعي. بثت أغاني تمجد بارتداء العباءة. تم توزيع العباءات على المتزوجات الجدد مع مبالغ مالية كهدية لكل عقد زواج في برطلة. هذه وغيرها هي اشكال من هجمة منظمة محورها وموضوعها إخفاء أي وجود او ملامح للمرأة، باسم الحجاب، او العباءة، وحجاب الطفلات في سن التاسعة.

ليس الامر صدفة. حيث تبدأ هذه الموجة الجديدة والناشطة لأسلمة المجتمع من جديد بعد ان كفت الأحزاب الإسلامية وبلعت السنتها في السنوات الماضية اثر اشتداد هجمة الجماهير عليهم، وفضحهم رافعين أصواتهم " باسم الدين باكونا الحرامية". وبعد سنين من قتل وتعذيب النساء غير المحجبات في مدن عديدة في العراق. عادت هذه الأيام الموجة من جديد.

وأذن، مسألة ارتداء العباءة والحجاب ليست مسألة اختيار فردي، شخصي أو حر للنساء. والامر لا يتعلق بانه معتقد ديني، فـ"بيوم الحساب لا يحاسب أحد بدل من احد". الامر ليس ديني، بل سياسي وبدون أي لف او دوران.

بعد سنوات من هلع الأحزاب الإسلامية من غضب الجماهير واضطرارها الى تغيير اسماءها من أسماء دينية الى أسماء مدنية، لتتملق للشارع وتكسب وده بعد ان فضحته الملايين، وفضحت زيف ادعائهم بالأخلاق والفضيلة، تعود اليوم من جديد، لتبدأ نفس الحملة، حيث تنشط للحصول على أصوات في الانتخابات القادمة.

لقد قالت الجماهير كلمتها وعلى امتداد سنوات ٢٠٠٨، و٢٠١١، و٢٠١٥ و ٢٠١٨، و٢٠١٩ و ٢٠٢٠، ولازالت تقولها كل يوم، هذه الفئة المتسلطة الفاسدة، لا خير فيها لاحد، بل كل ما يريدوه لأنفسهم. واليوم، بالتغني بالعباءة، وبسن التكليف، يريدون ادامة عمرهم المشؤوم. وكأن

مشـاكل النسـاء في العـراق، هـي العبـاءة والحجـاب!
النسـاء تريـد عمـل، النسـاء تريـد فـرص معيشـة حـرة وكريمـة، تريـد المطلقـات والارامـل حقوقـا بـدون ان يبتزهـن موظفـي الحكومـة الإسـلامية.
المـرأة لا تريـد مزيـدا مـن العنـف، لا تريـد الاتجـار بجسـدها، تريـد حقوقهـا في المـيراث ارضـا كانـت او مـالا، والتـي تـسرق منهـا في رابعـة النهـار. المـرأة تريـد إعترافـا بجهدهـا وعـرق جبينهـا في المنـزل وهـي ترعـى الجميـع صغـارا وكبـارا.
لم تطالـب أيـة امـرأة بالحجـاب والعبـاءة، فهـو حـق مكفـول لـكل امـرأة. إلا إن تنظيـم هـذه الحمـلات يظهـر بوضـوح ان العبـاءة والحجـاب ليسـت مسـائل شـخصية بـل سياسـية وبامتياز.
الأحزاب الإسلامية تناصب العداء للمرأة وهي ترفض تشريع قانون يجرم العنف الاسري.
الأحزاب الإسلامية تناصب العداء للمرأة وهي تريد تغيير قانون الحضانة.
الأحـزاب الإسـلامية تناصـب العـداء المـرأة وهـي تكـرس تعـدد الزوجـات، وزواج القـاصرات، والـزواج خـارج المحاكـم.
الأحـزاب الإسـلامية في حملتهـا الأخـيرة في فـرض والترويـج للعبـاءة والحجـاب هـي مسـاع لأسـلمة المجتمـع ولأسـلمة الدولـة.
الأحزاب الإسلامية تسعى لوضع العصي في عجلات الحركة النسوية الصاعدة والماضية الى إمام.
ان حركتنـا مـن اجـل حـق الخيـار، وحـق اختيـار الملبـس، وحـق لبـس الحجـاب مـن عدمـه، وحـق لبـس العبـاءة او عـدم لبسـها، هـو موقـف سـياسي ودفـاع عـن حقوقنـا الفرديـة والمدنيـة.
وهذه هي سياستنا: نعم لحق الملبس للمرأة غير المقيد وغير المشروط.

تحالف امان النسوي
١٥ أيار ٢٠٢٣

أجور مقابل العمل المنزلي

بمناسبة الأول من آيار يوم العمال والعاملات العالمي.

نُحيي هذا اليوم نحن النساء، العاملات في المنازل، يوم العمال والعاملات العالمي، جنبًا إلى جنب مع العمال.

لأننا لسنا عاطلات عن العمل، بل نحن عاملات في المنازل نقضي ملايين الساعات في عمل رعاية الأسر على مدار الساعة ليلًا ونهارًا وبدون توقف. أعمال منزلية ورعاية أسرة تتكرر كل يوم وعلى امتداد سنوات عمرنا من الطفولة وحتى آخر أيام حياتنا.

نرعى أفراد الاسرة صغارًا وكبارًا، أصحاء ومرضى، يافعين ومسنين داخل منازلنا دون أن يكون لعملنا هذا أي أجر مالي مثله مثل الأعمال الأخرى التي يقوم بها الرجال خارج المنزل.

بدون أن يكون له أي تقدير لا من قبل الاسرة ولا من قبل الدولة ولا من قبل المجتمع المحيط.

لم يخطر ببال كل المستفيدين من خدماتنا من أسرة ومجتمع ودولة، إعطاءنا حقوقنا بالأجر اسوة بكل انسان يبذل وقتًا وجهدًا ويقدم خدمات ويحصل على أجور مقابلها. بل فرضوا علينا أن يكون عملنا عملًا مجانيًا. في الوقت إذا ما قام الرجال في العمل فأنهم يأخذون أجورهم على كل ساعة عمل.

كل هذه الأطراف شريكة بسرقة جهودنا وعملنا، وعلى رأسها الدولة.

هذا الوضع لا نقبله ولن نقبل استمراره.

يجب أن تتحمل الدولة مسؤولية دفع أجورنا حالنا حال أي عامل وموظف آخر. فنحن القائمات على تربية الأجيال جيل بعد جيل، العناية بعمالهم وموظفيهم وخدمهم وجنودهم وسياسييهم ورجالهم من كل فئة وصنف.

أن عملنا يساوي الملايين من الدولارات التي يجب أن تُدفَع لنا نحن العاملات في المنازل وبكل استحقاق وبدون منّة او جميل من أحد.

وإذا ما أرادت الدولة أن تخفف من أعبائنا المنزلية يجب أن تساهم بتوفير دور رعاية الأطفال والمسنين والمرضى بشكلها المجاني الصرف.

يجب أن تتحمل المدارس مسؤولياتها بتعليم الأطفال حيث نقضي آلاف الساعات يوميًا بإعادة تدريس الأطفال، بسبب سوء التعليم.

فنحن النساء الموظفات نتحمل نوبَتين من الشغل، نوبة خارج البيت مدفوعة الأجر، وأخرى داخل البيت، لا يتقاسمها الرجل معنا، وهي ليست مدفوعة الأجر.

هذا ما نريد، وهذا ما نريده من أي انسان يملك الانصاف والحكمة وهو ينظر إلى جهودنا، أن يقف معنا، وأن يساند مطالبنا.

تحالف أمان النسوي
٢٨ نيسان ٢٠٢٣

بيان تحالف أمان النسوي بمناسبة ٨ اذار يوم المرأة العالمي: لا لقوانين ومواد العار٤١، ١٢٨، ٣٩٨ و٤٠٩.

يمر علينا الان، الثامن من اذار، يوم المرأة العالمي. ونحن كنساء العراق نرفع وبالصوت العالي مطالبنا. لا لمواد العار التي ينص عليها قانون ١١١، وفقراته المعادية للمرأة ١٢٨، ٣٩٨و٤٠٩. كل هذه الفقرات تنص وبالقانون: على ان المرأة ليست انسانا كاملا متكاملا بل هي جسد مملوك للرجل، وخاضع له. وقابل لكل ما يمليه عليها. هذه المواد تنص وبشكل رسمي: على ان النساء ملكٌ لأسَرهن! عبيد عليهن الطاعة. وإذا ما خرج العبد عن الطاعة يحل قتله. هذا هو قانون الملكية الذي يطبق علينا في كل يوم وكل ساعة من شمال البلاد الى جنوبها ومن شرقها الى غربها. لا فرق بين امرأة وأخرى. والحجج التي تساق لقتل المرأة سهلة وفي متناول اليد: انتهاك الشرف! والشرفُ هو لا شيء غير إعطاء الرجل الحق في التصرف بحياة المرأة كيفما يشاء: يعنفها، يحجر عليها، يغتصبها، يقتلها، برعاية قانونية ورسمية. هذا القانون يعطي الأب والأخ والزوج لنفسه الحق في ممارسة العنف والاغتصاب والقتل ضد النساء لإننا لا نعدو في منظومتهم ان نكون أكثر من أجساد. تساندهم القوانين والأعراف والتقاليد التي تبيح قتل النساء باسم الشرف.فاذا ما كسرنا هذا الطوق، وسعينا للتحرر من هذه الهيمنة والعبودية، وامتلكنا أجسادنا وعقلنا وتصرفنا بهم كما نشاء، حلت علينا، وفق قوانينهم، عقوبة غسل العار! هذا هو قانونهم.الا ان قانوننا، وما نريد تحقيقه هو شيء اخر. نحن لسنا عبيدا لاحد. ولسنا اتباع وخاضعات لإرادة الزوج والأب والاخ، يتصرفون بنا كما يشاءون: عنفا واغتصابا وقتلا. نحن بشر متساوون مثلنا مثلهم. ولنا كامل الحق في امتلاك جسدنا وكياننا وعقلنا ومصيرنا.لنا كامل الحق في السفر، والعمل، واختيار شريك الحياة بدون ان نتعرض للقتل. لنا كامل الحق في ان تحترم اجسادنا وكياننا دون ان نتعرض لاغتصاب من قريب او غريب. ودون ان نعاقب على جرائم تعرضنا للاغتصاب. هذه هي القوانين التي تطبق بحقنا...وهذه القوانين التي تدعمها

الأعـراف والتقاليـد الاجتماعيـة الكارهـة للمـرأة. هـذه هـي قوانينهـم التـي نقـف ضدهـا. امـا قانوننـا نحـن النسـويات فهـو ان كل تعـدي عـلى كيـان المـرأة، حريتهـا، في العمـل، في الخـروج مـن المنـزل، في حياتهـا الاجتماعيـة، في حياتهـا الشـخصية هـو جريمـة. كنـا ولا زلنـا وسـنظل نناضـل بجـد وبحـزم وبيقـين لا يتزعـزع مـن اجـل اسـتعادة قدرتنـا عـلى التحكـم بكياننـا وحياتنـا، في الامـس، واليـوم وغـدا. عقديـن مـن الزمـن نطالـب بتغيـير القوانـين التـي تنتهـك حياتنـا وكرامتنـا وأمننـا، ولا حيـاة لمـن تنـادي. عقديـن مـن الزمـن ونحـن ننـادي اولئـك الذيـن عـلى سـدة الحكـم بـأن يقـروا قانـون تجريـم العنـف الاسري، وليـس مـن مسـتجيب. لأن هـذه الأحـزاب هـي أحـزاب ابويـة معاديـة لمسـاواة المـرأة والرجـل. وعـلى رأسـها الأحـزاب الإسـلامية والتـي تعتـبر الوصايـة عـلى المـرأة جوهـر سياسـتها. كل الأحـزاب المتسـلطة والطبقـة الحاكمـة برمتهـا هـي المسـتفيد الأول والأخـير مـن اخضـاع المـرأة للرجـل، مـن كدهـا وعملهـا المضنـي والمرهـق رعايـة لـلأسرة في البيـت، ومـن أجـور عملهـا خـارج البيـت، مسـتعبدة ومسـتغلة عـلى كل الأصعـدة. عقـود مـن الزمـن، ولازالـوا يقـرون قانونـا، وبـدون أدنى حيـاء او خجـل: بـأن للرجـل حـق " تأديـب" المـرأة. والحـال يجـب ان نعلمهـم "الأدب": بـان لا حـق لإنسـان، بامتهـان حيـاة انسـان. لا في القانـون ولا في الممارسـة الشـخصية او الاجتماعيـة. ومـن يتـمادى ويتواقـح عـلى حرمـة حيـاة انسـان، رجـلا كان او امـرأة، يجـب تأديبـه. هـذا هـو قانوننـا. سـنجعل مـن ٨ اذار هـذا العـام، يومـا للتأكيـد عـلى نضالنـا الـذي لا يتزحـزح. بـأن زمـن العبوديـة انتهـى. وبـأن قتلة ومغتصبـي طيبـة وكل الطيبـات لا مـكان اخـر لهـم غـير السـجن! حولهـم يجـب ان تطبـق القضبـان. ثورتنـا ضـد العبوديـة والاغـلال وقوانـين القتـل مسـتمرة. يجـب الغـاء الفقـرات٤١، ١٢٨، ٣٩٨، و٤٠٩ مـن قانـون العقوبـات في العـراق.

تحالف امان النسوي

٢ اذار ٢٠٢٣

عاش القانون الفرنسي!ولتسقط المادة ٣٩٨ من القانون العراقي!

حكمت المحكمة في فرنسا على المغتصب سعد لمجرد بالسجن ٦ سنوات وبغرامة مالية تقارب ٣٥٠ الف دولار على اغتصابه لفتاة فرنسية قبل بضع سنوات، ولم يترك القانون الفرنسي حق الشابة المغتصبة حتى اصدر حكمه على المغتصب!هذا ما يشفي قلوب النساء المغتصبات. وهذا ما تتطلع اليه أية فتاة او امرأة في العراق حين تتعرض للاغتصاب. ان تقوم الدولة والقضاء بانتزاع حقها، وتثأر لكرامتها التي استباحها المجرم. وتضعه خلف القضبان كما فعل القضاء الفرنسي. هذا ما تريده النساء في العراق وفي المنطقة برمتها.إلا إن القانون العراقي يكافئ المغتصب على جريمة اغتصابه بمنحه الفرصة للاغتصاب مرات ومرات عبر تزويجها له ورغما عن ارادتها باسم " حفظ شرف اسرتها". القانون العراقي عاجز عن ان يصدر حكما عادلا لان اطرافه ترتجف من ان يتهم ب" انتهاك" الأعراف والتقاليد! وهو يطأطأ الرأس لها..

قانون كاذب ومرائي ومعادي للمرأة. القانون عاجز عن ان يطلق حكمه بأن كل تستر على جريمة هو جريمة. والقانون العراقي الذي يسمح بإدامة جريمة اغتصاب انما هو مشارك في الجريمة. لم ولا يصغي القانون لسخافات مبتذلة من قبيل" هي انطته مجال"! الاغتصاب جريمة. حيث انها جرت غصبا عن إرادة المرأة فهو اغتصاب.يقف الفنانون والفنانات العرب الذين شربوا وتغذوا من المستنقعات النتنة المناهضة للمرأة، مع المغتصب سعد لمجرد لأنه " زميل مهنة" الخزي والعار لكل فنان/ة يقف مع المجرمين المغتصبين. نساءنا، وناشطاتنا النسويات في المنطقة وقفن بكامل قيافتهن وقلن لا، لا احياء لحفلات المغتصب في بلداننا. ومنعت حفلاته في مصر والعراق. ونحن اليوم، نشيد ونحيي حكم القضاء الفرنسي على المغتصب ٦ سنوات. انه يثبت ان بالإمكان تحقيق العدالة، وبالإمكان معاقبة وليست مكافئة المجرمين المغتصبين. يفضح القضاء الفرنسي اليوم بحكمه على مغتصب بالسجن ٦ سنوات.. أي خزي وأي عار في القوانين التي تمارس في العراق والمنطقة والتي تشارك بجريمة الاغتصاب وادامته.سنعمل بدون توقف من اجل ان يكون لدينا قضاءا "فرنسيا" رفيع الطراز كما رأيناه اليوم.

تحالف امان النسوي

٢٥ شباط ٢٠٢٣

شيطنة النساء مرة اخرى!
الى نور البغدادي وجماعة " مطيتهم مجال"!

التحـرش الجنـسي هـو تنمـر ذكـوري عـلى النسـاء لان المجتمـع وضعهـن وعاملهـن وجعلهـن اقـل قيمـة واقـل مكانـة مـن الرجـل!

هـو جريمـة يرتكبهـا الرجـال بحـق النسـاء، لانهـم يـرون المـرأة اضعـف منهـم، وليسـت قـادرة عـلى الصـد والـرد!

لان المجتمـع دربهـا وعلمهـا عـلى أن "المـرأة الشريفة"هـي مـن تحتفـظ بالصمـت وتكفـي خيرهـا شرهـا!

لم تكن اعوام بعد ٢٠٠٣ هي اعوام انفتاح، بل كانت اعوام قمع للنساء!.

انظـروا فقـط الى صـورة النسـاء في السـتينات والسـبعينات والثمانينـات، لـتروا كيـف كانـت النسـاء تتـصرف دون ان تتعـرض الى كميـة التنمـر الجنـسي الـذي اسـمه التحـرش، كـما تتعـرض لـه الان و٩٥٪ منهـن يرتديـن الحجـاب في عمـوم العـراق!

ان الشخصيات التي تلتقيها القنوات الفضائية هي شخصيات مخجلة ولا تقول الحقيقة.

الحقيقة هي: هنالك شيطنة للنساء، ليس منذ اليوم، بل على امتداد التاريخ!

المرأة اخرجت ادم من الجنةّ!

المرأة هي التي تسبب غضب الرجل فيقوم بضربها!

المرأة هي التي "تعطي المجال" للرجل ليتحرش بها!

المرأة هي "الافعى، الساحرة..الشريرة"..!

المرأة هي..

المرأة هي..

كفوا عن شيطنة النساء، حتى لا يعفى المجرمون من الحساب والعقاب على جرائمهم!

كفوا عن شيطنة المرأة، وقولوا للمذنب والمعتدي بانك المعتدي!

لا تجرموا الضحية، لتطلقوا العنان للمجرمين ليعيدوا مرارا وتكرارا جرائمهم!

لا لشيطنة النساء!

سنناضل من اجل انهاء هذه النظريات المنحطة التي تدافع عنها نور البغدادي وامثالها!

تحالف امان النسوي

٢١ اكتوبر ٢٠٢٢

يجب تشريع قانون يجرم العنف الاسري!

يقولون لنا: أنتم تحطمون الاسرة بمطالبكم بإيجاد قانون لحماية الاسرة من العنف المنزلي؟

يقولون لنا: ان افكاركم غريبة وهي ستحطم عاداتنا وتقاليدنا؟
أما قانونهم فيعلن بالفم المليان: ان من حق الإباء "تأديب" الأبناء والزوجات.

العنف الذي يمارسه الإباء هو ليس تربية ولا تهذيب بل ممارسة مطلقة للعنف ضد الأطفال، لا يردعها رادع، بل يؤيدها القانون.
فرض تربية الأطفال على زوجات الإباء جريمة. وعدم حماية الأطفال من اعتداء زوجات الإباء هو شراكة في الجريمة.
حرمان الأمهات من رعاية اولادهن في حالة زواجهن هو سلب لحقوق الأطفال، وهو حكم جائر على الأمهات. اية إنسانية تكمن في هكذا قوانين وهكذا اعراف؟
يتحول الأطفال في اسرة الاب الى ضحية يفرغ فيها الإباء و زوجات الإباء غضبهن على هذه الفئة عديمة الحيلة من البشر.

لا قانون يحمي الأطفال، ولا مؤسسات، ولا قانون.
واليوم، تم اغتصاب الأطفال على ايدي رجل دين في الانبار. كم طفل تم اغتصابه قبل ان ينشر الغسيل على الحبال؟
كم طفل استطاع كسر حاجز الخوف والرعب من والديه ليصارحهم بحقيقة الانتهاكات التي يتعرض لها جسده الصغير؟
مؤكد ان الضحية ليسوا طفلان فقط، بل أطفال في أماكن مختلفة لا يستطيع الأطفال البوح بها خوفا ورعبا.
الدول الغربية وضعت قوانين ومؤسسات لحماية الأطفال وكل اسرة تسول لها نفسها ممارسة العنف ضد الأطفال، يسحب الأطفال منهم الى أماكن آمنة يصانون فيها من التعذيب والعنف والالم. هذا ليس تحطيم للاسرة، بل يكمن في هذا حماية من لا طاقة ولا قدرة له على حماية نفسه.

حين تتفسخ الاسرة، يجب حماية افرادها على اقل تقدير.

قوانـين تحمـى فيـه حقـوق الأطفـال شرعـت في الغـرب وليـس الـشرق، ولا يجـب انـكار الاعـتراف بالحقيقـة. وهـي تصـب في صالـح الأطفـال.

منظـمات عديـدة ناضلـت لسـنين طويلـة حتـى تمكنـت مـن انتـزاع هـذه الحمايـة في الغـرب. انهـا ليسـت منـة مـن الحكومـات.

١٢ عامـا تناضـل المنظـمات النسـوية مـن اجـل تشريـع قانـون يجـرم العنـف الاسري، والبرلمـان العراقـي نائـم وأرجلـه في الشـمس، لا علاقـة لـه بالعنـف ضـد الأطفـال والنسـاء.

ليسـت المنظـمات النسـوية والمدنيـة مـن يخـرب اخـلاق الاسرة، بـل ان الاسرة الحاليـة بـدون قوانـين تـردع الكبـار فيهـا عـن ممارسـة العنـف ضـد صغـار السـن، وتـردع الرجـال عـن ممارسـة العنـف ضـد النسـاء، هـي سـبب مـوت الأطفـال، وتفـكك الاسر، وانهيـار كل قيـم إنسـانية تحـترم النسـاء والأطفـال وكبـار السـن.
ممارسـة العنـف ضـد الأطفـال مـن جهـة ورفـض البرلمـان العراقـي تشريـع قانـون تجريـم العنـف، انمـا يعلـن حقيقـة واحـدة: أن هـذا البرلمـان هـو شريـك متواطـئ بممارسـة هـذا العنـف.
امـا تشريـع قوانـين تجـرم العنـف، او ان هـذا البرلمـان لا صلـة لـه بأمـان الاسرة وحفـظ كرامـة اطفالهـا ونسـاءها.
وبمـا ان البرلمانـات المتتاليـة وقفـت صفـا واحـدا ضـد حقـوق الأطفـال والنسـاء بالحمايـة، يعنـي ان هـذه البرلمانـات لاصلـة لهـا بحمايـة هـذه الفئـات. وهـي ليسـت منهـا وليسـت لهـا.

تحالف امان النسوي

١٣ أيلول ٢٠٢٢

قدموا قتلة طيبة العلي الى المحكمة!

قتلت طيبة العلي على ايدي والدها وبمشاركة اخوالها اليوم، ١ شباط، فقط لاختيارها العيش بشكل مستقل خارج العراق، واختيارها للعيش مع شريك حياتها خارج البلاد.
قتلت طيبة العلي رغم علم الشرطة المجتمعية بنية الرجال في اسرتها على قتلها، ولم تقدم على اية خطوة لحماية حياتها رغم كل الادلة التي قدمتها لهم.
قتلت طيبة رغم انها دقت اجراس انذار عبر وسائل التواصل الاجتماعي، واوصلت صوتها والتهديدات التي تعرضت لها، وجريمة اغتصاب اخوها لها بعلم والدها وكافة افراد اسرتها، الى كل من لديه أذان صاغية!
قتلت طيبة رغم استنجادها بالضباط في وزارة الداخلية بالتدخل، الا ان احد منهم لم يقدم على اية خطوة او اجراء لحماية حياتها.
الا ان كل محاولاتها ومساعيها بحماية نفسها، لم تجدي نفعا، وانتهت الى ان يقضي شقيقها وابيها واخوالها على حياتها.
اخيها الذي كان يتحرش بها ويغتصبها، وسط صمت الاهل واغماض اعينهم عن جريمته.
ان مقتل طيبة يعطي انذارا قويا لكل الشابات العراقيات اللواتي تمكن من النفاذ بجلدهن ووصلن الى اماكن امنة خارج " بلادهن" بان لا يعدن الى " ارض الوطن" مهما بلغ بكن الحنين، لان هذا الوطن لا يوفر امنا ولا امانا، لا دولة فيه ولا قانون، ولا شرطة قادرة على ان تحمي حياة شابة في مقتبل العمر.
يجب تقديم قتلة طيبة العلي الى المحاكمة. وتقديم شقيقها الذي اغتصبها الى المحكمة.
ومحاكمة الاب الذي تستر على جريمة الاغتصاب وعلى جريمة قتله للمواطنة طيبة.
يجب محاكمة تهاون ولا مبالاة الشرطة المجتمعية وضباط الداخلية الذين استنجدت بهم طيبة العلي ولم يقدموا على اي اجراء لحماية حياتها.
ان مقتل طيبة يجب ان يدق أجراس انذار لوجوب تغيير القوانين التي تغض النظر عن ما يسمى بجرائم القتل على خلفية الشرف. يجب اعتبار المرأة انسانا كاملا وليس ناقصا، وان قتل المرأة هو جريمة كاملة الابعاد، مثل قتل الرجل، يجب ان ينال العقوبة ذاتها، كاملة وغير منقوصة.
كم من النساء يجب ان تقتل حتى تقرر هذه الدولة حماية المواطنات من الاناث؟
كم من الارواح يجب ان تزهق حتى تعي الدولة ضرورة سن قوانين تعاقب القتل وانهاء قوانين الغاب!
المرأة ليست نصف انسان،بل انسان كامل. والرجل ليس فوق القوانين، لكونه ذكر!
قدموا المغتصب شقيقها والقاتل والدها والمتامرين من اخوالها الى المحكمة!

تحالف امان النسوي

٢ شباط ٢٠٢٣

لا ليوم الحجاب، لا للحجاب الإجباري

بيان مشترك

لم تكتف الأحزاب والحكومات الإسلامية بفرض سياستها على البلدان المحكومة بقوانين شريعتها، لتقوم بتحرك جديد في السنوات الأخيرة لنشر أسلوب ونمط حياة وسياسات الإسلام السياسي في العالم وذلك عبر الترويج للحجاب على صعيد عالمي.

هذه المرة تستغل تلك الجهات الاسلامية قيم الحرية وحق التعبير وحق الاختيار في الغرب من أجل نشر رؤيتها الإسلامية عبر الترويج للحجاب وتكريس يوم له، مؤكدة على حق النساء بإرتداء الحجاب في الغرب، وكأن النساء المسلمات في الغرب ممنوعات من ارتدائه ولم تتحدث تلك الجماعات عن الحق بعدم ارتداء الحجاب طوال عدة عقود في دول شهدت وتشهد فرضه بالقوة والعنف في بلدان مثل إيران وأفغانستان والعراق والسودان والجزائر وغيرها من دول المنطقة ذات الأغلبية المسلمة.

لم يتباكى أحد من هؤلاء الإسلاميين والإسلاميات عن حق اختيار عدم ارتداء الحجاب وهم يرون مقتل وتعنيف آلاف النساء والطفلات -بسبب رفضهن لارتدائه، بل أعطوا آذاناً صماء وعيوناً عمياء لما يجري ضد النساء وحتى الطفلات اللواتي لم يتجاوزن التاسعة من العمر باسم "سن التكليف الشرعي" سواء في البلدان المحكومة بالقوانين الإسلامية أو في البلدان الغربية التي تقطنها تلك الحركات والتيارات الإسلامية.

ليس الحجاب قطعة قماش توضع على رأس المرأة فقط، بل هو استراتيجية لتنظيم الحياة والدولة والمجتمع وفق القوانين والشرائع الإسلامية القائمة على أساس دونية المرأة، والوصاية عليها، باعتبارها ناقصة عقل. إنه أداة تمييز ضد المرأة تختزلها في جسد فقط، لذلك يجب السيطرة عليه وعلى إرادتها باعتبارها -مملوكة للرجل ويجب تغطيتها وحجبها عن مرأى الآخرين. إنه جزء من كامل الأجندة الإسلامية المعادية للمرأة بمعاملتها على أنها نصف بشر في الحقوق والميراث، والزواج، وإباحة استخدام العنف ضدها، وممارسة الاغتصاب الزوجي، إن النساء في دول المنطقة ذات الغالبية المسلمة في نضال مستميت ضد القوانين التمييزية التي تضعهن في مرتبة ثانية بعد الذكر.

وعليه نحن كتجمع هيباتيا للعدالة الجندرية، وتحالف أمان النسوي، وكل من تمثلها أو تمثله رؤيتنا، نوجه خطابنا الى القوى اليسارية في الغرب من الذين يعانون من عقدة الذنب تجاه

ما فعلته دولهم الاستعمارية من مجازر في آسيا وأفريقيا، أن يكفوا عن الانبطاح أمام الحركات الإسلامية وعلى المساندة العمياء للتوجهات الرجعية المعادية للمرأة -وأن يدافعوا- عن حق الخيار في عدم ارتداء الحجاب، إن كانت "حرية الخيار" تهمهم قولاً وفعلاً.

أولئك الذين يدافعون عن حق ارتداء الحجاب ولا يدافعون عن حق عدم ارتداء الحجاب وبالذات على الطفلات، أو على الدعوة لتجربة ارتداء لبس الحجاب ليوم واحد لغير المحجبات، دون الدعوة لخلع الحجاب ليوم واحد، هم منافقون وعنصريون ولا يهمهم حق الخيار أو الاختيار لأنهم أتباع خانعون لسلطة الإسلام السياسي

إن القوى اليمينية في الغرب قد وجدت في هذه الدعوة سنداً ودعماً لها حيث تسعى هي ذاتها إلى أن تفرض نمط حياة القرون الوسطى بحق النساء في الغرب، حيث تشن تلك القوى اليمينية هجمتها على حق الإجهاض هو راية سياسية للسلطة الأبوية المتطرفة لقمع حريات المرأة في حق الاختيار بالتصرف بجسدها، كما تفعل القوى الاسلامية بسلب حق النساء في امتلاك أجسادهن عبر هندسة تحجبيهن. وهذا ما يتم العمل على تطبيعه من قبل سلطة اليمين واليسار السياسي في ولاية نيويورك عند تلقفهم لفكرة اليوم العالمي للحجاب في عام ٢٠١٧ ليصبح حدثاً سنوياً عالمياً بحملة "يوم الحجاب العالمي" الذي أسست له ناظمة خان في عام ٢٠١٣ بحجة تعرضها لمضايقات في المدرسة بعد انتقالها وعائلتها من بنغلاديش إلى أمريكا في فترة أحداث ١١ ديسمبر، والذي يحتفل به في ١ فبراير من كل عام في أكثر من ١٩٠ دولة حول العالم، بحجة تشجيع النساء من جميع الأديان والطوائف على ارتداء الحجاب وتجربته ليوم واحد، والتثقيف حول سبب ارتداء الحجاب كما روجت له، وهذا ما يعد تجاهلاً صارخاً لمعاناة ملايين النساء من المسلمات وغير المسلمات الرافضات لارتداء الحجاب القسري. وما الأكشاك التي تنصب في شوارع الغرب لدعوة غير المحجبات وغير المسلمات في هذا اليوم بالتحديد لتجربة الحجاب ليوم واحد، لنشر فنتازيا حرية الخيار إلا أكبر دليل على النفاق في التعامل مع قضايا النساء وازدواجية معايير الخطاب الليبرالي اليساري الغربي.

وكما روجت إعلامياً (ناظمة خان) لهذا اليوم بهدف أيضاً (تطبيع ارتداء الحجاب عالمياً) وهذا بحد ذاته ينفي السبب الشخصي خلف إطلاق حملة ممولة من الإسلام السياسي لتأسيس يوم للحجاب عالمياً، بحجة العنصرية تجاه حجابها (كطفلة!)، فلماذا لا يتم التحدث عن عنصرية بعض المحجبات تجاه غير المحجبات حتى في دول الغرب وبين المسلمات أيضاً، حيث يتم الدعوة عالمياً بتمويل إعلامي ضخم للمشاركة في هذا اليوم وممارسة الاستعطاف والترغيب، حتى رأينا برلمانيات وبرلمانيين يشاركن ويشاركون في هذا اليوم عبر وسائل الإعلام العالمي، بحجة دعوة غير المحجبات وغير المسلمات لتجربة ارتداء الحجاب ليوم واحد من مبدأ ترسيخ حرية الخيار الشخصي! (والسؤال المشروع هنا) -هل سوف يسمح لغير المحجبات بنصب أكشاك من أجل الدعوة ليوم بدون حجاب بكل دول العالم حتى الدول الإسلامية دون أن يتعرضن لمقصلة الفوبيا التي يستخدمها المسلمون وهل ستشارك المحجبات هذه التجربة ليوم واحد، خاصة وأن غير المحجبات يوصمن "بالعاريات" فقط لعدم ارتدائهن الحجاب؟

مـع صمـت بعـض الحكومـات الموقعـة عـلى اتفاقيـات حقـوق الطفـل والإنسـان عـن هـذا الانتهـاك الواضـح لحـق الطفـلات -في حريـة الاختيـار عنـد بلـوغ السـن القانـوني و حـق امتـلاك الخيـار، ومـا يليهـا مـن الاسـتغراب مـن قبـل نفـس الـدول في الغـرب، عنـد أخـذ الطفـلات في سـن التكليـف الشرعي بعـد تحجيبهـن برحلـة إلى دولهـن (وهـذا مـا أصبحـت تلاحظـه العديـد مـن المنظـمات الحقوقيـة الآن للتوعيـة مـن مخاطـر سـفر المراهقـات المحجبـات أثنـاء عطلـة الصيـف) وعودتهـن محجبـات بعمـق رمزيـة التحجيـب الحقيقـي، مـن خـلال ختانهـن أو تزويجهـن قـاصرات بعقـود زواج دينيـة غـير موثقـة قبـل إعادتهـن لحياتهـن السـابقة كمواطنـات مسـيطر عليهـن في دول الغـرب مـن قبـل السـلطة الدينيـة الأبويـة، وأمـام كل مـا تحملـه سياسـات هـذه الـدول مـن ازدواجيـة في المعايـير وبمباركـة وتهليـل المؤسسـات الدينيـة، فإننـا كنسـويات مسـلمات أو مـن خلفيـات مسـلمة نعتـبر الحجـج التـي تسـتند عليهـا تلـك الحكومـات للتطبيـع مـع فكـرة الحجـاب في الغـرب واهيـة ومتحيـزة وإن كنـا لا ننكـر أن تكـون السـيدة ناظمـة خـان وغيرهـا مـن المحجبـات قـد تعرضـن بالفعـل للمضايقـات بسـبب حجابهـن، فعـن أي خيـار للحجـاب يتكلمـون دون التطـرق للترغيـب والترهيـب التـي تعيشـه ملايـين الطفـلات حـول العـالم كـما حصـل مـع مـن روجـت لهـذا اليـوم المطبـع مـع فكـرة تحجيـب النسـاء ووهـم الخيـار الشـخصي عندمـا كانـت بعمـر ١١ سـنة كطفلـة تـم تحجيبهـا قبـل هجرتهـا إلى أمريـكا، كـما يمـارس الآن في غالبيـة الـدول في الـشرق الأوسـط وشـمال إفريقيـا عـلى الطفـلات، وحتـى في دول العـالم أجمـع مـن خـلال الاحتفـاء جماعيـاً بتحجيـب الطفـلات! وترسـيخ فكـرة العفـة (حجـابي رمـز عفتـي) كعبـارة عنصريـة تجـاه باقـي النسـاء والطفـلات غـير المحجبـات.

كـما أننـا كنسـاء ونسـويات وأيضـاً كرجـال داعمـين لتحـرر المـرأة في المنطقـة الناطقـة بالعربيـة نقـف ضـد مسـاعي المنظـمات الاسـلامية النسـوية وغـير النسـوية ونرفـض أن يكـرس عالميـاً يـومٌ للحجـاب ندعـى إليـه جميعـاً ونحـن نعلـم أن ارتـداء الحجـاب غـير ممنـوع عالميـا بـل هـو مفـروض عـلى المسـلمات حـصرا مـن قبـل الإسـلاميين، وهـو مـا ينفـي عنـه صفـة "الخيـار الطوعـي" كـما ندعـو لتكريـس يـوم ليكـون "لا للحجـاب أو التحجيـب" دعـماً للحملـة العالميـة التـي أطلقتهـا مسـلمات أو مسـلمات سـابقات ليعيـش العـالم مـا تعانيـه النسـاء والطفـلات مـن فـرض الحجـاب و الوصـم بالعـار الـذي يلاحقنـا عنـد رفضنـا أو خلعنـا للحجـاب مدافعـات بدورنـا عـن حـق الخيـار الحقيقـي بـدون أي أجنـدة تمييزيـة دينيـة عـلى أجسـاد النسـاء، رافعـات صوتنـا لا للحجـاب الاجبـاري بـكل مـكان وزمـان، ولا لتحجيـب الطفـلات المجـردات مـن حـق الخيـار مطلقـاً، مـرددات بغضـب وبأعـلى أصواتنـا مـع النسـاء في إيـران صانعـات الحريـة والحيـاة والخيـارات الحقيقيـة: (المـرأة. الحيـاة. الحريـة).

١ شباط/فبراير ٢٠٢٣
هيباتيا للعدالة الجندرية
تحالف أمان النسوي

دفاعا عن فصل الدين عن الدولة

تتعرض الناشطات النسوية الى هجمات تشهير واسعة من قبل اعضاء جماعات اسلامية بسبب طرحهن لفصل الدين عن الدولة لإحقاق حقوق المرأة.

عَبّرت ناشطاتنا النسويات وعِبرَ طرحهن لمطلب فصل الدين عن الدولة، عن صوت الملايين في العراق بل وفي المنطقة برمتها، والمحكومة بأحزاب وقوانين الشريعة الاسلامية التي توجه نصال شريعتها ضد حقوق وكرامة المرأة.

أننا نطالب بفصل الدين عن الدولة لان كل الاديان تعامل المرأة كمواطن من الدرجة الثانية، وترفض المساواة، وتعطي القوامة بيد الرجل، وتنص بشكل واضح وصريح على ممارسة العنف بمختلف اشكاله و على التمييز لصالح الرجل ضد المرأة.

تعطي القوانين التي تستند الى الشريعة الاسلامية في العراق ومنها قانون ١١١ لسنة ١٩٦٩ والقوانين المدنية تنص على الاولوية للرجل على حساب المرأة. تتنافى هذه القوانين ما توصلت له البشرية من حقوق وما نصت عليه العهود الدولية بالحقوق المتساوية بين المرأة والرجل.

لقد رأينا بأعيننا ومنذ تولي الاحزاب الدينية في العراق مدى تدهور حياة وحقوق المرأة، فرض الحجاب وبقوة السلاح، والان يفرض الحجاب وبشكل مؤسساتي ورسمي، يسمح بزواج القاصرات الذي هو نص صريح واضح على القبول باغتصاب الاطفال. الى مصادرة حق النساء في ممارسة حقوقهن الفردية والمدنية برهن حرية وحركة المرأة بموافقة الرجل، رب الاسرة او غيرها من مسميات، لجعل المرأة تحت هيمنة ووصاية الرجل، وكأن المرأة ناقصة عقل.

من اجل احقاق حقوق المرأة ومساواتها بالرجل، فان الشرط الاساسي والاولي هو وضع قوانين مدنية تعامل الرجل والمرأة على قدم المساواة وعلى كافة المستويات، وتمنع اي شكل من الامتيازات للرجل على حساب المرأة، من قبيل حق الارث للرجل ضعفي حق الانثى، شهادة المرأة يجب ان يعترف بها كشهادة متساوية مع الرجل بدون اي تمييز. منع تعدد الزوجات، منع وتجريم زواج المتعة باعتباره اتجار بأجساد النساء.

ان دفاع الاسلامين عن ابقاء الشريعة الاسلامية، وبشكل انتقائي وحسب امزجتهم هو سعي مقصود لأسلمة الدولة باعتبارها مشروع سياسي لأحزاب اسلامية تريد وعبر مشروعها هذا

تثبيت سيطرتها على الدولة والمجتمع والاستفادة من كل مقدرات الدولة والمجتمع. لقد اوضحت سنوات هاذين العقدين دور هذه الاحزاب في النهب والسلب والاغتناء تحت اسم الدين. لذلك لم تهتف الجماهير عبثا من عام ٢٠١٥ " باسم الدين باكونا الحرامية"، بل عن تجربة ما يقارب العقدين من اللصوصية وسرقة مقدرات البلد.

لقد وقفت الاحزاب الاسلامية على اختلافها ضد قانون يشرع العنف الاسري، لأنه ينهي الهيمنة الذكورية في المنزل، ويحرر المرأة من عنف الرجل، وينقل ما يسمى " بالشأن العائلي" الى الشأن العام. نحن نطالب بقانون تجريم العنف، القانون الذي ترفضه الاحزاب الاسلامية.

اننا لا نطالب فحسب، بل و نناضل وبكل قوانا، كمنظمات نسوية وغير نسوية، من اجل فصل الدين عن الدولة من اجل سحب الشرعية التي تتشدق بها هذه الاحزاب ولن نوفر اي جهود من اجل تحقيق هدفنا. وسنتصدى للدفاع عن كل ناشطاتنا وناشطينا، ومنهم ماس محمد، من اجل مواصلة نضالهم لتحقيق ما نتطلع اليه.

الدين مسألة شخصية، والدولة لا دين لها. يجب فصل الدين عن الدولة.

تحالف أمان النسوي

٩ تموز ٢٠٢٢

موقفنا النسوي: هذا الصراع ليس صراعنا! هذه الاحزاب المتصارعة لا تمثلنا، وهذا الصراع ليس صراعنا.

كل الاحـزاب المتناحـرة اليـوم، هـي جـزء لا يتجـزأ مـن السـلطة. فهـذه السـلطة هـي سـلطتهم جميعـا منـذ عـام ٢٠٠٣ ولحـد اليـوم.

سياسة هذه الاحزاب تقوم على افقار المجتمع، وجني المليارات على حسابنا.

نحـن نسـاء العـراق نعـاني مـن الفقـر، ٨٢٪ مـن نسـاء العـراق عاطـلات عـن العمـل! وهـن يعشـن تحـت رحمـة الاوصيـاء بـذل ومهانـة.

تُقتـل النسـاء وبشـكل يومـي، مـن قبـل افـراد العائلـة، دون ان يُقـدم احـد للعقـاب. ووقفـت هـذه الاحـزاب صفـا واحـدا ويـدا بيـد لتمنـع قانـون تجريـم العنـف الأسري ليمـرر في البرلمـان!

تحـت سـلطة هـذه الاحـزاب تنتحـر النسـاء يوميـا للخـلاص مـن جحيـم العبوديـة، والـلا أمـل في هـذه الحياة.
تتسـول الطفـلات في الشـوارع، وبـالآلاف بحثـا عـن دنانـير قليلـة لأسرهـن او لتشـغيلهن مـن قبـل العصابـات المنظمـة.
يتـم يوميـا اغتصـاب الطفـلات باسـم زواج القـاصرات. ويقـوم الشـيوخ ورجـال الديـن بتزويـج الطفـلات دون ان يقـدم اي احـد لمحاكمـة.
تـم قطـع الدخـل اليسـير للمطلقـات والارامـل رواتبهـن، باسـم" منـع ازدواج الرواتـب" رغـم انهـن لا يسـتلمن مـن كل الرواتـب " المزدوجـة" الا دنانـير معـدودة لا تكفيهـن لتدبـير معيشـتهن ومعيشـة اطفالهـن. وهـم يتمتعـون برواتـب مزدوجـة تـدر عليهـم الملايـين كل شـهر، دون ان يتـم ازالـة احـد الراتبـين منهـم.

تضـع النسـاء الحوامـل اطفالهـن في مستشـفيات غـير صالحـة لاسـتخدام البـشر! و تعـاني النسـاء المسّـنات مـن شـظف العيـش وقلـة الكرامـة، تحـت رحمـة مـن يتصـدق عليهـن مـن الابنـاء والبنـات، دون ان توفـر الدولـة بـأي شـكل، ضـمان الشـيخوخة لمـن افنـنّ أعمارهـن بتربيـة الاجيـال!

تحـت سـلطة هـذه الاحـزاب تـم سـبي النسـاء واختطافهـن واغتصابهـن، مـن ايزيديـات ومـن طوائـف دينيـة اخـرى، دون ان يسـعى اي منهـم الى انقاذهـن لحـد يومنـا هـذا!

هـذا الـصراع هـو صراع الاحـزاب المتناحـرة عـلى السـلطة مـن اجـل المناصـب والمقاعـد الوزاريـة ومـن اجـل نهـب المزيـد والمزيـد مـن ثـروات المجتمـع. هـذا الـصراع هـو صراع الاخـوة- الاعـداء.

هذا الصراع ليس صراعنا.
صراعنـا الحقيقـي هـو مـع هـذه الاحـزاب التـي شـكلت سـلطة مـا بعـد ٢٠٠٣ والتـي تركـت حيـاة النسـاء وعمـوم المجتمـع تتهـاوى مـن سيء الى اسـوأ كل يـوم.

واليـوم في صراع، وغـدا سـيجلس الاخـوة الاعـداء عـلى طاولـة المفاوضـات وسـنبقى نحـن رافعـين مطالبنـا كـما رفعناهـا في انتفاضـة تشريـن: كلهـم يعنـي كلهـم!

تحالف أمان النسوي
٣١ تموز ٢٠٢٢

الزمن يسير للأمام يا سيادة وزير التعليم، ضد قرار الفصل بين الجنسين في المعاهد الاهلية في العراق !

اثار القرار الذي اصدرته وزارة التعليم في يوم ١٧ ايار غضب واستياء اوساط نسوية ومدنية عديدة في كافة انحاء العراق والذي يدعو الى منع الاختلاط بين الجنسين في المعاهد الاهلية بما في ذلك منع تدريس الاساتذة للطالبات، والمدرسات لتدريس الطلبة! وبخلافه تغلق المعاهد الاهلية.

– لم يوضح وكيل المدير العام للمديرية العامة للتعليم العام والاهلي والاجنبي، الدكتور منير عويد محسن والذي وقع القرار تبريرات قراره هذا كما لم يذكر سبب موافقة وزير التعليم على اصدار هذا النوع من التعليمات.

– نحن في تحالف أمان النسوي، جنبا الى جنب المئات من الناشطات النسويات والنسويين في عموم العراق وخارجه، ندين اصدار هكذا قرارات، ونرفضها، ونطالب بالغائها، وعدم الالتزام بها من أية جهة أومنبر علمي. لان هذه القرارات لا تعبر الا عن حقيقة واحدة وهي مدى الجهل والتخلف الذي يكمنان خلف هكذا نوع من التعليمات والسعي الى فرض قوانين داعشية على المجتمع.

– الاختلاط بين الأجناس، يا سيادة الوزير، يجب ان يكون سائدا وشائعا في كل مفصل وفي كل مكان من وفي كل مراحل حياة الانسان، اي كان جنسهم. فالبشرية تناضل ولازالت من اجل انهاء كافة اشكال التمييز والفصل بين البشر سواء على اساس لونهم، او جنسهم، او دينهم او قوميتهم. ان اولى مباديء التربية والتعليم يا سيادة الوزير والمدير العام، ووكيل المدير العام في وزارة التعليم هي التصدي لكافة اشكال التمييز بين البشر وخلق ثقافة المساواة بين الاجناس من نعومة الاظفار وحتى الموت.

هل يعلم سيادة الوزير والمدير العام والوكيل ان البشرية على كوكب الارض تتطلع الى الوصول الى أجناس جديدة وكائنات جديدة على الكواكب الاخرى!!! لا أن تضع اسفين بين البشر على أساس جنسهم على الارض؟!

الفصل بين الجنسين قرار مرفوض!

وسنتصدى بكل ما اوتينا من قوة لقانون التمييز بين البشر على اساس جنسهم، او الفصل بينهم على اساس لونهم، او اية هوية كانت.

فانتم ياسيادة الوزير والمدير العام ووكيله، انما تسيرون عكس عقارب الساعة، والزمن، لسوء حظكم يسير للامام لا للخلف!

تحالف أمان النسوي

١٨ آيار ٢٠٢٢

رسالة من نساء ورجال العراق الداعين الى المساواة الى زهرة البجاري

صرحت النائب زهرة البجاري على خلفية حديث هناء ادور في مجلس الامن بخطاب الكراهية ضد النساء وضد حقوق الانسان في التعبير عن الرأي بغض النظر عن اتفاق عضو البرلمان معه من عدمه . ان ردنا على البجاري هو :

١- أن هناء أدور لا تمثل " مكون" بل تمثل نصف المجتمع العراقي وهن النساء! وهي لم تقل في خطابها في مجلس الامن، غير الحقيقة التي يعرفها كل قاصي ودان، الحقائق التي خرجت انتفاضة عارمة برمتها ضدها: ضد الفساد، والفقر، والبطالة، والمحاصصة!

٢- هناء أدور لا تمثل "مكون" بل هي مواطنة عراقية لها الحق في النقد والحديث وممارسة كل الحقوق التي تنص عليها قوانين المواطنة. هل المكون " الكبير" له حق والمكون الاصغر لا حق له؟ من اين جئت بهذا التصنيف؟ ومن اعطاك هذا الحق؟ المحاصصة الطائفية، وتقليص الحقوق حسب "طائفة" المتحدث، امر مرفوض، لكل مواطن على ارض العراق، بل ولكل ساكن على ارض العراق ان يقول رأيه بكل ما يجري!

٣- ايتها النائبة: لقد ولى وانتهى زمن الطائفية. انتهى وولى زمن التقسيم بين العراقيين على اساس طائفتهم ودينهم. وكانت تشرين التصويت الحقيقي على رفض الطائفية. ويفترض ان هذه الانتخابات هي انتخابات لما بعد تشرين! فهل اتعظتم ام لم تتعلموا الدرس بعد؟

٤- الاسرة العراقية ليست مفككة، بل ومحطمة والسبب هو: عدم وجود دولة مسؤولة عن حماية المواطنين، فمسؤولي الدولة مشغولين بتقسيم ونهب ثروات المجتمع. بسبب عدم وجود دولة وقانون رادع يحمي الانسان والمرأة والطفل. لقد وصلنا الى حد يقتل فيها الزوج زوجته، ويغتصب الاب ابنته، والاب يحرق اطفاله، او يرمى بناته من السطوح، والأم ترمي أولادها في النهر، والشباب ينتحرون، والاتجار بالمخدرات يعفى عن مرتكبيها رئيس دولتك الموقر والسبب ان حكومتك وحزبك، لا شأن لهم بما يجري في المجتمع او الاسرة، بل ما يهمهم هو نهب اكبر ما يمكن باسرع ما يمكن. برلمان الكوميشينات على حد تعبير زميلتك النائبة السابقة حنان سبعة بسبعة!

٥- الدستور العراقي، ليس بمنأى عن النقد والرفض جملة وتفصيلا، وهو متناقض، باعتراف من

كتبـوا سـطوره. الدعـوة لالغـاء الدسـتور حـق شرعـي، ليـس بوسـع اي شـخص مصادرتـه. الدسـتور ليـس مقدسـا.

٦- قانـون الاحـوال الشـخصية رقـم ١٨٨ ومادتـه رقـم ٥٧ ليـس قانونـا بعثيـا، فهـو صـادر مـن عـام ١٩٥٩، قبـل ان يـرى البعـث السـلطة بعينيـه.

٧- ان نـداء البجـاري ومطالبتهـا للامـة الأسـلامية بوضـع حـد ل"تجـاوز" هنـاء ادور، هـو نـداء ارهـابي مـن الطـراز الداعـشي وبامتيـاز! ان حريـة التعبـير مصانـة يـا عضـوة البرلمـان. ان خطابـك هـذه الداعـي للكراهيـة والتحريـض يدلـل عـلى ان هنالـك نسـاءا هـن أكـثر ذكوريـة مـن الرجـال انفسـهم!

٨- لقـد ولى زمـن التمييـز الجنـسي ضـد النسـاء. لقـد عـبرت البشريـة مرحلـة التفريـق بـين البـشر عـلى اسـاس جنسـهم او لونهـم. البـشر يجـب ان يكونـوا متسـاويين في كافـة الحقـوق. تحويـل المـرأة الى أداة انجـاب، وخلـع طفلهـا منهـا، مرفـوض. تعـدد الزوجـات مرفـوض. تزويـج القـاصرات مرفـوض، شـهادة المـرأة نصـف شـهادة الرجـل مرفوضـة. نصـف ارث للمـرأة نسـبة بالرجـل مرفـوض. قوامـة الرجـل عـلى المـرأة مرفـوض. كل تمييزعـلى اسـاس الجنـس والتقليـل مـن حقـوق المـرأة لكونهـا امـرأة سـواء باسـم الديـن او اي مسـمى اخـر مرفوض.سـواء نطقـت هنـاء أدور بهـذه التفاصيـل او لم تنطـق بهـا. نحـن نسـمعها لـك وبصـوت عـالي وواضـح.

الديـن مسـألة شـخصية. الدولـة لا ديـن لهـا. وكفـوا عـن الاتجـار بالديـن. لقـد اسـمعتها لكـم جماهـير العـراق وبالصـوت الواضـح والعـالي ومنـذ عـام ٢٠١٥: حـين صاحـت: بأسـم الديـن باكونـا الحراميـة!

٢٠٢٢-٥-١٩

تحالف أمان النسوي

بيان بمناسبة اليوم الأول من آيار- يوم العمال والعاملات العالمي

قررنا اسماع صوتنا في الأول من آيار هذا العام، ونحن ننضم إلى جميع عمال وعاملات العراق والعالم.

قررنا أن نسمع صوتنا بما يلي:

ان عمل المرأة ليس عملا جانبيا، ولا هامشيا، ولا هشا ولا اضافيا إلى عمل الرجل. بل إنه عمل أساسي، معتبر، وله قيمة لا تقل بأية درجة من الدرجات عن عمل الرجل. إنه عمل اساسي لصنع وادامة الحياة، وتوفير مستلزمات الامان الاقتصادي للمرأة ولإسرتها وللمجتمع بصورة عامة.

الا ان عمل المرأة لازال يواجه تحديات عديدة، فمن جهة؛ مع تبني الدولة لسياسات الاقتصاد الحر، وتقليص دور الدولة بتوفير فرص العمل، وقع على كاهل المرأة، مسؤولية ايجاد فرص عمل لها في القطاع الخاص أو بشكل شخصي.

تواجه النساء العاملات في القطاع الخاص الى امتهانات عديدة تتمثل بـ: انخفاض اجورها للحد الذي لا يقبل به الرجل، يفرض عليهن العمل وبدون عقود توضح فيها حقوق المرأة العاملة، طول ساعات العمل، واستغلال جهودها الى اقصى الحدود.

تواجه النساء وبشكل فاضح ومكشوف شتى انواع التمييز الجنسي ضدهن وتفضيل الرجال عليهن في العمل، تجنبا للإجازات الامومة، او الاحتياجات الاخرى المتعلقة بكونها انثى. اي محاربة النساء وعدم اعطائهن فرص عمل مثل الرجال. ان هذا التمييز ضد المرأة عمل مدان ويجب معاقبة كل شخص يقوم بالتمييز ضد عمل النساء لأنهن أناث. ان وظيفة المرأة البيولوجية بأنجاب الاطفال هي ليست عذرا ولا سببا او ذريعة لمنع النساء في المشاركة بالعمل مدفوع الاجر.

اما النساء الباحثات عن فرص عمل، فهن يواجهن معارضة أسرّهن بالعمل خارج المنزل او العمل في القطاع الخاص، تُبررُ الأسر اعتراضها على عمل المرأة بـ " عدم حاجتها الى العمل او المال"، او من اجل "حمايتها" مما قد يتعرضن له في العمل او الطريق الى العمل.

ان هذه العوائق للحيلولة دون عمل المرأة تؤدي في نهاية المطاف الى ابقائها تحت رحمة "ولي نعمتها". مما يضع النساء في اوضاع الفقر والعوز، والحاجة الى مد ايديهن الى افراد اسرتهن.

تتعرض النساء الباحثات عن عمل وبشكل غير مسبوق الى المساومات على بيع جسدهن وبيع قوة عملهن في آن واحد، من اجل الحصول على فرصة عمل في ظاهرة اصبحت شائعة وجريمة منظمة لا يمكن السكوت عنها، ويجب فضحها بكل الاشكال.

اما المرأة العاملة، فهي ان توفرت لها فرص العمل، فيرمى على عاتقها ايضا وفي ذات الوقت، مسؤولية توفير مكان آمن لأطفالها، من حضانة أطفال أو غيرها، في الوقت الذي تقدم خدماتها التي يستفيد منها أرباب العمل سواءً أكانوا في القطاع العام او الخاص، دون تخفيف العبء عنها بإيجاد مكان آمن لأطفالها.

فقط ١٣ بالمئة من نساء العراق يستطعن الحصول على العمل، اما النساء العاطلات من ربات البيوت فهن الاغلبية العظمى التي تعيش العطالة والبطالة عن العمل المأجور، يعشن فريسة للعمل المنزلي الذي يقض على شبابهن وقوتهن وفتوتهن وهن يمارسن العمل الروتيني اليومي الممل دون ان يكون هنالك اي اعتراف بقيمة هذا العمل الذي يبذلنه.

بناء على ما تقدم: نحن نناضل كنسويات ونسويين من أجل:

١- توفير فرص متساوية للعمل للنساء كما للرجال وإنهاء التمييز الجنسي المجحف بحق النساء.

٢- توفير الأمن والأمان والكرامة للنساء العاملات والباحثات عن العمل، وتجريم كل تحرش او مساومة على جسد المرأة ومعاقبة القانون له.

٣- احترام حق المرأة بالعمل وعدم التدخل من قبل اي شخص مهما كانت صلته بالمرأة بقرار المرأة في عملها وتحت أية ذريعة كانت.

٤- توفير الأمن والأمان للنساء هو ليست مسؤولية الأسرة بل مسؤولية الدولة والمجتمع بتوفير كل مستلزمات حماية حياة وكرامة المرأة العاملة.

٥- انهاء تعبير النساء هن ربات بيوت، النساء هن عاطلات عن العمل المأجور. العمل المنزلي والرعاية بأفراد الاسرة هي مسؤولية الرجل كما هي مسؤولية المرأة. المساواة في العمل المنزلي بين المرأة والرجل.

٦- توفير فرص عمل لكل العاطلات عن العمل، او توفير ضمان بطالة لهن وحتى حصولهن على فرص عمل.

٧- اجازات أمومة للنساء العاملات مع راتب كامل لمدة سنة في حالة الولادة بالإضافة الى الاجازات المرضية مدفوعة الراتب وبشكل كامل.

٨- أعادة كل النساء اللواتي تم الاستغناء عن خدماتهن أثناء جائحة كورونا واللواتي كنَ في اجازات أمومة، بحجة تقليص عدد العاملات والعاملين.

نتطلع في هذا اليوم، الى اتحاد النساء النسويات والرجال النسويين، واتحاد المنظمات النسوية من اجل الدفاع عن حقوق النساء العاملات والعاطلات عن العمل في العراق.

فريق البصرة النسوي

تحالف أمان النسوي

حول مقتل مهسا اميني

بقتل "مهسا اميني"، لن يمد نظام الجمهورية الاسلامية في ايران بعمره!لقد طالت أيادي الجريمة والقتل المنظم، ايادي قوات الامن التابعة للنظام المعادي للمراة والحريات في ايران اليوم الشابة "مهسا أميني" ذات ال٣٣ ربيعا بسبب لبسها الحجاب بشكل "ناقص" وتوقيفها من قبل شرطة الاخلاق سيئة الصيت، الارشاد، الشبيهة بالحسبة في داعش وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية، وتعذيبها حتى أصيبت بجلطة دماغية فارقت الحياة على إثرها. في اي عصر نعيش، بحيث تقتل النساء بابشع الطرق لا لشيء وانما فقط لوجود خصلات شعر خارج حجابها! ألهذه الدرجة يرعبهم شعر النساء؟! ان الجمهورية الاسلامية تعرف جيدا ان عمرها منوط بالحجاب وشعر النساء. في اليوم الذي يتحرر شعر النساء، يكون هذا النظام قد لفظ انفاسه، لانه ببساطة يعني ان القرار الاخير للجماهير عامة والجماهير النسوية بحق هذا النظام قد صدر وانتهى أمره! لا نعرف كم من الأخريات سيتم حجبهن تحت التراب لكي ينجوا نظام متهالك وبالي يحتظر لكي يثبت بوحشيته وارهابه أنه "مقبول" و"عادي" وقائم وما تلك الأصوات الرافضة سوى طنين عابر لا اكثر . يستخدم النظام الإيراني قسوته اتجاه النساء الرافضات سياسته من أجل ترويع الأخريات وحثهن على التزام الصمت . ان نظام الجمهورية الإسلامية يعلم تأثير النساء ووجودهن في الاحتجاجات الأخيرة جنبا لجنب مع رفاقهن الرجال وكونهن مصدر إزعاج وخطر اساسي عليه. يعلم دور النساء وحضورهن التاريخي في كل النضالات والاحتجاجات التي جرت بالضد من هذا النظام، وان الثورة المقبلة في ايران ذا طابع نسوي بارز. ولهذا يسعى بما يملك من مقدرة إجرامية إلى إبعادهن وردع الأخريات عن محاولة التطاول على حكمه وسلطته الدموية. بخطوته هذه ينشد النظام تخويف الاخرين وادامة عمره القصير. اننا في تحالف امان النسوي نعلن مواساتنا التامة لعائلة المغدورة ولاصدقائها ومحبيها ولسائر تحرريات وتحرري ايران، وفي الوقت ذاته نعلن عن تضامننا التام مع كل الداعيات للتحرر والمساواة في ايران في سعيهن الحثيث والبطولي نحو الخلاص مما جثم على صدورهن، ونستنكر ماحدث ل(مهسا أميني) ونشد على سواعدهن في تصعيد النضال من أجل الخلاص من هذا النظام الرجعي الذي بنى ٤ عقود من عمر حكمه المشؤوم بدماء النساء وسائر التحررين في ايران . المجد والخلود لذكرى "مهسا اميني"الموت لنظام القتل والجريمة في ايران

تحالف امان النسوي

١٦ ايلول ٢٠٢٢

بيان تحالف أمان النسوي حول موت الطفلة سما في الموصل بعد اخراجها من المدرسة لارغامها على ارتداء الحجاب

بيان تحالف أمان النسوي حول موت الطفلة سما في الموصل بعد اخراجها من المدرسة لارغامها على ارتداء الحجاب

٣-٢-٢٠٢٢

أنتشر خبر وفاة الطفلة سما محمد راغب من مدرسة اغادير في موصل الجديدة في محافظة نينوى يوم امس بعد حرمانها من دخول الامتحان بسبب عدم أرتدائها الحجاب وإجبارها على ألخروج من المدرسة وارسالها للبيت لغرض ارتدائه. الا ان الطفلة في طريق عودتها وهي في حالة من الخوف والركض باتجاه منزلها نزفت من انفها وتم نقلها الى المستشفى وفارقت الحياة اثر النزف الدموي.

أولا، نعزي، نحن عضوات واعضاء تحالف أمان النسوي أسرة الطفلة سما بهذا المصاب ألمأساوي الاليم.

ثانيا، نرفع صوتنا عاليا وواضحا دفاعا عن كل الفتيات الصغيرات والبالغات، ونؤكد بأن ارتداء الحجاب عائد الى القرار الفردي للنساء البالغات فقط، وان أي إرغام على ارتداء الحجاب على أية امرأة او طفلة هو أمر مرفوض، وهو تدخل في الشؤون الشخصية والحقوق المدنية للأفراد وللنساء على وجه التحديد.

أما بالنسبة للحجاب على الاطفال، فيجب منعه بدون اي قيد او شرط، وتحت اي مبرر كان. لا يوجد حجاب اجباري او اختياري للاطفال.

لقد ازدادت حملات المدارس على إجبار الفتيات على ارتداء الحجاب في السنوات الاخيرة. نؤكد نحن هنا بأن ليس للمدارس اية صلاحية ولا واجب علمي واكاديمي ومدرسي في فرض ملبس ديني معين على الطلبة. ان وظيفة المدرسة هي التعليم، وليس التدخل في ملابس الاطفال باتجاه تعزيز زي ديني محدد خدمة لايديولوجيات ادارات المدارس والاحزاب الدينية التي تقف خلفها، او تنتمي اليها.

ليس من حق أية مؤسسة حكومية او غير حكومية، او هيئة رسمية او غير رسمية، بما فيها

الأسرة ارغام الفتيات على ارتداء الحجاب. ان هذا سعي محموم وبالاجبار وبالقوة وبغض النظر عن ارادة الناس على أسلمة السلوك وأسلمة الملبس.
الدين مسألة شخصية، ولا صلة لأية حكومة ولا مؤسسة او عائلة بديانات الافراد وممارساتهم الاجتماعية، من ضمنها، ملبسهم.
يجب ان تكف ادارات المدارس الخاصة بالبنات عن فرض الحجاب على البنات. ويجب ان تمنع الادارات منعا باتا مرة واحدة وللابد بأن لا تقوم بهذا التدخل وهذا الفرض واحالة من يقوم بأعمال القسر هذه الى العدالة. ونحمل وزارة التربية والتعليم مسؤولية حماية حياة الطالبات من اية تدخلات في ملبسهن وخاصة لاغراض دينية في مدارس يفترض انها علمانية ومتاحة للجميع.
نؤكد على مطالبتنا مرة اخرى، بفصل الدين عن الدولة وعن التربية والتعليم. وحماية الطالبات من هذه التدخلات القسرية في لباسهن الشخصي.
نطالب بحماية حقوق البنات بالتعليم و بغض النظر عن هويتهن وقوميتهن ولباسهن الشخصي.
نطالب بحماية حرية التعليم بعيدا عن إرهاب الاحزاب الدينية ونفوذها على مؤسسات التربية والتعليم.
لا للحجاب الاجباري، ولا للحجاب الاجباري او الاختياري على الاناث الاطفال.

تحالف أمان النسوي
٣-٢-٢٠٢٢

Designed By:
Ruzgar Abdullah

www.amanwomenalliance.org